بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾

صدق الله العظيم

«لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام».

بديع الزمان سعيد النورسي

«لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها»

بديع الزمان سعيد النورسي

كلمة شكر

بعد شكر الله وحمده وإعلان كرمه وفضله، يشرفني أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم العرفان والامتنان للذي وضعني في الطريق الصحيح وشملني بعطفه وحسن كرمه وجميل توجيهه... أبي وأستاذي العلامة الدكتور فاروق حمادة حفظه الله وجعله ذخرا للعلم وطلابه.

كما يطيب لي أن أرفع أسمى آيات الشكر والعرفان إلى أستاذي العلامة الدكتور مصطفى بن حمزة - أحسن الله إليه - الذي شجعني على متابعة الدراسة في الرباط واختار لي يدا أمينة ووحدة مباركة علقت في سماء حياتي نجوما هادية.

كما يسعدني أن أتقدم بالشكر الوفير والثناء العظيم والاعتراف بالجميل لأستاذي الكريم فضيلة الدكتور عبد الكريم عكيوي الذي أشرف على بحثي وتعهده بالرعاية والتوجيه حتى استوت فصوله ومباحثه...، فلله ما أطيب خلقه وما أجمل صبره وحسن سمته.

وأشكر أستاذي إحسان قاسم الصالحي الذي ترجم رسائل النور، فكان بذلك مفتاحا من مفاتيح الخير التي أثمرت هذا البحث وأخرجته إلى الوجود.

وأشكر صديقي فاتح يلماز الذي أمدني بالكتب والمراجع ووقف معي طيلة مدة انجازي هذا البحث.

وأخيرا اختم بمسك الختام وطيب الشكر والعرفان للأستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة الدكتور محمد خروبات، والدكتور محمد قجوي، على قبولهما مناقشة هذا البحث وتصحيح أخطائه وتهذيب فصوله ومباحثه.

وللله الحمد والمنة وإليه المصير

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إهداء

- ❖ إلى جدتي التي غمرتني بحبها وساندتني بدعائها.
- ❖ إلى أبي وأمي رمزي سعادتي، وسري وجودي
- ❖ إلى إخواني، محمد وعز الدين حفظهما الله، وإلى روح أخي عبد الرحيم رحمه الله
- ❖ إلى من زرع البذرة وتعهدها بالسقي: أخي وصديقي وأستاذي منير يوقاج

أهدي هذا البحث عرفانا بفضلهم الذي أعد منه ولا أعدده.

- ❖ إلى القلوب الكريمة والأيادي البيضاء التي تركت بصماتها في حياتي ومسيرتي العلمية أستاذتي الأجلاء: الدكتور فاروق حمادة، الدكتور مصطفى بن حمزة، الدكتور عبد الكريم عكيوي، الدكتور مصطفى غانم، إحسان قاسم الصالحي، ميمون نكاز، ونور الدين عيساوي.
- ❖ إلى صديقي وصديق الطبيعة والطيور الأستاذ الباحث عبد الرحمان شملال.
- ❖ إلى الأسرتين المحبوبتين في الله آل بن زرار، وآل بونوة
- ❖ إلى إخواني طلاب النور، تحسين وفاتح وإلهامي وأحمد وطالب وإمداد.....

أهدي هذا البحث الذي هو من حسناتهم وعظيم كرمهم وبركة دعائهم

- ❖ إلى كل من عاش لغيره فعاش كريما ومات كريما
- ❖ إلى كل من علمني حرفا فهو سيدي

❖ إلى أصدقائي جميعا.

أهدي بحثي وفاء وتقديرا ومحبة...

مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبه نستعين، وعليه التكلان وإليه المصير.

وبعد فقد من الله علي إذ هداني لهذا الموضوع "كبرى قضايا الإنسان في ضوء القرآن عند بديع الزمان سعيد النورسي «عرض وتحليل» وهو موضوع موافق لاهتماماتي الفكرية منذ زمن طويل عرفت فيه فكر المصلحين العظيمين "مالك بن نبي"، و"سيد قطب" وتأكد لي أهمية دراسة أفكار المصلحين في إحياء الأمة الإسلامية، وتجديد الدين في نفوس أفرادها.

ولما جئت لمتابعة الدراسة في وحدة "الاجتهاد والتطورات المعاصرة" بإشراف أستاذي الدكتور فاروق حمادة – حفظه الله – بالرباط. فتهيأت لي الظروف للتواصل مع بعض طلبة النور الذين هم من آثار تربية الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، ومن خلالهم تعرفت على رسائل النور. وبعد قراءتها شعرت أنني أمام فكر جديد بالنسبة لي، فتأكد لي قوة فكر الرجل وتميزه عن المفكرين الذين عرفتهم في حياتي، بإستناده إلى القرآن وإتباعه لهدايته حذو القدة بالقدة في كل مسائل الفكر، صغيرها وكبيرها، دقها وجلها، كما وجدت معالجته لقضايا عصره هادئة بعيدة كل البعد عن رد الفعل والتأثر بالظروف، عكس ما وجدته في فكر كثير من المصلحين الذين تأثروا بأحداث عصرهم، فصاغوا أفكارا عرفت جدلا واختلافا بين الباحثين من مؤيد إلى رافض، كأمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وسيد قطب وغيرهم من المصلحين المجددين الذين شابت مشاريعهم الإصلاحية بعض ردود الأفعال وسرعة الانفعال وحدة الأحكام.

لقد وجدت نفسي مسوقا إلى محبة مفكر عظيم، ومصلح رزين استطاع أن يحافظ على إيمان جيل مستهدف في عقله وقلبه بأسلوب ومنهج علمي رصين، يعتمد معطيات الكون الفسيح، ومصادر المعرفة الإسلامية، ومستجدات العلوم الحديثة، وسيلة لاستدرار نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية واستفاضتها واستدعائها في واقع الحياة الإنسانية، دون الوقوع في شباك الفكر الانفعالي الذي يتخذ التحديات المعاصرة مصدرا لفكره ومنطلقا لتناوله.

لقد كان فكر بديع الزمان سعيد النورسي نابعا من القرآن، جاعلا الواقع موطنا للمعالجة لا مصدرا للتفكير، رغم ما عاناه من السجون، والمطاردات، والابتلاءات التي تؤثر في كثير من الأحيان على حركة الفكر وينابيعه، وتشوش على صفائه وتجرده.

فالنورسي، رحمه الله، رغم طول الحصار، كان نموذج المفكر النبيه، والعالم اللغوي النحرير، والمفسر الظليع، والصوفي النقي، حمله إخلاصه وصدقه ورجولته على أن يقدم فكرا قرآنيا سنيا يعالج قضايا الإنسان، بمنهج يتسم بالهدوء والرزانة، والبعد عن الثأر للنفس والتجرد عن الأهواء الذاتية، والمصالح الشخصية، والتشبث بالمقومات العلمية، والثوابت المنهجية التي تحرر الفكر الإسلامي من تنطعات المتشددين، وتخريفات السائبين، وجربذات المتكلمين وشعارات المستغربين.

لقد حاول، رحمه الله، أن يقدم فكرا إسلاميا صافيا مناسبا لتحديات عصره، ومستجيبا لقضايا إنسان زمانه في ضوء القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومعطيات المعرفة الإسلامية، والمعارف الكونية.

هذا عن الدوافع الذاتية التي دفعتني إلى الكتابة والبحث في تراث هذا المفكر العظيم. أما الدوافع العلمية العامة، والأهداف البحثية الخاصة التي تبرهن على أهمية الموضوع، وأهليته لأن يكون موضوع دراسة أكاديمية مُحْكمة، فأذكرها مختصرة في النقاط الآتية:

الدوافع العلمية العامة:

١. اخترت بديع الزمان سعيد النورسي، لأنه رجل صادق وعالم متمكن، ومفكر ذكي عاش مرحلة خطيرة في تاريخ الأمة الإسلامية، وهي سقوط الخلافة العثمانية واتساع الغزو الثقافي والعسكري الغربي لبلاد المسلمين، وحاول أن يواجه هذه الأزمات والتحديات انطلاقا من القرآن الكريم وهدايته في معالجة مشاكل الإنسان والدفاع عن قضاياه.

٢. لقد نجح النورسي في استنطاق النص القرآني وسعى إلى تحريكه في الواقع؛ لمعالجة قضايا الإنسان الإيمانية، والحقوقية، والتواصلية بأسلوب منقطع النظير، يجمع بين العقل والقلب، وبين الإيمان والفلسفة، والموعظة والحجة، والدفاع والهجوم، والحكمة والجدل.

٣. تأتي هذه الدراسة، في سياق تقديم نموذج فكري أساسه القرآن والسنة النبوية، وهدفه حماية الأمة الإسلامية من الأخطار المحدقة بها على المستوى الداخلي والخارجي، وغايته مواجهة قضايا التراجع والتخلف الذي يعيشه المسلمين.

٤. تكمن أهمية هذا البحث من عمق قناعتي الفكرية في مجال التعاطي مع إشكالية النهضة والتقدم عند المسلمين، وتقوم على حقيقة مُفادها أن إصلاح شؤون المسلمين، لا يتأتى إلا ببعث الماضي في الحاضر، وتوظيف كلياته الفكرية وتجاربه التاريخية والمعرفية لاستشراف المستقبل.

٥. يرتبط هذا السبب بالسبب الذي قبله ومفاده: أن الفكر الإسلامي المعاصر لابد أن يرتبط بالدراسات التي استطاعت أن تحقق التوازن والتكامل بين معطيات الواقع وأصول الإيمان، ومرتكزات القرآن. والنورسي واحد من المفكرين الذين حققوا هذه المعادلة الصعبة في كتبهم؛ حيث وجدت كتابات فكرية عظيمة في عصره وبعده، اتسمت بالتجريد والتعميم الفكري، ويكفي مثالا محمد إقبال، ومالك بن نبي، حيث غلب عليهما جانب التنظير والتجريد، وافتقدت إلى مقومات البرهان النصي من الكتاب والسنة والتفسير وغيرها من مصادر المعرفة الإسلامية.

٦. إن كتابة النورسي تمنح الفكر الإسلامي قدرة على توظيف الأصول الإيمانية والمقاصد القرآنية في خدمة قضايا الإنسان المعاصر، وعلاج مشكلاته الكبرى. ودليل ذلك رسائله الواسعة التي تناولت مشكلات الإنسان المعاصر، من خلال علاج أبعاده الإيمانية والحقوقية والتواصلية.

٧. إن غياب المفاتيح القرآنية، والمقاصد العليا من توحيد ونبوة وحشر وعدالة وتعارف في الخطاب الفكري المعاصر، يكرس الأزمة ويعمق المشاكل الإنسانية تصورا وعملا، ويساهم في عملية الاختراق الفكري الغربي لحضارة الإسلام.

٨. يندرج هذا العمل العلمي في سياق تقديم نموذج فكري رصين يجدد خطاب الفكر الإسلامي المعاصر، ويمده بالمبادئ القرآنية، وكليات السنة النبوية ومصادر التراث الإسلامي وعطاءات المعرفة الحديثة، وإمدادات الكون الفسيح، فالنورسي، رحمه الله، استطاع أن يقدم نموذجا فكريا متميزا يقوم على تكامل الأجناس المعرفية، واتحادها مع معطيات الكون لإبراز حقائق القرآن، وموقفها من قضايا الإنسان.

٩. إن الكشف عن فكر بديع الزمان سعيد النورسي يستهدف إغناء المكتبة الفكرية المعاصرة، وإمدادها بفكر جديد متصل غاية الاتصال بالقرآن الكريم، كما يقصد الوقوف على الثوابت الفكرية، والمرتكزات النسبية في عملية التعاطي مع التحديات المعاصرة والظروف المحيطة. فبديع الزمان سعيد النورسي، كانت له ثوابت فكرية تمثلت في مقاصد القرآن الكريم، والسنة النبوية والكون والعلاقات الإنسانية؛ ومن خلالها عالج مشاكل الإنسان؛ كما كانت له متغيرات تمثلت في أساليب التعاطي الفكري والسياسي مع مرحلة الخلافة العثمانية والدولة العلمانية.

١٠. إن الفكر الإسلامي الحديث، بحاجة إلى معرفة بديع الزمان سعيد النورسي، الذي جمع بين العلم والفكر والجدل والتصوف. لقد استطاع النورسي أن يكون بديعا في تناوله الفكري، حيث سخر معارف عصره من علوم دقيقة، وعلوم شرعية، وعلوم لغوية، لخدمة حقائق القرآن، وتفعيلها في ساحة الصراع الفكري، والتدافع الحضاري بين مدنية الإسلام ومدنية الغرب.

١١. إن الاهتمام برسائل النور، تمنح الإنسان القدرة على امتلاك ناصية النقد الفكري الايجابي الذي يستوعب محاسن فكر الآخر، ويتجاوز سلبياته بمنهج سليم يراعي سنن التدافع، ويأخذ بعين الاعتبار معادلة القوة والتكافؤ بين الخصمين.

١٢. لقد استطاع النورسي أن ينسج خطابا فكريا جديرا بالبحث والدراسة، تجلت قوته في قدرته على اختراق نسيج الآخر، وهدم براهينه وتفنيذ شبهاته، ورد أباطيله بالحجة العقلية، والبرهان الكوني، والمعرفة الدقيقة بمداخل فكره، وأصول ثقافته وأسس حضارته.

١٣. إن أهمية البحث في تراث النورسي، تنبع من عمق ضرورة الحفاظ على الشخصية الإسلامية من الذوبان في ثقافة الآخر، والانسياق وراء فلسفته المادية؛ والنورسي نموذج المفكر القرآني الفريد، الذي استطاع أن يحفظ إيمان شعب عريق من خطورة الانحراف الفكري الذي طال بعض أفراد الشعب التركي، من جراء الغزو الثقافي الغربي.

١٤. إن البشرية في زمننا المعاصر محتاجة إلى فكر إسلامي يرد مشكلاتها إلى الأصول والقواعد الكبرى التي تؤطر الفروع وتعالجها؛ والنورسي استطاع أن يقدم طرحا يعالج مشاكل الإنسان المعاصر التي تتوالد بدون انقطاع اعتمادا على قضايا كبرى تمثلت في التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة، والعلاقات الإنسانية. لقد شكلت هذه الأبعاد القضايا الكبرى لعلاج مشكلات الإنسان حسب رأيه.

١٥. إن الإحاطة الشاملة بمنهج رسائل النور، تمنح الإنسان القدرة على تنمية الذات بالتفكرات القرآنية وتبعث في العقل الإنساني إمكانية التفوق والعطاء الفكري الرصين، والقدرة على انتقاد ثقافة الآخر وهدم مسالكه؛ ويرجع السبب في هذا إلى أن كاتبها كان عميق الفهم بأسس القرآن ومالكا لقواعد التدبر في سنن الكون.

١٦. وأخيرا إن الدراسة حول النورسي تسهم في إمداد البحث العلمي في مجال الفكر الإسلامي بمنطلقات وكليات تساهم في إدراك مشكلات عصرنا، والوقوف على أدوية مناسبة لها ومرتبطة بظروفها.

أما عن الأهداف الخاصة بموضوع الدراسة، فأجملها في النقاط الآتية:

١. تحديد كبرى قضايا الإنسان المعاصر عند بديع الزمان، وقد بينتها في فصول البحث وتمثلت في ثلاثة أبعاد : بعد الإيمان، وبعد العدالة، وبعد العلاقات الإنسانية.

٢. التفريق بين أصول المشكلات الإنسانية وفروعها.

٣. بناء رؤية متكاملة حول كبرى قضايا الإنسان في ضوء القرآن الكريم.

٤. العمل على تحقيق الترابط الوثيق بين هذه القضايا في الواقع المعاصر، وتصورها في القرآن الكريم.

٥. محاولة الوصول إلى تحقيق نتائج علمية تكشف عن علل الأزمة الإنسانية في واقعنا المعاصر.

٦. تدشين نقطة الإنطلاق في صياغة مشروع فكري إسلامي، يصنف القضايا الإنسانية الكبرى في ضوء القرآن الكريم، ويسعى إلى علاجها وفق منهج يحتوي فروع المشكلات وتشتتها وتوالدها بمنهج أدق وأشمل.

٧. تصحيح خطأ تعلق بأذهان كثير من الناس مفاده أن النورسي رجل صوفي، كتب رسائل النور للترغيب والترهيب، واثبات الإضافة على ذلك بالمشاركة العلمية في مجال الفكر، وقضايا الإنسان، وأثر مقاصد القرآن في معالجة مشاكل العصر.

٨. اختصار ما تفرق من القضايا الإنسانية الكبرى في رسائل النور، وتقديمها للقارئ في حجم صغير، يسهل قراءته وخاصة وأن هذه المسائل تفرقت في موسوعة ضخمة بلغت تسعة مجلدات.

٩. تحديد الأولويات في خطاب الفكر الإسلامي المعاصر، خاصة في زمن أصبحت تقام فيه المعارك حول فروع المشكلات، لا على أصولها وقضاياها الكبرى. فبديع الزمان سعيد النورسي يدعو مؤسسات البحث العلمي التي تسعى إلى إنقاذ الإنسانية من

براثين القلق، والتية، والإضطراب، إلى توجيه جهودها نحو خدمة حقائق الإيمان، وأبعاد العدالة ومبادئ العلاقات الإنسانية الصحيحة.

١٠. امتلاك رؤية واضحة قادرة على التعامل مع معطيات العولمة المعاصرة، ومواجهتها بمنهج قرآني سليم يستوعب الايجابيات ويترك السلبيات.

١١. هذا، إلى جانب أهداف أخرى صادفتها وأنا أتابع قراءتي لرسائل النور دفعتني إلى طرح مجموعة من الأسئلة التي تمثل جوهر إشكال هذا البحث ونواته ويمكن صياغتها على المنوال الأتي:

هل هناك دراسة علمية حول رسائل النور كشفت اللثام عن القضايا الإنسانية الكبرى في الواقع المعاصر وأفردتها بالدرس والتحليل؟ أم أن هناك دراسات علمية تناولت فكر الرجل وعطاءاته في مجالات متعددة دون إفراد هذه القضايا الكبرى بالدرس والتحليل في ضوء وحدة الموضوع تصنيفا وترتيبا وتنقيحا واختصارا.

وأمثل هنا في هذا المقام، بنماذج أهمها الدراسات الآتية: رسالة دكتوراه قدمت في مصر سنة ١٩٨٤ بعنوان الفكر الأدبي والديني عند الداعية بديع الزمان سعيد النورسي، ورسالة أخرى قدمت في جامعة محمد الخامس بالرباط سنة ٢٠٠٧ بعنوان جهود النورسي في تجديد الفكر الإسلامي، ورسالة دكتوراه قدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض سنة ١٩٩٤ بعنوان الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري، ورسالة ماجستير قدمت بكلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا سنة ١٩٩٧ بعنوان بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، ورسالة ماجستير قدمت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة اللبنانية سنة ١٩٩٨ بعنوان منهج بديع الزمان سعيد النورسي في الإصلاح الديني.

بعد الاطلاع على هذه الدراسات تبين لي أنها تناولت النورسي بصفة عامة ولم تتناول قضايا الإنسان المعاصر الكبرى بصفة خاصة في ضوء وحدة الموضوع.

إن كل هذه الدراسات، حاولت أن تقدم جهود الرجل في خدمة الفكر الإسلامي، واستطاعت أن تحقق المقصود من أهدافها التي تتجلى في الكشف عن أراء النورسي في جزئيات متعددة، وفي مجالات متنوعة كان من أهمها مجال الدعوة، والمعرفة، والتعليم والتصوف، والأخلاق، وإعجاز القرآن، وقضايا السلم والعنف، وغيرها من الموضوعات المتفرقة، وبقي السؤال مطروحا، ثمة قضايا كبرى تؤطر مشكلة الإنسان المعاصر، وتحدد مواطن دائه وينابيع علله، فما هي هذه القضايا؟ وكيف عالجها النورسي ؟وما هو منهجه في معالجة هذه القضايا؟ وهل استطاع أن يقدم من خلال هذه القضايا فكرا إسلاميا قرآنيا يستوعب مشاكل الإنسان المعاصر، ويختصرها في أبعاد كلية تضبط عناصر المشكلات وترد مفرداتها إلى الأصول والقواعد، دون الوقوع في شباك التفريع المقاصدي للقرآن الكريم، كما فعل الشيخ محمد رشيد رضا في: "الوحي المحمدي"، والشيخ يوسف القرضاوي في كتابه: "كيف نتعامل مع القرآن" وغيرهم من الباحثين المهتمين بكشف المقاصد العليا للقرآن الكريم. وثمة سؤال آخر هل استطاع النورسي في زمن تعدد المشكلات الإنسانية وتوالدها، أن يصوغ قضايا كبرى تندرج تحتها هذه المشكلات، وتسعى إلى علاجها بالمنهج العلمي الذي يعتمد أسلوب التخريج، والتنقيح، والتحقيق طريقا أساسيا للتفريق بين القضايا الصغرى والقضايا الكبرى لإنساننا المعاصر؟.

للوقوف على أجوبة علمية سديدة لهذه الإشكالات، اعتمدت منهجا علميا يتنوع ويتعدد بحسب طبيعة الموضوع، وفق خطة بحثية قامت على مقدمة وتمهيد وتسعة فصول وخاتمة أوجزها في ما يأتي:

أولا: الخطة المنهجية لموضوع الدراسة.

أحاول في المقدمة تبيان الدوافع الذاتية، والأسباب العلمية العامة، والأهداف الخاصة التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، ومشكلات البحث والمنهج المتبع في صياغة مضامينه، والخطة المنهجية التي تؤطر عناصره و أفراده.

يعد التمهيد مدخلا أساسيا لدراسة الأوضاع السياسة في عصر النورسي، إذ يمكن الحديث عن مرحلتين: مرحلة بداية انهيار الخلافة العثمانية، ومرحلة قيام الدولة العلمانية.

أما الفصل الأول: فقد خصص لدراسة حياة الرجل، وآثاره، وتم ذلك من خلال سرد حياته ونشأته وتكوينه وتفاعله مع محيطه؛ ومن خلال هذه العناصر استنبطت عوامل تشكيل عظمتة، ووصفت أثاره العلمية.

أما الفصل الثاني: فقد تناولت فيه خصائص رسائل النور، ومنهج تعاملها مع القرآن. إذ كان المبحث الأول منه مبينا للخصائص العامة لرسائل النور ومنهجها في التأليف، أما المبحث الثاني فقد اختص ببيان منهج تعامل رسائل النور مع القرآن.

أما الفصل الثالث: فقد تطرقت فيه لبيان قضية حقيقة الإنسان، ووظيفته في الحياة عند بديع الزمان سعيد النورسي. إذ كان الحديث في المبحث الأول، مبينا لحقيقة الإنسان وعلة تكريمه، أما المبحث الثاني فقد تحدثت فيه عن مظاهر تكريم الإنسان، أما المبحث الثالث فقد تناول وظيفة الإنسان في الحياة.

أما الفصل الرابع: فقد عالج قضية التوحيد، كان المبحث الأول مخصصا لتعريف التوحيد، أما المبحث الثاني فقد وضح أدلة التوحيد، أما المبحث الثالث فقد تناول أثر التوحيد في حياة الناس.

أما الفصل الخامس: فقد خصصته لقضية النبوة، فكان المبحث الأول للتعريف بالنبوة وبيان حاجة الإنسانية إليها، أما المبحث الثاني فقد تناول دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وبراهين نبوته، أما المبحث الثالث فقد بين وظيفة النبوة وأثرها في الحياة الإنسانية.

أما الفصل السادس: فقد عالج قضية الحشر. كان المبحث الأول مبينا منهج النورسي في عرض عقيدة الحشر، أما المبحث الثاني فقد بين أدلة الحشر، أما المبحث الثالث فقد خصص لبيان أثر عقيدة الحشر في الحياة الإنسانية.

أما الفصل السابع: تحدثت فيه عن قضية العدالة الاجتماعية عند النورسي. كان المبحث الأول مبينا لأقسام العدالة عند النورسي، أما المبحث الثاني فقد تحدث عن مفهوم

العدالة عند بديع الزمان، أما المبحث الثالث فقد تناول آليات تطبيق العدالة الاجتماعية عند بديع الزمان سعيد النورسي.

أما الفصل الثامن: فقد تطرقت فيه لقضية العدالة السياسية عند بديع الزمان سعيد النورسي. كان المبحث الأول مخصصا لبيان مفهوم السياسة عند النورسي، أما المبحث الثاني فقد تناول مسألة هجر النورسي لعالم السياسة، أما المبحث الثالث فقد كشف آليات تطبيق العدالة السياسية في المجتمع الإسلامي.

أما الفصل التاسع : فقد عالجت فيه قضية العلاقة مع الغرب. كان المبحث الأول مبينا لمنهج النورسي في التعامل مع الحضارة الغربية، أما المبحث الثاني فقد تحدث عن أسس الحضارة الغربية، أما المبحث الثالث فقد تناول أسباب النهوض وعلل التأخر.

وفي نهاية البحث ختمت بنتائج علمية تضمنت عصارة البحث وزبدته والتوصيات التي رأيتها ضرورية.

ثانيا : منهجية البحث.

لاستجلاء معالم فكر بديع الزمان سعيد النورسي حول كبرى قضايا الإنسان المعاصر في ضوء القرآن، حاولت أن أتّبع منهجا علميا تعددت أنواعه بحسب مقتضيات البحث وحاجته، فأثناء الحديث عن حياة النورسي وأثاره حاولت اعتماد المنهج الوصفي التاريخي للوقوف على عوامل تشكيل عظمته.

وأثناء عرض القضايا الإنسانية الكبرى، حاولت اعتماد منهج يقوم على الوصف والتحليل والاستنباط والمقارنة أحيانا.

كما حاولت أن اعتمد منهج الاستقراء الذي يقوم على تتبع أقوال النورسي، وأرصد أحاديثه حول هذه القضايا في جميع رسائل النور، واستنبط المعنى الشامل حولها. وخلاصة القول في المنهج المتبع في هذه الرسالة أعرضه في النقاط الآتية:

١. قرأت الرسائل مرتين للإحاطة الشاملة بأصول فكرها، وأسس مضامينها ومحاورها الكبرى وقضاياها الأساسية.

٢. أعدت القراءة الثالثة لجمع المادة العلمية التي ترتبط بالمحاور الأساسية والقضايا الكبرى لرسائل النور وهي : حقيقة الإنسان والتوحيد والنبوة والحشر والعدالة والعلاقات مع الغرب، واعتمدت في ذلك منهج الاستقراء، والإحصاء التام، لجميع هذه القضايا في رسائل النور، مع الالتزام بالاختصار أثناء وجود التكرار في المباحث؛ خاصة وأن رسائل النور تكرر بعض الموضوعات في مواطن عدة، تفرض على الباحث منهج التنقيح والتحقيق والاختصار.

٣. قمت بعرض هذه القضايا وفق الخطة المنهجية المتوصل إليها بعد تحديد المحاور الكبرى التي تؤطر رسائل النور، معتمدا على منهج متنوع بحسب حاجة البحث ومقاصده، وتمثل في الوصف، والتحليل، والاستنباط، والترتيب، والتصنيف، ودليل كل هذا فصول البحث، حيث اشتملت على الوصف التاريخي لحياة النورسي واستنباط العوامل المكونة لعظمته، والتحليل العلمي لوجهة نظره في كبرى قضايا الإنسان في ضوء القرآن من خلال نصوصه، والاستنباط والترتيب والتصنيف العلمي الذي تجلى في صياغة عناوين ناظمة وكليات جامعة لرؤية النورسي حول كبرى قضايا الإنسان في ضوء القرآن، اعتمادا على الاختصار غير المخل لنصوصه.

٤. حاولت أن أوازن بين رأي النورسي وغيره في بعض القضايا، كالعدالة الاجتماعية مع سيد قطب، وأسس الحضارة الغربية مع محمد إقبال.

٥. عرض كل قضية وحدها اعتمادا على تحليل مادتها العلمية، واستنباط المعاني التي تندرج تحتها.

٦. حاولت أن أصوغ قواعد كلية، تجمع كلام النورسي المتفرق في أجزاء رسائل النور حول كبرى قضايا الإنسان، وقد تجلت هذه القواعد واضحة في قضية العدالة الاجتماعية،

والعدالة السياسية، حيث صغت مجموعة من القواعد المستنبطة من كلام النورسي لاختصار كلامه حول تحقيق آليات تطبيق العدالة بشقيها الاجتماعي والسياسي في المجتمع.

٧. عند التطرق لقضية كبرى من قضايا الإنسان، أبين مفهوم النورسي لهذه القضية ومنهجه في عرضها، والقواعد التي اعتمدها في صياغة الموضوع سواء صرح بها أو استنبطت من كلامه.

٨. لتحقيق قضية من القضايا، حاولت أن أتتبع أقوال النورسي في رسائل النور كلها مع عدم إغفال ما كتب حوله من الدراسات، والبحوث، والمؤتمرات التي تناولت هذه القضية بالدرس والتحليل، وهنا أشير إلى حقيقة مفادها أني اطلعت على عشرات الكتب حول النورسي وغيره تناولت بعض القضايا المرتبطة بالموضوع، فأدرجت بعضها في التحليل، والبعض الآخر وهو الكثير لم أدرجه وإن كنت لا أنفي الإفادة منه في إنضاج التصور الشامل حول مفردات الموضوع في الخطاب الفكري الإسلامي المعاصر.

٩. لقد وشيت هذه الرسالة بحواش كان من أبرز استعمالاتها:

أ- عزو الآيات إلى سورها وذكر أرقامها.

ب- تخريج الأحاديث الواردة في الرسالة، اعتمادا على المنهج المعتمد في التخريج.

١٠. عزو النقول إلى أصحابها، من خلال ذكر اسم الكتاب ثم المؤلف ثم دار الطبعة وتاريخ الطبع وذكر الصفحة.

١١. في ختام هذه الرسالة وضعت فهارس مُفَصلة للموضوعات البحثية، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

وقبل إنهاء هذه المقدمة أتوجه بالشكر الوفير والثناء الجميل إلى فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الكريم عكيوي الذي قبل الإشراف على هذا العمل العلمي وما بذله من توجيهات حسنة وملاحظات قيمة كان لها الفضل في انجاز هذا البحث وإتمامه، كما أشكره مرة ثانية على

تشجيعاته وصبره وخلقه الرفيع الذي كان يمدني بالاستمرارية في الكتابة وعدم الخوف من البحث في هذا الرجل العظيم بديع الزمان سعيد النورسي. فله مني الشكر والوفاء ما حييت ولن أنسى له هذا الصنيع ولله الحمد والمنة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتبه يوسف حمداوي

بالرباط في يوم الجمعة ٧ ربيع الأول

١٤٢٩هـ / ١٤ مارس ٢٠٠٨.

التمهيد:

الأوضاع السياسية في عصر النورسي، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: مرحلة بداية انهيار الدولة العثمانية

المبحث الثاني: مرحلة قيام الدولة العلمانية

التمهيد :

تعد مرحلة نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين من أصعب المرحل التاريخية التي مر بها المسلمون، حيث توالت عليهم الهزائم، وتم الإجهاز على الخلافة العثمانية، واتسع الاستعمار الغربي وامتد نفوذه في بلاد المسلمين عامة وتركيا خاصة.

وفي هذا التمهيد سأتناول الحالة السياسية الاجتماعية التركية بالخصوص في مبحثين، لما يقتضيه منهج البحث والدراسة، ويمكن تقسيم هذه الحالة إلى مرحلتين:

- مرحلة بداية انهيار الخلافة العثمانية.
- مرحلة قيام الدولة العلمانية التركية.

المبحث الأول:
مرحلة بداية انهيار الدولة العثمانية:(أسباب الضعف والانهيار)

أ) العوامل الداخلية:

لقد شهدت الدولة العثمانية في المرحلة الحميدية حركات جديدة، اتخذت لنفسها شعارات خادعة، وعناوين براقة، تدس الحقد الدفين للإسلام والمسلمين، وقد نشطت هذه الحركات بفضل تشجيع الطرف الأجنبي لها، وفي هذا السياق أقتصر على ذكر حركتين قويتين، لما لهما من دور خطير في تقويض الخلافة، وتأسيس الدولة الجمهورية العلمانية.

١) حركة الدونمة:

الدونمة كلمة تركية تعني : الهداية أو العودة إلى الحق، أطلقت على فئة من يهود الأندلس الذين لجأوا إلى الدولة العثمانية، وتظاهروا باعتناق العقيدة الإسلامية، وقد استخدمتهم الصهيونية وأوكلت لهم مهمة تدمير الخلافة العثمانية، وقاموا بالهجوم على الشعائر الإسلامية، والنيل من المقدسات، عن طريق الجرائد والكتب والدعايات، كما نجحوا في احتضان الاتحاديين، ووقفوا بجانبهم قصد إمالتهم إلى سدة الحكم. [١]

لقد استطاع يهود الدونمة أن يمزقوا المجتمع الإسلامي من الداخل، من خلال دعم الصهيونية العالمية. يقول مصطفى طوران في كتابه "يهود الدونمة" : "إن سيطرة الدونمة، ومن ورائهم الصهيونية العالمية على الاتحاد والترقي، لم تكن خافية على الدولة العثمانية الأوربية، وإذا كانت في البداية محل ارتياح، فإنها لم تلبث أن تصبح محل انتقاد، وفي عام ١٩٤٠ أرسل السفير البريطاني لدى الاستانة مذكرة إلى حكومته، يبين فيها سيطرة اليهود على الاتحاد والترقي "تركيا الفتاة"، قال فيها: إن الجمعية تبدو في تشكيلها الداخلي تحالفا ثنائيا يهوديا تركيا، فالأتراك يمدونها بالقوة العسكرية، واليهود بالعقل المدبر والمال والنفوذ الإعلامي في أوروبا"[٢].

---

[١]– انظر "صحوة الرجل المريض" لموفق بني المرجة مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر والإعلان الكويت، ط ١٩٨٤، ص : ٢٥٤ بتصرف

[٢]– أنظر "يهود الدونمة" ترجمة عن التركية كمال خوجة، توزيع دار السلام، ط ١، ١٩٧٧م، ابتداء من ص : ٥.

٢) حركة الاتحاد والترقي:

نشأت هذه الجمعية في سالونيك، وكانت جمهرة أعضائها من الموظفين والضباط، كما كان عدد اليهود والماسونيين بها كثيرا، وهم الذين تولوا طريقة تكوينها، حيث جعلوها خلايا خماسية، وكل عضو يستطيع أن يلحق خمسة أعضاء جدد، لا يعرف بعضهم بعضا، وما لبثت خلايا هذه الجمعية أن انتشرت في المراكز المهمة بمقدونيا، وفي المدن الكبرى من الإمبراطورية، ولكنها كانت كلها خاضعة للجنة المركزية في سالونيك[١]. وقد تلقت هذه الجمعية تشجيعا كبيرا من طرف الإنجليز، حتى استطاعت أن تشكل قوة معارضة، مناوئة لسياسة السلطان عبد الحميد.[٢]

لقد نجحت حركة الاتحاد والترقي بوسائلها المختلفة في إلهاب عواطف الجماهير، واستغلال الظروف لصالحها، حتى أمكنها ضم الجيش الثالث إلى صفوفها في ليلة ٢٣ يوليو ١٩٠٨، ومن ثم أرسلت إلى السلطان عبد الحميد تطالبه بإعلان الدستور، أو الحياة النيابية في ظرف أربع وعشرين ساعة، وإلا تحرك الجيش الثاني والثالث لاحتلال العاصمة، وصدر الدستور في الموعد المحدد وتمت الانتخابات، وفي ديسمبر سنة ١٩٠٨ فتح البرلمان، وبهذا وصلت جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم، وشرعت في تنفيذ مبادئها وبرامجها[٣]. وكانت صاحبة السلطة الحقيقية في الدولة العثمانية ما بين عام ١٩٠٨ و ١٩١٨ وهي الفترة التي نشطت فيها الجمعيات والأحزاب السياسية داعية إلى الإصلاح ولامركزية الإدارة، وخلال هذه الفترة اتسم حكم جمعية الاتحاد والترقي بالعنف، والقضاء على الحريات، ونفي زعماء المعارضة، وأدت سياستهم إلى

---

[١]– الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي، "بديع سعيد النورسي"، لسمير رجب محمد، القاهرة: دار سوزلر، ط ١٩٩٥م، ص : ٢٠.

[٢]– أنظر "حركة الجامعة الإسلامية"، لأحمد فهد بركات الشوابكة، مكتبة المنار، سنة (١٩٨٤-١٤٠٤) ص : ٣١٥-٣١٦ بتصرف.

[٣]– التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة، لأحمد سليمان، القاهرة: ١٩٦١، ص : ٣٤.

تحطيم الدولة العثمانية وهزيمتها عام ١٩١٨ مع حليفتها ألمانيا وتقسيم أقاليمها بين الغزاة المنتصرين[١].

هكذا قادت جمعية الاتحاد والترقي البلاد التركية إلى الانقسام والتشتت الداخلي الذي قضى على الدولة العثمانية ومهد لبروز العلمانية.

ب) العوامل الخارجية:

يمكن اختزال القوى الكبرى التي واجهتها الدولة العثمانية في قوتين: قوة الصهيونية العالمية الطامعة في إقامة وطن يهودي في فلسطين، وقوة الغزو الصليبي الأوروبي الطامع في استغلال ثروات المسلمين، وفيما يلي أتناول هاتين القوتين وأثرهما في القضاء على دولة الخلافة.

١) القوة الصهيونية:

لقد واجهت الدولة العثمانية الحركة الصهيونية بموقف خلده التاريخ، تجسد في سلوك السلطان عبد الحميد الثاني الذي رفض جميع إغراءات الصهيونية، والقوى الداخلية والماسونية، والقوى العلمانية التركية في قضية الاعتراف بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، الأمر الذي أغاض الحركة الصهيونية فكثفت جهودها متعاونة مع الدونمة والماسونية والقوى الدولية وجمعية الاتحاد والترقي بهدف خلع السلطان عبد الحميد المعادي للصهيونية وللهجرة اليهودية إلى فلسطين[٢].

ولعل هذا الموقف الذي وقفه السلطان عبد الحميد من فلسطين، والصمود الذي أبداه تجاه جميع المحاولات التي بذلها زعماء الصهيونية العالمية كافيان لتثمين دور السلطان عبد الحميد في الحفاظ على وحدة الأراضي الإسلامية، وعدم التفريط في شبر واحد منها، رغم المتاعب السياسية والمالية والعسكرية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية إبان تلك الفترة، والتي استغلتها الصهيونية أبشع استغلال لتنفيذ وعيدها له، وذلك بإسقاطه عن الحكم، عندما لم يتجاوب مع الوعود والإغراءات الصهيونية[٣].

---

[١]- أنظر نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، دراسة للقضية العربية في ٥٠ عاما (١٨٧٥م ١٩٢٥م) لمحمد الخير عبد القادر، القاهرة: مكتبة وهبة، ط ١ سنة ١٩٨٥ ص : ٨٤-٨٥.

[٢]- موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية للدكتور حسن حلاق، بيروت: دار النهضة العربية، ص : ٥-٦.

[٣]-موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص : ٥-٦.

ويحسن في هذا المقام أن أورد موقف السلطان عبد الحميد مكتوبا، كما ورد في مذكراته[١]، وقد بعث رسالة إلى شيخه محمود أبو الشامات (شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق) بعد خلعه من الخلافة يقول: «إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية "الاتحاد والترقي" المعروفة باسم (جون تورك) وتهديدهم، اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة، إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا ، وأصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين)، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيرا وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهبا، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي: إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا، فضلا عن مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهبا، فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي. لقد خدمت الملة الإسلامية، والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة، فلم أسود صحائف المسلمين، آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين، لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضا».

لقد اتضح من خلال هذه المعطيات التاريخية، أن السلطان عبد الحميد دفع عرشه وسلطته وحياته، ثمنا لمواقفه الجريئة ضد إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين،[٢] وبالفعل نجحت المؤامرات الصهيونية للدولة المحلية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش سنة ١٩٠٩، وبذلك تحققت أولى أهداف الحركة الصهيونية، بالسماح لليهود بهجرات واسعة إلى الأراضي المقدسة في فلسطين[٣].

---

[١]- انظر صحوة الرجل المريض ص : ٢١٥.

[٢]- موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص : ٦.

[٣]- المصدر نفسه، ص : ٦.

٢) القوة الصليبية الأوربية:

يتجسد الغزو الصليبي في بعدين : البعد الاستعماري المادي، والبعد الاستعماري الثقافي.

١- البعد الاستعماري المادي:

لقد استعملت الصليبية الغربية ضد دولة الخلافة، والتي لم تنس هزيمتها أمام صلاح الدين، والسلطان محمد الفاتح أسلوبين لتقسيم الدولة العثمانية وتفكيكها، الأسلوب الحربي الاستعماري المباشر، والأسلوب التحريضي التأليبي غير المباشر، وذلك عن طريق مساندة الأقليات، والدول المجاورة التابعة للحكم العثماني وتشجيعهم على التمرد والانفصال والاستغلال، يحكي السلطان عبد الحميد في مذكراته عن ظروف توليته الحكم، فيقول: «كيف كانت الظروف وقت توليتي العرش؟، أحاول أن أتذكر. نعم! تمرد البوسنة والهرسك، هزموا الجيش وحاصروه في الجبل الأسود.

-الصرب تعلن الحرب بقوات منظمة وخطرة.

-من هذه البادرة انفجرت الحرب الروسية الفظيعة.

-بالطبع ليست من نتاج عهد سلطنتي، كل هذه الوقائع الداخلية والخارجية.

-توليت السلطنة بعد خلع سلطانين متعاقبين، وأزمة وزارية استمرت ٩٣ يوما، وفراغ في السلطنة والأمة كانت تزعم أنها وصلت إلى رشدها»[١].

لقد حاول السلطان عبد الحميد، القيام بالإصلاحات، وتحديث الدولة، ومعالجة أزماتها الخانقة. إلا أن دولا عظمى لم تحتمل رؤية انبعاث دولة قوية جبارة منظمة، وإنما وقفت في وجه مساعي الحكومة العثمانية في هذا الصدد، بجرها إلى صدامات عسكرية وبإثارتها للتمردات الصربية، والبلغارية، والارمنية، واللبنانية[٢]. لقد شجعت الأوضاع المنهارة روسيا على التحرك لتنفيذ خطة القضاء على الرجل المريض، فاندفعت جيوشها حتى أصبحت على بعد أميال

[١]- مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة محمد حرب عبد الحميد، دار الوثائق، ص : ٢٣.

[٢]- تاريخ الدولة العثمانية إشراف روبير مانتران ترجمة بشير السباعي عن مجموعة من المتخصصين في التاريخ، القاهرة دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. (١٩٩٣) ج ١ ص : ١٣.

قليلة من استانبول، وبدا فجأة أن استيلاء روسيا على الممرات المائية واستعادة مسجد" أيا صوفيا" أمران قريبان، بيد أن الدول الأخرى، كي تمنع روسيا من حيازة مثل هذه الأراضي المهمة، عقدت مؤتمرا في استانبول حضرته كل دولة مهتمة بالمسألة الشرقية، ما عدا العثمانيين أنفسهم، فإنهم لم يدعوا إليه وحين انفض المؤتمر، كان المؤتمرون قد تنازلوا لروسيا القيصرية عن معظم ما طلبته، حسب معاهدة (أياستفانوس) في ٣ مارس ١٨٧٨[١].

هكذا استمرت الحملات العسكرية الصليبية التأليبية، حتى تم تمزيق الأقاليم العثمانية والسيطرة عليها، وإنهاك قوة الدولة ماديا وعسكريا ومعنويا، فسيطرت فرنسا على تونس، واستولت انجلترا على قبرص، ووضعت البوسنة والهرسك تحت حماية النمسا، ومنحت روسيا الاستقلال التام، كما أن بلغاريا منحت استقلالا جزئيا[٢]، إلى غيرها من الانهيارات والانكسارات التي وقعت في جسم الدولة العثمانية وأودت إلى نهايتها. لقد حاول السلطان عبد الحميد أن يواجه تحديات عصره بحنكة سياسية ورفع شعار الجامعة الإسلامية،[٣] وبين أن الإسلام هو الروح التي ستجري في جسم البشرية فتحييها وتغزو القلوب فتفتحها وأعلن بقوله : «إن القوة الوحيدة التي ستجعلنا واقفين على أقدامنا هي الإسلام، ولسنا، كما قال فؤاد باشا، أمة تنازع، بل إننا أمة قوية بشرط أن نكون مخلصين لهذا الدين العظيم»[٤].

يتضح من خلال هذا، أن محاولة السلطان عبد الحميد أخرت سقوط الدولة العثمانية، ولم تستطع أن تواجه التحديات الخارجية والاضطرابات الداخلية، التي عجلت بقيام الجمهورية العلمانية الطورانية.

المبحث الثاني:
مرحلة قيام الدولة العلمانية التركية

[١]– انظر بديع الزمان عصره ودعوته دكتور فرج محمد الوصيف، دار النور للإسلام بالمنصورة للنشر، (ط ١، ١٩٩٦)، ص:١٠.

[٢]– المصدر نفسه، ص : ١١.

[٣]– مصر وحركة الجامعة الإسلامية نصر الدين عبد الحميد نصر من عام (١٨٨٢–١٩١٤م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٤)، ص : ١٠.

[٤]– انظر "صحوة الرجل المريض"، ص : ١٠٨.

لقد مرت أطوار تأسيس الدولة العلمانية بعدة مراحل، اتسمت كل مرحلة بأحداث وملابسات، انتهت بتنصيب "كمال أتاتورك" رئيسا للجمهورية التركية العلمانية، ويمكن تقسيم هذه الأطوار إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: الاتحاد والترقي وجهودها في السيطرة على البلاد.

المرحلة الثانية : إعلان الجمهورية وهدم الخلافة، وتنصيب كمال أتاتورك رئيسا للدولة التركية.

١) الاتحاد والترقي وجهودها في السيطرة على البلاد:

لقد تبين مما سبق، أن حركة الاتحاد والترقي اتحدت في موقفها مع الحركة الصهيونية، بقصد التخلص من السلطان عبد الحميد، وقد تمكنت من الثورة عليه، والإطاحة بحكمه، واختير بدلا منه أخوه الأمير محمد رشاد الذي تسمى ب(محمد الخامس) (١٣٢٧-١٣٣٧/١٩٠٩-١٩١٨م)[١]. وفي هذه الفترة ظهرت جمعية الاتحاد والترقي بوجهها السافر على المسرح السياسي، وسعت إلى تحسين الوضع المالي للدولة ونظمت الجيش وأوصلته إلى مستوى معقول من القوة والانضباط والتدريب، ورغم هذا، فقد شهدت البلاد في عهدها تقلص بعض ولاياتها كما عرفت هزائم عدة، مثل الحرب الايطالية في طرابلس سنة (١٣٣٠هـ١٩١١م)، وحرب البلقان (١٣٣١هـ١٩١٢م) وسعى الاتحاديون إلى التحالف مع ألمانيا ضد روسيا وفرنسا وايطاليا ولعلهم بهذا التحالف يستردون ما سبق أن استولت عليه هذه الدول، وعقد فعلا التحالف قبيل الحرب العالمية الأولى، ولم تلبث أن اشتركت الدولة العثمانية في الحرب فكان أن قضي عليها[٢].

---

[١]- تاريخ الدولة العلية العثمانية : لمحمد فريد بك المحامي، القاهرة : ١٨٩٣، ص : ٤١١ بتصرف.

[٢]- انظر الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، ص : ٢٢.

٢) إعلان الجمهورية وبناء الدولة العلمانية:

بعد وفاة السلطان محمد رشاد ١٣٣٦/١٩١٨، جاء بعده السلطان محمد وحيد الدين، ولم تمض على ولايته للعرش بضعة أشهر حتى أصبحت البلاد كلها نهبا للدول الأوربية، فقد سلخت عن الدولة العثمانية ممتلكاتها في مصر وسوريا وفلسطين والعراق، بعد أن سلخت عنها ممتلكاتها الأوربية، كما استولى الانجليز واليونان والايطاليون والأرمن على مناطق مختلفة من تركيا، وحتى استانبول نفسها كانت تحت احتلال الحلفاء، أي أن السلطان كان في واقع الأمر، أسيرا بأيديهم[١]. ولما زاد تضييق الخناق على السلطان وحيد بينه وبين الأمة، لم يجد مناصا من أن يكلف سرا أحد الضباط الذي كانت تربطه به صداقة قبيل ارتقائه عرش الخلافة، (وهو مصطفى كمال) فأرسله إلى الأناضول، وزوده بأمر سلطاني إلى قادة الجيش جميعهم، كي يتعاونوا معه لتهيئة الصفوف لجهاد المستعمرين وطردهم من تركيا[٢].

في ضوء هذه الظروف الصعبة، برز «كمال أتاتورك» على المسرح السياسي، واستطاع أن يظهر بمظهر المنقذ لشرف الدولة العثمانية، وتزعم حرب الاستقلال، وألهب عواطف الجماهير بخطبة نارية، وتعلقت به فعلا آمال كثير من الناس، حتى خارج حدود تركيا، وتتابعت الأحداث بسرعة فائقة، فمن مؤتمرات قومية إلى إدارة حرب محدودة ضد جيوش الاحتلال، إلى حرب سقاريا وإزمير، إلى جمعيات تناهض الأعداء في كل مكان، إلى تأسيس المجلس الوطني الكبير، واختيار «مصطفى» رئيسا له وتشكيل حكومة في أنقرة من قبل هذا المجلس، واختيار «عصمت اينونو» لمباحثات مؤتمر لندن سنة ١٩٢١، وعقد اتفاقية (قارس) مع روسيا في سنة ١٩٢٢، ثم الهجوم الكبير واكتساح العدو اليوناني وإلقائه في البحر، والتفاف كل قوى الشعب وطرق الصوفية وعصابتها المسلحة حول هذا القائد المنقذ[٣].

---

[١]– بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وأثاره : لاحسان قاسم الصالحي، المغرب: ط ١٩٩٩، ص : ١٤.

[٢]– انظر "النورسي متكلم العصر الحديث"، القاهرة: دار سوزلر، ص ٦٧، وانظر "الرجل الصنم كمال أتاتورك"، تأليف ضابط تركي سابق، ترجمة عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة. (ط ١، ١٩٧٧)، ص : ١٢٧.

[٣]– "الفكر الأدبي والديني عند بديع الزمان"، ص : ٢٤–٢٥.

وقد كان لجوء وحيد الدين إلى الأسطول الانجليزي كالقشة التي قصمت ظهر البعير، فقد استغل مصطفى كمال الفرصة وأعلن سنة (١٣٤٠هـ١٩٢٢م) إلغاء السلطنة، وتم تأسيس حزب الشعب الجمهوري في كانون الأول.[١]

وفي عام (١٩٢٢م–١٣٤٠هـ)، نودي بالأمير عبد المجيد بن عبد العزيز خليفة للمسلمين بعد موافقة المجلس الوطني الكبير على ذلك. وفي ٣٠ تشرين افتتح مؤتمر(لوزان) وحضره وفد أنقرة فقط، ووضع (كرزون) رئيس الوفد الانجليزي أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وهي:

- إلغاء الخلافة.
- طرد الخليفة خارج الحدود.
- مصادرة أمواله.
- إعلان العلمانية.

وعلق نجاح المؤتمر على تحقيق الشروط، وبعد هذا مباشرة تم الإعلان عن الجمهورية في ٢٩ أكتوبر (١٩٢٢م/١٣٤٢هـ). وبهذا الإعلان تقلد مصطفى أتاتورك رئاسة الجمهورية، وجرد السلطان من السلطة الزمنية وجعله خليفة، أي أشبه بشيخ الإسلام، ولكن من غير سلطة روحية أيضا، ثم ألغى الخلافة في ٣ مارس ١٩٢٤ وطرد عبد المجيد الذي ذهب ليعيش في مدينة نيس الفرنسية[٢].

وبعد إلغاء الخلافة العثمانية، تفرد مصطفى كمال بحكم البلاد، فقام باعتماد القانون المدني السويسري، وقانون العقوبات الايطالي، والقانون التجاري الألماني بديلا عن الشريعة الإسلامية، والقوانين الإسلامية، وألغى الحروف العربية، واستبدل بها بالحروف اللاتينية، وتبنى

[١]– "التيارات القومية والدينية"، ص : ٥٧ بتصرف.

[٢]– تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص : ٧١٨.

التقويم الميلادي، وترجم القرآن للتركية، ومنع الحجاب، وفرض السفور، وحرم الزي الديني على غير رجال الدين، كما ألغى المحاكم الشرعية ووزارة الأوقاف ووظيفة شيخ الإسلام[١].

وهكذا استمر كمال أتاتورك في مسلسل تجفيف ينابيع التدين، وجاء بعده عصمت اينونو وتبعه على سياسته[٢]، ثم جاء الحزب الديمقراطي بقيادة جلال بيار رئيسا للجمهورية ١٣٧٤، وعدنان مندريس رئيسا للوزراء، وأصبح منصب رئيس الوزراء يفوق من حيث الأهمية منصب رئيس الجمهورية، فأقام مندريس مدارس الأئمة والخطباء، وتألفت من المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية واهتمت بالدراسات الإسلامية وتعلم اللغة العربية[٣]، ثم استمرت الأزمات والثورات الاقتصادية والانقلابات في الدولة التركية وأصبحت المصادمات هي الصورة المألوفة يوميا للحياة التركية العادية.

هذه خلاصة الأحداث السياسية التي عرفتها الدولة التركية في عصر النورسي الفشل الذريع في كافة الجوانب.

والباحث المتأمل في هذه الدراسات التاريخية، والمتعمق في الفكر النورسي يدرك أن العوامل الخارجية، التي هيأت الظروف للإطاحة بالنظام الإسلامي قد اتحدت مع ما يسميه مالك بن نبي رحمه الله بالقابلية للاستعمار. فالدولة العثمانية لما خلدت إلى الأرض وتعلقت بالشهوات وتركت سنن الأخذ بعوامل القوة، فقدت قوتها وتسلط عليها الأعداء من الداخل والخارج، فدمروا بنيتها وشتتوا وحدتها.

---

[١]– انظر "التاريخ الإسلامي"، محمود شاكر، بيروت : ١٩٨٦، ص : ٢٣٤.

[٢]– بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته د. محمد فرج الوصيف ص : ٣١.

[٣]– انظر المرجع نفسه، ص : ٣٢.

الفصل الأول:
بديع الزمان سعيد النورسي
حياته وآثاره
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: النورسي، نشأته وتكوينه وتفاعله مع محيطه

المبحث الثاني: عوامل تشكيل عظمة النورسي من خلال حياته

المبحث الثالث: الآثار العلمية لبديع الزمان سعيد النورسي

المبحث الأول:
النورسي، نشأته وتكوينه وتفاعله مع محيطه[1]

لقد سبق الحديث عن كمال أتاتورك، وإصلاحاته الاجتماعية والسياسية على ضوء العقل والغرائز بمعزل عن قانون السماء، وما صاحبها من إلغاء للشريعة وفرض للعنف والفجور وإغلاق للمساجد، وإطلاق لعنان الشهوة والغرائز، اعتمادا على شعار الحرية والعقل والبعد عن التقليد.

لقد دافع أتاتورك عن مبادئه، وأعلن حكم الإعدام في وجه كل من عارضها وتجاوزها، وقد أعدم كثيرا من علماء الإسلام في تركيا. إلا أن العناية الربانية أرادت حفظ بديع الزمان النورسي فعاش مع كمال أتاتورك وبعده، ودافع عن قضية الإسلام في زمانه وبعد وفاته، فلم يستسلم لقهر السجن وشدة المطاردة والحصار، بل قاوم كل هذا بعزم وإيمان راسخين.

إن الباحث المدقق في حياة هذا الرجل وما تركه من فكر مستنير، يدرك أن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾**﴾[2] يشمله ويشمل السائرين على دربه. لقد كان من الذين قالوا : "لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام، فقد قلت إنني طالب علم، لذا فأنا أزن كل شيء بميزان الشريعة، إنني لا أعترف إلا بملة الإسلام، إنني أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذي تسمونه (السجن)، في انتظار القطار

---

[1]– نشير في هذا المقام أننا اعتمدنا في هذا المبحث على المنهج الوصفي الذي يقوم على إثبات تفاصيل حياة النورسي وأحداثه من خلال المصادر والمراجع التي اهتمت بالتأريخ له، وقد اقتصرت على بعضها أذكر منها ما يأتي: "سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي"، ترجمها إحسان قاسم الصالحي، وكتاب "من الفكر والقلب فصول من النقد في العلوم والاجتماع والآداب لسعيد رمضان البوطي"، وكتاب "عجالة مقتطفة من أفاضل العلماء الدكاترة في حياة الإمام الجليل بديع الزمان سعيد النورسي"، للملازكردي، وكتاب "بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره"، لاحسان قاسم الصالحي، وكتاب "رجل القدر في حياة أمة سعيد النورسي" لأرخان محمد علي، ومجموعة أبحاث حول حياة النورسي ترجمها محمد فاضل بعنوان "الإسلام على مفترق الطرق رحلة في حياة وفكر بديع الزمان سعيد النورسي"، وكتاب "سعيد النورسي في محنة الكفر والطغيان"، لأديب الدباغ.

[2]– سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

الذي يمضي بي إلى الآخرة، لا لتسمعوا أنتم وحدكم، بل ليتناقله العالم كله، ألا لقد حان للسرائر أن تنكشف، وتبدوا من أعماق القلب، فمن كان غير محرم فلا ينظر إليها. إنني متهيئ بشوق لقدومي للآخرة.. وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا في المشانق...إن نفيكم إياي إلى هناك، لا تعتبر عقوبة..، إن كنتم تستطيعون فعاقبوني المعاقبة الوجدانية..، لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد. إلا أنها الآن تعادي الحياة بأكملها، فإن كانت الحكومة على هذا الشكل والمنطق فليعش الجنون، وليعش الموت، ولتعش جهنم مثوى للظالمين[1].

إن هذا الموقف، يشي بحقيقة مفادها، أن إحقاق الحق والانتصار على الظالمين، محفوف بالمحن والمصائب والصعاب، يحتاج إلى صبر طويل وإيمان راسخ وإرادة قوية. تلكم هي الأوصاف التي تحلى به الأستاذ بديع الزمان النورسي، وكانت دالة على عظمته، وعليائه، وشموخه، واستعلائه على الفاسدين باستناده إلى الله عز وجل، واعتماده على القرآن الكريم فكرة وطريقة ومنهاجا لمواجهة تحديات عصره ومشاكل زمانه.

لقد كان امتدادا للعلماء الذين أخذوا على أنفسهم مهمة التقويم والتصحيح والدعوة إلى المعرفة الإسلامية الصحيحة المستقاة من القرآن الكريم، كما كان من أصحاب العلم الذين أبدعوا في مجال الإصلاح، والتربية والفكر الإنساني العالمي. وفي هذا المقام، نحاول أن نكتشف العوامل والعناصر المكونة لعظمة هذه الشخصية، بداية من نشأته وتعليمه، ونهاية بدخوله أحداث عصره السياسية والاجتماعية والأخلاقية: سلوك قويم، وفكر مستنير، وثبات وعزم دائمان، إلى أن ودع الحياة، لقد أوضح الأستاذ إحسان قاسم الصالحي هذه الحقيقة وضوحا تاما بعد رحلة طويلة في آفاق رسائل النور، وكاتبها المفكر العظيم بديع الزمان، وكذلك أكدها

[1]- صيقل الإسلام، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: دار سوزلر، ط ٤ (٢٠٠٤) ج٨، ص: ٤٤٠.

الأستاذ أروخان محمد علي في كتابه "رجل القدر في حياة امة سعيد النورسي"، وغيرهم من الباحثين المهتمين بالفكر النورسي[١].

١) نشأته :

- مولده ونسبه:

ولد الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، بن ميرزا، بن علي، بن خضر، بن ميزا خالد، بن ميزا رشاد، في قرية "نورس"، وهي إحدى قرى قضاء خيزان المذكورة التابع لولاية بتليس شرقي الأناضول سنة (١٢٩٣هـ /١٨٧٦م)[٢]. والدته نورية بنت ملا طاهر من قرية "بلكان" من ناحية "خاكيف" التابعة لقضاء "ميزان". وقيل إن أصل عائلته وأجداده، قد أتوا من ولاية إسبارطة، وهي ولاية تقع في غربي تركيا، وأن نسبه ينتهي إلى أهل البيت، فمن جهة الأب إلى سيدنا الحسن رضي الله عنه، ومن جهة الأم إلى سيدنا الحسين رضي الله عنه[٣].

- أسرته:

ترعرع النورسي في أسرة صالحة متواضعة، كان أبوه يشتغل بالزراعة ويملك بعض المواشي والأبقار، ولشدة ورعه وتقواه، لقب بالصوفي ميزا، وأمه تدعى نوريه وكانت تقية، فما أرضعت أطفالها إلا وهي على طهر ووضوء[٤]، ولم تفارق صلاة التهجد طوال حياتها[٥].

لقد أثرت هذه الأم الصالحة على ولدها، وغرست في دمه دروسا كانت البذرة الأولى لقيام عظمته[٦]، ولكن قدر الله في كتابه أن يفقد النورسي وهو في التاسعة من عمره هذه الأم

---

[١]– انظر "سيرة ذاتية"، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: دار سوزلر للنشر، ط٤، ٢٠٠٤.

[٢]– أنظر "بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وأثاره"، ص : ١٩.

[٣]– "رجل القدر في حياة أمة سعيد النورسي"، لأورخان محمد علي، القاهرة: دار سوزلر، ط٣، ٢٠٠٦، ص : ٨.

[٤]– المصدر نفسه، ص ٨، وانظر بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص : ١٩.

[٥]– سيرة ذاتية، ج٩/ ص : ٣٥.

[٦]–سيرة ذاتية، ص : ٤٣ : يقول النورسي" أقسم بالله أن ارسخ درسا أخذته وكأنه يتجدد علي إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله، ودروسها المعنوية حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين".

العظيمة، يقول النورسي" إنني لم أشاهد والدتي الرؤوف منذ التاسعة من عمري، ولم أحظ بتبادل الحوار اللطيف معها في جلساتها، فبت محروما من تلك المحبة الرفيعة[١].

لقد ظهرت مخايل النبوغ والذكاء على(سعيد الصغير) منذ طفولته، حيث كان دائم السؤال والاستطلاع لكل ما استغلق عليه فهمه، فكان يحضر مجالس الكبار، ويصغي إلى ما يدور بينهم من مناقشات في مسائل شتى، ولاسيما علماء قريته الذين كانوا يجتمعون في منزل والده ليالي الشتاء الطويلة[٢]، وإلى جانب النبوغ والذكاء، عرف النورسي الجسارة، وعزة النفس، والثبات في الدين، وانطباق اللسان على ما في القلب[٣]، وقد صرح بذلك في حواره مع الطبيب الذي أرسل إليه لتأكيد اتهامه بالجنون.

هكذا، عاش النورسي في تلك الأسرة الشغوفة بحب العلماء، وترعرع في كنفها حتى شق طريقه الأول نحو التعلم.

- خطواته الأولى نحو التعلم:

كانت بداية تحصيل العلم سنة (١٨٨٥م/١٣٠٣هـ) بتعلم القرآن الكريم، حيث ساقته حالته الروحية إلى مراقبة ما يستفيضه أخوه الكبير عبد الله من العلوم، فأعجب بمزاياه الراقية، وتكامل خصاله الرفيعة بتحصيله العلوم، وشاهد كيف أنه برز على أقرانه في القرية وهم لا يستطيعون القراءة والكتابة، فدفعه هذا الإعجاب إلى شوق عظيم جاد لتلقي العلم[٤]، فبدأ بتحصيل العلم في مدارس القرى المجاورة لقرية نورس وهو في أول سن التمييز، ومن ميزات طبيعته في صغره، حدة الذكاء، وشدة الغضب، فلذلك كان لا يعاشر رفقاءه من التلاميذ ويقاتلهم،

---

[١]- المصدر نفسه، ص : ٣٦.

[٢]- بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص : ١٩.

[٣]- سيرة ذاتية، ج٩، ص : ٧٠.

[٤]- سيرة ذاتية، ص : ٤٣.

فاضطر لترك المدارس وجلس عند والديه، ينتظر أخاه الكبير عبد الله رحمه الله ليأتي على رأس الأسبوع للصلة فيأخذ منه درسا في الأسبوع[١].

لكن شدة ارتباطه بالعلم، جعله يشد الرحال إلى «برمس» التي كان يشرف عليها الشيخ نور محمد الذي أعجب بأخلاق بديع الزمان وشجاعته، حتى قرر أن يذهب ليرى والدي هذا الطفل الغريب المتميز في كل شيء، ليسأل كيف استطاعوا أن يربوه على مثل هذه التربية وينشؤوه هذه النشأة[٢]، ولكن ظروف الشتاء وقساوة الطلاب اضطرت بديع الزمان، إلى البقاء مع والدته إلى أن قرر التعلم على يد العالم المشهور أمين أفندي ولم يلبث فيها طويلا كذلك، لأن الشيخ رفض تدريسه لصغر سنه، وأوكله إلى شخص آخر، مما أثر هذا في نفسه، لذلك فقد قصد إلى مدرسة "مير حسن ولي" "في مكس" ثم إلى مدرسة واسطان "كواش" وبعد شهر واحد فقط، ذهب مع صديق اسمه"ملا محمد" إلى مدرسة في قضاء "بايزيد" التابعة لولاية" أغرى" وهنا بدأت الدراسة الدينية الأساس، في حياة سعيد، إذ إنه لم يكن قد قرأ حتى الآن سوى النحو والصرف. [٣]

٢) تكوينه الرصين:

اتجه النورسي نحو التكوين العلمي الرصين في «بايزيد» بعد دراسة النحو والصرف، وبدأ حياة جديدة في التكوين، اتسمت بسعة الاطلاع وسرعة الحفظ ودقة الفهم، لقد أتم قراءة جميع الكتب المقررة للطلاب في شرقي الأناضول على يد الشيخ محمد الجلالي، ابتداء من" ملاجامي"، إذ كان يقرأ من كل كتاب درسا أو درسين، وربما إلى عشرة دروس، من دون أن يتم الكتاب، ثم يبدأ بغيره، وعندما استفسر من أستاذه الشيخ محمد الجلالي عن سبب قيامه بهذا العمل المخالف للعرف السائد، أجاب ليس في طوقي قراءة جميع

---

[١]– عجالة مقتطفة من أقلام أفاضل العلماء والدكاترة في حياة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، بيروت : دار الآفاق الجديدة، ط٣، ٢٠٠٦، ص : ٤٩-٥٠.

[٢]– أنظر "رجل القدر في حياة الأمة سعيد النورسي"، ص : ١١.

[٣]– بديع الزمان سعيد النورسي ، نظرة عامة عن حياته وآثاره إحسان قاسم صالحي، ص : ٢١.

هذه الكتب وفهمها، فهذه الكتب شبيهة بصندوق الجواهر ومفتاحها لديكم وكل ما أرجوه منكم، إرشادي إلى ما يحتويه هذا الصندوق[١].

لقد كان النورسي يقرأ في اليوم الواحد من متون أصعب الكتب مائتي صفحة، ويفهمها دون الرجوع إلى الهوامش والحواشي، وكان في هذه الأثناء منقطعا عن العالم، يقضي معظم أوقاته وخاصة في الليالي في القراءة على ضوء الشموع، وبعد إتمام الأشهر الثلاثة أخذ إجازته العلمية من الشيخ محمد الجلالي[٢].

استنتاج : نستخلص من هذه المرحلة، ثقة النورسي بنفسه وعزته وعفته منذ نعومة أظفاره، فقد كان يمتلك من الملكات والقدرات التي جعلته من المشاركين في صياغة الحياة العلمية بالتحصيل والإضافة والنقد، فهو وإن لم يبلغ الحلم استطاع أن يحدد موقفه من برامج التعليم التقليدية التي تثقل كاهل الطالب بالمتون والحواشي وتعدم فيه صفة الفهم والتعمق.

لقد كانت هذه المرحلة مع قصر مدتها، من أهم مراحل تكوينه العلمي التي أكمل فيها كل الدروس المقررة، وأصبح قادرا على المشاركة العلمية والتعايش العلمي الجاد مع علماء عصره.

٣) مشاركته في محيطه وتفاعله معه:

- **نجاحه في امتحان علمائه:**

بعد نهاية الأشهر الثلاثة بصحبة الشيخ محمد الجلالي اتجه إلى" بتليس" (١٨٩٩م) وعندما وصل إلى بتلس، عرج على أستاذه السابق الشيخ محمد أمين أفندي، وبقي عنده يومين حضر فيهما دروسه، وعندما اقترح عليه أستاذه لبس الكسوة العلمية رفض ذلك، لأنه رأى أنه لا يستحقها قائلا : «إنني لم أبلغ سن البلوغ يا أستاذي فكيف يحق لي لبس لباس المدرسين الأفاضل، وكيف أستطيع وأنا صبي، الظهور بمظهر العلماء»[٣]، وبعد زيارة شيخه اتجه إلى

---

[١]– أنظر "سيرة ذاتية"، ص : ٤٦، وانظر "رجل القدر في حياة أمة"، ص : ١٤.

[٢]– أنظر "بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص : ٢١–٢٢.

[٣]– "رجل القدر في حياة أمة"، ص : ١٦.

أخيه الأكبر (الملا عبد الله) وجرت بينهما محاورة، برهنت على نبوغ سعيد وتفوقه،[1] ثم اتجه إلى"سعرد" حيث التقى بأستاذه السابق فتح الله أفندي الذي عجب لقوة ذكائه وحفظه، بعد اختباره في ذكائه وقوة حافظته قائلا: «إن اجتماع الذكاء الخارق مع القوة الخارقة للحفظ، شيء نادر جدا»[2]، وبهذا تكون مسيرة النورسي العلمية قد انتهت بتفوقه، وقدرته على مواجهة أسئلة علماء عصره بالحكمة والسداد، والتواضع الجم، ونكران الذات، كما شكلت هذه المرحلة المادة الأساسية لانطلاقة علمية، تتفاعل مع قضايا العصر، وتجيب عن مشاكله، لقد تابع النورسي التحصيل العلمي معتمدا على نفسه متجاوبا مع أحداث عصره، حتى انتهى به المطاف إلى بروز اسمه في قمة العلماء العظماء الذين يفتخر بهم التاريخ الحديث.

- شهرته:

برزت شخصية النورسي في الواقع التركي، حيث ذاع صيته، وانتشر خبره حتى صار حديث مجالس أهل العلم وطلابه، وسرعان ما أصبح يلقب بينهم (سعيدي مشهور[3]. لقد كان يكره حب الظهور والشهرة منذ صغره، ولكن إرادة الله سبحانه، قضت أن يكون النورسي داعية الزمان، لقد توجه النورسي إلى بتليس، ومنها إلى مدينة (تللو) حيث اعتكف مدة في إحدى أماكن العبادة، وحفظ هناك من القاموس المحيط للفيروزآبادي حتى باب السين[4]، وفي سنة ١٨٩٢ ذهب الملاسعيد إلى مدينة ماردين وذاعت شهرته، وأصبح الناس يتحدثون عنه إلى درجة أن "نادربك" متصرف تلك المدينة خشي أن يتطور الوضع إلى مالا تحمد عقباه، فأمر بإخراج سعيد المشهور من المدينة فذهب إلى مدينة بتليس التي كان عمر باشا واليا عليها، والذي أعجب بعلم النورسي، وأدرك أنه شخص نادر، فعرض عليه أن يقيم في غرفة قصره

---

[1]- رجل القدر،ص: ١٦-١٧.

[2]- "بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص : ٢٢-٢٣.

[3]- نفس المصدر، ص : ٢٣.

[4]- نفس المصدر، ص : ٢٣.

الكبير، وقد رفض سعيد المشهور أول الأمر، إلا أن الوالي ألح عليه كثيرا وذكر له أن له مكتبة عامرة ستكون تحت تصرفه، وأخيرا وبعد طول إلحاح ورجاء قبل ذلك[1].

لقد استطاع النورسي مطالعة أمهات الكتب في المنطق، وعلم الكلام، والتفسير والحديث، والنحو، والفقه، الخ. ولقدرته الفائقة على الحفظ، فقد اختار ثمانين كتابا من هذه الكتب، وحفظها عن ظهر قلب وكان يراجع في نفسه هذه الكتب ويختمها في ثلاثة أشهر.

- **بديع الزمان سعيد النورسي مدرسا في وان وتحصيله للعلوم الحديثة:**

في سنة ١٨٩٤م ذهب إلى وان بدعوة من واليها" حسن باشا"، حيث بقي عنده ثم في منزل "طاهر" باشا، ولقد هيأ الله له ظروف الالتقاء ببعض أساتذة العلوم الحديثة، (من جغرافية وكيمياء وغيرها)، وحينها دخل معهم في نقاش، شعر بقصره في هذه العلوم، مما جعله يقبل على تعلمها بشغف عظيم، حتى أتقنها وأصبح متمكنا منها، لدرجة أنه كان قادرا على التأليف ومناقشة المختصين فيها، ولقد استطاع النورسي أن يتقن الرياضيات، والفلك، والكيمياء، والفيزياء، والجيولوجيا، والفلسفة، والتاريخ، والجغرافية، وغيرها، ولتعدد قابليته، ولذكائه الخارق، ذاعت شهرته وأطلق عليه لقب بديع الزمان، ومنذ ذلك الوقت، أسس مشروعه لإصلاح التعليم وتحديث المدارس الشرعية، وذلك بتدريس كل من العلوم الإسلامية والعلوم الحديثة معا، كما طبق نفس المنهج في مدرسته الشرعية في وان[2].

- **الخبر المدهش:**

في هذه المرحلة، وفي أثناء إقامته في "وان"، قرأ الوالي له في الصحف المحلية خبرا مدهشا هز كيانه كله هزا عنيفا، فقد نشرت الصحف ما قاله وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون) في مجلس العموم البريطاني، وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم: مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به... زلزل هذا الخبر كيان بديع الزمان زلزالا شديدا، وصمم بينه وبين

---

[1]- "رجل القدر في حياة أمة سعيد النورسي"، ص : ٢٥.

[2]- الإسلام على مفترق الطرق رحلة في حياة وفكر بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة محمد فاضل، مجموعة أبحاث حول النورسي، مقالة شكران واحدة نحو سيرة فكرية لسعيد النورسي، القاهرة : دار سوزلر، ط١، ٢٠٠٥، ص : ٣٠.

نفسه على أن يكرس كل حياته لإظهار إعجاز القرآن وربط المسلمين بكتاب الله، حيث قال : "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها"[١]. لذلك، فقد قرر إنشاء جامعة إسلامية في شرق الأناضول باسم "مدرسة الزهراء" لخدمة القرآن، ولتحقيق فكرته هذه، شد الرحال إلى استانبول[٢] داعيا الحكومة العثمانية إلى تحقيق هدفه السامي، وهو اعتماد المنهج العلمي الحديث في نشر حقائق الإسلام وتعليم مبادئه، لكن دعوته لم تلق آذانا صاغية، ثم رجع إلى وان، والظاهر أنه لم ينجح في مسعاه لدى المسؤولين في استانبول[٣].

وبعد إحدى عشرة سنة، عاد النورسي إلى استانبول في خان الشركجي بمنطقة فاتح، وكان هذا الخان مقرا لكثير من المفكرين والأدباء، أمثال الشاعر المشهور (محمد عاكف)، حيث استطاع النورسي في هذه المرحلة أن يثبت شخصيته العلمية، ويكسب إعجاب العلماء الذين شهدوا له بالفضل والعلم، واعترفوا بعظمته وقوته. وقدم للسلطان عبد الحميد عريضة يطلب فيها فتح المدارس التي تعلم العلوم الرياضية، والفيزياء، والكيمياء، إلى جانب المدارس الدينية في شرق الأناضول، حيث يخيم الجهل والفقر على سكانه، لقد كان النورسي شجاعا في طرحه لمطالبه التي تدعو إلى الاعتناء بشرقي الأناضول، والقضاء على الاستبداد، وإصلاح نظام الأمن، مما أثار نقمة السلطان عليه، ثم أحيل إلى الأطباء لفحص قواه العقلية[٤] .

بعد تبرئته من طرف المحكمة، توجه النورسي إلى سلانيك وتعرف فيها على أعضاء الاتحاد والترقي، ولكونه يدعو إلى الحرية ومبدأ الشورى الإسلامي، فقد لقي ترحيبا من قبل قادة الاتحاد والترقي، وعندما شعر من بعضهم عدم الاستقامة والعداء للدين قال لهم : "لقد اعتديتم على الدين وأدرتم ظهوركم للشريعة"[٥].

---

[١]– "بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره" إحسان قاسم الصالحي، ص : ٢٦.

[٢]– المصدر نفسه، ص : ٢٦.

[٣]– "رجل القدر في حياة أمة سعيد النورسي"، ص : ٣٠، وأنظر "النورسي متكلم العصر الحديث"، ص : ١٢.

[٤]– "بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص : ٢٨–٢٩ بتصرف.

[٥]– "بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص : ٣١.

- **النورسي في رحاب الجهاد يقود ميادين القتال ويؤلف إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز:**

أثناء الحرب العالمية الأولى، أدى بديع الزمان فريضة الجهاد في جبهة القفقاس قائدا لفرق الأنصار على أفضل وجه، حتى حظي بتقدير القائد العام أنور باشا وقواد الفرق وإعجابهم، ثم انسحب إلى مدينة وان، حيث كانت القوات الروسية متجهة نحوها، وفي أثناء إخلاء الحكومة للمدنية من أهاليها–لإنقادهم من هجوم القوات الروسية عليها، قرر بديع الزمان مع طلابه الدفاع عن المدينة حتى الإستشهاد محتمين بقلعتها..وفي أثناء المعارك كان يعود إلى الخندق ويملي على طالبه النجيب الملا حبيب تفسير "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، بل كان يملي أحيانا وهو على صهوة جواده، أو في خط الدفاع الأول، حتى أتم القسم الأعظم من ذلك التفسير الجليل[١].

- **بديع الزمان النورسي وموقفه من كمال أتاتورك :**

تحولت أنقرة إلى مركز لحركة المقاومة، بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، ولما كان سعيد النورسي يملك تاريخا طويلا من الجهاد، فقد دعي للالتحاق بالحركة والقدوم إلى أنقرة، فرفض النورسي هذه الدعوة بادئ الأمر، إذ كان يحس بأن بقاءه في استانبول ومقاومته للاحتلال الانجليزي هناك، يعد أفضل من الذهاب إلى أنقرة، وقال في رفض الدعوة:" إنني أريد أن أجاهد في أكثر الأماكن خطرا، وليس من وراء الخنادق، وأنا أرى مكاني هذا أخطر من الأناضول"[٢]، ولكن الدعوة تكررت فذهب إليها سنة ١٩٢٢ قبيل عيد الأضحى، حيث استقبل في المحطة استقبالا حافلا، إلا أنه لم يسعد في أنقرة كثيرا، إذ لاحظ بأسف بالغ أن معظم النواب لا يؤدون الصلاة، كما أن تصرفات مصطفى كمال وسلوكه المعادي أحزنه كثيرا، فقد قرر أن يطبع بيانا في ١٩٢٣/١/١٩ يتضمن عشر مواد موجها إلى النواب، يعظهم ويذكرهم بالإسلام مستهلا ب: "أيها المبعوثون إنكم لمبعوثون ليوم عظيم".[٣]

---

[١]– انظر "سيرة ذاتية" إحسان قاسم صالحي، ج٩، ص : ١٢٤.

[٢]– "رجل القدر في حياة أمة سعيد النورسي"، ص : ١١٣، أنظر "بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص : ٥٤.

[٣]– "سيرة ذاتية"، ج٩، ص : ١٨٣.

لقد كان لهذا الخطاب الأثر البليغ على النواب، إذ غصت القاعة المخصصة للصلاة في مجلس النواب، مما أثار غيظ مصطفى كمال، فدعا النورسي وحدثّه بشدة وعنف، واتهمه بتفريق وحدة الجماعة والتشويش على أعضاء المجلس وتغيير أفكارهم، فأجابه النورسي: "إن أعظم حقيقة بعد الإيمان إنما هي الصلاة، إن الذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مرفوض"[١]. هكذا وبعد أن أدرك نوايا كمال أتاتورك وحقده الدفين للإسلام والمسلمين رفض إغراءاته، وتوجه إلى "وان" وانزوى عن الحكام والناس في مكان منعزل عن الجميع، متفرغا للعبادة والتهجد والشكوى إلى الله مما آلت إليه حالة المسلمين[٢].

وفي سنة ١٩٢٤ أعلن انتهاء الخلافة العثمانية وإقامة الجمهورية، وأصبح مصطفى كمال أتاتورك قائدا أعلى للقوات المسلحة، وأول رئيس للجمهورية، ثم نشبت ثورة في الأقاليم الشرقية في تركيا بقيادة سعيد بيران، أحد شيوخ الطريقة النقشبندية. وقد طلب من النورسي أن ينضم إليه ولكن بديع الزمان رفض المشاركة إيمانا منه، بأنها تؤدي إلى نتائج وخيمة تضر المسلمين[٣].

- **نفي، واعتقال، وبناء منهج جديد في مواجهة التحديات :**

بعد فشل ثورة سعيد، قدم إلى الإعدام وكان من الذين طالهم الاعتقال رغم عدم تورطه فيها، فتم نفيه إلى بوردو فمكث فيها سبعة أشهر، ونفي بعدها إلى (بارلا) سنة ١٩٢٦م، حيث قضى الليلة الأولى في مخفر الشرطة، ثم خصص لإقامته بيت صغير يتألف من غرفتين ويطل على مروج (بارلا) وبساتينها الممتدة إلى بحيرة (أغريدير) العذبة[٤]، في هذه البلدة ستنتهي مرحلة من تاريخ النورسي، وتبدأ مرحلة جديدة تتمثل في مواجهة التحديات بكتابة رسائل النور، وتربية الطلاب على أسسها، وتحديد هدفهم الذي يتجلى في الدفاع عن حقائق الإيمان، والبعد عن كل الشبهات والطرق التي تحول دون تحقيق هذا الهدف. في هذا الوقت أعلن

---

[١]- أنظر، "من الفكر والقلب فصول من النقد في العلوم والاجتماع والآداب"، سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي، طبعة ٢٠٠٥، ص : ٣٩٧-٤٠٠ بتصرف.

[٢]- المصدر نفسه، ص : ٤٠٠.

[٣]- انظر "رجل القدر في حياة أمة أورخان محمد علي"، ص : ١٢٩-١٣٠.

[٤]- انظر "بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص : ٦٥.

النورسي قوله: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة"، واستمر على هذا المبدأ حتى مطلع الخمسينات، حيث عرفت تركيا انفراجا سياسيا، فحاول النورسي أن يستغله لصالح الدعوة الإسلامية، فتعامل مع رجال السياسية، حيث كتب خطابات إلى مندريس، وإلى المسؤولين الديمقراطيين الآخرين يشجعهم على المضي قدما في سياستهم التي توالي الإسلام، ويقدم لهم النصح والإرشاد، ومن أجل هذا اعتبر هذا العقد من الزمن فترة جديدة في حياة بديع الزمان"[1].

لقد استطاع النورسي، أن يؤسس منهجا جديدا في مواجهة الأعداء، فانطلق من بلدة "بارلا" يكتب الرسائل ويربي الطلاب، فشاءت قدرة الله أن تكون هذه البلدة الصغيرة مصدرا للإشعاع الإسلامي، أضاء فيما بعد أرجاء تركيا ووصل إشعاعه إلى كل قرية، وكل ناحية، وكل مدينة رغم الاعتقال والحصار والنفي الذي دام طوال حياته[2].

- **الأيام الأخيرة من عمر بديع الزمان وداع ورحيل:**

تلكم هي رحلة النورسي في هذه الحياة التي قضاها في خدمة القرآن والإيمان، وإعداد جيل للبناء، سيحمل الراية القرآنية بعده، ويستأنف العمل الإسلامي الجديد، لقد كانت حياة النورسي حافلة بالعطاءات الفكرية، والإصلاحات التربوية، والمواقف السياسية، التي استمرت حتى تجاوز الثمانين من عمره، فراح يتنقل من مكان إلى آخر مودعا طلابه السائرين على دربه. ففي ١٩٥٩/١٢/٢ سافر إلى أنقرة وبعد أن قضى فيها ليلة واحدة سافر إلى اميرداغ، وفي ١٩٥٩/١٢/١٩ م توجه إلى مدينة قونية لرؤية أخيه عبد المجيد، ثم توجه إلى أنقرة في ١٩٥٩/١٢/٣١، ثم غادرها في اليوم التالي إلى استانبول، حيث قضى فيها يومين، ثم عاد مرة أخرى إلى أنقرة، ثم غادرها بعد ثلاثة أيام إلى قونية وفي اليوم التالي إلى إسبارطة، ثم توجه إلى أنقرة مرة أخرى ١٩٦٠/١/١١م، وما أن وصل إليها حتى أبلغته الحكومة عن طريق إذاعة" أنقرة" بأنه من الأفضل أن يقيم في أميرداغ لكنه أبلغ الحكومة بأنه يفضل بأن تسمح له بالإقامة شهرا في اميرداغ،

---

[1]– نحو سيرة فكرية سعيد النورسي شكران واحدة ضمن كتاب الإسلام على مفترق الطرق، ص : ٤٩.

[2]– انظر "بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص : ٦٦ بتصرف.

وشهرا في إسبارطة، وفي ١٩٦٠/١/٢٠ توجه بديع الزمان من أميرداغ إلى إسبارطة، وبعد أن أمضى فيها مدة توجه إلى أفيون، وبعد أن أمضى فيها يوما واحدا، قفل راجعا إلى اميرداغ[١].

وفي شهر مارس سنة ١٩٦٠ اشتد المرض على بديع الزمان في مدينة اميرداغ، وغاب عن وعيه مرات عديدة، وقبيل صلاة الفجر قام من فراشه وارتدى ملابسه وتوضأ ثم صلى صلاة الفجر، وكأنه قد عوفي من مرضه تماما وصلى صلاة الصبح ثم استدعى طلابه حيث ودعهم واحدا واحدا قائلا وعيناه تفيضان بالدمع: "استودعكم الله... إنني راحل، وبعد أن ودع أصدقاء آخرين، توجه بالسيارة إلى إسبارطة واشتد عليه المرض مرة أخرى فيها، فتوجه مع بعض طلابه في سيارة صغيرة إلى مدينة أورفه في يوم الاثنين الحادي والعشرين من مارس سنة ١٩٦٠ وأقام هناك في فندق(أيبك يلاس) وفي اليوم التالي حاصرت الشرطة الفندق في اميرداغ وإسبارطة، ودخل قائد الشرطة الفندق ليبلغه أمر وزير الداخلية فيجيبهم بديع الزمان الذي كان يعيش ساعات عمره الأخيرة...يا للعجب ما جئت هنا لأرجع، أظن أني سأموت هنا وأنتم ترون ما أنا فيه.

وفي تلك الليلة الخامس والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٩هـ/الموافق ٢٣ مارس ١٩٦٠ يسلم الروح للرحمن وينتشر الخبر في اورفة فيجتمع آلاف البشر حول الفندق، ثم ينتشر الخبر في المدن التركية فيبدأ سيل من الناس الوفود إلى المدينة[٢].

---

[١]- "الرجل والإعصار سيرة ذاتية مختصرة لبديع الزمان سعيد النورسي"، إحسان قاسم الصالحي، الجزائر : دار الكلمات، ط١، ٢٠٠٤، ص : ٩٧.

[٢]- "الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي سعيد النورسي"، ص : ٧٠-٧١، وأنظر "رجل القدر في حياة أمة" ص : ٣١٧-٣٢٧.

المبحث الثاني:
عوامل تشكيل عظمة النورسي من خلال حياته

١) دراسة تأملية تحليلية في مراحل حياة النورسي :

أ- مرحلة سعيد القديم:

لقد تبين مما سبق، أن النورسي عاش مرحلتين : سعيد القديم وسعيد الجديد، وكانت لكل مرحلة خصوصيات وسمات تميزها، فسعيد القديم بنشأته وتكوينه وجهاده السياسي والفكري، يختلف عن سعيد الجديد بحكمته ورزانته وخططه وتطلعه إلى مواجهة التحدي العلماني الشامل، وذلك بتركه عالم السياسة، واعتماده أسلوب البناء التربوي القائم على حقائق الإيمان ومقررات القرآن.

لقد عرفت مرحلة سعيد القديم طورين مهمين يمكن أن نصطلح عليهما ب: طور النشأة والتكوين العلمي، وطور المشاركة وإثبات الذات، وتميز كلا الطورين بميزات وخصائص تكشف عن طبيعة الحالة التي كان يعيشها النورسي في مسيرته العلمية والتربوية ونضاله الفكري والسياسي.

- طور النشأة والتكوين :

في هذه المرحلة عاش النورسي في بيئة تحترم العلم، وتحب العلماء، وتخشى الله، وتسعى جاهدة إلى أن تربي أفرادها على قيم الإسلام وتعاليمه الرشيدة، فلقد كان أبوه يجمع العلماء والصوفية في بيته.

إن هذا الجو الأسري، ساعد النورسي وهيأه، ليكون من طلاب العلم النابغين، الذين يستوعبون المقررات العلمية المقررة في المدارس التقليدية في بلاده، ويتجاوزها بالنقد والتمرد[١].

لقد ظهرت بوادر الذكاء والفهم الخارق على بديع الزمان سعيد النورسي في صغره، وصار يتنقل من مدرسة إلى أخرى، معبرا عن رفضه لبعض التصرفات التي كانت تصدر عن بعض

[١]- انظر "نحو سيرة فكرية سعيد النورسي شكران واحدة"، ضمن كتاب الإسلام في مفترق الطرق، ص : ٢٩،

الطلبة، أو متمردا على بعض الطرق التي كانت تعتمد في التعامل مع الطلاب من قبل أحد الأساتذة، ولقد استطاع النورسي أن يتفوق على أقرانه في العلوم التقليدية، ويثبت شخصيته العلمية في صغره، بتخلقه بخلق العفاف والزهد والشهامة، والشجاعة وغيرها من الأخلاق التي تميز بها أهل الفضل من بلاد كردستان، مما جعل الأساتذة يحترمونه ويعترفون له بالعلم والأخلاق وهو في مقتبل عمره.

وخلاصة القول : إن الذكاء المفرط، والأخلاق الحميدة، والشعور الفطري بعدم الاقتناع بالمنهج التقليدي في تدريس الطلاب، وغيره من العوامل، ساهمت في تكوين شخصية النورسي التعليمية التقليدية وانتهت بحصوله على الإجازة العلمية مع الاعتراف والتقدير بسعة علمه وقدرته على تحصيل المعارف بسرعة فائقة[1].

- طور المشاركة والتفاعل وإثبات الذات:

تعتبر سنة ١٨٩٢م المرحلة الانتقالية لحياة بديع الزمان سعيد النورسي من محطة النشأة والتكوين العلمي التقليدي، إلى محطة المشاركة العلمية، والتفاعل مع قضايا الأمة، وإثبات الشخصية العلمية في المجالات السياسية، والعملية، والشؤون الدينية، والاجتماعية، ومختلف الحقول المعرفية، ويمكن اختزال هذه المرحلة في مستويين: المستوى العلمي والمستوى السياسي الاجتماعي.

-**على المستوى العلمي** : لقد بدأ النورسي يلقي دروسه في جامع مدينة "ماردين"، ويجيب عن أسئلة قاصديه[2]، كما استطاع في هذه الفترة أن يطور من شخصيته العلمية، ويكتسب جملة من المعارف الحديثة والعلوم المادية، مما أهله إلى درجة العلماء المشهورين في الدولة التركية، حيث أطلقوا عليه اسم بديع الزمان سعيد النورسي، لقد اعتمد النورسي على ذاته، وحاول أن يستفيد من علاقاته بالشخصيات العلمية والسياسية التي كانت تمتلك الكتب، فحاول أن يدرسها ويحصلها تحصيلا دقيقا يفوق أهل التخصص فيها. ومما يدل على

[1]- انظر "بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص : ٢١-٢٢-٢٣.

[2]- انظر "بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره ص: ٢٤.

شهرته ومشاركته العلمية ذهابه سنة ١٩٠٧ إلى استانبول وإقامته في خان الشكرجي بمنطقة فاتح، كان هذا الخان مقرا لكثير من المفكرين والأدباء أمثال الشاعر المشهور (محمد عاكف). وأثناء إقامته علق لوحة على باب غرفته كتب فيها" يجاب عن كل سؤال وتحل كل مشكلة دون أن يسأل هو أحدا من الناس".

أما على مستوى النضال السياسي والاجتماعي : فقد تمثل في مشاركة النورسي في كافة الميادين الاجتماعية والسياسية، ودفاعه عن بيت الخلافة، ودعوته إلى الوحدة والاتحاد الإسلامي، ومحاربته للجهل والعنصرية والقومية، وسعيه إلى إنشاء جامعة إسلامية ترتكز على أسس التقدم والقوة، وترفض دعائم التفرق والتشردم. لكن محاولته باءت بالفشل نتيجة جسامة التحولات التي وقعت في الواقع التركي آنذاك.

لقد حاول النورسي في هذه الفترة أن ينفتح على المؤسسات، ويستغل كل القنوات، والوسائل المتاحة في سبيل الحفاظ على وحدة البلاد، ومقاومة الاستبداد والقومية والعنصرية، فشارك في الحروب ضد الغزو الاستعماري، كما ساهم بفكره الثاقب، ووزنه العلمي، ونفوذه القوي، في تهدئة الأوضاع، وترشيد الصحوة، والحيلولة دون الوقوع في مزيد من الانقسامات والتصدعات، ودعا إلى الشورى والاتحاد والعدالة وغيرها، من الشعارات السياسية التي تخدم مصلحة البلاد.

وعصارة القول أن النورسي بشمولية تكوينه العلمي، حاول أن ينخرط في أغلب أحداث عصره السياسية والإجتماعية، ويقدم الحلول والمقترحات للعلاج، وتعد الخطبة الشامية خير مثال في هذا المجال، حيث بين فيها لأهل الشام أسباب تقدم الأمة الإسلامية، وعوامل انحطاطها وانهيارها. كما دعا بعد ذلك إلى قيام جامعة في الأناضول، لكن أحداث الحرب وخطورة التحولات السياسية والاجتماعية حالت دون تحقيق أهدافه، مما جعله يعيش أزمة نفسية خانقة انتهت به في آخر المطاف إلى إعادة النظر في خدماته وطبيعة دعوته وأساليب تعاطيه مع الواقع. كانت هذه المرحلة تشكل محطة انتقالية من سعيد القديم إلى سعيد الجديد، من الرجل السياسي المجاهد إلى الرجل القرآني الحكيم الذي منحته التجارب حنكة، وبينت له

الطريق الصحيح لمواجهة التحديات الكبرى بالهدوء والحكمة، والبناء الفعال، والتجديد في الوسائل والأساليب قصد التعامل مع المتغيرات في عالم السياسة والاجتماع، على ضوء رؤية متوازنة قادرة على امتصاص الصدمات، من أجل الحفاظ على الذات، والاستمرار في تطوير الوعي الإسلامي وتحصين المجتمع من تيار الإلحاد.

ب- مرحلة سعيد الجديد: ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

- القسم الأول : المرحلة الانتقالية:

عاش النورسي القديم مرحلة اتسمت بالحراك السياسي والنشاط الإجتماعي، وظف فيها كل ما حصله من علوم ومعارف لخدمة الإسلام والمسلمين، وبث روح الوحدة والإخاء بين صفوفهم، والدعوة إلى أسس التقدم والعلم، لكن هذه المرحلة باءت بالفشل بسبب قوة التحولات الكبرى التي طرأت على المجتمع التركي في كافة الميادين السياسية والاجتماعية.

لقد فشل النورسي في تغيير الوضع السياسي أمام تغلغل حزب الاتحاد والترقي في جسم الدولة وسيطرته على مقاليد البلاد بالقهر، كما أدرك أن حجم التحولات الاجتماعية التي وقعت في المجتمع التركي، من انحلال خلقي، وإلحاد فلسفي، لا يمكن أن يدفع بوسائل تقليدية تعتمد أسلوب الصراع الفكري والكفاح السياسي، وإنما تحتاج إلى رؤية جديدة قادرة على المواجهة المستدامة وفق التحديات الطارئة.

إن هذا الفشل، شكل مرحلة انتقالية عاشها النورسي متأملا، ومحاورا لذاته، ومتدبرا في أحداث أمته، هادفا إلى الخروج من أزمته النفسية والفكرية. لإنقاذ ما يمكن إنقاذه في واقعه المعاصر، الذي عرف الانحدار الشديد في ميادين الفكر والأخلاق.

ويمكن التأريخ لهذه المرحلة الانتقالية بداية من رجوعه من الأسر الروسي، وتعيينه عضوا في دار الحكمة، والتقائه بأعضاء حكومة الاتحاد والترقي بقيادة كمال أتاتورك.

لقد شعر النورسي بالنيات السيئة التي كان يكنها للإسلام كثير من المسؤولين، فأصابه حزن، جعله يكثر من التهجد والعبادة والشكوى إلى الله، مما آلت إليه حالة المسلمين، فقضى كثيرا من أوقاته في "وان" قرب إحدى خرائب مهجورة قديمة على جبل"ارك" واستمر على

الاعتكاف والانزواء، وكأن الله يهيئه لمواجهة الخطوب الهائلة، والأعاصير المدمرة التي أوشكت أن تهب على الإسلام[1]. في هذه المرحلة قامت ثورة سعيد بيران واعتقل النورسي رغم عدم مشاركته فيها، وتم نفيه إلى بارلا.

لقد كان هذا الاعتقال والنفي محطة أساسية في حياة النورسي، حيث منحته فرصة التأمل والكتابة، فشغل عليه القرآن باله وفؤاده، حتى استطاع أن يستوحي منه المنهج الذي يمنحه القدرة على الثبات ومواجهة الفلسفة المادية التي خطط لها أن تحل محل الإسلام، والرد على الشكوك والاعتراضات المستمدة منها[2].

- القسم الثاني : مرحلة التجديد والبناء الفكري والتربوي:

يتبين مما سبق، أن التغيير المفاجئ في حياته، كان خلاصة عمله السياسي المضطرم بالنشاط والخصام لأهل الباطل، بذكاء نادر، وجهد موصول لا يكلّ، حتى خلوته على تل يوشع،.. فذهبت جهوده أدراج الرياح، كما يحدث هو عن نفسه بأسف بالغ، بل يعتبرها ذنوبا، يدعو الله تعالى أن يكون لسعيد الجديد في دعوته الجديدة كفارة لها[3].

لقد أثمر هذا الحوار النفسي مراجعة شاملة لكافة البرامج الإصلاحية، والفكرية ومهد لبروز رؤية جديدة تراعي الموازنة الدقيقة لمراتب الأعمال، وتتجنب المعارك الهامشية التي تقضي على الدعوة في مهدها.

لقد أدرك النورسي، أن التحولات الكبرى التي طرأت في المجتمع، لا ينفعها أسلوب رد الفعل ورد الاعتبار، وإنما تحتاج إلى أسلوب جديد في التعامل، اعتمادا على الأسس القرآنية في البناء والمواجهة، ورسم خطوط الخيارات المتعددة في مواجهة التحديات التي تواكب كل مرحلة.

---

[1]- أنظر "بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص : ٥٧.

[2]- "نحو سيرة فكرية لسعيد النورسي شكران واحدة"، ص : ٣٩.

[3]- إخلاص الإمام بديع الزمان سعيد النورسي ودعوة القرآن الكريم ، الأستاذ الدكتور عابد توفيق الهاشمي، القاهرة: دار سوزلر، ط ١، ٢٠٠٥، ص : ٣٥.

إن هذا الاهتداء بالنور القرآني، ينم عن سعة أفق هذا الرجل العظيم، وتجدد فكره وأسلوبه في التعامل مع الواقع ومتغيراته، لقد أدرك النورسي أن العهد العلماني لا يمكن مواجهته بالعنف والصراع، فاتخذ أسلوبا جديدا يحفظ للعمل الإسلامي وجوده باستمرار في تركيا، رغم الحصار العلماني الذي أعلن العداء الشامل للدين ولأهله، وقام بإعدام العلماء، وإغلاق المساجد، ومحاربة الدعاة، ولقد تمثل هذا الأسلوب في محاولة تحقيق المعادلة الصعبة التي تتجلى في عدم الرضوخ والاستسلام للتحديات والابتلاءات، مع الاستمرار في البناء والعمل الإسلامي الجاد، والمستشرف للمستقبل.

ولتحقيق ذلك، حدد النورسي فقه الأولويات في إدارة الصراع، وأدرك أن العدو الرئيس هو الإلحاد، فقرر مواجهته بحنكة وحكمة، متجنبا الصراعات الجانبية التي تشغل حركات التغيير عن القضايا المصيرية. وتفتت وحدة المجتمع، كما ابتعد عن السياسة مرحليا، ليس خوفا من السلطة، وإنما تقديرا وتخطيطا، وتوجيها لإدارة الصراع مع العدو لصالح الدعوة الإسلامية، بناء على معطيات واقعية تكشف عن عدم الندية بين الأطراف المتصارعة.

لقد توصل النورسي بعد هذه المراجعة الشاملة، والتفكير المستنير، إلى المنهج الجديد الذي تمثل في بناء جيل جديد يقوم على هدي القرآن الكريم وأسسه الرشيدة، فراح يتأمل في الكتاب العزيز، ويستخرج كنوزه وأنواره، ويسردها على طلابه شيئا فشيئا، حتى اكتملت وتبلورت في مشروع رسائل النور، الذي انتشرت روحه في أنحاء تركيا كلها بهدوء وعمل منقطع النظير، وصبر وجهاد سلمي مستمرين، مما نتج عنه ظهور الصحوة الدينية كعامل أساس مؤثر في التوازنات السياسية في البلاد، حيث أصبحت الأحزاب السياسية تضع في مخططاتها حركة الوعي الإسلامي، والاستجابة لمطالبها، ومما يؤكد هذه الحقيقة هو انفتاح النورسي من جديد على عالم السياسة في عهد الانفراج، واستغلاله لكل القنوات القانونية، من أجل خلق تواصل مع الشعب وتبليغه حقائق القرآن، فلقد تعامل النورسي مع رئيس الوزراء عدنان مندريس، وحاول أن يحصل على وعد إيجابي يقضي بنشر رسائل النور[1].

[1]- "الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا" الدكتور احمد نوري النعيمي، دار البشير، ط ١، ١٤١٣-١٩٩٣، ص : ١٦٥-١٦٦.

استنتاج :

نستنتج من خلال ما سبق ما يأتي:

- ❖ لقد ظهرت بوادر العظمة والنبوغ والشهامة على النورسي في صغره، مما ساهم في تأهيله ليكون من المجددين في عصره.
- ❖ إن النورسي رجل أعطته التجارب حنكة، وصقلت مواهبه الأحداث، والرحلات، والاحتكاكات، مع أهل العلم والسياسة.
- ❖ لقد شارك النورسي بعلمه، وعمله، وفكره وجهاده في الأوضاع الثقافية والإجتماعية التي كانت تعيشها البلاد، وحاول الإصلاح والتسديد، لكن محاولاته باءت بالفشل أمام المستجدات التي أعلنها كمال أتاروك.
- ❖ لقد أدرك النورسي ضرورة تغيير أساليب التعاطي مع التحديات وفق رؤية تجديدية تحفظ للوجود الإسلامي بقاءه، وتدافع عن أسس الإيمان في ضوء تعاليم القرآن الكريم وهديه.
- ❖ لقد امتلك النورسي فقه الأولويات في إدارة الصراع مع العدو، وحدد الهدف، واستأنف العمل برزانة وحكمة وصبر منقطع النظير.
- ❖ لقد تبين للنورسي أن المرحلة تقتضي البناء، والابتعاد عن السياسة مرحليا لتفويت الفرصة على العدو، ومواجهة العاصفة بالانحناء المؤقت، الذي يثمر الاستمرار في العطاء والإنتاج.
- ❖ لقد تميزت حياة النورسي بالتطور والترقي بحسب الاستجابة للتطورات والأحداث، فالحاضر موصول بالماضي مستشرف للمستقبل، وفق منهج تفاؤلي سديد يستغل الإمكانات المتاحة في ضوء القدرات الممكنة.

- ❖ لقد كان النورسي متميزا ذكيا في مواجهة الأعداء، تسلح بالعلم والعمل والهدوء والرزانة والحكمة والأمل والهمة العالية، وغيرها من المفاتيح العلمية والخلقية التي حركها لاستدامة العمل الإسلامي البناء وتحقيق الوعي الشامل بحقيقة الإسلام وقيمه.
- ❖ ما أحوج حركات التغيير وقيادتها في واقعنا المعاصر إلى الاستفادة من هذه التجربة الغنية بالدلالات والإشارات التي تفتح المغاليق لكل من أراد أن يسلك درب الدفاع عن الإيمان والقرآن.

٢) العوامل المكونة لعظمة النورسي:

من خلال التأمل في مراحل حياة النورسي، يمكن إبراز عناصر عظمة شخصيته القادرة على التفاعل، والحركة والعطاء، في العوامل الآتية:

العامل الأول: يتجلى في الوسط الأسري الذي نشأ فيه النورسي، حيث أخذ دروسه الأولى على يد والدته التقية، وأبيه الورع الذي كان يجمع العلماء والمتصوفة في بيته ويكرمهم، فلقد ساهم هذا الوسط في تعميق محبة العلم لدى النورسي وشدة ارتباطه بالعلم والعلماء.

العامل الثاني : هو امتلاك النورسي لعناصر العظمة فطريا، وتجلى ذلك في قوة الذاكرة، والقدرة الفائقة على حفظ المتون والمطولات، واستيعاب الدروس والعلوم بسهولة، تفوق المعتاد، إذ كان يحفظ ويستظهر ٨٠ كتابا.

العامل الثالث: العكوف على المطالعة، والحرص على الاستزادة من العلوم العقلية والفلسفية والمادية إلى حد التفوق على أهل التخصص في ميدانهم.

العامل الرابع : هو إخلاص الإمام، وتجرده لقضية العلم واستقلاله الذاتي والمالي، وشدة حرصه على الثوابت الإسلامية التي تصون طالب العلم عن الذل والهوان، مما جعله يلقي إعجابا من الدوائر العلمية والأوساط الاجتماعية، فذاع صيته وانتشر خبره في ربوع تركيا.

العامل الخامس : الإرادة القوية والعزيمة الصادقة التي مكنته من المشاركة في أحداث عصره بإيمان راسخ، وقوة ثابتة لا تعرف الاستسلام والرضوخ للمصائب والابتلاءات، إذ وقف

النورسي أمام الأعاصير طول حياته متنقلا من سجن إلى سجن، ولم يزده ذلك إلا صلابة في الموقف وقوة في الإيمان.

العامل السادس : هو جرأته وشجاعته، وقدرته على مواجهة الآخرين بأسلوب يتحدى الموت في سبيل تحقيق النهضة الشاملة، فلقد قال النورسي في المحكمة: "لو أن لي ألف روح لما ترددت في أن اجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام، فقد قلت إنني طالب علم، لذا فأنا أزن كل شيء بميزان الشريعة، إنني لا أعترف إلا بملة الإسلام...إنني متهيئ بشوق لقدومي للآخرة".

العامل السابع : الاستجابة إلى التحولات الكبرى التي وقعت في الواقع التركي، فحتمت تكوين شخصية علمية عملية قادرة على مواجهة التحديات بصبر منقطع النظير.

العامل الثامن : الحرص على تأليف رسائل النور، ونشر حقائقها في الوسط التركي، مما اكسب النورسي شهرة واسعة في البلاد، وقدرة فائقة في النفاذ إلى قلوب الناس المتعطشة إلى حقائق الإيمان.

تلكم هي بعض العوامل التي شكلت الركائز الأساس لبناء الشخصية العلمية لبديع الزمان سعيد النورسي، وأهلته ليكون من أئمة التجديد في واقعنا المعاصر على حد تعبير الدكتور محسن عبد الحميد[1].

لقد استطاع النورسي أن يجدد الدين في الحياة التركية، عن طريق مفاتيح العلوم الشرعية والعقلية، ومفاتيح القيم الأخلاقية والتضحيات المادية والنفسية، مما جعل العلماء والباحثين والطلاب يقبلون على قراءة رسائله والتشبث بحقائقها، ويعكفون على دراستها وتناولها بالبحث والمدارسة وغيرها من البلدان.

[1]– انظر "كتاب من أئمة التجديد الإسلامي لدكتور محسن عبد الحميد"، الرباط : مكتبة أسامة ابن زيد، ط ١٩٨٦، ص : ٩٥. "لقد ذكر مجموعة من المجددين كان من بينهم سعيد النورسي".

المبحث الثالث :
أثاره العلمية : كليات رسائل النور دراسة وصفية

توفي النورسي وترك ميراثا علميا واسعا تجلى في "كليات رسائل النور"، التي تناولت مختلف قضايا الإنسان، ومشاكله، وهمومه بأسلوب رفيع، وفكر مستنير منبعه القرآن والسنة والتأمل في الكون الفسيح.

ولأهمية هذه الرسائل في هذا الجانب، سنحاول التعريف بها وإبراز خصائصها ومميزاتها وما يتعلق بها من ظروف وملابسات.

- **سبب تسمية الرسائل بالنور :**

يقول النورسي : "إن سبب إطلاق اسم رسائل النور على مجموع الكلمات(وهي ثلاث وثلاثون كلمة)، والمكتوبات (وهي ثلاثة وثلاثون مكتوبا)، واللمعات (وهي إحدى وثلاثون لمعة)، والشعاعات (وهي ثلاثة عشر شعاعا)، هو أن كلمة النور قد جابهتني في كل مكان طوال حياتي منها:

قريتي اسمها نورس.

اسم والدتي المرحومة نورية.

اسم أستاذي في الطريقة النقشبندية : سيد نور محمد، وأحد أساتذتي في الطريقة القادرية: نور الدين، وأحد أساتذتي في القرآن : نوري.

وأكثر من يلازمني من طلابي من يسمون باسم نور ، وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية، وأكثر ما حل مشكلتي في الحقائق الإلهية هو : اسم "النور" من الأسماء الحسنى ولشدة شوقي نحو القرآن وانحصار خدمتي فيه، فإن إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه"[1].

---

[1]- الملاحق في فقه دعوة النور بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم صالحي، استانبول : دار سوزلر، ط١، ١٤١٥-١٩٩٥م، ص : ٧٠-٧١.

يتضح، من خلال كلام النورسي أن التسمية لم تكن اعتباطية، وإنما لها أبعاد ودلالات كشف عن بعضها وترك البعض للتقدير والتأويل، والظاهر منها هو أن النورسي أراد أن يخترق الظلام والكفر الذي عرفه الواقع التركي آنذاك، من خلال رسائل، يبعثها إلى المجتمع، لتحميه من أوهام الكفر، وقد أكد هذه الحقيقة الأديب الكبير، إبراهيم الدباغ بقوله: "فهو في هذه الليالي الهادئة الجذلى يعتصر قلبه ويحلب روحه في قوارير من نور، ويقدمها للعطاش من إخوانه البشر، فما يكاد يرتشف منها الإنسان رشفة حتى تتحول في دمه إلى سياج نوراني لا تقوى على اختراقه أوهام الكفر ولا ضلالات الملحدين تلك هي "رسائل النور" التي عكف على كتابتها"[1].

- **الظروف والملابسات التي رافقت رسائل النور :**

لقد أراد العلمانيون القضاء على الروح الإسلامية في تركيا، من خلال إعدام العلماء ونفيهم إلى القرى النائية، لكي يقل ذكرهم وتأثيرهم، ولكن إرادة الله قضت أن تكون قرية "بارلا" منفى بديع الزمان سعيد النورسي، مصدرا للإشعاع الإسلامي الذي أضاء فيما بعد أرجاء تركيا، ووصل إشعاعه إلى كل قرية و مدينة [2].

في هذه القرية الصغيرة، وفي ظل الحصار المضروب على الدعوة الإسلامية، تحدى النورسي الصعاب وأدرك خطورة الوضع، فالتجأ إلى القرآن يتأمل حقائقه، ويكتشف أسراره، ويستنبط أنواره قصد مواجهة الطغيان، والثبات على الإيمان ومواجهة مخططات الأعداء بكتابة رسائل النور التي بلغت الآفاق، وتناولت جميع مشاكل الشعب التركي وتحدياته وأمراضه انطلاقا من القرآن الكريم، ومما حصله من معارف وعلوم اعتمادا على حفظه وذكائه وقدرة استحضاره لما تفرق في بطون الكتب من معاني وحكم.

---

[1]- "سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان"، أديب إبراهيم الدباغ، استانبول : دار سوزلر، ط ١، ١٤٢٥-٢٠٠٥ ، ص : ٧٠.

[2]- "بديع الزمان النورسي نظرة عامة عن حياته وأثاره"، إحسان قاسم الصالحي، ص : ٦٦.

إن المتأمل في رسائل النور، يدرك تكامل الأجناس المعرفية وتعاونها لتشكيل خطاب إسلامي بناء، غايته بناء الإنسانية ومعالجة مشاكلها، والبحث في أسباب ارتدادها وانحدارها، وهذا التكامل ينم عن قدرة بديع الزمان على استحضار العلوم التي حصلها في مرحلة طلبه وتوظيفها في كتابة رسائل النور، رغم الظروف الصعبة التي لم تسمح له بالرجوع إلى الكتب والمصادر قصد التحقيق والتدقيق، ولكن رغم هذا فقد استطاع أن يؤلف مشروعا فكريا قادرا على المواجهة والتحدي والبناء، بشهادة علماء عصره ومن جاء بعده، ويرجع هذا النجاح إلى القدرات العلمية والتوفيق الرباني، يقول النورسي: "والدليل على أن الرسائل ليست من بنات أفكاره، أن هناك من الرسائل ما قد كتب في ست ساعات، وأخرى في ساعتين، وبعضها في ساعة واحدة، وأخرى في عشر دقائق. فأنا أقسم أنه لو كانت لي حدة ذكاء سعيد القديم، وقوة حافظته، لما تمكنت أن أكتب في عشر ساعات، ما كتب آنذاك في عشر دقائق، ولا يمكنني أن أكتب في يومين ما كتب في ساعة...فنحن إذن مع أننا مفلسون ليس لنا شيء إلا أننا أصبحنا خداما ودلالين في معرض أغلى المجوهرات"[1].

- تعريف رسائل النور:

اشتهر بديع الزمان سعيد النورسي بتأليف رسائل النور في موضوعات العقائد الإسلامية، ومن المؤكد أن ثقافة النورسي الواسعة، وإطلاعه على المعارف الإنسانية في عصره، وذكاءه الحاد وقدرته على التأمل العميق هو الذي مهد الطريق أمامه لإملاء تلك الرسائل التي استلهمها من القرآن الكريم مباشرة، دون أن توجد عنده المصادر العلمية التي يعتمد عليها، لأنه كان في سجن وتشريد ونفي مستمر، ولأنه كان لا يطالع في عهد سعيد الجديد إلا القرآن الكريم فقط[2].

وتتألف هذه الرسائل من أكثر من مائة وثلاثين رسالة باللغة التركية، ضمنت في مجلدات من الحجم المتوسط وهي:

---

[1]- "الملاحق في فقه الدعوة لبديع الزمان سعيد النورسي"، ص : ١٨١-١٨٢.

[2]- عجالة مقتطفة من أقلام أفاضل العلماء والدكاترة في حياة الإمام الجليل الأستاذ بديع الزمان السعيد النورسي، ص : ١٧٥-١٧٦.

١. سوزلر" الكلمات" وتضم ثلاثا وثلاثين رسالة(مكتوب).
٢. مكتوبات"المكتوبات" وتضم ثلاثا وثلاثين رسالة (مكتوب).
٣. لمعلر" اللمعات" وتضم ثلاثين رسالة (اللمعة).
٤. شعاعلر" الشعاعات" وتضم خمس عشرة رسالة(شعاع).
٥. "ملاحق" ألحقت بعدئذ بالرسائل وهي ثلاثة ملاحق : ملحق بارلا، وملحق قسطموني، وملحق اميرداغ. وهذه الملاحق هي مجموعة رسائل توجيهية في أساليب خدمة القرآن الكريم وضعت في ظروف مختلفة، وقد اهتمت بأمور متفرقة مما يواجه الفرد المسلم في دعوته، وكان الأستاذ يوجه هذه الرسائل إلى تلاميذه من السجون خفية.[١]

وهناك رسائل أخرى في مسائل إسلامية دقيقة، أو في الدعوة لتثبيت تلامذته، كانت سرية تتداول بينهم، ثم كشف وطبع بعضها في مجلد مستقل في مائتين وعشرين صفحة بعنوان "ختم التصديق الغيبي".

وهناك رسائل أخرى مستقلة في كتب صغيرة منها : "المدخل إلى عالم النور"، و"مفتاح النور"، والمحاكمات، وسيرة ذاتية[٢].

أما الرسائل التي كتبها باللغة العربية فقد سبقت الرسائل المذكورة باللغة التركية، إذ انقطع التأليف باللغة العربية لديه بانتهاء الدولة العثمانية، إلا أن الأستاذ ضم مؤلفات (سعيد القديم) إلى رسائل النور أيضا، واعتبرها نوى وشتلات لرسائل النور في (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) التي ألفت أثناء الحرب العالمية الأولى اعتبرت (المكتوب الثلاثون) من الرسائل"،

[١]– "بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره"، إحسان قاسم صالحي، ص : ١٩٢.
[٢]– النورسي الرائد الإسلامي الكبير الدكتور محسن عبد الحميد، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة : ط ١٤٠٨–١٩٨٧، ص : ٣٣. وانظر "بديع الزمان نظرة عن حياته وآثاره" ١٩٣٠.

والمثنوي العربي النوري الذي يضم اثني عشرة رسالة باللغة العربية أعده الأستاذ (اللمعة الثالثة والثلاثون) واللمعة التاسعة والعشرون جميعها باللغة العربية وكذلك (الحزب الأكبر النوري)[١].

يتبن مما سبق، أن تراث النورسي يضم مجلدات : "الكلمات" و"المكتوبات" و"اللمعات" و"الشعاعات" و"الملاحق" و"إشارت الإعجاز في مضان الإيجاز" و"المثنوي العربي" و"صيقل الإسلام" و"سيرة ذاتية"، جمعها وترجمها وحققها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، جزاه الله خيرا، ومما يجدر التنبيه إليه هو أن بديع الزمان سعيد النورسي قام بعديد من التعديلات في مؤلفاته القديمة، قبل أن يلحقها برسائل النور ويوافق على نشرها بعد أن أخضعها لمنهجه الجديد، يقول إحسان قاسم الصالحي مبينا هذه التعديلات في مقدمته لتحقيق صيقل الإسلام : "ذلك لأن لهذه الرسائل القديمة أهميتها التاريخية من جهة، وقيمتها الفكرية من جهة أخرى، مثلما نبه إليها الأستاذ المؤلف نفسه في مواضع كثيرة من مكاتيبه التي أرسلها إلى طلاب النور، حتى إنه أدمج قسما من هذه الرسائل ضمن موضوعات وفصول تاريخ حياته "سيرة ذاتية"، بل أشار على طلابه بالقيام بنشر قسم منها على صورة كتيبات مستقلة، وذلك بعد إعادة النظر فيها، وقراءتها بإمعان في ضوء موازين رسائل النور وقواعدها وأسسها، فأجرى تصحيحات دقيقة في الرسائل التي تمس الحياة الاجتماعية والسياسية"[٢].

هكذا يكون النورسي، قد ألف رسائل النور ونقحها، وجعلها في متناول الطلبة والعلماء، مستفرغا في ذلك كل طاقاته وإمكانياته وجهده، عبر مسيرة علمية دامت أكثر من خمس وعشرين سنة، في سبيل مواجهة التحديات الفكرية المفروضة على الشعب التركي المسلم، بأسلوب منسجم مع روح العصر، قادر على البناء واستشراف المستقبل.

---

[١]– "بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره" إحسان قاسم صالحي، ص : ١٩٣–١٩٤.

[٢]– صقيل الإسلام، " بديع الزمان سعيد النورسي"، ص : ٥.

الفصل الثاني:

خصائص رسائل النور ومنهج تعاملها مع القرآن، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الخصائص العامة لرسائل النور ومنهجها في التأليف.

المبحث الثاني: منهج تعامل رسائل النور مع القرآن الكريم.

المبحث الأول:
الخصائص العامة لرسائل النور ومنهجها في التأليف.

أ- الخصائص العامة لرسائل النور:

إن القارئ لرسائل النور بإمعان وتأمل، يدرك طبيعتها وميزاتها في تناول القضايا الإنسانية، فهي وإن تنوعت مباحثها ومطالبها، تتميز بوحدة الموضوع، وتدور كل فروعها وفصولها حول قضية الإيمان وما يتعلق به من أمور الدين والدنيا، فحديث النورسي في التشريعات، دفاع عن الدين، وبيان لكنوزه وحقائقه. وحديثه عن الفلسفة دفاع عن الدين ضد الفلسفة المادية، وحديثه عن الكون والطبيعة، إبراز لحقائق أسماء الله الحسنى، ورد على الدهريين عبدة الطبيعة والمادة، وحديثه عن أسباب التقدم والتأخر دفاع عن الدين ضد الهجمات الغربية التي وصفته بالتخلف والرجعية، وإلى غيرها من المواضيع التي تطرق إليها النورسي والتي كانت قائمة على مبدأ الدفاع عن قضايا الإيمان والإسلام ومواجهة التحديات المفروضة عليه.

إن منهج البناء والهدم، هو المبدأ الذي حكم فكر النورسي في مؤلفاته، مما جعلها قادرة على الاستجابة للتطورات المعاصرة سلبا وإيجابا.

فهي على المستوى السلبي تواجه وتتحدى، وعلى المستوى الايجابي تستوعب وتنمي وتتجاوز ذلك إلى مستوى الإبداع والعطاء[1].

وهذا المنهج قد استخلصه النورسي من القرآن الكريم وطبقه في رسائله كلها، مما جعلها تتميز بالوسطية والاعتدال في معالجة القضايا الإنسانية.

لقد دخل النورسي في الصراع الحضاري الثقافي مع المدنية الغربية بحصيلة قرآنية واعية، فجعل القرآن يدافع عن نفسه، ووظف حقائقه ومعارفه الناصعة في سحق أسس الحياة التي تقوم عليها المدنية الغربية، فأثبت فشلها وبين عدم قدرتها على قيادة مركب البشرية.. وعرض

[1]– يكفي هنا مثالا : تعامل الرسائل مع المدنية الغربية سلبا وإيجابا. لقد استفاد النورسي من المدنية الغربية أسس تقدمها وفقه علل تأخرها.

بكل جرأة وقوة القرآن بديلا حضاريا ومعرفيا ومنهجا حياتيا لا تصلح حياة البشر إلا بهدايته[1].

لقد استطاع النورسي أن يهدم أسس التخريب التي جاء بها كمال أتاتورك، بخطاب قرآني قادر على تحريك النصوص في الواقع وإعطاء البديل البناء.

هذا ما إلى ذلك من الخصائص والسمات التي توصلنا إليها بعد قراءة رسائل النور، وما يتعلق بها من دراسات وأبحاث يمكن اختصار هذا في ما يأتي:

١- التركيز على القضايا الإيمانية :

لقد أدرك النورسي أن مواجهة التحديات المطروحة، لا تتأتى إلا بالحفاظ على الإيمان، الذي أصبح مهددا من طرف الملحدين، فقرر أن يدافع عنه بأدوية إعجاز القرآن، إذ يقول: "إن رسائل النور لا تعمر تخريبات جزئية، ولا ترمم بيتا صغيرا مهدما، بل تعمر أيضا تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة عظيمة- صخورها كالجبال- تحتضن الإسلام وتحيط به، وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص، ووجدان معين، بل تسعى أيضا وبيدها إعجاز القرآن، لمداواة القلب المجروح، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيأت لها وركمّت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع، ولاسيما عوام المؤمنين، نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان[2].

٢- هيمنة القرآن الكريم وأستاذيته في معالجة قضايا الإنسان :

لقد ركز النورسي كل جهده في القرآن الكريم، ووظف جميع معارفه وطاقاته العلمية والروحية من أجل إبراز حقائق القرآن الكريم، وإثبات صلاحيته لكل زمان ومكان، وفق منهج قوي يعتمد القرآن الناطق (محمد صلى الله عليه وسلم)، والقرآن المنظور "الكون" أساسا

---

[1]- انظر "إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي عرض وتحليل"، الدكتور زياد الدغامين، أزمير: دار لنيل، ط١، ١٤١٩-١٩٩٨، ص : ٣٤٠.

[2]- الملاحق في فقه دعوة النور، ص : ١١٨.

للتفسير[1]. يقول النورسي: "إن أجزاء رسائل النور قد حلت أكثر من مائة أسرار الدين والشريعة والقرآن الكريم ووضحتها وكشفتها وألجمت أعتى المعاندين الملحدين وأفحمتهم وأثبتت بوضوح كوضوح الشمس، ما كان يظن بعيدا عن العقل من حقائق القرآن...

فرسائل النور، لا جرم أنها حقيقة قرآنية تشغل هذا العصر والمستقبل، وتأخذ اهتمامه، وأنها سيف ألماسي بتار في قبضة أهل الإيمان"[2].

٣- إتباع السنة النبوية الشريفة :

لا يمكن معرفة كنوز القرآن الكريم واستكشاف بعض معانيه، إلا من خلال معرفة السنة النبوية الشريفة وتطبيقها، قولا وعملا. وبديع الزمان سعيد النورسي كان مثالا رائعا في هذا الجانب.

لقد خصص في رسائله قسطا كبيرا لشرح السنة الشريفة، وبيان منزلتها ووظيفتها في خدمة حقائق القرآن الكريم، كما اعتبر النبوة من مقاصد القرآن الأساسية وأثبت ضرورتها للعالم المعنوي، كضرورة الشمس للعالم المادي. والباحث يدرك الحضور القوي للسنة النبوية في رسائل النور ومركزيتها في معالجة القضايا القرآنية. لقد اعتمد النورسي ثلاثة مفاتح رئيسه لتناول القضايا الإنسانية في رسائله مفتاح القرآن الناطق، وهو محمد صلى الله عليه وسلم بسيرته وسنته ومفتاح القرآن المنظور، وهو الكون بأجزائه وعناصره، ومفتاح القرآن المتلو، وهو الوحي بحقائقه وأسراره..

[1]- انظر "من معالم التجديد عند النورسي" : الدكتور محسن عبد الحميد، مصر : دار سوزلر، ط١، ٢٠٠٢، ص : ٣٤ وانظر "بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص : ١٥٥-١٥٦. وانظر "الإنسان والإيمان بديع الزمان سعيد النورسي"، إحسان قاسم صالحي، ص : ٨٣-٨٤.

[2]- انظر "الملاحق في فقه دعوة النور"، ص : ٢٤٨.

٤- سعة الأفق الفكري وشمولية المعالجة لقضايا الإنسان والكون والحياة :

لقد تناول النورسي مجموعة من القضايا الإسلامية والإنسانية (الحرية- الأمن-التعليم- التصوف- الأخلاق- السياسة- الاقتصاد...)، انطلاقا من كليات قرآنية ومقاصده الكبرى، وكان تحليله لهذه القضايا الشائكة والمتنوعة شاملا ومستوعبا كل التحديات، ومبينا كل البدائل والأسس البناءة في ضوء مقاصد القرآن الكريم، مما جعل رسائله النورية تتسم بخاصية النظر الشمولي الجامع الموحد، فالنورسي يرى برؤية القرآن ناموسا إلهيا واحدا، ينتظم جسد الوجود، وشريعة واحدة تهيمن على الكون وتشد مفاصله. والإنسان إنما هو نقطة الدائرة الكونية والغاية من الخلق الكوني.[١]

٥- الاستجابة لطبيعة المرحلة والتفاعل مع القضايا المستجدة :

إن القارئ لرسائل النور، يصل إلى حقيقة مفادها أن الرسائل حطمت بطريقة علمية الأوهام والضلالات التي تنشرها الفلسفة المادية في شتى الميادين العلمية والتربوية والدينية، وقد أثبتت هذه الرسائل الحقائق الدينية والإيمانية بالأدلة العقلية، وكشفت للجيل التركي زيف النظريات الإلحادية، وبينت حقائق القرآن والإيمان، وقدرتهما على حل مشاكل الإنسان بالاستدلال العقلي والبرهان الحسي الفطري، لقد أدرك النورسي أن المعركة تتجاوز منع الحكم الإسلامي، أو المظاهر الإسلامية، إلى هدف قطع صلة الأمة بدينها، من خلال محو الحقائق الإيمانية من قلوب المؤمنين وعقولهم بكل الوسائل المتاحة[٢]، فتسلح بنور القرآن والإيمان، لمواجهة المرحلة والتفاعل معها بايجابية متواصلة، قادرة على الصمود والثبات أمام كل الهجمات.

---

[١]- في آفاق النور : أديب إبراهيم الدباغ، القاهرة : دار سوزلر، ط ١، ٢٠٠٤، ص : ١٢٧-١٢٨، وانظر "من معالم التجديد للدكتور محسن عبد الحميد"، ص : ٣٠. وانظر "النورسي أنوار لا تغيب محمد التهامي"، مطبعة المدني، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ص : ٩٤.

[٢]- أنظر "بديع الزمان سعيد النورسي واثبات الحقائق الإيمانية المنهج والتطبيق"، عمار جيدل، استانبول : شركة نسل تركيا، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص : ٧٠.

٦- الهداية والإرشاد :

ارتكز الإمام النورسي في رسائله التي كان يقدمها لطلابه ولأمته بقصد الهداية والإرشاد، على أسس من الحقائق القرآنية والأنوار الإيمانية، لقد كان في هذا الصدد معتمدا على تزكية نفسه وطلابه، ليكونوا مثالا يقتدى به، فصار يعمل على إنقاذ الإيمان الذي كان يضيع في ركام الأفكار المستوردة والدخيلة، ولم تكن وظيفة تلاميذه، ليست إنقاذ فحسب، بل كانوا مكلفين– أيضا بالحفاظ على إيمان غيرهم[١].

٧- العالمية والجامعية والانفتاح :

لقد استمد الخطاب النورسي عالميته وجامعيته وانفتاحه من القرآن الكريم، فرسائل النور تخاطب جميع طبقات الشعب، وتدعو الإنسانية إلى قيم العدالة ومحاسن الأخلاق، وتنفتح على جميع جبهات الخير والمؤسسات المقاومة للظلم والاستكبار، وقد دعا النورسي إلى الحوار الإسلامي النصراني لمواجهة طغيان الفلسفة المادية ومحاربة إلحادها في ضوء القيم الإنسانية المشتركة، التي تضمن للجميع العيش في سلام واطمئنان[٢].

لقد استطاعت رسائل النور أن تصل إلى قلوب أكثر طبقات الشعب التركي خاصة، أولي العقول النزيهة في العالم عامة، وذلك بأسلوب رفيع يجمع بين حرارة القلب ويقظة العقل، ويتجاوز الخلافات والصراعات الجانبية، ويركز على القضايا الأساس للعالم الإسلامي.

ب- منهج النورسي في تأليف رسائل النور :

إن المتأمل في رسائل النور يدرك صعوبة الإحاطة بمنهجها وأسلوبها في المعالجة، نظرا لتشعب المجالات المعرفية التي تناولها النورسي بالتحليل والدراسة، مما يستدعي وضع دراسة مستقلة في هذا الجانب، وهو أمر متعذر في هذا المقام لما تقتضيه طبيعة البحث وخطته. ونظرا

[١]– انظر "بديع الزمان سعيد النورسي فكره ودعوته"، وقائع الحلقة الدراسية المنعقدة في قاعة المركز الثقافي الإسلامي عمان يوم الخميس ٧ صفر ١٤١٨هـ (١٢حزيران ١٩٩٧) المعهد العالمي للفكر الإسلامي مكتب الأردن بتعاون مع مركز البحوث رسائل النور، ص : ١٦٢.

[٢]– انظر "الملاحق في فقه دعوة النور"، ص : ٣٠٢.

لصعوبة الإحاطة الشاملة بمنهجه، فسأحاول إبراز الخصائص العامة التي تميز بها في التأليف في ما يأتي:

١- طريقته العامة في التصنيف :

في الغالب الأعم، ينطلق النورسي من آية أو عدة آيات، ثم يفصح عن حقيقة الموضوع بمقدمة مختصرة، ثم يشرع في شرح الموضوع الذي هو بصدد طرحه، ويحدد معالمه تحديدا تاما لا لبس فيه، اعتمادا على الشرح والتفصيل والتمثيل، متدرجا في كل ذلك من السهل إلى المعقد، ومعتمدا على الأدلة العقلية والحسية والنقلية، ومستأنسا بالتجارب المعرفية والواقعية والحقائق الفطرية، قاصدا مواجهة التصورات الخاطئة أو الفلسفات الهدامة.

لقد كان شأن النورسي في معالجة المواضيع شأن العلماء الكبار، أمثال الغزالي الذي جرت عادته أن يبدأ التصنيف بوضع مقدمة يبين فيها اسم الكتاب، ومناسبته مع الإشارة إلى أبوابه، وفصوله، وعلاقة هذه الأبواب والفصول بالهدف الذي يرمي إليه من الكتاب[١] هذا وقد يكون عرض الموضوع من خلال السؤال والجواب[٢].

٢- اعتماده على الاستذكار العلمي :

لقد ألفت الرسائل دون الرجوع إلى المصادر والمراجع، لما كان يعانيه الأستاذ بديع الزمان من حصار، وطرد، ونفي، وهو ما دفعه إلى أن يستفرغ كامل جهده، ويستنفر جميع طاقاته وقواه الفكرية لإملاء هذه الرسائل على طلابه بأسلوب رصين قادر على تكوين الإنسان الصالح.

لقد كانت الرعاية الإلهية تحيط بأفكار النورسي، حيث جاءت قوية مرتبة قادرة على هدم شبهات الملحدين، وتفنيد حججهم.

[١]- انظر "الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي"، بيروت : دار الأمانة، ١٩٦٩، ص : ٧٠.

[٢]- بديع الزمان النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص : ١٦٤.

٣- تكامل الأجناس المعرفية في الخطاب النورسي :

إن بديع الزمان سعيد النورسي عالم موسوعي، حصّل علوما كثيرة في سنين الطلب، وهي العلوم التي شكلت المفتاح الأساس للدخول إلى هداية القرآن، واكتشاف قوانينه وكنوز حقائقه.

لقد عالج النورسي مجموعة من القضايا الإنسانية، مستثمرا العلوم والمعارف التي حصلها، في خدمة القرآن الكريم (الفقه والحديث والسيرة النبوية والتاريخ وعلوم القرآن وعلم الكلام، والفلسفة الحديثة وغيرها من المعارف) وهي علوم تتوحد وتتعاون في نسق متكامل، يسعى إلى خدمة القرآن الكريم، وإبراز إعجازه التشريعي واللغوي وتأكيد حقائقه وهيمنته على سائر النظم والمعارف البشرية.

٤- توظيف مقاصد القرآن الكريم في معالجة قضايا الإنسان :

لقد اعتمد النورسي على مقاصد القرآن الأساسية في تناول قضايا الفكر والحياة والإنسان، وجعلها في أربعة عناصر : التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة مع العبودية".[١] واستطاع أن يحرك هذه المقاصد الأربعة، لمعالجة قضايا الإنسان معالجة شاملة، مستوعبة لكل التحديات والمستجدات المعرفية والاجتماعية.

ويرجع السبب في اعتماد هذه المقاصد الأساسية، وحضورها في التناول الفكري عند بديع الزمان سعيد النورسي إلى استلهام طريقة القرآن في المعالجة.

إن العناصر الأربعة حاضرة في كل سورة من سور القرآن الكريم، يقول النورسي: "كما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كله، كذلك قد تتجلى في سورة سورة، بل قد يلمح بها في كلام كلام، بل قد يرمز إليها في كلمة كلمة؛ لأن كل جزء فجزء كالمرآة لكل فكل متصاعدا، كما

---

[١]- يقول النورسي: اعلم أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة : "التوحيد والرسالة والحشر والعدالة مع العبودية، فيصير سائر المسائل وسائل هذه المطالب"، انظر المثنوي العربي النوري بديع الزمان سعيد النورسي تحقيق إحسان قاسم صالحي، القاهرة : دار سوزلر، ط ٣، ٢٠٠٣، ص : ٧٥.

أن الكل يتراءى في جزء فجزء متسلسلا ولهذه النكتة أعني –اشتراك الجزء مع الكل– يعرّف القرآن المشخص كالكلي ذي الجزئيات"[1].

٥- هيمنة القرآن الكريم في المعالجة :

إن التناول الجديد الذي جاء به النورسي في قضايا الفكر والحياة والإنسان، مرده إلى اتخاذ القرآن مصدرا للتفكير، ومنهجا في التحليل، وطريقة في المعالجة، لقد أدرك النورسي أن الخطاب القرآني هو الذي يتأهل لقيادة الجماهير، إذ يقول : "إن الذي يسوق جمهور الناس إلى لإتباع وامتثال الأوامر هو ما يتحلى به المصدر من قدسية، هذه القدسية هي التي تدفع جمهور الناس إلى الانقياد أكثر من قوة البرهان ومتانة الحجة، فينبغي إذن أن تكون الكتب الفقهية بمثابة وسائل شفافة –كالزجاج– لعرض قدسية القرآن الكريم، وليس حجابا دونه أو بديلا عنه"[2].

لقد أعاب النورسي على مناهج الفقه توجهها العقيم الذي سارت عليه خلال عصور الانحطاط، إذ عملت على شل الإرادات وكف الذهنيات، وتقييد الرؤية وتسطيح الأفهام، فأهدرت القابليات وأعاقت المدارك عن أن تتواصل مع القرآن، وترتوي من سائغ زلاله، لقد ظل المنهج الفقهي المختل يعتَد بالعلة الفقهية، ويجعلها مدار مقاربته، منها ينطلق وإليها ينتهي، وكان حريا به أن يجعل من القرآن مصدر الفهم ومبدأ المصادرة والتعقل[3].

٦- تفاعل العقل مع القلب، والفكر مع الشعور في الخطاب النورسي :

يقول النورسي في معرض الحديث عن تجربته الوجدانية : "لقد امتزج قلبي بعقلي ثلاثة عشر عاما ضمن انتهاج مسلك التفكر الذي يأمر به القرآن المعجز البيان...ولقد تواردت في غضون هذه السنوات الثلاثين على عقلي وقلبي ضمن انتهاج مسلك التفكر أنوار عظيمة،

---

[1]– إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، القاهرة : دار سوزلر، ط ٣، ٢٠٠٣، ص : ٢٤.

[2]– "صيقل الإسلام بديع الزمان سعيد النورسي"، ص : ٣٤٧.

[3]– انظر "جمالية التشكيل الفني في رسائل النور دكتور عشراتي سليمان"، القاهرة : دار النيل، ط ١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥، ص : ٢٢٦–٢٢٧.

وحقائق متسلسلة فوضعت بعض الكلمات– من قبيل الإشارات– لا للدلالة على تلك الأنوار، بل للإشارة إلى وجودها ولتسهيل التفكر فيها وللمحافظة على انتظامها.[1]

إن هذه الحقيقة تؤكدها رسائل النور، بما احتوته من تراث علمي يخاطب عقل الإنسان وقلبه بأسلوب يستجيب لحاجته ورغباته، لقد كان القرآن الكريم في هذا وذاك مصدر إمدادها الروحي والعقلي.

٧- الالتزام بمبدإ لكل مقام مقال :

لقد جاءت الرسائل إما جوابا عن سؤال أحد طلبته، أوردا على الفلسفة المادية، أو مخاطبة لنفسه، أو تفكرا في آية، أو تسلية للمبتلين، أو تثبيتا للمؤمنين العاملين، أو مخاطبة لرجال السياسة أو الدولة، أو دفاعا عن قضية أثناء المحاكمات أو تعبيرا عن المأساة..وما إلى ذلك من الأغراض.

لقد كان النورسي يختار المنهج الذي تتطلبه طبيعة الموضوع (إطنابا أو اختصارا تحقيقا أو تعليلا، تطويلا أو تلويحا)، فبحسب تعدد المجالات المراد تناولها بالدرس والتحليل تتعدد مناهج البحث، فأحيانا يعتمد النورسي منهج السبر والتقسيم، وأحيانا يعتمد منهج الاستقراء في عالم الكونيات[2]، وأحيانا يعتمد منهج الوصف والتحليل الحسي، ومرة يعتمد المنهج الاستبطاني في معرفة عيوب النفس[3]، وإلى غير ذلك من المناهج التي اقتضتها طبيعة الموضوع.

لقد كان النورسي في هذا وذاك، يراعي أحوال السامعين واستعداداتهم العقلية والقلبية.

---

[1]– اللمعات بديع الزمان، القاهرة : دار سوزلر، ط ٣، ٢٠٠١، ص : ٤٥٦.

[2]– انظر الشعاعات، ص : ١٤١.

[3]– انظر الكلمات بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة : دار سوزلر، ط٣، ٢٠٠٠م، ص: ٢٤٨. يقول النورسي: يا نفسي المغرمة بالفخر المعجبة بالشهرة الهائمة وراء المدح والثناء... يا نفسي الغوية...

٨- جمالية أسلوبه وقوته في البلاغ والبيان :

لقد استفاد النورسي من طريقة القرآن الكريم في توصيل الحقائق إلى الأذهان، بأسلوب رفيع يقوم على جمالية الأداء وتبسيط المعاني، وتقريبها إلى العقول، من خلال ضرب الأمثال. يقول النورسي، متحدثا عن القرآن وأسلوبه في إفهام الجمهور: "انظر إلى درجة رحمة القرآن وشفقته على جمهور العوام، ومراعاته لبساطة أفكارهم كيف يكرر ويكثر الآيات الواضحة المسطورة في جباه السموات ، فيقرؤهم الحروفات الكبيرة الظاهرة التي تقرأ بكمال السهولة بلا شبهة كخلق السموات والأرض"[١]، لقد استلهم النورسي هذا المنهج، من القرآن الكريم وأبدع في سوق الأمثال الرائعة إبداعا كبيرا، فلا تكاد تخلو رسالة من رسائل النور من التمثيل والتصوير القصصي الذي يقرب الحقائق ويؤكد معقوليتها وواقعيتها.

هذا، ويمكن اختصار أسلوب النورسي في الخصائص الآتية [٢].

- تغير الأسلوب بحسب تغير الموقف والموضوعات :

يختار النورسي الأسلوب الذي يناسب طبيعة القضايا المراد بحثها، فإن كانت هذه القضايا من قبيل التوجيه والإرشاد ترى الأسلوب اللين الرفيق جدا، وإن كانت من قبيل العقليات ترى الأسلوب العلمي الدقيق والعبارات المنطقية الفطرية، وإن كانت من قبيل الدفاعات تجد الأسلوب القوي الهادر كالأمواج وكأنه نذير جيش، كما أن أسلوب النورسي يختلف باختلاف المخاطبين، فهو حين يخاطب الأذكياء من طلابه تكون عبارته قصيرة في لفظتها تضم معان عديدة وتحتاج إلى شرح وتوضيح[٣].

وحين يخاطب جميع الطبقات، يكون واسع العبارة، بسيط الشرح والتفصيل، كثير التقسيمات والتشبيهات مستقصيا مفردات الموضوع.

---

[١]- المثنوي "بديع الزمان سعيد النورسي"، ص : ٢٨٠-٢٨١.

[٢]- انظر "بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره" إحسان قاسم صالحي، ص : ١٦٧ و ١٨٠ وانظر "جمالية التشكيل الفني في رسائل النور" عشراتي، ص : ٢١١-٢٢٢. وانظر "المؤتمر العالمي الثالث" بديع الزمان سعيد النورسي سنة ١٩٩٥، د. عبد الرزاق عبد الرحمان السعدي، ص : ٣٣٩.

[٣]- انظر "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" الذي يضم النكت الدقيقة الموجزة التي لا يفهمها إلا أهل الاختصاص.

فهو يرى : "أن سلاسة الكلام، بعدم التشابك، عدم الطفر من حسّ إلى آخر، مع تقليد الطبيعة..والتدرج في المعاني المتسلسلة والحذر من الاشتباك العشوائي بدون نظام. [1]

لقد كان النورسي وفيا لمبادئه التي سطرها في محاكمته العقلية، حين قال : "إن كنت في بحث الإلهيات وتصوير الأصول فعليك بالأسلوب العالي، ففيه الشدة والقوة والهيبة..

وإن كنت في بحث الخطاب والإقناع، فعليك بالأسلوب المزين ذي الحلي والحلل والترغيب والترهيب، لا تدع هذا الأسلوب ما استطعت، بشرط ألا يداخله التصنع والتظاهر وما يثير العوام.

وإن كنت في المعاملات والمحاورات وفي العلوم الآلية، فعليك بالأسلوب المجرد وحده، فهو الذي يحقق وفاء الموضوع واختصار البحث وسلامة القصد"[2].

- **دقة الحكم واتقاء التعميم :**

رغم معاناة النورسي من هجوم الغرب على مقدسات الإسلام، فهو حين يخاطب أوربا يقسمها إلى قسمين : أوربا النافعة، وأوربا الضارة، فيستفيد من الأولى ويواجه الثانية بالحجج والبراهين الدامغة، وكذلك طبق هذا المنهج أثناء حديثه عن التصوف وعن الشيعة، فهو يقرر المحمود وينتقد بهدوء المرفوض والمذموم.

- **التزام الصدق في التعبير وترك التكلف والتصنع :**

إن قارئ رسائل النور لا يلمس دغدغة مجانية أو تخويفا، ولا تيئيسا أو نواحا على غيب مجهول القرار. لقد كان النورسي يفكر بوجدان عقلي ويعرب عن الحقيقة بعيدا عن أي لون من ألوان الزيف، الأمر الذي يجعلنا نحس أحيانا أنه يرجح المعنى على الشكل، وكأنه يختار الشكل الفطري بدل الاصطناعي، فهو يطرح الكلمات والمعاني كما تخرج من أعماقه، ويضعها وافية بين يدي القارئ.

---

[1]- أنظر "صقيل الإسلام" بديع الزمان سعيد النورسي، ص : ١١٢ بتصرف.

[2]- المصدر نفسه، ص : ١١٤.

- آداب العرض ومنهج التعفف وعدم خدش الشعور :

إن منهج العرض الذي سلكته الرسائل، منهج جمالي ابتداء إذ ألزمت نفسها بأخلاق التعفف، وعدم السقوط في ذكر الفواحش صريحة عارية فاضحة، كما التزمت بعدم التعرض للأشخاص والنيل من أخلاقهم وأفكارهم.

وخلاصة القول في هذا المقام، فلقد كان النورسي لا يقل شأنا عمن كتب من العلماء السابقين أسلوبا وصياغة وتركيبا ومنهجا، حتى إن القارئ المتأمل في رسائل النور يتعجب من انعدام خطاب الدفاع عن النفس، والانتقام لها ضد الأعداء، رغم كثرة الابتلاءات التي تعرض لها صاحبها طوال حياته. وهو ما يجعل الخطاب النورسي متسما بالتوازن والواقعية، والحكمة والمعقولية، ويمنحه قدرة على المواجهة المستمرة.

المبحث الثاني:
منهج تعامل رسائل النور مع القرآن الكريم

سبقت الإشارة إلى مركزية القرآن الكريم وهيمنته على الخطاب النورسي، وفي هذا الموضع نحاول الكشف عن طرق التعامل مع القرآن عند بديع الزمان سعيد النورسي وفق العناصر الآتية بحسب ما يتوافق مع مقاصد البحث وأغراضه.

توطئة : تعريف القرآن عند بديع الزمان سعيد النورسي:

نحا النورسي في تعريفه للقرآن الكريم منحا يختلف فيه عن علماء القرآن، حيث عرفه انطلاقا من ثمراته ومقاصده وأهدافه الرسالية، يقول رحمه الله : "فإن قلت: القرآن ما هو؟

قيل لك: هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم... وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض... وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المضمرة في سطور الحادثات... وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة، وكذا هو خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية... وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي... وكذا هو خريطة للعالم الأخروي... وكذا هو القول الشارح، والتفسير الواضح، والبرهان القاطع، والترجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه...

وكذا هو مرب للعالم الإنساني، وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي إلى ما خلق البشرية له وكذا هو للإنسان: كما أنه كتاب شريعة كذلك هو كتاب حكمة. وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية، كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل. حتى إنه قد أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين

رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل".[1]

إن المتأمل في هذا التعريف، يدرك شمولية التصور النوري حول حقائق القرآن، كما يقف على المنحى التجديدي الذي نحاه النورسي في بحوثه المتعلقة بالقرآن الكريم وإعجازه، فهو لم يشغل نفسه بالوصف الظاهري والتحديد النوعي، كالمناطقة أو الأصوليين القدماء، وإنما اختار الغوص على الحقيقة والجوهر والمقاصد والغايات[2].

إن النورسي، رحمه الله، ملم بتعريفات المفسرين وعلماء القرآن، لكنه لم يكن يقصد في بيان (مفهوم القرآن) إلى صياغة تعريف حدي. على طريقة علماء القرآن – غايته حصر العقول في معنى (القرآن)، من حيث هو (مصحف مكتوب) بما لا يدع مجالا للخلط بينه وبين غيره. أو تحريفه بالزيادة والنقصان، فتلك غاية تكفل الله بما سبحانه، إذ قال عز وجل: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ** ۝٩﴾.[3] وعلماء القرآن والمفسرون ثم حفاظ الأمة من ورائهم، هم الذين سخرهم الله جل جلاله. لتنفيذ هذه المهمة العظيمة، إلا أن بديع الزمان ما كان يسعى إلى هذا، بقدر ما كان يسعى إلى محاولة تعريف (القرآن)، من حيث هو (كلام رب العالمين)، المتوجه برسالته إلى الإنسان حامل الأمانة، فكأنه رحمه الله، كان يروم تعريف (القرآن)، من حيث هو مضمون، ومقاصد، لا أحرف ورسوم.[4]

إن هذا التصور الشمولي لحقيقة القرآن الكريم، ورسالته الكبرى في الكون والحياة، هي القاعدة المتينة التي بنى النورسي عليها جل تصوراته ومعالجته لقضايا الإنسان وما يرتبط به من حقائق.

فرسائل النور كلها تفصيل لهذا المجمل، أو الكل التعريفي وبيان لمفرداته وأجزائه.

---

[1]– أنظر "إشارات الإعجاز"، ج٥، ص : ٢٢.

[2]– المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي، ١٩٩٨ نحو فهم عصري للقرآن الكريم، مشاركة الدكتور أحمد أبوزيد "مظاهر التجديد في بيان إعجاز القرآن عند بديع الزمان سعيد النورسي، القاهرة : دار سوزلر، ط ١، ص : ٣٢٧.

[3]– أنظر سورة الحجر، الآية ٩.

[4]– "مفاتح النور" الدكتور فريد الأنصاري، ص : ٢١٦–٢١٧.

منهج التعامل مع القرآن عند بديع الزمان سعيد النورسي:

قبل الحديث عن المنهجية الكلية المعتمدة في تفجير معاني القرآن عند بديع الزمان، لابد من الإشارة إلى نقطة مهمة تتعلق بتحديد موقع رسائل النور من كتب التفسير، والسؤال الذي تفرضه طبيعة الموضوع هو: هل ما كتبه النورسي في رسائله يعد تفسيرا للقرآن الكريم؟ أم إنه مجرد نظرات وجدانية ذوقية تفتقد لقواعد التفسير وشروطه؟

يجيب النورسي في أكثر من موضع في رسائل النور عن هذا السؤال، ويعتبر الرسائل تفسيرا قيما للقرآن الكريم، يقول رحمه الله، في الشعاعات : "إن رسائل النور تفسير للقرآن الكريم، نابع من القرآن مدعم بالبراهين، لذا فإن فيها تكرارات ضرورية مساقة لحكمة ومصلحة كالتكرارات القرآنية اللطيفة، الحكيمة، الضرورية والتي لا تسئم القارئ أبدا"[1].

ويقول في الملاحق: "إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له. وهي لمعة براقة من لمعان إعجازه المعنوي ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته".

إن رسائل النور ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر منحدرة من العلوم والفنون، فلا مصدر لها سوى القرآن، ولا أستاذ لها إلا القرآن، ولا ترجع إلا إلى القرآن...، ولم يكن لدى المؤلف أي كتاب آخر حين ألفها فهي ملهمة مباشرة من فيض القرآن الكريم، وتنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة"[2] وغيرها من النصوص التي تؤكد أن رسائل النور تفسير قيم للقرآن الكريم، ولكنه يختلف تماما عن التفاسير الأخرى باعتباره فيضا من القرآن وإلهاما من هدايته.

إن حصر النورسي مصدر رسائل النور في القرآن الكريم في ضوء الفيض والإلهام والشهود يضعنا في صميم الإشكالات الآتية:

---

[1]- أنظر، الشعاعات ج ٤، ص : ٩٥.

[2]- أنظر "الملاحق في فقه دعوة النور"، ج٧، ص : ٢٢٠-٢٢١.

هل رسائل النور تعد من قبيل التفسير الإشاري الصوفي؟ أم أنها تفسيرات شهودية تختلف عن مسالك التفسير الإشاري الصوفي؟... ثم لماذا اختار النورسي بعض الآيات وتناولها بالتفسير وترك البعض؟ مع أن المشهور في كتب التفسير بيان القرآن كله. وما هي الآليات التي اعتمدها النورسي في استكشاف معاني القرآن وتفعيله في واقع الإنسان المعاصر؟ وهل كان النورسي في تفسيراته يستبطن قواعد التفسير وشروطه، أم أنه وجد نفسه مسوقا إلى كتابة فيوضات وتفسيرات شهودية وجدانية تختلف عن باقي التفاسير اختلافا كبيرا.

أحاول الإجابة عن هذه الإشكالات، انطلاقا من تحليل العناصر الآتية والتي تشكل المفردات الكبرى المكونة لمنهج التعامل مع القرآن عند بديع الزمان سعيد النورسي.

- **التفسير عند بديع الزمان سعيد النورسي في ضوء رسائل النور وأنواعه:**

يمكن تقسيم المواضيع التي عرض فيها النورسي لتفسير القرآن الكريم إلى قسمين:

الأول: المواضيع التي تشتمل على تفسير خالص قصد فيها تفسير سورة أو آيات، ولم يخالط كلامه في التفسير، في هذه المواضع موضوعات أخرى، وهذه المواضيع هي كتاب إشارات الإعجاز وتفسير سورة الفاتحة.[1]

ثانيا: المواضع التي تشتمل على التفسير وغيره، وقد يكون مقصوده الأول في هذه المواضع البحث في التفسير، إلا أنه يستطرد بذكر أمور أخرى تجعل التفسير جزءا يسيرا منها. وقد يكون التفسير في هذه المواضع عارضا، بأن تذكر آية فيتم توضيحها، أو أن يستشهد بمعنى الآية على فكرة.

ولم يقصد النورسي تفسير القرآن آية آية، وإن كان قد شرع فيه في إشارات الإعجاز، إلا أنه اتجه بعد تفسير عدد قليل من الآيات اتجاها آخر، وانتقل إلى أسلوب مغاير تماما، لم يلتزم فيه بتفسير ألفاظ القرآن كلها، أو بالسير على ترتيب المصحف في حديثه عن الآيات، ولكنه كان دائم الاستشهاد بها وهي محور جميع رسائل النور ومنطلق أفكارها، ولذا فقد كان النورسي

[1]- الشعاعات، ج٤، ص : ٦٤١-٦٥٣.

دقيقا حين عبّر عن رسائله بأنها رشحات، ولمعات، وشعاعات، وقبسات من أنوار القرآن الكريم وفيوضاته. [1]

إن هذا الاتجاه الذي نحاه النورسي في خدمة حقائق القرآن، نابع من طبيعة المرحلة التي كان يعيشها، حيث حتّم المد الإلحادي، وطغيان الفلسفة المادية على الحياة وجود تفسير شهودي إيماني يشرح حقائق الإيمان في ضوء القرآن، انطلاقا من أسس الكتاب المنضور (الكون)، والكتاب الناطق محمد صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله.

لقد رأى النورسي بثاقب فكره، أن التفسير نوعان : الأول وهو المشهور في كتب المصنفين يهتم ببيان اللفظ والعبارة، والجملة في الآية الكريمة، والثاني: يركز على الحقائق الإيمانية ويثبتها بالحجج والبراهين القوية. يقول رحمه الله : "التفسير نوعان:

الأول: التفاسير المعروفة التي تبين وتوضح وتثبت معاني عبارات القرآن الكريم وجمله وكلماته.

القسم الثاني من التفسير: هو إيضاح وبيان واثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم إثباتا مدعما بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة، ولهذا القسم أهمية كبيرة جدا.

أما التفاسير المعروفة والمتداولة، فإنها تتناول هذا النوع الأخير من التفسير تناولا مجملا أحيانا، إلا أن رسائل النور اتخذت هذا القسم أساسا لها مباشرة فهي تفسير معنوي للقرآن الكريم بحيث تلزم أعتى الفلاسفة وتسكتهم". [2]

يتبين من خلال هذا النص، أن تفسيرات النورسي بعيدة عن التفسيرات الإشارية الصوفية غير المشروعة التي تنفي الظواهر، وتبني الحقائق على البواطن.

فالنورسي، وإن كان في تفسيره يكتب بلغة الذوق، إلا أنه لم يخرج عن قواعد التدبر والتفكر التي سطرها العلماء في ضبط التفسير الإشاري وهي:

---

[1]- أنظر "بحوث في الإعجاز والتفسير في رسائل النور"، الدكتور أحمد خالد شكري، القاهرة : شركة سوزلر، ط١، ٢٠٠٤، ص : ٤٦.

[2]- أنظر الشعاعات، ج٤، ص : ٥٦٢.

١. ألا يكون التفسير الإشاري يتنافى وما يظهر من معنى النظم القرآني.
٢. ألا يُدعى أنه هو المراد وحده دون الظاهر، أو باقي وجوه التفسير.
٣. ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.
٤. أن يكون له شاهد شرعي يؤيده. [١]

إن هذه الشروط الواجب إتباعها حين النظر في التفسير الإشاري، والحكم عليه بالقبول أو الرفض، نجدها ماثلة في رسائل النور. فالنورسي يعترف في أكثر من موضع من رسائله أن كلماته ما هي إلا وجه من الوجوه التفسيرية، ونور من أنوار الحقائق القرآنية المتنوعة، يقول رحمه الله: "إن جمل القرآن الحكيم لا تنحصر في معنى واحد، بل هي في حكم كلي يتضمن معاني لكل طبقة من الطبقات البشرية، وذلك لكون القرآن الكريم خطابا لعموم طبقات البشر، لذا فالمعاني المبنية هي في حكم جزئيات لتلك القاعدة الكلية، فيذكر كل مفسر، وكل عارف بالله جزءا من ذلك المعنى الكلي ويستند في تفسيره هذا، إما إلى كشفياته أو إلى دليله أو إلى مشربه، فيرجح معنى من المعاني". [٢]

إن النورسي يسير في هذا السياق التفسيري على طريق السلف، فقد ظلت دلالة النص القرآني تتأسس في نظر الشراح والمؤولين من رجال السلف على أربعة مستويات. إذ لها ظاهر وباطن وحد ومطلع...، بل لقد رأيناهم يستوعبون ظاهرة الإعجاز بروح تلهج بخصائصها المبهرة وتتواجد بمقوماتها البيانية جملة، فليس عندهم في فذاذة البيان القرآني عنصرا أدائيا، حتى النقطة والحرف، إلا وله حظ ثابت من البيان وإسهام في إحداث الأثر القدسي. [٣]

إذن من خلال ما سبق، أن رسائل النور تندرج ضمن التفاسير الإشارية المشروعة، ولكنها تتميز عنها بكونها صادرة عن مركزية واحدة، تتمثل في القرآن الكريم وهدايته. أما

[١]- أنظر "أصول التفسير وقواعده"، الشيخ خالد عبد الرحمان العك، دار النفائس، ط ٤، ١٤٢٤-٢٠٠٣، ص : ٢٠٨.
[٢]- أنظر "المكتوبات"، ج٢، ص : ٤٢٢.
[٣]- النورسي في رحاب القرآن الدكتور عشراتي سليمان، القاهرة : دار سوزلر، ط ١، ١٩٩٩، ص : ١٦٠-١٦١.

التفاسير الإشارية فهي تستمد أصالتها من القرآن الكريم وغيره من المنافذ العلمية والتجارب الذوقية.

لقد كان النورسي ينطلق من القرآن، ليكشف عن حقائق الإيمان في ضوء منهجية قرآنية لا تخرج عن ضوابط التفسير السديد ولا تبقى حبيسة الدلالات اللغوية للألفاظ، وإنما تتجاوزها إلى حدود التعبير عن المقاصد العليا للإسلام، والرؤية الكونية لمجمل القضايا، انطلاقا من إعجاز القرآن، وفي ما يأتي نتناول عناصر هذه المنهجية بالدرس والتحليل.

- **الشروط المرتبطة بالمفسر:**

يسوق أحد تلاميذة الأستاذ النورسي المخلصين، وممن لازمه طوال حياته مجموعة من الشروط والخصائص، توفرت في بديع الزمان سعيد النورسي وانعكست على رسائله يقول رحمه الله: "ولقد اتخذنا أسسا معينة، ومقاييس ثابتة، قسنا على ضوئها صاحب ذلك المؤلف، ومؤلفه الذي يؤدي وظيفة المرشد الكلي، وينهض مهمة الرائد العام في القرن العشرين، تلك الأسس هي:

١- أن يتخذ المفسر القرآن الكريم أستاذا له، أي يكون القرآن الكريم مرشده.

٢- يجب أن يبقى مفسر القرآن الكريم مصونا من تأثير مسلكه ومشربه الخاص، بعيدا عن أذواقه الشخصية وهواه عند تفسيره القرآن، كي تظل الحقائق القرآنية على صفائها ونقائها، أي دون أن يشوب نصاعتها بألوان مشربه الخاص. وعندها فقط يمكن أن يكون التفسير صادقا لإظهار حقائق القرآن".

ولما كان القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي المقدس الذي يضم بين دفتيه العلوم الحقة كلها، والخطاب الرباني الذي يخاطب به جميع طبقات البشرية وفي العصور كافة، لذا يلزم أن يكون ذلك المفسر متخصصا في كل علم من العلوم، ويكون ذا فكر واسع واطلاع شامل، ونظر دقيق ثاقب وعلى إخلاص تام أي يلزم أن يكون علامّة جهبذا ذكاء سام، واجتهاد عميق نافذ، وله من القوة القدسية والعناية الربانية نصيب وافر...، كل ذلك كي يتمكن من

إيضاح تلك الحقائق التي أتى بها القرآن الكريم على نصاعتها، ويكشف عن تلك المعاني الواسعة العميقة على حقيقتها.

٣- يجب أن يكون المفسر على إخلاص تام مع الله سبحانه وتعالى، أي لا يرجو شيئا من منفعة مادية أو معنوية من أحد سواه، ولا يبتغي غير مرضاته...وأن تكون هذه الحالة السامية ظاهرة واضحة عليه بحوادث كثيرة غزيرة طوال حياته وليست طارئة.

٤- إن إحدى معجزات القرآن الكريم من احتفاظه على جدته، ونضارته، وفتوته، وتوجهه إلى كل عصر من العصور، وتطلعه إلى حاجاته وكأنه ينزل في ذلك العصر، لذا فالتفسير الذي يبرز إلى الوجود في هذا العصر يجب أن يكشف تلك الوجهة من القرآن الكريم المتوجهة إلى عصرنا هذا، ويوضحها ويبينها بأسلوب واضح يستفيد منه الجميع، ابتداء من العوام وانتهاء إلى الخواص دون أن يبقى أحد منهم محروما منه.

٥- أن يتخذ المفسر "الايجابية في الثبات" منهجا له، أي أن يثبت بأدلة دامغة قوية، وحجج رصينة لا تفند تلك الحقائق التي جاء بها القرآن الكريم.

٦- أن يكون أسلوبه بليغا نافذا عند بيانه حقائق القرآن الكريم، حيث ينور كلا من العقل والقلب والروح والوجدان معا، بل يكون على بلاغة قوية بحيث يستحوذ على أقطار النفس ويسخرها، بل يلزم الشيطان ويفحمه.

٧- ينبغي أن يكون المفسر مترفعا عن الأنانية والغرور والعجب والفخر، وعن غيرها من الصفات التي تحجب رؤية الحقيقة وإدراكها، ويكون متصفا بأخلاق وخصال حميدة كالتواضع، والتضحية، والشجاعة.

٨- لا بد أن يكون المفسر ممن أكرمه الله بإتباع السنة المطهرة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ويكون عاملا بعلمه وفق ما عليه أهل السنة والجماعة، وأن يكون عظيم التقوى والزهد، والإخلاص والثبات في خدمة الدين، والصدق، والوفاء والتضحية، مع اقتصاد تام وقناعة كاملة.

٩- وينبغي ألا يبقى المفسر عند قيامه بتفسير مسالك القرآن، وأمور الشرع، تحت تأثير هذا أو ذاك من أنواع الضغوط والتضييقات والملاحقات، ولا يأبه بأي نوع من أنواع البلاء، ولا يكترث بالعذاب الذي يصيبه فلا يصدر فتوى تحت أي نوع من أنواع التأثير، بل يستخف بالموت ويتحدى العالم أجمع بما وهبه الله من قوة الإيمان، والصلابة على الحق، ويصدع بالحق الأبلج بشجاعة نادرة وبسالة فائقة، من دون أن يتسرب إليه التردد أو يخامره الريب مهما كانت الأحوال والظروف[١].

هذه الشروط القوية تمثلت جميعها في شخصية النورسي، مما جعل رسائله قمة في العطاء، ومثالا في السمو والرفعة، ونموذجا رائعا في التفسير الإيماني البرهاني الإعجازي. كما وسمه بذلك الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر[٢].

- آليات التعامل مع القرآن الكريم:

عرف تاريخ التعامل مع القرآن الكريم، مفاتيح متنوعة للدخول إلى معانيه واكتشاف كنوزه وأسراره، فهناك المفتاح اللغوي، والمفتاح البياني البلاغي، والمفتاح الفقهي، والمفتاح الأدبي، وغيرها من المفاتيح التي ركز عليها كل مفسر للقرآن أو مهتم بقضاياه، والنورسي رحمه الله، وإن لم يفسر القرآن كله، فقد كشف عن منهجيته المقاصدية الكونية الإعجازية، في ضوء ما تناوله من آيات مختارة، مناسبة لطبيعة التحديات التي كانت تواجه المجتمع الإسلامي آنذاك.

لقد اختار النورسي بعض الآيات، وتناولها بالدرس والتحليل والتفسير، إيمانا منه أن القليل من الآيات من سور مختلفة تكشف عن حقيقة القرآن ومقاصده العليا في بناء الإنسان وعمارة الأرض، يقول رحمه: "اعلم أن تضمين كل سورة سورة من القرآن مجمل ما في كل القرآن وسائر السور من المقاصد وأهم القصص، لأجل أن لا يحرم من يقرأ سورة فقط عما

---

[١]- فقرات من محاضرة طويلة قيمة (لزبير كوندوز آلب) أحد تلامذة النورسي ألقاها في جامعة أنقرة تشرين الثاني سنة ١٩٥٠، أنظر "خادم القرآن والإيمان العلامة الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي ومنهجه في تفسير القرآن وبيان بلاغته وإعجازه"، للدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، جامعة الأزهر، ط ١، ١٩٩٧ من ص : ٢٧ إلى ص : ٣٠.

[٢]- نفس المصدر، ص : ٦.

أنزل له التنزيل، إذ في المكلفين الأمي أو الغبي: ومن لا يتيسر له إلا قراءة سورة قصيرة فقط، فمن هذه اللمعة الإعجازية تصير السورة قرآنا تاما لمن قرأها". [١]

فالقرآن هو النص الذي امتلك خاصية تركيبية ذاتية اجتزائية، إذ أن آياته استوفت قوامه، تفي بغرض من الإفادة والكفاء الأدائي، سواء سيقت ضمن بنيتها النصية أم اجتزأت واستنطقت بانفراد وعلى حدة. [٢]

يقول النورسي رحمه الله، مؤكدا هذه الحقيقة : "ومن مزايا لطف إرشاده : أن آياته مع كمال الانسجام وغاية الارتباط وتمام الاتصال بينها، يتيسر لكل أحد أن يأخذ من السور المتعددة آيات متفرقة لهدايته وشفائه، كما أخذها عموم أهل المشارب وأهل العلوم، فبينما تراها أشتاتا باعتبار المنازل والنزول، إذ تراها قد صارت كقلادة منظمة ائتلفت واتصلت مع أخواتها الجديدة، فلا بالفصل من الأصل تنتقص، ولا بالوصل بالآيات الأخر تستوحش، فهذا السر يشير إلى أن لا أكثر الآيات الفرقانية مع سائر الآيات مناسبات دقيقة يجوز ذكرها معها واتصالها بها"[٣].

إن هذا النص، يكشف عن قناعة تامة انطلق منها النورسي لبناء مشروعه التفسيري، وهو أن القليل من الآيات يكفي في علاج مشكلات العصر إذا توفرت الشروط والمفاتيح المعتبرة في استنطاق معانيها وإبراز أسرارها. وفي ما يأتي نتناول كبرى هذه المفاتيح بالدرس والتحليل.

---

[١]- أنظر المثنوي ج٦، ص : ٢٠٨.

[٢]- "النورسي في رحاب القرآن" عشراتي، ص : ٢٢٥.

[٣]- المثنوي ج٦، ص : ٢٤٩.

١- مفتاح إعجاز القرآن:

تحدث النورسي عن وجوه الإعجاز القرآني في رسائله، حيث خصص الكلمة الخامسة والعشرين للحديث عن المعجزات القرآنية وبيان أنواعها، كما كشف في كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" عن أنواع الإعجاز البلاغي، وغيرها من المواضع التي تحدث فيها عن هذا الموضوع[١]. وليس غرضي في هذه الموضع البحث في نظرية الإعجاز عند النورسي، بقدر ما نروم الكشف عن الخطوط الكبرى والمفردات الكلية المؤسسة لهذه النظرية، والتي اتخذها النورسي آلية مهمة وقاعدة صلبة لمعالجة القضايا الإنسانية ومواجهة الفلسفة المادية، يقول رحمه الله مجملا هذه الوجوه الكثيرة التي أوصلها إلى الأربعين، في كتابه "إشارات الإعجاز" : "إن إعجاز القرآن يتجلى من سبعة منابع كلية ويتركب من سبعة عناصر.

المنبع الأول: سلاسة لسانه من فصاحة اللفظ، إذ تنشأ بارقة بيانه من جزالة النظم، وبلاغة المعنى، وبداعة المفاهيم، وبراعة المضامين، وغرابة الأساليب، فيتولد نقش بياني عجيب وصنعة لسان بديع، من امتزاج كل هذه في نوع إعجاز لا يمل الإنسان من تكراره أبدا.

المنبع الثاني: هو الإخبار السماوي عن الغيوب في الحقائق الغيبية الكونية، والأسرار الغيبية للحقائق الإلهية.

المنبع الثالث: هو أن للقرآن جامعية خارقة من خمس جهات في لفظه، وفي معناه، وفي أحكامه، وفي علمه، وفي مقاصده.

المنبع الرابع: إفاضته النورانية حسب درجة فهم كل عصر، ومستوى أدب كل طبقة من طبقاته، وعلى وفق استعدادها ورتب قابليتها.

فبابه مفتوح لكل عصر ولكل طبقة من طبقاته، حتى كأن ذلك الكلام الرحماني ينزل في كل مكان وفي كل حين.

فكلما شاب الزمان شب القرآن وتوضحت رموزه.

---

[١]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٥٢٢-٥٣١. "المكتوبات" ج٢، ص : ١١٥-١٤٣-٥٢٢. و"اللمعات" ج٣، ص : ٤٩-٣٤٦. و"صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٧٩-١١٣.

المنبع الخامس: فنقوله وأخباره في أسلوب بديع عزير المعاني إذ ينقل النقاط الأساس للأخبار الصادقة كالشاهد الحاضر لها، وينقل هكذا لينبه بها البشر.

ومنقولاته هي الآتية: أخبار الأولين، وأحوال الآخرين، وأسرار الجنة والجحيم، حقائق عالم الغيب، وأسرار عالم الشهادة، والأسرار الإلهية والروابط الكونية، تلك الأخبار المشاهدة شهود عيان حتى إنه لا يردها الواقع ولا يكذبها المنطق، بل لا يستطيع ردها أبدا ولو لم يدركها.

المنبع السادس: إنه مؤسس دين الإسلام ومتضمنه، ولن تجد مثل الإسلام إن تحريت الزمان والمكان، لا في الماضي ولا في المستقبل. إنه حبل الله المتين، يمسك الأرض لئلا تفلت، ويديرها دورانا سنويا ويوميا. فلقد وضع وقاره وثقله على الأرض وساسها وقادها وحال بينها وبين النفور والعصيان.

المنبع السابع: إن الأنوار الستة المفاضة من هذه المنابع الستة يمتزج بعضها ببعض، فيصدر شعاع حسن فائق، ويتولد حدس ذهني هو الوسيلة النورانية. والذي يصدر عن هذا: ذوق يدرك به الإعجاز. الذي يعجز لساننا عن التعبير عنه وفكرنا يقصر دونه. فتلك النجوم السماوية تشاهد ولا تستمسك. طوال ثلاثة عشر قرنا من الزمان يحمل أعداء القرآن روح التحدي والمعارضة... وتولدت في أوليائه وأحبائه... روح التقليد والشوق إليه. وهذا هو بداية برهان للإعجاز.

وإذا كتبت من جراء هاتين الرغبتين الشديدتين ملايين الكتب بالعربية، فلو قورنت تلك الملايين من الكتب مع القرآن الكريم، لقال كل من يشاهد ويسمع، حتى أكثر الناس عامية، دونك الذكي الحكيم.

إن هذه الكتب بشرية وهذا القرآن سماوي.

ولقد فتح أبوابه على مصراعيه للبشر، ونشر مضامينه أمامهم طوال هذه المدة الطويلة، ودعا لنفسه الأرواح والأذهان.

ومع هذا لم يستطع البشر معارضته، ولا يمكنهم ذلك، فلقد انتهى زمن الامتحان"[1].

إن هذه الوجوه الإعجازية التي اختصرتها، تشكل إحدى القواعد الأساس، والمفاتيح الهامة للدخول إلى قضايا الإنسان ومعالجة مشاكله، انطلاقا من القرآن الكريم.

فالنورسي رحمه الله، اعتمد وجوه الإعجاز القرآني منطلقا أساسا لبناء رؤية تفسيرية حضارية تواجه المدنية الغربية، فهو وإن كان قد قرر بعض الوجوه التي ذكرها العلماء من قبل، إلا أن عرضه لها تميز بأسلوب تتطلبه روح العصر وطبيعة المواجهة، فاكتسبت حيوية تمكنت بها من الوقوف في ساحة المواجهة مرة أخرى، واستخرج من الوجوه ما كان الدواء الشافي لأمراض العصر، ليكون بهذا ابن بيئته وابن زمانه، يبحث للمعركة عن سلاح يناسبها، ويقف لها على أرضية تلائمها. [2]

٢- مفتاح مقاصد القرآن الكريم:

لكل عصر طريقته في استخراج كنوز القرآن، واستنطاق جواهره طبقا لطبيعة الظروف العلمية، والانجازات المعرفية، والتحديات المفروضة المواكبة لزمن مفسريه. ورسائل النور تفسير قيم للقرآن الكريم، تميزت طريقتها بالتركيز على أهمية الحقائق الإيمانية في حياة الإنسان.

لقد رأى النورسي أن طبيعة المرحلة، تقتضي خطابا كليا يقوم على مقاصد القرآن الأساسية لمواجهة المشكلات الإنسانية، والدفاع عن لحمة الإسلام التي كادت أن تتمزق بفعل انتشار الفكر الإلحادي في الأوساط الاجتماعية، وهيمنته على سائر المؤسسات.

هذه المقاصد القرآنية الأساسية تستمد أصالتها من شمولية القرآن وخلود معانيه في كل زمان ومكان، وإجابته عن أسئلة كل الطبقات البشرية، يقول النورسي: "اعلم أن القرآن خطاب ودواء لجميع طبقات البشر من أذكى الأذكياء إلى أغبى الأغبياء، ومن أتقى الأتقياء إلى أشقى الأشقياء، ومن الموفقين المجدين الفارغين من الدنيا إلى المخذولين المتهاونين المشغولين بالدنيا. فإذا لم يمكن بالإمكان بالنسبة لكل واحد في أي وقت قراءة تمام القرآن الذي هو داء

[1]- الكلمات ج١/ ص ٨٨١-٨٨٢-٨٨٣، بتصرف.

[2]- أنظر إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية د. زياد الخليل محمد الدغامين: ص ٤٤.

وشفاء لكل أحد في كل وقت. فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سور القرآن، لاسيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآنا صغيرا فسهل السبيل لكل واحد. وينادي مشوقا ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ (*)"[1].

إن هذا النص، يجعل المقاصد القرآنية العنصر الرابط بين جميع السور، والمقوم الأساس المعبر عن أغراضها وأهدافها. فالقرآن الكريم في رأي بديع الزمان، وإن كان يتناول كل القضايا المرتبطة بالوجود والحياة والإنسان، إلا أن هذا التناول يمكن إدراج وجوهه في هذه المقاصد القرآنية الكلية. وتنحصر هذه المقاصد في أربعة عناصر: التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة. يقول رحمه الله: "اعلم أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة مع العبودية. فيصير سائر المسائل وسائل هذه المطالب"[2]، وفي "إشارات الإعجاز يقول: "إن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة : التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة،... وكما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كله، كذلك قد تتجلى في سورة سورة، بل يلمح بها في كلام كلام، بل قد يرمز إليها في كلمة كلمة، لأن كل جزء فجزء كالمرآة لكل فكل متصاعدا. كما أن الكل يتراءى في جزء متسلسلا"[3].

يتضح من خلال هذا النص، أن مضمون الرسالة القرآنية قائم على هذه المقاصد الأربعة، وقاصد إلى تحقيقها في حياة المجتمعات والشعوب. فالقرآن كله بسوره وآياته، يسعى إلى إثبات وجود الصانع الواحد، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإثبات إمكانية وقوع الحشر وإثبات العدالة الإلهية في الدنيا والآخرة.

(*)- سورة القمر، الآية ١٧.

(١)- المثنوي ج٦، ص : ٧٥.

(٢)- المصدر نفسه، ص : ٧٥.

(٣)- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ج ٥، ص : ٢٣-٢٤.

هذه المقاصد الأربعة تشكل القاعدة الصلبة لتفسير نصوص القرآن الكريم عند بديع الزمان سعيد النورسي. فرسائل النور كلها حديث عن هذه المقاصد، وشرح لمفرداتها ووسائلها، وقد بحث النورسي عن التوحيد، والعدالة، والنبوة، والحشر في جل رسائله، واعتبرها المفتاح الأهم لمعالجة مشاكل الإنسان في ضوء القرآن.

ومما يجدر التنبيه إليه، هو أن النورسي لم يكن غرضه تأليف تفسير كباقي التفاسير، وإنما مواجهة تحديات المرحلة، انطلاقا من تفسير معاصر يناسب طبيعة التحديات ويتخذ من مقاصد القرآن الكريم أساسا لعلاج كل المشكلات المستجدة على ساحة الصراع الشديد بين الحق والباطل.

إن الاهتمام بهذه المقاصد وجعلها أساس المعالجة، نابع من حجم التحديات التي كان يواجهها المجتمع التركي آنذاك، فأصول الإيمان ومقوماته أصبحت غائبة في حياة المسلمين، بسبب طغيان الفلسفة الإلحادية وهيمنتها على المؤسسات التعليمية والحكومية، الأمر الذي يحتم تجديد هذه الأصول في نفوس المسلمين وإحيائها في نشاطهم الاجتماعي والثقافي.

لقد رأى النورسي أن الدائرة الإيمانية هي الدائرة الكبرى التي ينبغي تجديدها في حياة الإنسانية، ثم تليها الدوائر الأخرى الاقتصادية والسياسية... ولهذا ركز على مقاصد القرآن في عملية البناء والمواجهة.

يقول رحمه الله: "نعم إنه ينبغي لهذا العصر من مجدد له شأنه، ليقوم بتجديد الدين والإيمان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة، وتجديد الحقوق العامة والسياسة الإسلامية.

ولكن أهم تلك الوظائف، هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية، فهي أجل وأعظم تلك الوظائف الثلاث. لذا تبقى دوائر "الشريعة" و"الحياة الاجتماعية والسياسية" في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لدائرة الإيمان"[1].

[1]- أنظر "الملاحق" ج٧، ص : ١٩٦.

يتبين من خلال هذا أن النورسي حينما اعتمد مفتاح مقاصد القرآن لمعالجة مشاكل الإنسان، كان ينطلق من القرآن ذاته الذي ركز على هذه المقاصد وذكرها في كل أجزائه وأفراده، كما كان يراعي طبيعة المرحلة التي اتسمت بالهجوم على مقومات الإيمان (من توحيد ونبوة وحشر وعدالة).

٣- مفتاح الكون:

يشكل الكون في نظر بديع الزمان مفتاحا مهما لفهم مقاصد القرآن وغايته والدفاع عن حقائقه ضد شبهات الملحدين[١]، فرسائل النور كلها دمج بين قراءة الكتاب المنظور والكتاب المتلو، للتدليل والبرهنة على أهمية الإيمان في حياة الإنسان وأثر التوحيد في بناء الأمم والشعوب.

لقد اعتبر النورسي أن الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم هي تعليم شؤون دائرة الربوبية وكمالاتها، ووظائف دائرة العبودية وأحوالها[٢]، والكون يشترك مع القرآن في تحقيق هذه المهمة وتأكيدها في العقول والأذهان بما يشتمل عليه من حقائق وأسرار تدل على الله عز وجل. وتكشف عن حقيقة أسمائه الحسنى. يقول النورسي رحمه الله: "والشجرة التي هي بمثابة كلمة، وثمارها التي هي بحكم حروف تلك الكلمة، وبذور الثمر كأنها نقاط تلك الحروف التي تضم فهرس الشجرة كاملا وتحمل خطة أعمالها، هذه الشجرة إذا أخذناها مثالا وقسنا عليها كتاب الكون الكبير، نرى سطوره وصحائفه قد صارت بتجلي أنوار اسم (الحكيم الحكم) معجزة باهرة، بل غدت كل صحيفة منه، وكل سطر منه وكل كلمة، وكل حرف، وكل نقطة معجزة تبلغ من العظمة مالو اجتمعت الأسباب المادية كلها على أن تأتي بمثل تلك النقطة –أي البذرة– أو بنظيرها لا تأتي بمثلها، بل تعجز الأسباب جميعها عجزا مطلقا عن معارضتها.

---

[١]– للمزيد من الإطلاع على هذه الحقيقة ينظر في بحث الأستاذ الدكتور فاروق حمادة، "الطبيعة والكون في فكر النورسي دلالة وأثرا وهدفا" ضمن كتاب جهود النورسي في تجديد الفكر الإسلامي: يقول حفظه الله: "وكانت شدة التأثر بالكون والطبيعة تريه القدرة الإلهية في كل شيء، وجمال الوجود يظهر له حكمة الخالق وجماله في كل شيء، فجعل الكون والطبيعة شهب أدلة للملحدين وأنوار هداية للراغبين، فكان في هذا الباب مجددا فذا، وإماما متميزا رائدا يقود الظامئين لتحقيق العبودية بين يدي رب العالمين"، ص : ٩٦.

[٢]– الكلمات ج١، ص : ٢٩٣.

نعم ! إن كل آية كونية من آيات قرآن الكون المنظور تعرض للأنظار معجزات نيرات هي بعدد نقاطها وحروفها، فلا جرم أن المصادفة العشواء، والقوة العمياء والطبيعة الصماء البلهاء التي لا هدف لها ولا ميزان، لا يمكنها أن تتدخل في أي جهة كانت –في هذا الميزان المتقن الخاص، وفي هذا الانتظام الدقيق البديع المتسمين بالحكمة والبصيرة، فلو افترض تدخلها – جدلا – لظهر أثر التدخل، بينما لا يشاهد في أي مكان تفاوتا ولا خللا قط"[1]. إن إطلاق وصف القرآنية على الكون، منشؤه التوافق والاتحاد الوظيفي لكل من الكون والقرآن في التعبير عن حقائق الربوبية والألوهية.

فالكون بمكوناته وحروفه وأجزائه يدل على خالقه، والقرآن بأحكامه وأوامره يحث البشرية على الاستفادة من هذا الكتاب الكبير ويشرح رموزه وأسراره، فهناك ارتباط قوي بين أحكام القرآن والكون، يقول النورسي رحمه الله بعد حديثه عن العدالة والاقتصاد والطهر: "وأدرك من هذا مدى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون وكيف مدت جذورا عميقة في أغوار الكون فأحاطته بعرى وثيقة لانفصام لها، ثم أفهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنع كامتناع إفساد نظام الكون والإخلال به وتشويه صورته"[2].

إن النورسي بهذا التصور، يجعل حقائق العدالة والاقتصاد والطهر تحمل صفة الكونية وترتبط بنظام الكون كله سلبا أو إيجابا.

هذا التلازم بين الحقائق القرآنية والمعطيات الكونية يؤكد حقيقة عند النورسي، مفادها أن الجمع بين القراءتين (قرآن الكون وقرآن التلاوة)، هو أساس النهوض ومناط التقدم والتطور.

إن أي قراءة بمفردها تظل عديمة الجدوى غير قادرة على تحقيق مهمة الاستخلاف والشهود على الأمم.

وبناء على هذا، راح النورسي يحث على قراءة كتاب الكون، واكتشاف سننه، وتوظيف حقائقه للدفاع عن حقائق الإيمان، والتبشير بمقررات القرآن، فجاءت رسائل النور علاجا

---

[1]– اللمعات ج٣، ص : ٥٢٩–٥٣٠.

[2]– اللمعات ج٣، ص : ٥٢٦.

شاملا لكبرى المشاكل الإنسانية، انطلاقا من هذه الازدواجية في القراءة في ضوء التأسي بالفعل النبوي الشريف. لقد اعتبر الدكتور محسن عبد الحميد هذه المنهجية الثلاثية في معالجة قضايا الإنسان من معالم التجديد عند النورسي إذ يقول: "إنه ينطلق من "الكل الشمولي" للقرآن في مخاطبته الفطرة الإنسانية. إنه لا يضع بين الحس والعقل والحدس خطوطا فاصلة، وإنما يدمجها في وحدة قرآنية للسير إلى الله سبحانه وتعالى، والتغلغل في فهم الجزئيات الدقيقة في المعرفة الكونية، لأنه يتلو مع القرآن آيات الكائنات في مسجد الكون الكبير، وليس في أقبية النظريات المعرفية المادية المحصورة بالقياسات المنطقية والنظرات المادية والخيالات الروحية، إنه يقف أمام قرآن الكون ليقرأ قراءة شاملة عميقة ليصل إلى الله تعالى من خلال تناسقه المعجز، ونظامه الباهر وجماله الأخاذ، وفنه العجيب وقانونه الموحد وحركته المتوازنة"[1].

إن هذا الاعتماد الكبير على قرآن الكون في تحليل القضايا وبناء المعرفة القرآنية، كفيل بتحقيق رؤية حضارية شاملة تتخذ من القرآن الكريم قاعدة للتوجيه، ومن الكون أرضية للفعل والكسب والاكتشاف. ومن السنة النبوية مركزا للإشعاع والضبط والتوازن.

هكذا يكون النورسي قد اعتمد في بنائه المعرفي وتفسيره القرآني مفتاح الكون، وعده من أهم المفاتيح التي تضاف إلى إعجاز القرآن ومقاصده.

وبناء على هذا، يمكن القول بأن جميع الوسائل التي اعتمدها النورسي في الفهم والإدراك[2] تندرج في هذه الركائز الثلاث وتخدمها فإعجاز القرآن يثبت هيمنة هذا الكتاب على سائر الكتب وهو الذي يتحدى البشرية بأسلوبه وبيانه، ومقاصد القرآن تلخص معالم النبوة، وترسم هدايتها، وتكشف عن أنوارها في بناء الأمم والحضارات، والكون يفتح للإنسانية آفاق النظر في كنوزه، واكتشاف سننه وأسراره في بناء العمران المادي والازدهار الحضاري.

---

[1]- من معالم التجديد عند النورسي، د محسن عبد الحميد، ص : ٣٥-٣٦.

[2]- من هذه الوسائل نذكر القواعد الشرعية والقواعد المنطقية والضوابط اللغوية والضوابط العقلية، انظر النورسي متكلم العصر الحديث دكتور محسن عبد الحميد، ص : ٩٢ -٩٣ : بتصرف.

الفصل الثالث:

حقيقة الإنسان ووظيفته في الحياة، عند بديع الزمان سعيد النورسي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الإنسان وعلة تكريمه
المبحث الثاني: مظاهر تكريم الإنسان
المبحث الثالث: وظيفة الإنسان في الحياة

مقدمة :

شهد العصر الحديث جملة من الدراسات الفكرية الإسلامية، تناولت قضايا الإنسان وما يرتبط به من حقائق، كان من بينها مؤلفات النورسي القرآنية التي تناولت حقيقة الإنسان وقضاياه من خلال هداية القرآن والتراث الفكري، في ضوء الواقع المعاصر، وما يواجهه من تحديات كبرى تهدد مستقبل الإنسان وسعادته.

لقد تناول النورسي حقيقة الإنسان، وما يرتبط به من قضايا، بمنهجية قرآنية، وأسلوب فكري رصين يحفظ للتراث الفكري الإسلامي استقلاليته في العطاء الفكري والإبداع الإنساني العالمي المشترك، دون الوقوع في شراك الإتباع والتقليد.وللكشف عن هذه الرؤية النورسية سأتناول الأمور التي أراها ضرورية لإبراز الحقائق الشاملة المرتبطة بالإنسان في ضوء رسائل النور.

وهذه الأمور هي:

أولا: حقيقة الإنسان وعلة تكريمه.

ثانيا: مظاهر تكريم الإنسان في فكر النورسي.

ثالثا: وظيفة الإنسان في الحياة

المبحث الأول:
حقيقة الإنسان وعلة تكريمه

إن الباحث المتأمل في رسائل النور، يجد النورسي قد بنى رؤيته الشمولية حول الإنسان، انطلاقا من الاستقراء التام وتحريات العلوم وأبحاثها[1] في ضوء الواقع المعاصر الذي شهد الفلسفة المادية المختزلة للإنسان في بعده المادي.

لقد أثبت النورسي فساد النظرة المادية المختزلة لحقيقة الإنسان، وبين أن الإنسان هو الكائن المخلوق المكرم من قبل الله تعالى، خصه بميزات وسمات على سائر المخلوقات، فهو الكائن الفريد في نشأته وكينونته ومصيره ووظيفته، جمع بين القوة والضعف، والكرم والبخل، والخير والشر، والجمال والقبح، والمادة والروح، والقلب والعقل، وغيرها من الصفات التي تميزه عن باقي الكائنات، وتجعله الكائن الوحيد المتفرد بالإرادة والحرية والمسؤولية عن أقواله وأفعاله في الكون. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.[2]

لقد أدرك النورسي من عمق نظره وتفكره في هذه الآيات القرآنية أن الإنسان متعدد الأبعاد، ومتنوع الجهات، ومتشعب الخصائص والميزات[*].

– "فهو من جهة احتياجه إلى كل شيء من أصغر جزء جزئي إلى أكبر كل كلّي، لا يليق أن يعبد إلا من بيده ملكوت كل شيء وعنده خزائن كل شيء.

– ومن جهة الوجود والإيجاد، والخير والفعل، في غاية الصغر والقصور والنقص أدنى من النمل وأضعف من العنكبوت والبعوضة.

– ومن جهة العدم والتخريب والشر والانفعال، أعظم من السموات والأرض...

---

[1]- أنظر "صيقل الإسلام" بديع الزمان سعيد النورسي، ج٨، ص : ٥٣٠.

[2]- سورة التين، الآية ٤–٥.

[*]- لقد تعمدت سوق هذا التعريف المفصل حول حقيقة الإنسان عند النورسي دون اختصاره لقوة أسلوبه وشمولية تناوله، وصعوبة اختزاله لكون مصطلحاته تستبطن نصوصا قرآنية متعددة تناولت حقيقة الإنسان في مختلف جهاته وجوانبه.

– ومن جهة "أنا" له اختيار كشعرة، واقتدار كذرة، وحياة كشعلة، وعمر كدقيقة، وموجودية هي جزء جزئي مما لا يعد من أنواع لا تحد في طبقات الكائنات.

– ومن جهة عجزه وفقره له وسعة عظيمة إذ له عجز عظيم بلا نهاية، وفقر جسيم بلا غاية، يتيسر له أن يصير مرآة واسعة لتجليات القدير بلا نهاية والغني بلا غاية.

– ومن جهة الحياة الدنيوية المادية الحيوانية كنواة تصرف الجهازات المعطاة لها للتسنبل والتشجر في وسعة عالم الفضاء إلى جلب مواد واهية في مضيق التراب إلى أن تتفسخ بلا فائدة.

– ومن جهة الحياة المعنوية كشجرة باقية امتدت أغصانها أمالها إلى الأبد...

– ومن جهة الفعل والسعي المادي حيوان ضعيف عاجز له دائرة ضيقة نصف قطرها مديده.

– ومن جهة الإنفعال والدعاء والسؤال ضيفا للرحمن الذي فتح له خزائن رحمته وسخر له بدائع صنعته، له دائرة عظيمة نصف قطرها مد نظره بل خياله بل أوسع.

– ومن جهة لذة الحياة الحيوانية وكمالها وسلامتها ومتانتها أدنى من العصفور بمائة درجة لتنغص لذاته بأحزان الماضي ومخاوف الاستقبال.

– ومن جهة الجهازات وتفصل الحواس وتنوع الحسيات وانبساط الآلات وتكثر مراتب الاستعدادات – المشيرة هذه الحالة – إلى أن وظيفته الأصلية هي : الشهود لتسبيحات الموجودات، والشهادة عليها، والتفتش بالتفكر والنظارة بالعبرة والدعاء للحاجة والعبودية بدرك العجز والفقر والقصور.

– ومن جهة جامعية استعداده المستعد لأنواع العبادات أعلى من أعلى عصفور بمائة مراتب...

– ومن جهة قوة ضعفه وقدرة عجزه أقوى وأقدر بمراتب، إذ يسخر له بالدعاء والاستمداد مالا يقتدر على عشر معشاره باقتداره. فهو كالصبي يصل ببكائه إلى ما يصل إليه بألوف أضعاف قوته، فيتفوق بالتسخير لا بالغلبة والغصب.

– ومن جهة نضارته لمحاسن كمالات سلطنة الربوبية، ودلاليته لبدائع جلوات الأسماء القدسية وفهمه بطعمه لمدخرات خزائن الرحمة، وعلمه بوزنه بجواهر كنوز الأسماء المتجلية، وتفكره بمطالعته لمكتوبات قلم القدرة، وشوقه برؤيته للطائف المصنوعات أشرف المخلوقات وخليفة الأرض"[1].

يتضح من خلال تعريف النورسي لحقيقة الإنسان في ضوء القرآن، أن الإنسان هو صاحب مزايا مادية وروحية، وكمالات عقلية، وخصائص معنوية، وميزات متعددة، لاكما تتصوره الفلسفة المادية التي اختزلته في بعده الطيني وألغت الجوانب الأخرى المرتبطة به. فالإنسان في فكر النورسي مخلوق عظيم زوده الله بعدة صفات وخصائص أهلته إلى مرتبة الأفضلية على سائر المخلوقات، يقول الله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾،[2] فالآية الكريمة نص في شرف الإنسان وقيمته في الكون على سائر الكائنات، فهو مخلوق عظيم أوكلت إليه مهمة الأمانة، وقدر له أن يكون موضوع الخطاب الإلهي وخلق الكون من أجله، ومنح أجهزة معنوية تؤهله إلى عالم الخلود والبقاء، يقول النورسي شارحا هذه الحقيقة، مبينا التصور الشامل حول أفضلية الإنسان وعلو مكانته، بناءا على عشرين حقيقة ترتبط بجوهره وحقيقة وجوده وغاية حياته وعلاقته بالموجودات من حوله. "وما دمنا نرى بأعيننا ونفقه بعقولنا، أن الإنسان هو خاتمة ثمرات شجرة الكون وأجمع ما فيها من صفات.

– وهو بذرتها الأصلية من حيث الحقيقة المحمدية.

---

[1]– أنظر "المثنوي العربي النوري"، ج٦، ص : ٣٦٢-٣٦٣-٣٦٤.

[2]– سورة الإسراء، الآية ٧٠.

– وهو الآية الكونية الكبرى لقرآن الكون، بل هو الآية الحاملة لتجليات الإسم الأعظم في ذلك القرآن الكوني كآية الكرسي في القرآن الكريم.

– وهو أكرم ضيف في قصر الكون...

– وهو أنشط موظف مأذون له التصرف في سكنة ذلك القصر.

– وهو المأمور المكلف عن حرث مزرعة الأرض والناظر المسؤول عن إرداتها ومصاريفها بما جهز من مئات العلوم وألوف المؤهلات.

– وهو خليفة الله في الأرض، والمفتش الباحث في مملكة الأرض، والمرسل من لدن سلطان الأزل والأبد، والعامل تحت رقابته.

– وهو المتصرف في شؤون الأرض مع تسجيل كامل لأعماله بجزئياتها وكلياتها.

– وهو عبد كلي مكلف بعبادة واسعة شاملة وحاملة للأمانة، الكبرى التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها فانفرجت أمامه طريقان : أحدهما للأشقياء والأخرى للسعداء.

– وهو الذي يعكس كالمرآة جميع تجليات الأسماء الحسنى، ويتجلى فيه اسم الله الأعظم...

– وهو المخاطب المقصود بالخطاب السبحاني، والأكثر فهما للكلام الرباني.

– وهو الأكثر فاقة وعجزا من بين الأحياء، وهو الكائن الحي العاجز الفقير بلا حدود، مع أن له أعداء ومؤذيات بلا عد ومقاصد وآلاما بلا حد...

– وهو أغنى استعدادا من بين ذوي الحياة... أشد إحساسا وشعورا بالألم.

– ضمن لذة الحياة —حيث تمزج لذاته بالآم منغصة.

– وهو أشد شوقا إلى البقاء وأكثر حاجة إلى الخلود.

– وهو الذي يتوسل لأجل البقاء والخلود بأدعية غير محدودة فلو أعطي له ما في الدنيا من متع لما شفت غليله للخلود.

– وهو الذي يحب الذي أنعم عليه حبا لحد العبادة، ويحببه للآخرين وهو المحبوب أيضا.

– وهو أعظم معجزات القدرة الصمدانية بل هو أعجوبة الخلق لما انطوى فيه العالم الأكبر ولما تشهد جميع أجهزته بأنه مخلوق للسير قدما نحو الأبدية والخلود، فهذا الإنسان الذي يرتبط بمثل هذه الحقائق العشرين الكلية باسم الله "الحق" والذي هو وثيق العلاقة باسم الله "الحفيظ"...، فهذا الإنسان – بحكم هذه الحقائق العشرين – لا بد أن يكون له حشر ونشور، ولا ريب أنه سيكافأ –باسم الحق– على ما قدم من خدمات وأعمال وسيجازى على ما قصر فيها"[1].

إن هذه الحقائق، تكشف بمجموعها عن التصور المعرفي الشمولي عن الإنسان من منظور الوحي، ويظهر أثرها — واضحا — على مجمل الطبيعة الإنسانية في تصرفاتها وأفعالها، أو في انضباطها وتوازنها، أو في حركتها وسكنتها، أو في دورها الإيجابي في خضوعها للخالق الذي خلقها في أحسن تقويم مادة وروحا، وعقلا وإرادة وهيئة ومضمونا، أو في تعاملها مع الإنسان نفسه، أو في تعاملها مع الآخرين، أو في تعاملها مع الكون بكل ما فيه من مظاهر وظواهر.[2] كما أنها تبين مسؤولية الإنسان عن تحمل الأمانة في الأرض، لما تميز به من خصائص وحقائق أهلته على سائر الكائنات ليقوم بهذه المهمة على أحسن وجه. فالإنسان الحقيقي عند النورسي : هو الإنسان الخلافة، إنسان الشهادة على الكائنات، إنسان العمارة والتسخير. يسوق النورسي جملة من التعاريف التي تبين هذه الحقيقة، وتؤكد ما فصلناه سابقا من حقائق وجهات ترتبط بالإنسان: يقول في اللمعات : "قد اتفقت الفنون وشهدت العلوم على أن الإنسان هو أكمل ثمرة في شجرة الخليقة، وأنه أهم مخلوق بين المخلوقات، وأغلى موجود بين الموجودات،

---

[1]– أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ٢٧٢–٢٧٣.

[2]- "إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي"، النيل : ط ١ ١٩٩٨، دار النيل ازمير، ص : ٢٠٦.

وأن فردا منه بمثابة نوع من سائر الأحياء"[١] ويقول في المكتوبات : "إن في الإنسان النموذج المصغر للصنعة المنتظمة المتقنة الموجودة في الكون...، كما أن هذا الإنسان مكتوب رباني ذو مغزى عميق وقصيدة منظومة للقدر الإلهي"[٢]، وإلى غيرها من التعاريف المتفرقة في أجزاء رسائل النور التي تكشف بمجموعها عن رؤية قرآنية لطبيعة الإنسان، وما يتعلق به من جهات وما يرتبط به من حقائق.

إن هذه الرؤية الشمولية لحقيقة الإنسان، تستمد أصالتها من القرآن الكريم، فالنورسي وإن لم يذكر الآيات كلها أثناء شرح جهات الإنسان والحقائق المرتبطة به، كان يستبطن في تحليله النصوص القرآنية التي تحدثت عن هذه الجهات والحقائق، وكشفت حقيقة الإنسان وأهميته في الكون.

لقد تحدث النورسي عن خصائص الإنسان وكونه موضوع الخطاب الإلهي، وخليفة الله في الأرض، والمكلف بالأمانة، والمتصف بالعجز والفقر والخوف، وهذا كله نجده واضحا في سورة العلق[٣]، والتين[٤]، والبقرة[٥]، والإسراء[٦]، والمعارج[٧]، وغيرها من الآيات التي تكشف عن وضوح الرؤية النورسية وأصالتها القرآنية، في بيان حقيقة الإنسان وما يرتبط به من حقائق مادية وروحية وما يتصف به من خصائص وميزات أهلته إلى مرتبة التكريم والتفضيل على سائر الكائنات.

---

[١]- أنظر "اللمعات" ج٤، ص : ١٧٦.

[٢]- أنظر "المكتوبات بديع الزمان سعيد النورسي" ترجمة إحسان قاسم الصالحي، استانبول : ط ١ ١٩٩٢، دار "سوزلر" ج٢، ص : ٣٠١.

[٣]- سورة العلق، (الآيات كلها).

[٤]- سورة التين، الآية ٤-٥. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝﴾.

[٥]- سورة البقرة، الآية ٣٠. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾.

[٦]- سورة الإسراء، الآية ٧٠. ﴿وَلَقَد كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

[٧]- سورة المعارج، الآية ١٩-٢٠-٢١. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝﴾.

إذن يتضح من خلال هذا التفصيل لحقيقة الإنسان وما يرتبط به من حقائق وجهات أن هناك أسبابا وعللا أهلت الإنسان ليحوز مرتبة الشرف الأكبر على سائر الكائنات، يقول الله تعالى: في سورة الإسراء ﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧﴾.[1]

يتخذ النورسي هذه الآية معبرا للدخول إلى حقيقة الإنسان، وبيان علة تكريمه، إذ يقول: "وقد خلق سبحانه وتعالى الإنسان أيضا نوعا جامعا لكثير من الأنواع، أي أنه قد أراد أن ينجز بنوع الإنسان ما تنجزه الدرجات المختلفة لجميع أنواع الحيوانات، بحيث لم تحدد قوى الإنسان ورغباته بحدود وقيود فطرية، بل جعلها حرة طليقة بينما حدد قوى سائر الحيوانات ورغبتها أي أنها تحت قيود فطرية،... بمعنى أن كل قوة من قوى الإنسان تتجول في ميدان فسيح واسع جدا لا تتناهى، لأن الإنسان مرآة لتجليات لا نهاية لها لأسماء رب العالمين"[2]. وفي نفس السياق، يشرح النورسي في الكلمة الثالثة والعشرين علة التكريم الإلهي للإنسان وتميزه عن باقي الكائنات،[3] في ضوء قوله تعالى : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦﴾.[4]

من هذا المنطلق، أثبت النورسي أن التكريم الإلهي للإنسان لا يأتي صدفة، وإنما خلق الله له أسبابا وسبلا لابد من اختيارها والعمل بها، وأسمى هذه الأسباب هو السمو بنور الإيمان الذي هو مناط تكريم الإنسان وعلة تفضيله على سائر الكائنات، يقول النورسي: "إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقا بالجنة، بينما يتردى بظلمة الكفر إلى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم، ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل.

---

[1]- سورة الإسراء، الآية ٧٠.

[2]- المكتوبات، ج٢، ص : ٤٢٦.

[3]- الكلمات، ج١، ص : ٣٤٩.

[4]- سورة التين، الآية ٤-٥.

... فالإيمان إنما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلي الصنعة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشى ظلمته الصنعة الربانية وتطمس على معالمها، فتنقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب وقيمة المادة لا يعتد بها فهي في حكم المعدوم"[1].

يتضح من خلال هذا التفسير الذي يبينه النورسي في ضوء ما يقرره القرآن، أن الإنسان هو الكائن المفضل بمقوم الإيمان والعمل الصالح وقوة الانتساب إلى الله عز وجل، يقول رحمه الله مؤكدا هذه الحقيقة بصراحة ووضوح تام: "كم يكون الإنسان مناط قيمة عظيمة وكرامة فائقة بالإيمان والانتساب إليه والشعور به لاسيما إذا ما كتب – ذلك الصانع المعجز المطلق – كتاب السموات والأرض، ذلك الكتاب الضخم في نسخة مصغرة وهي الإنسان"[2].

إن هذا الذي عبر عنه النورسي هو عين ما نجده في القرآن الكريم يقول الله تعالى: في سورة الحجرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾.[3]

فالإيمان من مشمولات التقوى وأركانه الأساسية. والإنسان لا يرقى إلى مرتبة المتقي، إلا بتحقيق شرط الإيمان بالله وما يقتضيه من أعمال صالحة ترفعه إلى درجة المتقين الأطهار، وتجعله مؤهلا للشهادة على المخلوقات وإماما في الكون، يكتشف أسراره ويبين آياته الدالة على قدرة الصانع الجليل.

على هذه المنهجية القرآنية جعل النورسي يثمن قيمة الإنسان، بقراءة آياته التكوينية، بالنظر إليها في حدود ذاتها، بما صنعت عليه من دقيق الصنعة وما أضمر فيها من عظيم الطاقات، وبالنظر إليها حينا أخر في صلاتها بموجودات الكون، ومن حيث استجماعها في

---

[1]– الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ج١، ص : ٣٤٨.

[2]– الشعاعات، ج ٤، ص : ٨١.

[3]- سورة الحجرات، الآية ١٣.

التركيب لما تفرق في الآفاق الواسعة العريضة، ومن حيث توافقها العنصري والكيفي مع مركبات الموجودات الكونية وأنظمتها في الحركة والتغيير. وفي كل ذلك تراه يعرض المظهر التكويني عرضا تصويريا بسيطا لكنه دقيق، ثم يستخلص منه المغزى القيمي للإنسان، ليبين في الخلاصة أن هذا الإنسان تدل آيات تكوينه على رفعة شأنه وعلو مقامه[1].

[1]- البعد العقدي لبنية الإنسان في فكر النورسي. الدكتور عبد المجيد النجار مشاركة ضمن كتاب بديع الزمان النورسي فكره ودعوته وقائع الحلقة الدراسية المنعقدة في قاعة المركز الثقافي الإسلامي، مسجد الشهيد الملك عبد الله بن الحسين في عمان، ص : ٢١٣-٢١٤.

المبحث الثاني:
مظاهر تكريم الإنسان في فكر النورسي

لقد سبق الحديث عن حقيقة الإنسان وعلة تكريمه على سائر الكائنات. وفي ثنايا هذا المبحث أروم الكشف عن حقيقة بعض الأجهزة التي منحها الله للإنسان، وجعلها سببا للتكريم، ومناطا للتفضيل، وطريقا إلى تحقيق مهمة الاستخلاف، وعمارة الكون، والنهوض بالإنسانية إلى مرتبة التكريم على الموجودات وسائر العوالم في الكون الواسع.

لقد ذكر النورسي جملة من الأجهزة المعنوية التي تميز الإنسان على سائر الكائنات : فهناك: "القلب، والسر، والروح، والعقل، والخيال، والنفس"[١] وحاسة "السائقة"[٢]، وحاسة "الشائقة"[٣]، واللطائف، والوجدان، والأعصاب، والحدس، والهوى، والقوة الشهوية، والقوة الغضبية[٤]". إن كل هذه الأجهزة، حسب فكر النورسي، من الآيات التكوينية الدالة على عظمة هذا الإنسان، وعلو منزلته وشرفه، إذا وجهها إلى الطريق المناسب.

سأقتصر في هذا المبحث، على أمات هذه الأجهزة من عقل، وقلب، وروح ونفس، لكونها مناط تكريم الإنسان ورفعته إلى أعلى عليين، أو تدنيسه وتنزيله إلى أسفل سافلين، كما أن الأجهزة الأخرى تدور في فلكها وتنضبط بحدودها. فالإنسان عقل، وقلب، وروح، ونفس، وبها يستطيع أن يكون إماما للكون وسيدا للكائنات.

- **أجهزة التكريم وعناصره:**

بين تأليه قدرة الإنسان العقلية في زمن العولمة، وتدنيسه واختزاله في بعده المادي، تبرز الرؤية النورسية واضحة لتكشف عن التصور الحقيقي والواقعي لمكونات الإنسان وأجهزته

---

[١]- أنظر "الكلمات" بديع الزمان سعيد النورسي، ج١، ص : ٣٦٣.

[٢]- أنظر "المكتوبات" بديع الزمان سعيد النورسي ج٢، ص : ٤٤٧.

[٣]- نفس المصدر، ص : ٥٨٥.

[٤]- أنظر "اللمعات" ج٣، ص : ١٧١.

المتنوعة. فهو كائن متعدد الأبعاد، ومتنوع الجهات، ومتشعب الصفات. قد يكون قويا من جهة وضعيفا من جهة أخرى، تارة كريما مستخلفا، وتارة أخرى لئيما مستدرجا.

وإن حقيقة التكريم للإنسان، تنبع من أصالة تكوينه وعناصر خلقته؛ فهو مكرم بقدر توجيه هذه العناصر إلى وظائفها المنوط بها، يقول النورسي: "للإنسان ولطائف كثيرة جدا كالقلب، منها العقل والروح والسر، كل لطيفة منها مكلفة بوظيفة ومأمورة للقيام بعمل خاص بها. فالإنسان الكامل – كالصحابة الكرام – يسوق جميع تلك اللطائف إلى مقصوده الأساس، وهو عبادة الله. فيسوق القلب – كالقائد – كل لطيفة منها ويوجهها نحو الحقيقة بطريق عبودية خاص بها، عند ذلك تسير الكثرة الكاثرة من اللطائف جنودا في ركب عظيم، وفي ميدان واسع فسيح، كما هو لدى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم"[1].

يتضح من كلام النورسي أن الله زود الإنسان بعدة أجهزة، تشكل المعيار الحقيقي والميزان العادل لتصنيف الإنسان بين ثنائية التكريم والتدنيس، والخير والشر، والقوة والضعف.

وفيما يلي نورد تفصيل حقائق هذه الأجهزة والقضايا المرتبطة بها.

١) العقل والقلب في رسائل النور :

تعريف العقل والقلب في ضوء رسائل النور.

١.١. تعريف العقل :

لقد تحدث النورسي عن العقل في مواطن عدة مبينا حدوده ووظائفه وأهميته، ومن خلال هذه المواطن، سأكشف عن التصور الشمولي لحقيقة العقل عند النورسي، فالعقل عنده كلي لا يقف عند الأسباب المادية، بل يتجاوزها إلى عالم البقاء. فهو مركز الذات الإنسانية ومنبع النشاط الإنساني، فإذا خضع للتزكية الإيمانية استطاع أن يقوّم الإنسان ويسمو به إلى أعلى عليين، وإذا ابتعد عن نور الإيمان صيَّر الإنسان أضل من الحيوان.

[1]– انظر "الكلمات"، ص: ٥٨٢.

يقول النورسي: "العقل هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها إن استعمل بسر التوحيد، فإنه يصبح مفتاحا ثمينا؛ بحيث يفتح الكنوز الإلهية السامية وألوفا من خزائن الكون، بينما إذا تخبط ذلك العقل في وحل الضلالة والكفر، فإنه يصبح آلة تعذيب ووسيلة إزعاج بما يجمع من آلام الماضي الحزينة ومخاوف المستقبل الرهيبة"[١]: وفي نفس السياق، يعرف النورسي العقل: بوظيفته فيقول: "العقل عضو وآلة – إن لم تبعه يا أخي لله – ولم تستعمله في سبيله وجعلته في سبيل الهوى والنفس، فإنه يتحول إلى عضو مشؤوم وعاجز"[٢].

إن التعريفين السابقين يعرفان العقل بكونه آلة ربانية منحت للإنسان قصد بلوغ الكمال الإنساني، فالنورسي إلى جانب هذه التعاريف المادية للعقل والتي تعتمد على وظائفه وطرق اشتغاله، يضيف قيد الوحي ويجعله شرطا أساسيا أثناء عمل العقل وتفكيره، فالعقل الحقيقي هو الذي لا يتجاوز الوحي، بل ينضبط بقيوده، وينصاع لأوامره، ويقوم بخدمة حقائقه، يقول النورسي: "الإنسان هو أكرم المخلوقات وأشرفها، لأنه يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب الأسباب الظاهرية في خلق الكائنات ونتائجها، ويعرف العلاقات بين العلل والأسباب المتسلسلة، ويستطيع أن يقلد بمهارته الجزئية الصنائع الإلهية والإيجاد الرباني المنتظم الحكيم ويستطيع أن يدرك بعلمه الجزئي، وبمهارته الجزئية، إتقان الأفعال الإلهية، وذلك بجعل ما لديه من جزء اختياري ميزانا جزئيا ومقياسا مصغرا لدرك تلك الأفعال الإلهية الكلية والصفات الجليلة المطلقة.[٣]

إن العقل عند النورسي هو آلة ربانية ومنحة إلهية، خلقت لخدمة الإنسان وتحديد مجال نظره وفق هداية الوحي لبناء الحضارة وتحقيق مهمة الاستخلاف والأمانة.

٢.١. تعريف القلب:

يعتبر النورسي الإنسان ثمرة الكائنات، ويعد القلب بذرة تلك الثمرة. يقول رحمه الله : "كذلك الإنسان الذي هو ثمرة شجرة الكائنات، إذ المقصود من إيجادها إنما هو الإنسان وغاية

---

[١]– انظر "الشعاعات" ج ٤، ص : ١٩.

[٢]– انظر "الكلمات"، ص : ٢٣.

[٣]– انظر "صيقل الإسلام" ج ٨، ص : ٥٠٣.

إيجاد الموجودات هي الإنسان. وبذرة تلك الثمرة قلب الإنسان، وهو أنور مرآة للصانع الجليل"[1] فالقلب في فكر النورسي: "هو النواة لثمرة الإنسان. والمرآة العاكسة لتجليات أسماء الله الحسنى لتأهيل الإنسان للحياة الأبدية، يقول رحمه الله: "إعلم أن من الدليل على أن القلب ما خلق للاشتغال بأمور الدنيا قصدا، إنه: إذا تعلق بشيء تعلق بشدة واهتم به اهتماما عظيما، ويتطلب فيه أبدية ودواما ويفنى فيه فناء تاما، وإذا مد يده يمد يدا تطيق أن تقبض على الصخور العظيمة وترفعها، مع أن ما يأخذه بتلك اليد من الدنيا، إنما هو تينة أو تبنة أو ريشة أو شعرة أو هباء، أو هواء ....نعم القلب مرآة الصمد، فلا يقبل حجر الصنم بل ينكسر به"[2].

يتضح من خلال كلام النورسي، أن تحقيق القلب السليم مشروط بالإيمان الذي يصيره مرآة تعكس القدرة الإلهية، فهو اللطيفة الربانية التي مظهر حسياتها الوجدان، ومعكس أفكارها الدماغ لا الجسم الصنوبري،... فكما أن ذلك الجسم ماكينة حياتية تنشر ماء الحياة لأقطار البدن، وإذا انسد وسكن جمد الجسد. كذلك تلك اللطيفة تنشر نور الحياة الحقيقية لأقطار الهيئة المجسمة من معنوياته وأحواله وآماله، وإذا زال نور الإيمان – العياذ بالله – صارت ماهيته التي يصارع بها الكائنات كشبح لا حراك به وأظلم عليه"[3].

هذه التعريفات التي ساقها النورسي حول حقيقة القلب، والتي تتفق في مجموعها على حقيقة واحدة مفادها أن القلب هو جهاز رباني، أودعه الله في الإنسان لتحقيق كماله وإعداده للحياة الأبدية وتأهيله لمهمة الخلافة في الأرض.

٣.١. العقل بين نور الوحي وعبث الفلسفة المادية:

لقد حاول النورسي انقاذ الإنسان من براثين الجهل، انطلاقا من تصور فكري يقوم على التوازن والتكامل بين العقل والقلب وتعاونهما في ضوء القرآن ضد الفلسفة المادية التشييئية للإنسان. يقول النورسي: "إن الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء، تسير على وفق خطى

---

[1]– الكلمات، ج ١، ص : ٧٣٤.

[2]– المثنوي، ج ٦، ص : ٢٢٣.

[3]– أنظر "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، ص : ٨٤

العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته، وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معا وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلق إلى أوج العلا وتصل إلى مراق لا يصل إليها نظر الفلسفة المهاجمة، فضلا عن إقدامها وخطواتها، فتبين أنوار الحقائق الإيمانية وتوصلها إلى عيونها المطموسة"[1].

يتضح من خلال كلام النورسي: أن الخطاب التأسيسي لبناء الإنسان المكرم الخليفة في الأرض، لابد أن يقوم على دعامة العقل والقلب وسائر القوى، أما الخطاب الذي يؤله العقل يظل عديم الجدوى، ويتيه في بحر الشبهات. فهو في نظر النورسي: "أشبه من أكبر فلاسفة الأرض عقلا، الذي يغرق في قطرة من الألم، ويفنى في ذرة من المحبة، ويغيب في شعرة من السرور، وينحصر الوجود عنده في لحظة فناء باهتماماته ويجهد أن يسحب معه كل معارفه الوجودية إلى عمق النقطة التي ابتلعته"[2]. إن النورسي بهذا المنهج القرآني البنائي للإنسان، يتخذ من ثنائية التوازن بين العقل والقلب مدخلا أساسيا لنقد الأبحاث العقلية المادية، التي تأله العقل وتلغي البعد الوجداني، والدراسات الصوفية التي تمجد الأذواق وتبني عليها التصورات لبلورة مفهوم شامل لحقيقة الإنسان.

إن المنهج المتكامل لبناء إنسان الخلافة، هو الذي يتخذ من جهاز العقل والقلب معبرا أساسيا لمعالجة مشاكل الإنسان المعاصر وفق تصور القرآن الكريم، في ضوء مواجهة الفلسفات التي انعدم فيها تأثير الوحي، وأصبحت تعاني من ضبابية كثيفة في تصورها لمفهوم الإنسان وطبيعته. إنه ذلك المخلوق المكرم الخليفة الذي تأهل واستعد لحمل الأمانة الكبرى، وتحقيق العبودية الكاملة لله تعالى في كل مظاهر الحياة وشتى ميادين العلم والمعرفة، إنه محور الحياة المكلف بإرادتها على وفق منظور الوحي المعصوم وهداية العقل المستنير، فالإنسان في مفهوم

---

[1]- أنظر "الملاحق" ج ٧، ص : ١٠٥.

[2]- انظر "المثنوي" ج ٦، ص: ٢٢٥.

القرآن: عقل وروح ومادة تنتظم في بنية واحدة في انسجام كامل[١]، عكس ما تتصوره الفلسفة المادية التي ألغت البعد الروحي من الحياة وأخضعت العقل للقوانين المادية الصرفة.

فالإنسان في الفكر الغربي هو الكائن المتحرك وفق قانون المادية التي ترفض الإله كشرط من شروط الحياة، كما أنها ترفض الإنسان نفسه إن كان متجاوزا للنظام الطبيعي المادي، فهي ترد كل شيء في العالم (الإنسان والطبيعة) إلى مبدإ مادي واحد هو القوة الدافعة للمادة والسارية في الأجسام والكامنة فيها والتي تتخلل في أثنائها وتضبط وجودها قوة لا تتجزأ ولا يتجاوزها شيء ولا يعلو عليها أحد.[٢]

إن هذا التصور الإلغائي لحقيقة الإنسان وأبعاده القلبية والعقلية في رؤية الفلسفة المادية هي التي دفعت النورسي إلى مواجهتها بالنقد والهدم ووصفها بالعبثية، وبيان التصور الصحيح الذي يعطي لكل مكونات الإنسان مكانتها، ويكشف عن وظائفها ومهامها، يقول النورسي مبينا وظيفة العقل: "العقل عضو وآلة إن لم تبعه يا أخي– لله ولم تستعمله في سبيله بل جعلته في سبيل الهوى والنفس، فإنه يتحول إلى عضو مشؤوم مزعج وعاجز، إذ يحمّلك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة، فينحدر عندئذ إلى درك آلة ضارة مشؤومة، ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته، وينغمس في اللهو أو السكر إنقاذا لنفسه من إزعاجات عقله؟ ولكن إذا بيع العقل إلى الله واستعمل في سبيله ولأجله، فإنه يكون مفتاحا رائعا بحيث يفتح مالا يعد من خزائن الرحمة الإلهية وكنوز الحكمة الربانية فأينما ينظر صاحبه وكيفما يفكر يرى الحكمة الإلهية في كل شيء، وكل موجود، وكل حادثة. ويشاهد الرحمة الإلهية متجلية على الوجود كله، فيرقى العقل بهذا إلى مرتبة مرشد رباني يهيئ صاحبه للسعادة الخالدة.[٣] إن هذا النص يكشف عن التصور الشامل لوظيفة العقل عند النورسي؛ فهو المفتاح المفسر لظواهر الأشياء والجهاز الذي يدرك طبيعة الموجودات، وينفذ من ظواهر الأشياء إلى بواطنها ويربط الأسباب بالمسببات ويسند عالم المصنوعات إلى الصانع بالنظر والفكر والتأمل.

---

[١]– أنظر "إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي"، عرض وتحليل: للدكتور زياد محمد دغامين، ص : ٢٠٥.

[٢]– أنظر "الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان"، للدكتور عبد الوهاب المسيري، دار الفكر المعاصر، ط ١ ٢٠٠٣، ص : ١٦.

[٣]– الكلمات ج ١، ص: ٢٣.

إن العقل الذي يتحدث عنه النورسي عقل كلي موصول بنور الوحي، شامل في نظرته إلى الوجود وخالق الوجود، عكس ما نجده في التفسير المادي للعقل، والذي يختزله في فهم الظواهر وإدراك الأمور الواقعة في مجال الحواس والمدارك، والتعامل معها دون ربطها بالبعد الديني والروحي، فهذا العقل جزئي ظاهري منقطع الصلة بالعلم الرباني، وقد عبر القرآن عن هذا بقوله: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ .[1]

فالطبيب الحاذق أو النطاسي البارع ليس عاقلا إلا إذا ربط علمه بالآخرة والحياة الأبدية، ورجع إلى الأصل وعرف أن هذا الإنسان كان ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾[2] وإلا فهو ذكي في معالجة أمور حاضره، والمستقبل القريب فقط ولكن ليس عاقلا وإنما العاقل الذي يهتم بالمستقبل البعيد[3].

إن هذا التكريم الحقيقي للعقل الموصول بنور الوحي، هو الذي جعل الإمام القرطبي يعتبر أن حقيقة التفضيل الذي يعول عليه في قوله تعالى "وفضلناهم"، إنما يكون بالعقل الذي هو عمدة التكليف وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله"[4]. فالعقل الحقيقي هو الذي يتوجه إلى الحياة الأخروية دون الغرق في وحل الفلسفة المادية العدمية، يقول النورسي: "نعم إن السمو والرقي الحقيقي إنما هو بتوجيه القلب، والسر، والروح، والعقل، وحتى الخيال وسائر القوى الممنوحة للإنسان، إلى الحياة الأبدية الباقية، واشتغال كل منها بما يخصها ويناسبها من وظائف العبودية، أما ما يتوهمه أهل الضلالة من الانغماس في تفاهات الحياة والتلذذ بملذاتها الهابطة والانكباب على جزئيات لذاتها الفانية، دون الالتفات إلى جمال الكليات ولذائذها الباقية الخالدة مسخرين القلب والعقل وسائر اللطائف الإنسانية تحت إمرة

---

[1] – سورة الروم، الآية ٧.

[2]– سورة الإنسان، الآية ١.

[3] – أنظر "تكريم الخالق للإنسان"، محمد سعيد غيبة، دار المكتبي، ط٣، ٢٠٠٠م، ص : ٢٣.

[4]– أنظر "الجامع لأحكام القرآن" للإمام القرطبي، المجلد الخامس، بيروت : دار الكتب العلمية، ط٥، ١٩٩٦، ج١٠، ص : ١٩٠.

النفس الأمارة بالسوء وتسييرها جميعا لخدمتها، فإن هذا لا يعني رقيا قط، بل هو سقوط وهبوط وانحطاط".[1]

يتضح من خلال هذا الكلام، أن وظيفة العقل الصحيحة مشروطة بالارتباط بالغايات الأخروية. فالعقل في فكر النورسي كلي لا ينحصر اشتغاله في الجزئيات، وإنما يتحداها إلى عالم الخلود، فهو آية كبرى تشير إلى عظمة خالقه ومدبره، ونعمة مسخرة لمواجهة الأخلاق الفاسدة.

فالعقل في الرؤية القرآنية النورسية، آلة مرتبطة بالبعد الأخلاقي المؤسس على نور الوحي، عكس ما نجده في الفلسفة الغربية التي سخرت العقل لخدمة الشهوات، فأفسدت وظيفة العقل السليمة.

يقول "ألكسيس كاريل" مؤكدا هذه الحقيقة: "إن الفساد العقلي أكثر خطورة على الحضارة من الأمراض المعدية التي قصر علماء الصحة والأطباء اهتمامهم عليها حتى الآن... إن أكثر مما يعرض الأمم العصرية للخطر هو النقص العقلي والأدبي الذي يعاني منه الزعماء السياسيون".[2]

إن هذا العقل الجزئي السلبي الذي تحدث عنه عقلاء الغرب، هو الذي واجهه النورسي بالنقد، وأثبت في رسائله فشله في صناعة حضارة تجلب السعادة لبني الإنسان.

والحق أن هذه الرؤية الموضوعية لوظيفة العقل تمثل صميم الرؤية الإسلامية التي انطلق منها النورسي على امتداد فكره، فالعقل بدون فقه قلبي وفطرة إيمانية وغايات كريمة ربانية، يعرض صاحبه للخطر والدمار.

فإذن، إن وظيفة العقل المستنير بنور الوحي هو أن يقود الإنسان إلى طريق الهداية، ويمنعه من الوقوع في بحر الشهوات والملذات، ويدفعه إلى التألق في معارج الكمال، ويسعى إلى

---

[1]- أنظر "الكلمات" ج ١، ص: ٣٦٣.

[2]- أنظر "الإنسان ذلك المجهول" ألكسيس كاريل، تعريب شفيق أسعد فريد، بيروت : مكتبة المعارف، ط١، ٢٠٠٣، ص : ٣٥-٣٦ بتصرف.

اكتشاف القوانين الإلهية الموجودة في عالم الكائنات، وتفعيلها وتحريكها نحو عمارة الأرض بما يعود على الإنسانية بالصلاح...، إن هذه الغاية السامية التي توصلنا إليها بعد تدقيق النظر في وظيفة العقل عند النورسي، لا تتحقق إلا بالتعادل والتوازن مع وظيفة القلب الذي هو موطن استقرار الإيمان، وبه تكون سعادة الإنسان. يقول النورسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ** ﴾.[1] وأما "«قلوبهم» قدمه على السمع والبصر لأنه محل الإيمان.. ولأن أول دلائل الصانع يتجلى في مشاورة القلب مع نفسه، ومراجعة الوجدان إلى فطرته، لأنه إذا راجع نفسه يحس بعجز شديد يلجؤه إلى نقطة استناد ويرى احتياجا شديدا لتنمية آماله فيضطر إلى نقطة استمداد، ولا استناد ولا استمداد إلا بالإيمان"[2].

والإيمان في فكر النورسي لا يتحقق حفظه في القلوب، إلا بإتحاد القلب والعقل معا، وتعاونهما لمواجهة شبهات الفلسفة الإلحادية المنكرة لحقائق الدين[3].

وهذا هو المسلك الإصلاحي الذي اتخذه النورسي في بناء الحياة الإسلامية، من خلال رسائل النور في المجتمع التركي، ودعا إلى تطبيقه في سائر المجتمعات.

لقد أقنع نفسه أولا إقناعا كافيا، وتمكن من إزالة وساوسها وشبهاتها إزالة تامة، بحيث يمكن بعد ذلك إقناع الآخرين، وصد تيار الضلالة الحاضرة، التي اتخذت شخصية معنوية رهيبة.. وفي نفس الوقت طهر قلبه تطهيرا كافيا، بحيث يكون مرآة مصقولة لاستقبال تجليات الأنوار الإلهية ... وبهذا أصبح إماما مؤهلا لمخاطبة أجيال المستقبل التي تحتاج إلى البرهان العقلي[4].

---

[1]– سورة البقرة، آية ٧.

[2]– إشارات الإعجاز، ج ٥، ص : ٨٤.

[3]– أنظر "الملاحق" ج ٧، ص : ١٠٥ بتصرف.

[4]– "مشكلات عقلية وقلبية للإنسان": دراسات في رسائل النور الباحثة خديجة النبراوي، القاهرة : دار سوزلر، ط ٢، ٢٠٠٤، ص : ٣١.

إن هذا المسلك الذي يعتمد عملية التوازن بين وظيفتي القلب والعقل، أخذ موقعا وسطيا بين المسلك الحداثي الذي ألَّه العقل ورفع شعار "لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده"، والمسلك الظاهري الذي يسيء الظن بالعقل، ويحسب كل عقلانية عدوانا على العقائد[1].

فالنورسي من هذا المنطلق، يكشف عن أهمية التوازن بين نظر العقل القائم على البحث في الظواهر والأسباب والعلل، وسلامة القلب المعتمد على هداية القرآن ومقاصده الهادفة إلى تثبيت الحقائق الإيمانية في القلوب، فكأني به يقول لأهل الإصلاح والتغيير، لا خلاص ولا حل لمشاكل الإنسانية، إلا بمواجهة الانحراف العقلي والقلبي الذي انتشر في الآفاق، فأودى بالبشرية إلى عبادة الهوى والشهوات وتأليه القدرات العقلية وتقديسها.

إن هذه الرؤية النورسية لقضية العقل والقلب، تستند إلى القرآن الكريم الذي أخبر عن وظيفة النبوة وأجملها في ترقية العقل الإنساني بالكتاب والحكمة وتزكية قلبه بالإيمان والذكر: قال الله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢**﴾[2]. فالآية الكريمة تشير إلى ضرورة تحقيق معادلة التوازن بين العقل والقلب، بواسطة تلاوة القرآن المفضية إلى تحقيق الإيمان في قلب الإنسان، وتعليم الكتاب والحكمة المؤدية إلى تربية عقل الإنسان وتأهيله إلى مهمة الأمانة والاستخلاف في الأرض.

يتضح من خلال هذا، أن العقل لا يكون عقلا إلا إذا ارتبط بالقلب المشبع بالإيمان والموصول بهداية القرآن، فالعقل كما سبق هو موطن العلم والحكمة، يزداد قوة إذا ارتبط بسلامة القلب المزكى بنور الإيمان، ويصبح آية تدل على الخالق العظيم "فهو من أجل القوى

---

[1]– "الإسلام والتحديات المعاصرة" لمحمد عمارة، ط ١، ٢٠٠٥ ص: ١٠١.

[2]– سورة الجمعة، الآية: ٢.

بل هو قوة القوة الإنسانية وعمادها، والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه. وكل ما يقرأ فيه فهو هداية إلى الله وسبيل للوصول إليه".[1]

إن هذه الحقائق المرتبطة بقضية العقل والقلب في فكر النورسي، تستمد أصالتها وقوتها من مجموع الآيات القرآنية التي جمعت بين تفكير العقل، وذكر القلب، وعمل الجوارح: أفلا يعقلون؟ أفلا يتفكرون ؟ أفلا يبصرون؟ أفلا يتدبرون؟ أليس منكم رجل رشيد؟ أفلا تذكرون؟، إلى غيرها من المفردات القرآنية التي تدعو إلى إعمال ملكات العقل بتوازي مع ضياء القلب: يقول النورسي: "على المفكرين الذين غشيهم ظلام أن يدركوا الكلام الآتي:

لا يتنور الفكر من دون ضياء القلب.

فإن لم يمتزج ذلك النور وهذا الضياء، فالفكر ظلام دامس يتفجر منه الظلم والجهل: فهو ظلام قد لبس لبوس النور (نور الفكر) زورا وبهتانا... وهكذا لا قيمة لبصر بلا بصيرة، فإن لم يكن سويداء القلب في فكرة بيضاء ناصعة، فحصيلة الدماغ لا تكون علما ولا بصيرة، فلا عقل دون قلب"[2].

وهذا ما تعبر عنه الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾**﴾.[3]

إن هذه الآية صريحة في تلازم العقل والقلب، وتعاونهما عند أولي الألباب أثناء النظر في الكون المخلوق. فالعقل لا يصل إلى النتائج الحقيقية دون الاستناد إلى نور القلب المشبع بهداية القرآن.

---

[1]- "الأعمال الكاملة" للإمام محمد عبده، حققها وقدم لها الدكتور محمد عمارة، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨٠، ج٣، ص : ٢٧٧.

[2]- الكلمات، ج ١، ص : ٨٤٨.

[3]- سورة آل عمران، الآية ١٩٠-١٩١.

أخلص من خلال ما سبق، إلى حقيقة مفادها: أن القرآن الكريم هو المعيار الأساسي الذي يضبط علاقة القلب بالعقل، ويحدد ووظائفهما في ضوء التكامل والتوازن وفق شروط وقيود معينة، فلا يستطيع العقل وحده أن يكشف كل الظواهر إلا بالاعتماد على نور الوحي المستقر في القلب، ولا يستطيع القلب أن يفقه الحقائق القرآنية، إلا بالاعتماد على بصيرة العقل التي تستنطق أفاق الكون والنفس، فهناك علاقة تلازم بينهما، فالعقل لا يكون عقلا حتى يستسلم لحقائق الإيمان، والقلب لا تقوم له قائمة إلا بضياء العقل وبراهينه، ومن هذا التلازم يقع النهوض الإسلامي في كافة الميادين العلمية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية، وتتخلص الأمة الإسلامية من براثين الجمود والتقليد الناشئ عن عطالة العقل وخموله، ومن الانحراف والانحدار الأخلاقي الناشئ عن فساد القلب ومرضه.

٢) النفس في رسائل النور :

١.٢. النفس في القرآن الكريم:

وردت كلمة النفس في القرآن الكريم في خمسة وتسعين ومائتي موضع بمعاني كثيرة يحددها سياق الآية التي تضمنتها. والمتمعن في هذه المعاني يجد أنها تطلق على الإنسان بروحه وجسده، لكونه المقصود من خطاب الشارع. ومن أمثلة ذلك أورد الآيات الآتية للكشف عن معنى النفس فيها.

فمن الآيات التي وردت فيها النفس بمعنى ذات الإنسان أذكر منها:

قوله تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨**﴾ سورة البقرة، الآية ٤٨.

وقوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦**﴾ سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

وقوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة المائدة، الآية ٣٢.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ سورة التحريم، الآية ٦.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة الأنبياء، الآية ٤٧.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة آل عمران، الآية ٣٠.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ سورة البقرة، الآية ٢٨١.

وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ سورة هود، الآية ١٠٥.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة القصص، الآية ٣٣.

وغيرها من الآيات في النفس الإنسانية وردت على صور متعددة من الإفراد والتثنية والجمع والإضافة وهي أكثر ما تدل على أن الإنسان كائن حي ذو أصل واحد يتكاثر ويكسب ويشتهي ويغضب ثم يجازى في عمله أخيرا.[1]

وهناك آيات ذكرت فيها النفس بمعنى "عند" ومنها :

وقوله تعالى:﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ سورة النساء، الآية ٧٨–٧٩. أي من نفسك[2].

وقد ترد بمعنى الإنسان وحده: كقوله تعالى: ﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ سورة النساء، الآية ٨٤، أي وحدك[3].

وقد ترد بجميع قواها التي يدرسها اليوم علماء النفس المتخصصون لهذه الدراسات في موضوعاتها الحديثة.

فقوة الدوافع الغريزية تقابل النفس" الأمارة بالسوء"

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ سورة يوسف، الآية ٥٣ .

وقوة النفس الواعية تقابل النفس الملهمة:

---

[1]– انظر "الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص"، عبد الكريم العثمان، دار غريب، ط٢، ١٩٨١، ص : ٥٤.

[2]– انظر "تفسير ابن كثير"، بيروت : دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٨م، ج٥، ص : ٧٠١–٧٠٢.

[3]– انظر" تفسير النسفي"، بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٨٨م، ج ١، ص : ٢٤٠.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ سورة الشمس، الآية ٧-١٠.

وقوة الضمير تقابل النفس اللوامة، وهي النفس التي يقع منها الحساب كما يقع عليها، وجاء ذكرها من أجل ذلك، مقرونا بيوم القيامة: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ سورة القيامة، الآية ١-٢.

ثم ذكرت موصوفة بالإبصار والعلم بمواقع الأعذار:

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ سورة القيامة، الآية ١٤-١٥.

وقوة الإيمان والثقة بالغيب تقابل النفس المطمئنة :

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ سورة الفجر، الآية ٢٧-٢٨.

وفي كل موضع من هذه المواضع، تذكر النفس الإنسانية بعامة هذه القوى. فتجمعها خاصة واحدة هي خاصة الإنسان في القرآن، وهما كما تقدم خاصة الكائن المكلف المسؤول[1].

إن هذه القوى تدل على أن النفس ترد في القرآن بمعنى خاصية الإنسان وجزء من مكوناته الذاتية.

فالنفس ترد في بعض الأحيان بمعنى الذات الإنسانية، وترد في أحيان أخرى بمعنى صفات الإنسان وخصائصه، والنوع الأول أعم والثاني أخص.

[1]- انظر "الإنسان في القرآن عباس محمود العقاد"، نهضة مصر للطباعة ٢٠٠٤، ص : ٣٠.

وقد ترد بمعنى النوع والجنس، كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ الشورى الآية ١١، إلى غيرها من المعاني الذي يجمعها رابط كلي مداره حول الإنسان وما يرتبط به[١].

يتبين مما سبق، أن النفس في القرآن الكريم تأخذ معاني كثيرة تتعلق بالإنسان، من حيث كونه مخلوقا مكلفا ومميزا ومسؤولا عن أفعاله في الدنيا والآخرة. وهو ما يجعلها عنصرا من عناصر التكريم الإلهي للإنسان، إذا زكاها بالأعمال الصالحة. وفيما يلي أتناول النفس الإنسانية بمعناها الخاص[٢]، كما بينها النورسي في رسالته، وأكشف عن أقسامها وطرق تزكيتها.

٢.٢. مفهوم النفس عند النورسي:

إن المتتبع لما كتبه النورسي حول حقيقة النفس الإنسانية لا يجد تعريفا اصطلاحيا في رسائله، وإنما يجد حديثا عن كونها لطيفة من لطائف الإنسان، قابلة لعوامل التدسية والتزكية[٣]، فالنفس في فكر النورسي، عبارة عن مجموعة من اللطائف والقوى القابلة لعناصر السلب والإيجاب، وصفات الفجور والتقوى، وعوامل الإعمار والتخريب وأسس البناء والهدم، يقول النورسي رحمه الله: "إن في النفس أمرا لطيفا كدرهم من ورق رقيق أظن أنه مرصاد الأبد، إذ ما يمسه شيء إلا ويعطيه حكم الأبد ويُموهه بوهم الأبدية. وإذا استعمله الهوى والهوس، صار آلة تجلب أحجار الآخرة وأساساتها إلى الدنيا، فيبنى قصرها عليها، فيأكل أثمار الآخرة بلا نضج في الدنيا الفانية.. إن النفس شيء عجيب، وكنز آلات لا تعد وموازين لا تحد لدرك جلوات كنوز الأسماء الحسنى إن تزكت، وكهف حيّات وعقارب وحشرات إن دست وطغت[٤].

فالنفس كما يرى النورسي، قوة باطنية وجهاز معنوي يحمل خصائص الارتقاء والكمال وعوامل السقوط والارتداد.

---

[١]– تفسير التحرير والتنوير لإمام الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، المجلد الثاني عشر، ج٢٥، ص : ٤٤.

[٢]– النفس بمعناها الخاص: هي جزء من مكونات الذات الإنسانية العامة التي تضم العقل والروح والقلب والحواس، وغيرها من أجهزة التكريم الإلهي للإنسان.

[٣]– انظر "الكلمات" ج١، ص : ٥٨٥.

[٤]– انظر "المثنوي" ج ٦، ص : ٣٧٨.

فهي من جهة تعلقها بأسباب التزكية تعلو حتى تصبح مناط السمو والكمال وميزان إدراك أسماء الله الحسنى، ومن جهة تعلقها بنوازع الهوى وأذواق الشهوات، تتساقط وتنحدر حتى تصبح مناط الهوان والرذالة.

فكمال الإنسان وعبوديته لا تتحقق إلا بتوفير أسباب التزكية وإعدام عوامل التدسية، وهو ما عبر عنه قوله تعالى: في سورة الشمس: ﴿ **قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾[1].

في ضوء هذه الآية الكريمة، تناول النورسي كل الحقائق المرتبطة بالنفس في مواطن مختلفة من رسائله، وكشف عن تجلياتها السلبية وتمظهراتها الخارجية.

لقد تحدث عن نوازعها وميولاتها وأهوائها وفرعونيتها وعقدها وربوبيتها وغرورها وأمراضها وفضولها وخداعها، وغيرها من الصفات التي ترتبط بها وتميزها[2].

إن النورسي في كل هذا كان يعتبر النفس عطاء ربانيا عميق الأبعاد، متعدد الأسرار لا يعرف حقائقه إلا خالقه، فالعقل البشري عاجز وحده عن إدراك كنهه وأسراره، وتوجيه دوافعه وانفعالاته، ولهذا وجب الانصياع إلى التوجيهات القرآنية في مجال تربية النفس وتزكيتها وهو ما سنبينه في ما يأتي انطلاقا من بيان النورسي لأقسام النفس وطرق تزكيتها.

٣.٢. أقسام النفس عند النورسي :

تناول النورسي النفس ووظيفتها من جهتين:

الجهة الأولى: تحدث فيها عن أصناف النفس الموجودة في ذات الإنسان، وعدها في أربعة أنواع (النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمّارة، والنفس الأمّارة الثانية، المجازية).

---

[1]- سورة الشمس، الآية ٩.

[2]- انظر على سبيل المثال ج١، ص : ٢٤٩-٥٤٢ وج٢، ص : ٥٧٧ وج٣، ص : ٨-١٢٤-١٣٠-٢٥٠ وج٤، ص : ٣٧٢-٣٨٩-٤٠٢ وج٥، ص : ٣٦-١٠٦ وج٦، ص : ١٢٧-١٢٨-١٦٥-١٦٩ وغيرها كثير منتشر في رسائل النور يتناول النفس من جهة تصرفاتها وأفعالها وما يتعلق بها.

الجهة الثانية: تحدث فيها عن النفس، من حيث علاقتها بمفهوم الأمانة في ضوء قوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾**﴾[1]، وقسمها إلى صنفين : الأنا بمعناها الحرفي، والأنا بمعناها الأسمى، وفي ما يأتي نتناول كل جهة بالدرس والتحليل وإن كان بينهما تداخل وتشارك.

- الجهة الأولى: أصناف النفس الموجودة في ذات الإنسان :

أشار النورسي إلى الأصناف الثلاثة للنفس الإنسانية كما بينها القرآن الكريم[2]، وقسم صنف النفس الأمارة بالسوء إلى قسمين : النفس الأمارة والنفس الأمارة الثانية، وركز جهده وخطابه على هذا الصنف، باعتباره مركز الدسائس الشيطانية، وموطن الملذات والشهوات الإنسانية، يسوق رحمه الله كلاما من وحي تدبره في قوله صلى الله عليه وسلم: "**إذا أراد الله بقوم خيرا أبصرهم بعيوب أنفسهم**"[3] وقوله تعالى: ﴿**۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴿٥٣﴾**﴾.[4] يقول : "نعم إن من يعجب بنفسه ويعتد بها شقي، بينما الذي يرى عيب نفسه محظوظ سعيد، لذا فأنت سعيد يا أخي، ولكن قد يحدث أحيانا أن تنقلب النفس الأمارة إلى نفس لوامة أو مطمئنة، إلا أنها تسلّم أسلحتها وأعتدتها إلى الأعصاب والعروق، فتؤدي الأعصاب والعروق تلك الوظيفة إلى نهاية العمر، رغم موت النفس الأمارة منذ مدة طويلة فإن آثارها تظهر أيضا، فهناك كثير من الأولياء والأصفياء العظام شكوا من النفس الأمارة، رغم أن

---

[1]- الأحزاب، الآية ٧٢.

[2]- وهي النفس الأمارة بالسوء كما في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴿٥٣﴾﴾ والنفس اللوامة كما في قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ والنفس المطمئنة كما في قوله تعالى في سورة الفجر : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾.

[3]- الحديث لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما ورد بلفظ (إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره عيوبه)، وقد ذكره العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الألباس، ج١، ص : ٧٨.

[4]- سورة يوسف، الآية ٥٣.

نفوسهم مطمئنة واستغاثوا بالله من أمراض القلب، رغم أن قلوبهم سليمة ومنورة جدا، فهؤلاء لا يشكون من النفس الأمارة، بل من وظيفتها التي أودعت إلى الأعصاب"[1].

إن هذا النص، يكشف عن حركة النفس، وتقلبها من درجة إلى أخرى حسب رؤية الإنسان إلى عيوب نفسه، واجتهاده نحو تزكيتها بالمجاهدة وترك الغرور والعجب.

فالإنسان، كما يرى النورسي تتحكم فيه نوازع وقوى داخلية، بالإضافة إلى القوى الخارجية المتمثلة في الدسائس والوساوس الشيطانية.

يقول النورسي رحمه الله: "إن وجود القوة الحافظة في الإنسان، دليل قطعي على وجود اللوح المحفوظ في العالم، وكذلك يشعر كل منا ويحس أن في قرارة نفسه، وفي زاوية من زوايا قلبه آلة وعضوا للوسوسة، وهي اللمة الشيطانية التي هي لسان شيطان يتكلم بتلقينات القوة الواهمة، هذه القوة قد تحولت بفسادها إلى شيطان مصغر، لأنها لا تتحرك إلا ضد اختيار الإنسان وإرادته وخلاف رغباته الحقيقية.

إن هذا الذي يشعر به كل إنسان حسا وحدسا في نفسه دليل قطعي على وجود الشياطين الكبيرة في العالم الكبير، ثم إن هذه اللمة الشيطانية وتلك القوة الواهمة تشعران بوجود نفس شريرة خارجية تنفث في الأولى وتستنطق الثانية وتستخدمها كالأذن واللسان"[2].

يتضح من خلال هذه النصوص، أن النفس الإنسانية واحدة لا تتعدد، وإنما تأخذ تمظهراتها الثلاثة بحسب طبيعة علاقاتها بالقوى الداخلية للإنسان والقوى الخارجية للشيطان.

فالنفس، حسب رأي بديع الزمان سعيد النورسي، تنقلب من حين إلى آخر، فقد تكون مطمئنة فتنقلب أمارة وهكذا، حسب قدرة الإنسان على تحكمه في نوازعه ومشاعره وطباعه المركوزة في نفسه، بل إن النورسي يعتبر الإنسان –الذي يملك نفسا زكية طاهرة– مثل الأولياء، معرض لنوازع نفس خفية موغلة في الأعصاب والعروق تتستر وراء النفس الأمارة وتظهر

---

[1]– انظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٤٢٣.

[2]– انظر "اللمعات" ج٣، ص : ١٢٧.

دسائسها حينما تقهر النفس الأمارة يقول النورسي رحمه الله: "هناك نفس أمارة معنوية غير دسائس النفس الأمارة الحقيقية هي أشد عصيانا من الأولى، وأكثر نفورا من الطاعة، وأكثر إدامة للأخلاق الذميمة، هي النفس الثانية وهي مزيج من الهوس والمشاعر والطبائع، وهي موغلة في الأعصاب والعروق، وهي الحصن الأخير الذي تحتمي به النفس الأمارة، وهي التي تتولى القيام بوظيفة النفس الأمارة السيئة السابقة- التي تزكت منها- فتجعل المجاهدة تستمر إلى نهاية العمر..ولما كانت حواس هذه النفس الأمارة الثانية عديمة الشعور عمياء لا تبصر فلا تفهم أقوال العقل ولا تدرك نصائح القلب ولا تعير لها سمعا كي تنصلح وتدرك تقصيراتها، لذا لا ترتدع عن السيئات إلا بلطمات التأديب وصفعاتها وبالآلام أو بالتضحية التامة بحيث يضحي المرء بمشاعره وحواسه كلها للهدف الذي يصبو إليه، فيترك أنانيته كليا، بل كل ما يملكه لذلك الهدف، كما تركه طلاب النور الخواص.

وفي هذا العصر العجيب تتفق النفسان الأمارتان، -الحقيقية والمجازية- معا بتلقينات رهيبة، حتى تدفعا الإنسان ليدخل في البيئات والآثام طوعا وبرغبة منه، تلك السيئات التي ترتعد من شناعتها الكائنات"[1].

إن هذا النص يكشف عن المعرفة الدقيقة لخفايا النفس وطبيعتها المعقدة، كما ينم عن التمرس الامتحاني الذي جعل النورسي يكشف ازدواجية في النفس الأمارة ذاتها، إذ لها رديف آخر من جنسها لكنه أعتى غواية وأشرس زيغا، يحول بين المرء وبين الخلوص...لكأن للنفس الأمارة ثوبا تغادره وتتركه وراءها حين يضيق المرء عليها بالتعهد التعبدي وبالترويض الإيماني وبالمكافحة التطهيرية[2].

---

[1]- انظر "الملاحق" ج٧، ص : ٢١٠.

[2]- النورسي وجذور رؤيته الإنسانية، سليمان عشراتي، أعمال المؤتمر العالمي الخامس لبديع الزمان سعيد النورسي المنعقد باستانبول سنة ٢٠٠٠، ص : ٢٠.

لقد كان النورسي على وعي تام بما تسببه النفس الإنسانية من آثار سلبية على المستوى الفردي والاجتماعي، ومن هذا الفقه الدقيق لسلبيات النفس مارس النورسي المحاسبة القاسية على نفسه مدة طويلة، ودعا إلى تزكية النفس وصقلها بالعبادة وحقائق التوحيد.

يقول رحمه الله: "معبرا عن هذه التجربة والمحاسبة التطهيرية لنفسه "اعلمي يا أيتها النفس الأمارة! أن لك دنيا هي قصر واسعة مبنية بآمالك وتعلقاتك واحتياجاتك إلى الأكوان، فالحجر الأساس في ذلك القصر والأصل الأول والعمود الفريد، هو وجودك وحياتك، مع إن هذا العمود مدوَّد..وهذا بأيدي (التمل جورك) والأساس فاسد ضعيف مهيأ للخراب في كل آن، فليس هذا الجسم بأبدي ولا من حديد ولا حجر، بل من لحم ودم مهيأ لأن يتفرق في كل آن، فبانحلاله تنفلق عنك هذه الدنيا بحذافيرها، فتخرب على راسك دنياك. فانظري إلى الماضي إذ هو قبر واسع خرب على رأس كل ميت كان مثلك في دنياه. والمستقبل أيضا قبر واسع يكون مثله، وأنت الآن بين ضغطة القبرين، كما أن أمس قبر أبي، وغدا قبري، وأنت أنا بين ضغطة القبرين، فالدنيا مع أنها واحدة؛ تداخلت وانمحت فيها – لكل أحد — دنيا بتمامها فهي شخصية كلية، من مات قامت قيامته"[1].

ويقول أيضا: "اعلم أن هذه ثلاثون سنة لي مجادلة مع طاغوتين وهما"أنا" في الإنسان والطبيعة في العالم.

أما هذا فرأيته مرآة ظليا حرفيا. لكن نظر الإنسان إليه نظرا اسميا قصديا بالأصالة فتفرعن عليه وتنمرد.

وأما هذه، فرأيتها صنعه إلهية وصبغة رحمانية..لكن نظر البشر إليها بنظر الغفلة فتحولت لهم "طبيعة" فتألّهت عند ماديهم فأنشأت كفران النعم المنجر إلى الكفر"[2].

إلى غيرها من النصوص التي أكثر فيها النورسي من ألفاظ " يا نفسي، اعلمي يا نفس أيتها النفس المتفرعنة، اعلم يا أنا"[1].

---

[1]– المثنوي، ج٦، ص : ١٣٠.

[2]–المثنوي، ج٦، ص : ٢٢١.

إن هذه المحاسبة الدقيقة والمجاهدة المستمرة للنفس، تشي بحقيقة مفادها أن الرجل حينما تحدث عن تقلبات النفس، وكشف عن نوع خفي سماه النفس الأمارة الثانية، كان في كل ذلك يكتب بلغة تدمج التجربة بالنظر، والمجاهدة بالتصور، والوجدان بالعقل وفق مسلك يختلف عن مسالك الدراسات النفسية الإسلامية الحديثة التي تناولت النفس الإنسانية ولم تشر إلى هذا النوع من النفس الأمارة الثانية[٢].

وهو ما يفسر تأثر النورسي بمنهج علماء السلوك الربانيين الذين جمعوا بين المجاهدة النفسية والنظر الشرعي، والتجربة الوجدانية والتصور الإسلامي، فكتبوا عن النفس الإنسانية بلغة المراس والتجربة، فكانت كتاباتهم مدرسة متميزة تعنى باستكشاف النفس الإنسانية، ودراسة حركتها ووصف أمراضها، وتحديد عناصر علاجها.

ويمكن أن نمثل لبعض رموز هذه المدرسة بالأسماء الآتية:

*الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، له كتاب "آداب النفوس" تحدث فيه عن سياسية النفس وتطهيرها وطرق تزكيتها ومراجعتها[٣].

*والإمام أبو حامد الغزالي (حجة الإسلام)، له "إحياء علوم الدين" وكتاب "معارج القدس في معرفة النفس"، تحدث فيهما عن النفس بالمعنى الأول الجامع للصفات المذمومة وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية، والمعنى الثاني يراد به حقيقة الآدمي وذاته لأن نفس كل شيء حقيقته[٤].

---

[١]- انظر على سبيل المثال "المثنوي"، ج٦، ص : ١٢٦-٢٢١ و"الكلمات" ج١، ص : ١٤٠.

[٢]- انظر على سبيل المثال في النفس والقرآن للدكتور عزت عبد العظيم الطويل المكتب الجامعي الحديث ١٤٠٢-١٩٨٢م، وانظر القرآن وعلم النفس الدكتور عبد العلي الجسماني، بيروت : الدار العربية للعلوم، ١٩٩٧-٢٠٠٠.

[٣]- انظر آداب النفوس، دارسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا مؤسسة الكتب الثقافية.

[٤]- انظر علم النفس التراث الإسلامي، القاهرة: المهعد العالمي للفكر الاسلامي ١٩٩٦م، ط١ (سلسلة تيسير الثرات)، انظر كلام الغزالي عن النفس في إحياء علوم الدين ج١٣، ص : ٣ وما بعدها.

*والإمام ابن قيم الجوزية: له كتاب "الروح" في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة وأقوال العلماء تحدث فيه عن المراقبة والمحاسبة وعن أقسام النفس الإنسانية وأحوالها[١]، وغيرها من الكتب التي لا تحصى في هذا المقام[٢].

لقد كان النورسي امتدادا لهذه المدرسة التي جمعت بين العلم والعمل، والقلب والعقل في إطار موحد غايته توجيه النفس الإنسانية نحو وظيفتها الحقيقية وغايتها الأساسية.

وفي ما يأتي أتناول بعضا من هذه الحقيقة، كاشفين عن علاقة النفس الإنسانية بمفهوم الأمانة الكبرى التي حملها الإنسان على عاتقه.

- الجهة الثانية: النفس من جهة علاقتها بالأمانة الكبرى:

يقول الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.[٣] من وحي هذه الآية الكريمة تحدث النورسي عن النفس الإنسانية، وحدد وظيفتها الحقيقية في الحياة، وكشف عن جانبها الايجابي والسلبي، وحدد معالم تزكيتها وأسباب تدسيتها، يقول النورسي رحمه الله: "إن الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها لها معان عدة، ولها وجوه كثيرة، فمعنى من تلك المعاني، ووجه من تلك الوجوه هو "أنا".

نعم إن "أنا" بذرة، نشأت منها شجرة طوبى نورانية عظيمة، وشجرة زقوم رهيبة، تمدان أغصانهما وتنشران فروعهما في إرجاء الإنسان من لدن آدم عليه السلام إلى الوقت الحاضر"[٤].

---

[١]- انظر الروح لابن قيم الجوزي: تحقيق محمد اسكندريلدا، دار الكتب العلمية بيروت، انظر مباحث حقيقة النفس وأقسامها وأحوالها.

[٢]- انظر "علم النفس التراث الإسلامي".

[٣]- سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

[٤]- انظر الكلمات ج١، ص : ٦٣٥.

إن النورسي في هذا النص، يقسم النفس من حيث وظيفتها إلى قسمين: الأنا الايجابية، والأنا السلبية، فالأولى تتحقق بقدر انصياعها إلى أوامر الأمانة ومقتضياتها، والثانية تطغى وتبرز بقدر الإخلال بواجبات الأمانة ومستلزماتها.

فالأمانة الكبرى التي حملها الإنسان تشكل معيارا أساسيا لتصنيف النفس الإنسانية، وإدراك حقيقتها ونتائج أفعالها، فكلما اقتربت النفس من تكاليف الأمانة، وانصاعت إلى أوامرها تألقت وتزكت وسمت، وكلما ابتعدت عن واجبات الأمانة وقعت في الجهالة والغرور والأنانية، يقول النورسي رحمه الله شارحا هذه الحقيقة: ""أجل إن "أنا" مع أنه ألف رقيق، خيط دقيق، خط مفترض، إلا أنه إن لم تعرف ماهيته ينمو في الخفاء –كنمو البذرة تحت التراب ويكبر شيئا فشيئا– حتى ينتشر في جميع أنحاء وجود الإنسان فيبتلعه ابتلاع الثعبان الضخم، فيكون ذلك الإنسان بكامله وبجميع لطائفه ومشاعره عبارة عن "أنا"، ثم تمده "أنانية" النوع نافخة فيه روح العصبية النوعية والقومية، فيستغلظ بالاستناد على "هذه" الأنانية حتى يصير كالشيطان الرجيم يتحدى أوامر الله ويعارضها،...، ثم "فأنا" في وضعه هذا، الملتبس بالخيانة للأمانة، إنما هو في جهل مطبق، بل هو أجهل الجهلاء، يتخبط في درك جهالة مركبة حتى لو علم آلاف العلوم والفنون، ذلك لأن ما تتلقفه حواسه وأفكاره من أنوار المعرفة المبثوثة في رحاب الكون لا يجد في نفسه مادة تصدقه وتنوره وتديمه، لذا تنطفىء كل تلك المعارف وتغدو ظلاما دامسا، إذ ينصبغ كل ما يرد إليه بصبغة نفسه المظلمة القاتمة، حتى لو وردت حكمة محضة باهرة فإنها تلبس في نفسه لبوس العبث المطلق، لأن لون "أنا" في هذه الحالة هو الشرك وتعطيل الخالق من صفاته الجليلة وإنكار وجوده تعالى. بل لو امتلأ الكون كله بآيات ساطعات ومصابيح هدى، فإن النقطة المظلمة الموجودة في "أنا" تكسف جميع تلك الأنوار القادمة وتحجبها عن الظهور""[1].

إن هذا النص الذي سقناه، يكشف عن منهج جديد في بيان حقيقة النفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، أساسه الربط الوثيق بين مفهوم الأمانة الكبرى، ومفهوم الأنا بمعناها

[1]– انظر "الكلمات" ج١، ص : ٦٣٨–٦٣٩ بتصرف.

الايجابي والسلبي، حيث تتخذ النفس الإنسانية وظائف ايجابية وسلبية متعددة بناء على طبيعة علاقتها بحدود الأمانة الكبرى وواجباتها.

فالأنا، حينما يرتبط بالأمانة الكبرى والتزاماتها، يصبح مفتاح الحضارة والتقدم، ويملك مقومات الاكتشاف لسنن الكون وكنوزه الخفية، كما يصبح وحدة قياسية تعرف بها أوصاف الربوبية وشؤون الألوهية.

إن" الأنا" بما تحمله من خصائص الخير، والاختيار، والإرادة، في ضوء قانون الأمانة، قادرة على تسخير معطيات الكون وإمكاناته لصالحها، وفق حدود طاقتها الممنوحة لها في ضوء النوامس والقوانين الإلهية كما أرادها الله في كونه ومخلوقاته.

فالله تعالى منحها قوة وخصائص عجيبة، تدرك من خلالها أثر خالقها في عالم الكائنات والمخلوقات جميعا، يقول النورسي رحمه الله: "اعلم! أن مفتاح العالم بيد الإنسان وفي نفسه، فالكائنات مع أنها مفتحة الأبواب –ظاهرا– إلا أنها منغلقة حقيقة. فالحق سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحا يفتح كل أبواب العالم وطلسما يفتح به الكنوز المخفية لخلاق الكون، والمفتاح –هو– ما فيك من " أنا" إلا أن " أنا" أيضا معمى مغلق وطلسم منغلق. فإذا فتحت "أنا" بمعرفة ماهيته الموهومة– وسر خلقته– انفتح لك طلسم– الكائنات كالآتي.

إن الله جل جلاله وضع بيد الإنسان أمانة هي: "أنا" الذي ينطوي على إشارات ونماذج يستدل بها على حقائق أوصاف ربوبيته الجليلة وشؤونها المقدسة، أي يكون"أنا" وحدة قياسية تعرف بها أوصاف الربوبية وشؤون الألوهية[1].

يتضح من خلال هذا النص، أن "الأنا" عطاء رباني، تميز به الإنسان عن سائر الكائنات، وجعله مناط تحمله لمسؤولية الأمانة ووسيلة تأهليه للقيام بمهامها وواجباتها.

[1]– انظر الكلمات ج١، ص : ٦٣٥-٦٣٦.

فالإنسان بما منح من أسرار وقدرات كامنة في نفسه، مسؤول عن تحقيق الخلافة والعمارة في الأرض وفق ما تتطلبه شروط الأمانة ومستلزماتها في الحياة.

إن النورسي يتخذ من الرابط المنهجي بين مفهوم النفس ومفهوم الأمانة الكبرى مدخلا أساسيا لمعالجة قضايا الإنسان الإيمانية والاجتماعية. فأسماء الله وصفاته وأثاره في الكون لا تتحقق إلا بالارتباط الحقيقي بين "الأنا" والأمانة الكبرى، كما أن الفعل الحضاري العام، لا يكون ايجابيا إلا بترك غرور النفس وطغيانها وضرورة التزامها بواجبات الأمانة الكبرى التي تحملها الإنسان.

هذا التصور الذي يتخذ من النفس مدخلا للتغيير الحضاري، ومسلكا لإثبات أسماء الله، وصفاته، وآثاره في واقع الحياة الإنسانية، قادر على مواجهة الفلسفة المادية التي فتحت الأبواب مطلقا، لرغبات النفس وأهوائها وميولاتها، وكفيل بتوجيه مكامن الخير في النفس الإنسانية نحو عمارة الأرض بالصلاح والخير، والتكافل والتعاون بين أفرادها، من أجل تحقيق واجب الأمانة كما أرادها الله.

يستعير النورسي المصطلحات النحوية "الحرف والاسم"، ويوظفها في سياق تحليله لهذا التوجيه الايجابي لمكامن النفس الإنسانية نحو العمارة والاستخلاف في ضوء شروط الأمانة وتكاليفها، يقول رحمه الله: "إن ماهية "أنا" حرفية، أي يدل على معنى في غيره، فربوبيته خيالية، ووجوده ضعيف وهزيل إلى حد لا يطيق أن يحمل بذاته أي شيء كان، ولا يطيق أن يحمل عليه شيء، بل هو ميزان ليس إلا، يبين صفات الله تعالى التي هي مطلقة ومحيطة بكل شيء، بمثل ما يبين ميزان الحرارة وميزان الهواء والموازين الأخرى مقادير الأشياء ودرجتها".

فالذي يعرف ماهية "أنا" على هذا الوجه، ويذعن له، ثم يعمل وفق ذلك وبمقتضاه، يدخل ضمن بشارة قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝﴾[1]، ويكون قد أدى الأمانة حقها فيدرك بمنظار"أنا" حقيقة الكائنات والوظائف التي تؤديها، وعندما ترد المعلومات من الآفاق

[1]– سورة الشمس، الآية ٩.

الخارجية إلى النفس، تجد في "أنا" ما يصدقها، فتستقر تلك المعلومات علوما نورانية وحكمة صائبة في النفس، ولا تنقلب إلى ظلمات العبثية.

وحينما يؤدي"أنا" وظيفته على هذه الصورة يترك ربوبيته الموهومة، ومالكيته المفترضة التي هي وحدة قياس ليس إلا ويفوض الملك لله وحده قائلا: له الملك، وله الحمد، وله الحكم، وإليه ترجعون، فيلبس لباس عبوديته الحقة، ويرتقي إلى مقام أحسن تقويم.

ولكن إذا نسي "أنا" حكمة خلقه، ونظر إلى نفسه بالمعنى الاسمي، تاركا وظيفته الفطرية، معتقدا بنفسه أنه المالك، فقد خان الأمانة ودخل ضمن النذير الإلهي: ﴿**وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾.[1]

وهكذا فإن إشفاق السموات والأرض والجبال من حمل الأمانة، ورهبتهن من شرك موهوم مفترض، إنما هو من هذا الوجه من "الأنانية" التي تولد جميع أنواع الشرك والشرور والضلالات"[2].

إن هذا التصور يقف في وجه الفلسفة الحديثة التي تفرعن فيها مفهوم"الأنا" وأضحى مالكا لنفسه، محددا لمصيره، مقررا لمصالحه في جميع مجالات الحياة، مما نتج عن ذلك شيوع الأنانية والفردانية وطغيانها في سلوكات الإنسان الغربي.

تعترف بعض الدراسات الغربية بأن الفردية هي المسؤولة عن تراجع الأخلاق، وتزايد مستويات الاستقلال، والاعتماد على الذات والتأكيد على النمو الفردي، لذا فالناس في المجتمع العصري متخلقون بالأنانية مرتكزون حول الذات، استهلاكيون، محبون للرذيلة واللذة، ومثل هذه الصفات تهدد تماسك المجتمع.[3]

لقد أدرك النورسي خطورة هذه"الأنا" التي تنظر إلى الأشياء بالنظر الاسمي، فراح يؤكد على ضرورة النظر الحرفي لها، واعتبر ذلك مناط تحقيق واجبات الأمانة الكبرى التي حملها

---

[1]– سورة الشمس، الآية ١٠.

[2]– انظر "الكلمات" ج١، ص : ٦٣٧–٦٣٨.

[3]– أنظر "إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي"، عرض وتحليل الدكتور زياد خليل محمد الدغامين، ص : ٢٣٠.

الإنسان على عاتقه وتميز بها عن سائر الكائنات، فالأمانة الكبرى اختيار لحقيقة النفس الإنسانية وميولاتها، فمتى أسندت نظرها وأفعالها الايجابية إلى خالقها فقد أدت تكاليف الأمانة، ومتى انقادت إلى غرورها، وفرعونيتها، فقد وقعت في مسالك الغواية، وخانت الأمانة، وأودت بالإنسان إلى غياهب الظلام وعبادة الشهوات والملذات.

فالإنسان الذي ينظر إلى العالم من خلال قدرات نفسه وينسى خالقه ومبدعه، فقد أخل بمفهوم الأمانة ووقع في الجهالة التي نصّت عليها الآية الكريمة في سياق حديثها عن قضية رفض السموات والأرض تحمل الأمانة –لعدم قدرتها على الإيفاء بتبعاتها وواجباتها– ﴿**وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴿٧٢﴾﴾.[1] إن الإنسان كما يرى النورسي، حين ينهى النفس عن الهوى، وينظر إلى ذاته نظرا حرفيا افتقاريا، يكون قد اختار منهج النبوة في الوفاء بمقتضيات الأمانة، فيحقق بذلك وظيفته الحقيقية، ويعطي لوجوده معنى ايجابيا، يقول النورسي رحمه الله: "إن النبوة تمضي آخذة وجها لـ "أنا"، والفلسفة تقبل آخذة الوجه الآخر لـ "أنا"".

فالوجه الأول الذي يتطلع إلى حقائق النبوة: يكون منشأ العبودية الخالصة لله أي أن" أنا": يعرف أنه عبد الله، ومطيع لمعبوده، ويفهم أن ماهيته حرفية، أي دال على معنى في غيره..ويعتقد أن وجوده تبعي، أي قائم بوجود غيره وبإيجاده.. ويعلم أن مالكيته للأشياء وهمية، أي أن له مالكية مؤقتة ظاهرية بإذن مالكه الحقيقي.

وحقيقته ظلية– ليست أصيلة – أي أنه ممكن مخلوق هزيل، وظل ضعيف يعكس تجليا لحقيقة واجبة حقة..

أما وظيفته، فهي القيام بطاعة مولاه طاعة شعورية كاملة، لكونه ميزانا لمعرفة صفات خالقه، ومقياسا للتعرف على شؤونه سبحانه.

[1]– سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

هكذا نظر الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، ومن تبعهم من الأصفياء والأولياء إلى "أنا".[1]

بهذا التصور، يكون النورسي قد حقق مفهوم النفس الإنسانية، وكشف عن جانبها السلبي والايجابي في ضوء مطالب الأمانة الكبرى وحدودها، مستعيرا مفهوم الحرفية والاسمية عند النحويين، وموظفا له أحسن توظيف في سياق الكشف عن الوظيفة الحقيقية للنفس الإنسانية أو "الأنا" حسب اصطلاحه.

لقد كان النورسي في كل هذا، يكتب بلغة التجربة والمجاهدة النفسية التي اتسمت بالصدق والإنصاف مع نفسه ومع الآخر، كما كان يهدف من وراء كتاباته إلى مواجهة الفلسفة المادية التي ألهت "الأنا" وجعلته ماسكا لزمام نفسه، مسارعا إلى كل نوع من أنواع الضلالة، يقول النورسي رحمه الله : "وهكذا نبتت شجرة زقوم على قمة هذا الوجه من "أنا" غطت بضلالها نصف البشرية وحادت بهم عن سواء السبيل، أما الثمرات التي قدمتها تلك الشجرة الخبيثة، شجرة الزقوم، إلى أنظار البشر فهي الأصنام والآلهة في غصن القوة البهيمية الشهوية، إذ الفلسفة تحبذ أصلا القوة، وتتخذها أساسا وقاعدة مقررة لنهجها، حتى إن مبدأ "الحكم للغالب" دستور من دساترها، وتأخذ بمبدأ الحق في القوة[2] فأعجبت ضمنا بالظلم والعدوان، ثم أنها ملكت الجمال في المخلوقات، والحسن في صورها إلى المخلوق نفسه وإلى الصورة نفسها متناسية نسبة ذلك الجمال إلى تجلي الجمال المقدس للخالق الجميل[3].

هكذا استطاع النورسي أن يؤسس رؤية شاملة حول حقيقة النفس الإنسانية، ووظيفتها الحقيقية في ضوء القرآن الكريم ومعالم السنة النبوية الشريفة، مواجها الفلسفة المادية التأليهية لذات الإنسان، وكاشفا عن إختلالاتها النظرية ومفاسدها الأخلاقية.

٤.٢. طرق تزكية النفس عند النورسي :

---

[1]– انظر "الكلمات" ج١، ص : ٦٤٠-٦٤١.

[2]– أما النبوة فهي تقرر أن القوة في الحق وليس الحق في القوة فتقطع حاجز الظلم وتحقق العدل : المؤلف الكلمات ج١، ص : ٦٤٣.

[3]–انظر "الكلمات" ج١، ص : ٦٤٣.

إن المتتبع لما كتبه النورسي حول منهج السير إلى الله، وقواعده، يجد عنده أن القرآن الكريم هو محور التزكية النفسية وأساسها وعليه مدار فروعها، ومنه تستنبط طرق العروج إلى مدارج الكمال، وأسس الوصول إلى معرفة الله.

لقد أدرك النورسي أن الزمن المعاصر بتحدياته الكبرى، لا تناسبه مسالك الطرق الطريق الصوفية، فراح يؤسس طريقا جديدا أساسه القرآن ومنبعه السنة النبوية الشريفة[1]، وهدفه صياغة إنسان التزكية انطلاقا من حقائق الإيمان، وإدماجه في حراك التدافع بين قوى الخير والشر، في واقع عرف أخطر التحولات في تاريخ المسلمين. يقول النورسي مصرحا بأهمية هذا الطريق، مؤكدا حقيقة، مفادها أن الشيوخ العظام لو عاصروا ما شهده من تحديات كبرى واجهت حقائق الإيمان، لما وسعهم إلا إتباع هذا الطريق الذي سلكه: "فإني أخال لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشاه النقشبندي والإمام الرباني، وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هذا، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية، ذلك لأنهما منشأ السعادة الأبدية وأن أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي، نعم لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون جدا دون تصوف، فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز بينما يمكنه العيش دون فاكهة. فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خبز.

وفيما مضى كان الصعود إلى بعض من حقائق الإيمان يستغرق أربعين يوما، بالسير والسلوك، وقد يطول إلى أربعين سنة، ولو هيأت الرحمة الإلهية في الوقت الحاضر طريقا للصعود إلى تلك الحقائق لا يستغرق أربعين دقيقة ! فليس من العقل أن لا يبالي بهذا الطريق؟!

فالذين قرأوا بإمعان ثلاثا وثلاثين رسالة من "الكلمات"، يقرون بأن تلك" الكلمات" قد فتحت أمامهم طريقا قرآنيا قصيرا كهذا"[2].

---

[1]– في هذه المسألة ليس الغرض هو الحديث عن تزكية النفس، فرسائل النور كلها حديث عن تزكية النفس بالإيمان وتهذيبها بأنوار القرآن وإنما الغرض هو الكشف عن المنهج المتبع في السير إلى الله عند بديع الزمان ومحاولة إثبات استقلاليته عن منهج أهل الطريقة الصوفية.

[2]– انظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٢٧.

على أن النورسي وإن كان يرفض الطريقة منهجا للسلوك إلى الله تعالى في هذا العصر، ويعتبره فاكهة يمكن الاستغناء عنها أمام واجبات المرحلة التي تقتضي إبراز حقائق الإيمان وفق مسالك القرآن، فإنه يرفض أيضا البقاء في دائرة الكلام والفقه وحلقاتها الضيقة، المنكبة على دراسة الكتب القديمة فحسب، والتي لا تولد الإخلاص والتضحية، بل قد تدفع عن طريق الجمود والتأويلات المائعة أصحابها إلى أحضان الضلال والنفاق[1].

يقول النورسي رحمه الله: "فهذا العصر المشؤوم قد غرز الناس بهذه الأمور وما زال ولقحهم بأفكاره ومازال، بحيث ترك العلماء الذين هم خارج دائرة رسائل النور، بل بعض الأولياء، حكم الحقائق الإيمانية في الدرجة الثانية والثالثة بسبب ارتباطهم بتلك الحياة السياسية والاجتماعية منجرفين مع تلك التيارات، فيولون حبهم للمنافقين الذين يبادلونهم الفكر نفسه، ويعادون من يخالفهم الرأي من أهل الحقيقة، بل أهل الولاية وينتقدونهم. حتى جعلوا المشاعر الدينية تابعة لتلك التيارات[2].

إذن، يتبين مما سبق أن اختيار النورسي للمسلك التربوي القرآني كان نابعا من عمق تأمله في الواقع، وما يتطلبه من أساليب وطرق جديدة تناسب طبيعة المرحلة التي يمر بها مجتمعه.

لقد صرح النورسي بعدم مناسبة مسلك الصوفية وعلماء الكلام والفلاسفة لطبيعة المرحلة، وأفصح عن جدارة المعراج القرآني وأهميته في الواقع المعاصر، يقول رحمه الله: "إن أصول العروج إلى عرش الكمالات وهو معرفة الله جل جلاله" أربعة:

أولها: منهاج علماء الصوفية، المؤسس على تزكية النفس والسلوك الاشراقي.

ثانيها : طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان.

هذان الأصلان وإن تشبعا من القرآن الكريم، إلا أن فكر البشر قد أفرغهما في صور أخرى فأصبحتا طويلة وذات مشاكل.

---

[1]- انظر التربية السلوكية عن بديع الزمان سعيد النورسي بحوث ألقيت في الندوة الدولية التي نظمتها شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القاضي عياض بمراكش المغرب : بحث الدكتور محسن عبد الحميد ص ٨١ بتصرف.

[2]- انظر "الملاحق" ج٧، ص : ١٤٩.

ثالثها: مسلك الفلاسفة.

هذه الثلاثة ليست مصونة من الشبهات والأوهام.

رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبني الإنسان.

وأنا قد اخترت هذا الطريق[1].

هذا الطريق الذي اتبعه النورسي في تزكية النفس وحمايتها من طرق الضلالة ومسالك الشيطان، حصره في أربع خطوات، تمثلت في العجز، والفقر، والشفقة، والتفكر،[2] نحاول شرح هذه الخطوات كما وردت في رسائل النور مع قليل من الاختصار حسب ما يتوافق مع طبيعة البحث.

[1]- انظر "صقيل الإسلام" ج٨، ص : ١٢٢-١٢٣.

[2]- انظر "الكلمات" ج١، ص : ٥٥٨.

١-العجز:

يعتبر النورسي هذا المسلك موصلا إلى المحبوبية عن طريق العبودية، يختلف عما سلكه أصل السلوك في طرق الخفاء فهو حقيقة شرعية أكثر مما هو طريقة صوفية، غايته إظهار العجز والفقر والتقصير لله دون غيره من المخلوقات، أساسه قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾.[١]

يقول رحمه الله شارحا هذا المسلك من وحي هذه الآية الكريمة: "الإنسان حسب جبلته، وبمقتضى فطرته، محب لنفسه بالذات، بل لا يحب إلا ذاته في المقدمة، ويضحي بكل شيء من أجل نفسه، ويمدح نفسه مدحا لا يليق إلا بالمعبود وحده، وينزه شخصه ويبرئ ساحة نفسه، بل لا يقبل التقصير لنفسه أصلا ويدافع عنها دفاعا قويا بما يشبه العبادة، حتى كأنه يصرف ما أودعه الله فيه من أجهزة لحمده سبحانه وتقديسه إلى نفسه، فيصيبه وصف الآية الكريمة:﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ۝٤٣﴾[٢] فيعجب بنفسه ويعتد بها، فلابد إذن من تزكيتها فتزكيتها في هذه الخطوة وتطهيرها هي بعدم تزكيتها"[٣].

إن إقرار الإنسان بعجزه؛ يمنحه القوة لمواجهة أعدائه ويلبي حاجاته المعنوية ويؤمّن مطالبه المادية[٤]، فإظهار العجز لله صمام الأمان من جميع مخاطر المستقبل، يقول النورسي رحمه الله: "وفي جنبي الأيسر أيضا جرح عميق هو عجز وضعف بلا حد في مقابلة أعداء ومهالك بلا عد. فألم الخوف يزيل لذة الحياة الدنيوية..فان أنصت بالتسليم لدعوة القرآن، انقلب عجزي تذكرة دعوة للاستناد بالقدير المطلق، والاتصال بسر التوكل بنقطة استناد فيها أمن وأمان من الأعداء، وإلا بقيت مضطربا بين أعداء متشاكسين لا تعد بعجز لا يحد"[٥]، هذا المسلك التأميني لحياة الإنسان من ألم الخوف، لم يتركه النورسي مجردا، وإنما وضع له تدابير تحفظه

---

[١]- سورة النجم، الآية ٣٢.

[٢]- سورة الفرقان، الآية ٤٣.

[٣]- انظر "الكلمات" ج١، ص : ٥٥٩ بتصرف.

[٤]- انظر "الشعاعات" ج١٤، ص : ٨٣ بتصرف.

[٥]- انظر "المثنوي العربي" ج٦، ص : ٣٦١.

وتحققه انطلاقا من القرآن الكريم، لخصها في الأوراد المسنونة والعمل بالفرائض، ولاسيما الصلاة باعتدال الأركان والعمل بالأذكار عقبها..وترك الكبائر[1].

٢- الفقر:

هذا المسلك يتوافق مع المسلك السابق ويشاركه في النتائج والثمرات، أسسه النورسي بناء على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.[2] من وحي هذه الآية الكريمة، يشرح النورسي حقيقة الافتقار إلى الله وأهميتها في تزكية النفس وتطهيرها من الحرص والطمع في الحظوظ مع ترك العمل، بقوله: "فالإنسان ينسى نفسه ويغفل عنها، فإذا ما فكر في الموت صرفه إلى غيره، وإذا ما رأى الفناء والزوال دفعه إلى الآخرين، وكأنه لا يعنيه بشيء، إذا مقتضى النفس الأمارة إنما تذكر ذاتها في مقام أخذ الأجرة، والحظوظ وتلتزم بها بشدة، بينما تتناسى ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتكليف، فتزكيتها وتطهيرها وتربيتها في هذه الخطوة هي: العمل بعكس هذه الحالة، أي عدم النسيان في عين النسيان، أي نسيان النفس في الحظوظ والأجرة والتفكر فيها عند الخدمات والموت"[3].

هذا الموقف من النفس في مقام الحظوظ والأجرة، يقودنا إلى حقيقة هامة في فكر الرجل، تتمثل في كون حصول الثمرات والمنافع ليست نابعة من قدرات النفس، وإنما من استنادها إلى خالقها ومبدعها.

فالنورسي يقترح مفهوم الافتقار إلى الله والانتساب إلى رحمته، علاجا لأمراض الغرور التي تهجم على النفس.

على أن هذا الافتقار لا يبقى تصورا عالقا في ذهن الإنسان، وإنما يحتاج إلى ترجمة عملية في حياته اليومية وأفعاله التعبدية. انطلاقا من وسائل شرعية، تأتي في مقدمتها وسيلة الدعاء بلسان الفعل والقول، يقول النورسي رحمه الله: "وحيث إن الإنسان متعرض لما لا يحصى من

---

[1]- انظر "الكلمات" ج١، ص : ٥٥٨.

[2]- انظر سورة الحشر، الآية ١٩.

[3]- الكلمات ج١، ص : ٥٥٩.

أنواع البلايا والمصائب، ومهاجمة الأعداء لما يحمل من عجز مطلق، وله مطالب كثيرة وحاجات عديدة مع أنه فقر مدقع لا نهاية له، لذا تكون وظيفته الفطرية الأساس" الدعاء بعد الإيمان وهو أساس العبادة ومخها، فكما يلجأ الطفل العاجز عن تحقيق مراميه أو تنفيذ رغبته بما لا تصل إليه يده، إلى البكاء والعويل أو يطلب مأموله، أي يدعو بلسان عجزه إما قولا أو فعلا فيوفق إلى مقصوده ذاك، كذلك الإنسان الذي هو ألطف أنواع الأحياء وأعجزها وأفقرها وهو بمنزلة صبي ضعيف لطيف، فلا بد له من أن يأوي إلى كنف الرحمن الرحيم، والانطراح بين يديه إما باكيا معبرا عن ضعفه وعجزه أو داعيا بفقره واحتياجه، حتى تلبى حاجته وتنفذ رغبته، وعندئذ يكون قد أدى شكر تلك الاغاثات والتلبيات والتسخيرات. وإلا فإذا قال بغرور كالطفل الأحمق" أنا أتمكن أن أسخر جميع هذه الأشياء وأستحوذ عليها بأفكاري وتدبيري" وهي التي تفوق ألوف المرات قوته وطاقته، فليس ذلك إلا كفران بنعم الله تعالى"[١].

٣- الشفقة:

يعتبر النورسي الشفقة كالعشق، موصل إلى الله إلا أنه أنفذ منه في السير وأوسع منه مدى، إذ هو موصل إلى اسم الله "الرحيم"[٢]، منبعه من وحي قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ٧٩﴾[٣]، فإن كنت شفيقا فهي حسنة من الله تعالى عليك توفيقا في الابتداء وإثابة في الانتهاء، وإن كنت قاسي القلب فهي سيئة مصدرها النفس الأمارة ولا تعود عليك إلا بالعقاب[٤].

إن هذا المسلك كغيره من المسالك السابقة، يسوق النفس إلى مقام الانتساب إلى الله، والاستناد إلى رحمته في كل أفعاله، ويطهرها من أمراض العجب والفخر والمباهاة، ذلك أن النفس دائما تنسب الخير إلى ذاتها، مما يسوقها هذا إلى الفخر والعجب فعلى المرء في هذه

---

[١]- انظر "الكلمات" ج١، ص : ٣٥٥.

[٢]- انظر المصدر نفسه، ص : ٣٥٨ بتصرف

[٣]- سورة النساء، الآية ٧٩.

[٤]- انظر "حلقة دراسية حول الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي"، بحث الدكتور محمود أبو الهدى الحسيني، استانبول : مؤسسة الثقافة والعلوم مركز رسائل النور، ٢٦-٢٧ يوليوز ٢٠٠٥، ص : ٩٨.

الخطوة أن لا يرى من نفسه إلا القصور والنقص والعجز والفقر، وأن يرى محاسنه وكمالاته إحسانا من فاطره الجليل، ويتقبلها نعما منه سبحانه، فيشكر عندئذ بدل الفخر ويحمد بدل المدح والمباهاة، فتزكية النفس في هذه المرتبة هي في سر هذه الآية الكريمة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾.[1]

وهي أن تعلم بأن كمالها في عدم كمالها، وقدرتها في عجزها، وغناها في فقرها، (أي كمال النفس في معرفة عدم كمالها، وقدرتها في عجزها أمام الله، وغناها في فقرها إليه).[2]

هكذا نجد عنوان الافتقار إلى الله يشكل المحور الأساسي الذي تقوم عليه سائر المسالك التي تطرقنا إليها، فالعجز والفقر والشفقة كلهم طريق إلى تزكية النفس وتصفيتها من أمراض الضلالة وطغيان الغرور.

٤- التفكر:

التفكر مسلك قرآني يوصل السالك إلى اسم الله "الحكيم"، منبعه قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ۝٨٨﴾.[3] يقول النورسي رحمه الله مفسرا هذه الآية الكريمة. ومبينا أثر التفكر في تزكية النفس، وإنقاذها من الإغراق في ظلمات العدم غير المتناهية: "ذلك لان النفس تتوهم نفسها حرة مستقلة بذاتها، لذا تدّعى نوعا من الربوبية، وتضمر عصيانا حيال معبودها الحق. فبإدراك الحقيقة الآتية ينجو الإنسان من ذلك وهي: كل شيء بحد ذاته، وبمعناه الاسمي: زائل، مفقود، حادث، معدوم، إلا أنه في معناه الحرفي، وبجهة قيامه بدوره المرآة العاكسة لأسماء الصانع الجليل، وباعتبار مهامه ووظائفه: شاهد، مشهود، واجد، موجود.

فتزكيتها في هذه الخطوة هي معرفة: أن عدمها في وجودها، ووجودها في عدمها. أي إذا رأت ذاتها وأعطت لوجودها وجودا، فإنما تغرق في ظلمات عدم يسع الكائنات كلها، يعني إذا غفلت عن موجدها الحقيقي وهو الله، مغترة بوجودها الشخصي، فإنها تجد نفسها وحيدة

---

[1]– سورة الشمس، الآية ٩.

[2]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٥٦٠ بتصرف.

[3]– سورة القصص، الآية ٨٨.

غريقة في ظلمات الفراق والعدم غير المتناهية، كأنها اليراعة في ضيائها الفردي الباهت في ظلمات الليل البهيم، ولكن عندما تترك الأنانية والغرور ترى نفسها حقا إنما لا شيء بالذات، وإنما هي مرآة تعكس تجليات موجدها الحقيقي، فتظفر بوجود غير متناه وتربح وجود جميع المخلوقات.

نعم، من يجد الله فقد وجد كل شيء، فما الموجودات جميعها إلا تجليات أسمائه الحسنى جل جلاله. [١]

إن النورسي بهذا التمثيل، يضع حدا فاصلا بين نفس استندت إلى قواها الذاتية في الوجود والحركة، فأصبحت مثل اليراعة حبيسة الليل والظلام، متوهمة استغناءها مطلقا عما سواها، ونفس تشبهت بالنحلة وخرجت من تلك القوقعة، واهبة ذاتها ووجودها خالصا لله تعالى، فستحظى من أنوار الوجود ما لا نهاية لها. [٢]

يتبين من خلال ما سبق، أن مكونات الطريق النوري ومسالكه في تزكية النفس نابعة من القرآن الكريم ومنضبطة بالأوراد النبوية الشرعية وهو ما جعلها سالمة من المزالق والشطحات الصوفية، كما عبر عن ذلك النورسي بقوله: "إن هذا الطريق، أسلم من غيره لأن ليس للنفس فيه شطحات أو ادعاءات فوق طاقتها، إذ المرء لا يجد في نفسه غير العجز والفقر والتقصير كي يتجاوز حده" [٣].

٥) الروح:

هذا الجهاز الموجود في ذات الإنسان، ينضم إلى أجهزة العقل والقلب والنفس لتشكل مجموعة من الأجهزة الإنسانية، التي جعلها الله مناط تكريم الإنسان، ووسيلة تأهيله للقيام بمهمة الخلافة في الأرض.

---

[١]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٥٦٠.

[٢]– أنظر "الأمثال" في رسائل النور د. الشفيع الماحي أحمد : استانبول : دار سوزلر، ط ١ – ٢٠٠٦، ص : ١٧٩.

[٣]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٥٦١.

يقول الله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾.[1]

في ضوء هذه الآية الكريمة[2]، يثبت النورسي البقاء الخالد لهذا العطاء الرباني للإنسان، ويكشف عن خصائصه وماهيته، يقول رحمه الله: "إن روح البشر التي هي قانون أمري نوراني تملك ماهية سامية، وهي ذات حياة وشعور وخصائص جامعة شاملة جدا وعالية جدا، وقد ألبست وجودا خارجيا لابد أنها باقية للأبد، ومشدودة بالسرمدية، وذات ارتباط مع الخلود دون أدنى شك... نعم إنه بديهي أن كل روح رغم التبدل والتغير الجاري على الجسم عبر سني العمر تظل باقية بعينها دون أن تتأثر، لذا فما دام الجسد يزول ويستحدث –مع ثبات الروح– فلا بد أن الروح حتى عند انسلاخها بالموت انسلاخا تاما، وزوال الجسد كله، لا يتأثر بقاؤها ولا تتغير ماهيتها...أي أنها باقية ثابتة رغم هذه التغيرات الجسدية، وكل ما هنالك أن الجسد يبدل أزياءه تدريجيا طوال حياته مع بقاء الروح، أما عند الموت فيجرد نهائيا وتثبت الروح. فبالحدس القطعي بل بالمشاهدة نرى أن الجسد قائم بالروح، أي ليست الروح قائمة بالجسد، وإنما الروح قائمة ومسيطرة بنفسها. ومن ثم فتفرّق الجسد وتبعثره بأي شكل من الأشكال وتجمّعه لا يضر باستقلالية الروح ولا يخل بها أصلا، فالجسد عش الروح ومسكنها وليس بردائها، وإنما رداء الروح غلاف لطيف وبدن مثالي ثابت إلى حدّ ما ومتناسب بلطافته معها. لذا لا تتعدى الروح تماما حتى في حالة الموت بل تخرج من عشها لابسة بدنها المثالي وأرديتها الخاصة بها. [3]

يتبين من خلال هذا النص، أن الروح حقيقة مثالية باقية مرتبطة بالعالم العلوي قائمة بذاتها، تنفصل عن الجسد بعد الموت وتبقى خالدة في عالمها الأبدي، وهذا التصور يتوافق مع ما ذكره الإمام ابن قيم الجوزية، في كتابه "الروح" حيث أثبت أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهان في الزيتون، والنار في الفحم. فما دامت هذه

---

[1]– سورة الإسراء، الآية ٨٥.

[2]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٥٩٣ الكلمة التاسعة والعشرون.

[3]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٦١٠-٦١١ بتصرف.

الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقى ذلك الجسم اللطيف متشابكا لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادية. وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الإخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح. [1]

لقد استند ابن قيم الجوزية رحمه الله في تأكيد صحة هذا التصور عن الروح إلى الأدلة الآتية في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [2] ففي الآية ثلاثة أدلة : الإخبار بتوفيها وإمساكها.

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [3] إلى قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٩٤﴾﴾. [4]

وفيه أربعة أدلة:

إحداهما: بسط الملائكة أيديهم لتناولها.

الثاني: وصفها بالإخراج والخروج.

الثالث: الإخبار عن عذابها في ذلك اليوم.

الرابع: الإخبار عن مجيئها إلى ربها، فهذه أربعة أدلة. [5]

---

[1]– أنظر "الروح" لابن قيم الجوزية، ص : ٢٤٢.

[2]– سورة الزمر، الآية ٤٢.

[3]– سورة الأنعام، الآية ٩٣.

[4]– سورة الأنعام، الآية ٩٤.

[5]– أنظر "الروح" لابن قيم الجوزي رحمه الله، ص : ٢٤٢ – ٢٤٣.

لقد تعمدت سوق هذه الأدلة للتأكيد على صحة تصور النورسي لحقيقة الروح وعلاقتها بالجسد، وتجنبا للوهم الذي قد يقع للقارئ أثناء مطالعته لمسألة الروح في رسائل النور، حيث تناولها المؤلف بشكل إجمالي، مجردا عن الأدلة مستوحيا المضامين القرآنية في إطار كلي.[1]

يتضح من خلال هذا أن النورسي في تناوله لقضية الروح، تأثر بمسلك القرآن الكريم الذي دعا إلى عدم التوغل في معرفة الروح والبحث عن أسرارها وأحوالها، لحكمة أرادها الله عز وجل تناسب مصالح العباد، وتوافق قدراتهم العلمية وإمكاناتهم العقلية: يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[2].

فالروح هو الجانب الذي استأثر الله بعمله واحتجب عن أنبيائه، لأنه سر الوجود المطلق... لا قدرة للعقل الإنساني المحدود على الإحاطة به ووعيه، إلا بما يناسبه من الإشارة والتقريب. [3]

---

[1]– أنظر على سبيل المثال: "الكلمات" ج١، ص : ٨٠-٦١٠-٦١١-٦١٢-٨٣٠-٨٤٤-٨٥٥، وج٢، ص : ٢٠٩-٦٠٢، وأنظر "اللمعات" ج٣، ص : ٥٢-٥٠٤.

[2]– سورة الإسراء، الآية ٨٥.

[3]– أنظر "الإنسان في القرآن" لعباس محمود العقاد، نهضة مصر : ٢٠٠٤، ص ٢٨.

المبحث الثالث:
وظيفة الإنسان في الحياة:

سبق الحديث عن تكريم الإنسان وفضله على سائر المخلوقات، وفي هذا المبحث أتناول مقتضيات هذا التكريم وشروط بقائه، ذلك بأن الإنسان لم يكرم عبثا، وإنما كلف بوظيفة الاستخلاف في الأرض التي جعلت مناط تكريمه وعلة تمييزه على سائر الكائنات.

فخلافة الإنسان في الأرض اقتضت أن يكون مكرما بأجهزة متنوعة تقوم بوظائف كثيرة غايتها تحقيق إرادة الله وحكمته.

والنورسي من عمق تأمله في كتاب الكائنات، ومن وحي تدبره في الآيات المتلوات، تحدث عن الوظيفة الكلية للإنسان في هذه الحياة. وكشف عن عناصرها وشروطها وطرق تحقيقها. فتارة يذكرها بإجمال وتارة أخرى يفصل مفرداتها وأنواعها وتارة يعبر عنها بلفظ الوظيفة وتارة أخرى يعبر عنها بلفظ الغاية. يقول رحمه الله: "مجملا الوظائف الإنسانية في تسع نقاط: "فيا نفسي الغافلة، إن كنت تريدين أن تفهمي شيئا من غاية حياتك، ماهية حياتك... فانظري إلى مجمل "غايات حياتك"، فإنها تسعة أمور:

أولها: القيام بالشكر الكلي، ووزن النعم المدخرة في خزائن الرحمة الإلهية بموازين الحواس المغروزة في جسمك.

ثانيها: فتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى بمفاتيح الأجهزة المودعة في فطرتك، ومعرفة الله جل وعلا بتلك الأسماء الحسنى.

ثالثها: إعلان ما ركبت فيك الأسماء الحسنى من لطائف تجلياتها، وبدائع صنعتها وإظهار تلك اللطائف البديعة أمام أنظار المخلوقات بعلم وشعور، وبجوانب حياتك كافة في معرض الدنيا هذه.

رابعها: إظهار عبوديتك أمام عظمة ربوبية خالقك، بلسان الحال والمقال.

خامسها: التجمل بمزايا اللطائف الإنسانية التي وهبتها لك تجليات الأسماء، وإبرازها أمام نظر الشاهد الأزلي جلّ وعلا... مثلك في هذا كمثل الجندي الذي يتقلد الشارات المتنوعة التي منحها السلطان في مناسبات رسمية، ويعرضها أمام نظره ليظهر أثار تكرمه عليه وعنايته به.

سادسها: شهود مظاهر الحياة لذوي الحياة، شهود علم وبصيرة، إذ هي تحياتها ودلالاتها بحياتها على بارئها سبحانه... ورؤية تسبيحاتها لخالقها، رؤية بتفكر وعبرة، إذ هي رموز حياتها... وعرض عبادتها إلى واهب الحياة سبحانه والشهادة عليها، إذ هي غاية حياتها ونتيجتها.

سابعها: معرفة الصفات المطلقة للخالق الجليل وشؤونه الحكيمة، ووزنها بما وهب لحياتك من علم جزئي وقدرة جزئية وإرادة جزئية، أي بجعلها نماذج مصغرة ووحدة قياسية لمعرفة تلك الصفات المطلقة الجليلة.

ثامنها: فهم الأقوال الصادرة من كل موجود في العالم، وإدراك كلماته المعنوية كل حسب لسانه الخالص، فيما يخص وحدانية خالقه وربوبية مبدعه.

تاسعها: إدراك درجات القدرة الإلهية والثروة الربانية المطلقتين، بموازين العجز والضعف والفقر والحاجة المنطوية في نفسك، إذ كما تدرك أنواع الأطعمة ودرجاتها ولذاتها، بدرجات الجوع وبمقدار الاحتياج إليها، كذلك عليك فهم درجات القدرة الإلهية وثروتها المطلقتين بعجزك وفقرك غير المتناهيين.

فهذه الأمور التسعة وأمثالها هي مجمل "غايات حياتك".[1]

يتضح من خلال هذا النص، أن وظيفة الإنسان في الحياة كما يراها النورسي، ترتبط بمجموعة من المهام والمسؤوليات المنوطة بحركة الإنسان في الوجود. وهذه المهام تتكامل وتتعاون لتحقيق مفهوم الاستخلاف الإلهي للإنسان، في ضوء مقرارات القرآن الكريم وقوانين الكون

[1]– انظر "الكلمات" ج١/، ص : ١٣٨-١٣٩.

وسننه، يقول الله عز وجل:﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴿٣٠﴾﴾[1] وفي موضع آخر، يقول جل شأنه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴿١٦٥﴾﴾[2]، وقال أيضا: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[3] وغيرها من الآيات التي بينت وظيفة الإنسان الاستخلافية في الأرض ومهمته في الحياة.

والنورسي في ضوء هذه المعطيات القرآنية كان يختصر الوظائف الإنسانية في كليات جامعة دون الإشارة إلى أدلتها في القرآن والسنة، كما رأينا في النص السابق، وهو ما يدل على استبطان الخطاب النوري لحقائق القرآن في كافة أبعاده.

إن هذه الحقائق المجملة المستبطنة للتفاصيل القرآنية، نجد لبعضها تفصيلا في كليات رسائل النور، ويمكن تناولها حسب العناصر الآتية.

١- العبودية الحقة لله تعالى:

تحدث النورسي في رسائله عن حقيقة العبودية، وأهميتها في الحياة، وطرق تحقيقها وتحصيلها، يقول رحمه الله في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[4]، "يفهم من أسرار هذه الآية الجليلة: أن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه، هي معرفة خالق الكون سبحانه، والإيمان به، والقيام بعبادته، كما أن وظيفة فطرته وفريضة ذمته، هي معرفة الله والإيمان به، والتصديق بوجوده وبوحدانيته إذعانا ويقينا.

نعم ! إن الإنسان الضعيف الذي ينشد فطرة الحياة الدائمة الخالدة، والعيش الأبدي الرغيد، والذي له آمال بلا حدود وآلام بلا نهاية، لابد أن تكون جميع الأشياء والكمالات

---

[1]– سورة البقرة، الآية ٣٠.

[2]– سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

[3]– سورة النور، الآية ٥٥.

[4]– سورة الذاريات، الآية ٥٦.

هابطة تافهة بالنسبة إليه، بل ليس لأكثرها أي قيمة تذكر، ما عدا الإيمان بالله ومعرفته، وما عدا الوسائل التي تأخذ بيده إلى ذلك الإيمان الذي هو أس الأساس لتلك الحياة الأبدية ومفتاحها"[1].

إن النورسي في هذا النص، يجعل المعرفة الإيمانية مناطا لتحقيق العبودية الحقة لله تعالى، وسبيلا إلى حصول الفوز في الحياة الأبدية، ويضيف رحمه الله إلى جانب المعرفة الإيمانية، وسيلة الدعاء والتعليم لتقوية العبودية في نفس الإنسان، وتحقيقها في سائر أحواله وفعاله.

يقول رحمه الله: "فوظيفة الإنسان الفطرية إنما هي التكمل "بالتعليم" أي الترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة، والعبودية "بالدعاء" أي أن يدرك في نفسه ويستفسر: (برحمة منْ وشفقته أدارَى بهذه الرعاية الحكيمة؟! وبمكرمة من وسخائه أربىَّ هذه التربية المفعمة بالشفقة والرحمة؟ وبألطاف من بوجوده أغذّى بهذه الصورة الرازقة الرقيقة"؟!) فيرى أن وظيفته حقا هو الدعاء، والتضرع، والتوسل، والرجاء بلسان الفقر والعجز إلى قاضي الحاجات ليقضي له طلباته وحاجاته، التي لا تصل يده إلى واحدة من الألف منها. وهذا يعني أن وظيفته الأساس هي التحليق والارتفاع بجناحي "العجز والفقر" إلى مقام العبودية السامي.

إذن، فلقد جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء، لأن كل شيء فيه موجّه إلى العلم، ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد. فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو معرفة الله تعالى، كما أن أس هذا الأساس هو "الإيمان بالله جل وعلا".[2]

ويرى رحمه الله أن الدعاء هو نتيجة الإيمان الخالص، لأن الداعي يظهر بدعائه أن الذي يهيمن على العالم كله، ويطلع على أخص أموره، يحيط بكل شيء علما، وهو القادر على إغاثته وإسعاف مقاصده.

---

[1]– أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ١٣٥.

[2]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٣٥٥.

وقد كشف عن أفكار في غاية الأهمية، أن الموجودات كلها داعيات مسبحات بلسان الاستعداد، والقابلية المودعة فيها، فالحبوب والنوى تسأل بارئها أن يهيئ لها النمو والاستمرار لتتمكن من إبراز بدائع أسمائه الحسنى وقدرته لتعرضها أمام أنظار المؤمنين الجاحدين.[1]

إذن، فمفهوم الدعاء عند النورسي يتخذ أبعادا كونية تدفع سائر الكائنات إلى العبادة الكلية لله وفق سنن التسبيح.

يقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[2].

هكذا يتبين أن تحقيق العبودية لله عز وجل من وظائف الإنسان، والكائنات، فكل منهما يقوم بمهمة التسبيح والدعاء وفق إرادة الله وأوامره.

٢- تسخير عناصر الكون لعمارة الأرض:

تشكل مهمة استثمار منافع الكون وتسخير طاقاته لعمارة الأرض إحدى الواجبات الكبرى والوظائف الأساسية، التي خلق من أجلها الإنسان، فالخلافة التي حملها الإنسان، لا تتحقق إلا من خلال حركة الإنسان، ونشاطه في مسرح الكون بالاستثمار الجيد لكنوزه ومدخراته، وفق مقررات القرآن ومعالم السنة النبوية الشريفة.

والنورسي من العلماء الذين بنو تصورهم لقضية علاقة الإنسان بالكون، على أساس التوافق الوظيفي لكل منهما في أداء مهمة التعبير عن قدرة الخالق وأسمائه وصفاته الحسنى.

فالكون عنده مسرح فسيح لنشاط الإنسان يدل على قدرة الخالق وعظمته[1]، يقول الله عز وجل" ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[2].

---

[1]– أنظر "الإنسان في فكر النورسي وجودا ومهمة وغاية"، بحث الدكتور فاروق حمادة، "المؤتمر العالمي الخامس: النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور"، ص : ١٤.

[2]– سورة الإسراء، الآية ٤٤.

في ضوء هذه الآية الكريمة يؤكد النورسي، أن عناصر الكون من سماء، وسحاب، ورياح، ومطر، وبرق، ورعد، وغيث، وأرض، وبحار، وجبال، وصحاري وأشجار، ونباتات وطيور، وحيوانات وإنسان وغير ها كلها توحد الخالق وتدل على قدرته وعظمته ووحدانيته ومالكيته.[٣]

من هذه القاعدة، يؤسس النورسي تصوره الحقيقي لطبيعة الخلافة والعمارة المنوطة بالإنسان، فهو يرى ضرورة المعطى التوحيدي الإيماني في عملية الاستخلاف والتعمير الإنساني، وقيادته في الأرض، عكس ما نجده في الفلسفة المادية التي اختزلت حركة الإنسان الاستخلافية والتعميرية في البعد المادي، وألغت الجانب الروحي منها، فنتج عن ذلك قطع الصلة الروحية بين الإنسان والكون القائمة على مهمة التسبيح. يقول النورسي رحمه الله، مواجها هذه الفلسفة الإلحادية ومثبتا سلطان ربوبية الله تعالى في الكون وكبريائه وعظمته، وحاكميته لقضايا الإنسان والكون : "إن الإنسان بعد مجيئه إلى هذا العالم له عبودية من ناحيتين:

- **الناحية الأولى هي:**

تصديقه بالطاعة لسلطان الربوبية الظاهر في الكون، والنظر إلى كماله سبحانه ومحاسنه بإعجاب وتعظيم.

ثم استنباط العبرة والدروس من بدائع نقوش أسمائه الحسنى القدسية، وإعلانها ونشرها وإشاعتها.

ثم وزن جواهر الأسماء الربانية ودررها –كل واحد منها خزينة معنوية خفية– بميزان الإدراك والتبصر وتقييمها بأنوار التقدير والعظمة والرحمة النابعة من القلب. ثم التفكر بإعجاب عند مطالعة أوراق الأرض والسماء وصحائف الموجودات التي هي بمثابة كتابات قلم القدرة.

---

[١]– المتأمل في ما كتبه النورسي في الآية الكبرى بعنوان مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه، يقف على الخطوط الكبرى التي تشكل قوام الرؤية النورية لقضية الكون ودلالاته على قدرة الخالق وأثره في حركة الإنسان في الحياة. أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : من ١٤١ إلى ٢٢٣.

[٢]– سورة الإسراء، الآية ٤٤.

[٣]– أنظر رسالة الآية الكبرى، مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه من ص : ١٤١ – ٢٢٣، ضمن الشعاعات.

ثم النظر باستحسان بالغ إلى زينة الموجودات والصنائع الجميلة اللطيفة التي فيها التحبب لمعرفة الفاطر ذي الجمال...

- الناحية الثانية هي:

مقام الحضور والخطاب الذي ينفذ من الأثر إلى المؤثر، فيرى أن صانعا جليلا يريد تعريف نفسه إليه بمعجزات صنعته فيقابله هو بالإيمان والمعرفة.

ثم يرى ربا رحيما يريد أن يحبب نفسه إليه بالأثمار الحلوة اللذيذة لرحمته، فيقابله هو بجعل نفسه محبوبا عنده بالمحبة الخالصة والتعبد الخالص لوجهه.

ثم يرى أن منعما كريما يغرقه في لذائذ نعمه المادية والمعنوية، فيقابله بالشكر والحمد...، ثم يرى أن جليلا جميلا يظهر في مرآة الموجودات كبرياءه وعظمته وكماله...

فيقابله بترديد "الله اكبر... سبحان الله...".

فالإنسان بمثل هذه العبادة والتفكير يصبح إنسانا حقا، ويظهر نفسه أنه في "أحسن تقويم" فيصير بيمن الإيمان وبركته لائقا للأمانة الكبرى وخليفة أمينا على الأرض.[1]

إذن، يتبين من خلال هذا النص أن خلافة الإنسان في الأرض لا تتحقق إلا بالإيمان الذي يعتبر الكون كتابا عظيما، كتبت في كل صحيفة من صحائفه مئات الكتب، تدل على مصورها وكاتبها وتسوق إلى معرفة خالقها ومبدعها.[2]

إن النورسي بهذا التصور، يضع القطيعة المعرفية مع الفلسفة الغربية، التي نظرت إلى الطبيعة نظرة صراع وعداء، وإلحاد وإلغاء لكافة الأبعاد الروحية في النشاطات الإنسانية في الحياة.

لقد أرشد القرآن الكريم إلى حقيقة هذا الكون، ووضح كيفية التعامل معه، بينما أساءت الفلسفة الغربية إلى الكون وتغافلت عن الحقائق التي يسير عليها، بل عدته خصما لها: ففلسفة قهر الطبيعة التي يتبناها الغرب انعدم فيها فعل الخالق الجليل سبحانه وتفرعن فيها العقل بما

---

[1]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٣٧٢-٣٧٣، بتصرف.

[2]– أنظر "اللمعات" ج٣، ص : ٥٢٨، بتصرف.

وصل إليه من حقائق مادية، وهي فلسفة ستلحق بالإنسان خسائر فادحة. كما يصرح بذلك علماؤه[1].

ولتجاوز هذه الفلسفة التدميرية للكون، يتخذ النورسي من معالم معجزات الأنبياء والرسل وأنوارها منهجا وسبيلا للدعوة إلى عمارة الأرض، وخلافتها وفق مقررات القرآن. يقول رحمه الله : "نعم إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء، إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف، فهو بهذا يعين أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها. ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضها على بلوغ تلك الغاية ويسوقها إليها، إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل أيضا حصيلة بذور الماضي ومرآة أماله"[2].

ولبيان هذه الحقيقة يمثل لها بمجموعة من النماذج نختصرها في ما يأتي.

- معجزة سليمان عليه السلام :

قال الله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾[3]، هذه الآية تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان عليه السلام وهي تسخير الريح له، أي أنه قد قطع في الهواء ما يقطع في شهرين في يوم واحد.

فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء.

---

[1]- أنظر "إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي"، زياد خليل محمد الدغامين، ص : ٢٣٥.

[2]- انظر "الكلمات" ج١، ص : ٢٧٩.

[3]- سورة سبأ، الآية ١٢.

فكان الله سبحانه وتعالى يقول في معنى الآية... أيها الإنسان إن نبذت كسل النفس وتركته، واستفدت جيدا من قوانين سنتي الجارية في الكون، يمكنك أيضا أن تمتطي صهوة الهواء. [1]

- معجزة موسى عليه السلام :

قال تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴿٦٠﴾﴾[2] تشير الآية إلى أنه يمكن الاستفادة من خزائن الرحمة المدفونة تحت الأرض بآلات بسيطة، بل يمكن تفجير الماء، وهو ينبوع الحياة، من أرض صلدة ميتة كالحجر بوساطة عصا.

فهذه الآية تخاطب البشرية بهذا المعنى، وتدعو الإنسان إلى الاعتماد على قوانين الرحمة الإلهية لاكتشاف آلة تفجير الماء أينما وجد.

- معجزة عيسى عليه السلام :

قال تعالى: ﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴿٤٩﴾﴾[3] تشير هذه الآية إلى "أنه يمكن أن يعثر على دواء يشفي أشد الأمراض المزمنة والعلل المستعصية، فلا تيأس أيها الإنسان، ولا تقنط أيها المبتلي المصاب... بوسعك أن تجد في صيدلية حكمتي دواء لكل داء يصيبك، فاسع في هذه السبيل، واكشف ذلك الدواء فإنك لا محالة واجده وظافر به. [4]

- معجزة داود عليه السلام :

يقول الله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾[5] إن تليين الحديد نعمة إلهية عظمى، إذ يبين الله به فضل نبي عظيم فتليين

---

[1]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٢٨٠ بتصرف.

[2]- سورة البقرة، الآية ٦٠.

[3]- سورة آل عمران، الآية ٤٩.

[4]- انظر "الكلمات" ج١، ص : ٢٨١ بتصرف.

[5]- سورة سبأ، الآية ١٠.

الحديد وجعله كالعجين، وإذابة النحاس وإيجاد المعادن وكشفها هو أصل جميع الصناعات البشرية وأساسها، وهو أم التقدم الحضاري من هذا الجانب ومعدنه.

فهذه الآية تشير إلى النعمة الإلهية العظمى في تليين الحديد وتدعو البشرية إلى بلوغ أقصى أمانيها في الصناعة وتخص على كسب القدرة الفائقة في مجال القوة المادية. [1]

- **معجزة إبراهيم عليه السلام :**

قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾[2] الآية ترمز إلى: "يا ملة إبراهيم اقتدوا بإبراهيم ! كي يكون لباسكم لباس التقوى، وهو لباس إبراهيم، وليكون حصنا مانعا ودرعا واقيا في الدنيا والآخرة تجاه عدوكم الأكبر، النار. فلقد خبأ سبحانه لكم موادا في الأرض تحفظكم من شر نار جهنم... فهلموا واكتشفوا هذه المواد المانعة من الحرارة واستخرجوها من باطن الأرض والبسوها. [3]

- **معجزة آدم عليه السلام :**

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾[4] الآية تقول: يا بني آدم... إن تفوق أبيكم آدم في دعوى الخلافة على الملائكة كان بما علمته الأسماء كلها، وأنتم بنوه ووارثو استعداداته ومواهبه، فعليكم أن تتعلموا الأسماء كلها لتثبتوا جدارتكم أمام المخلوقات لتسنم الأمانة العظمى، فلقد مهّد الطريق أمامكم لبلوغ أسمى المراتب العالية في الكون، وسخرت لكم الأرض، هذه المخلوقة الضخمة، فهيا انطلقوا وتقدموا، فالطريق مفتوح أمامكم... واستمسكوا بكل اسم من أسمائي الحسنى. [5]

- **معجزة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم :**

---

[1]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٢٨٢ بتصرف.

[2]- سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

[3]- انظر "الكلمات" ج١، ص : ٢٨٩ بتصرف.

[4]- سورة البقرة، الآية ٣١.

[5]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٢٩٠ بتصرف.

إن خاتم ديوان النبوة وسيد المرسلين، الذي تعد جميع معجزات الرسل معجزة واحدة لتصديق دعوى رسالته، والذي هو فخر العالمين، وهو الآية الواضحة المفصلة لجميع مراتب الأسماء الحسنى كلها التي علمها الله سبحانه آدم عليه السلام تعليما مجملا... ذالكم الحبيب محمد، صلى الله عليه وسلم الذي رفع أصبعه عاليا بجلال الله، فشق القمر، وخفض الأصبع المبارك نفسه بجمال الله وفجر ماء كالكوثر... وأمثالها من المعجزات الباهرات التي تزيد على الألف... هذا الرسول الكريم أظهر القرآن الكريم معجزة كبرى تتحدى الجن والإنس: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1].

فهذه الآية الكريمة وأمثالها من الآيات، تجلب أنظار الإنس والجن إلى إبراز وجوه الإعجاز في هذه المعجزة الخالدة وأسطعها، فتلفتها إلى ما في بيانه – الحق والحقيقة– من جزالة، وما في أساليبه المتنوعة من سمو ورفعة... بل إنه سبحانه يضع هذه المعجزة الكبرى أمام أنظار الأنام في موقع رفيع لكأن الغاية الوحيدة من مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا ليست سوى اتخاذه تلك المعجزة العظمى دستور حياته، وغاية مناه.[2]

هكذا يكون النورسي موظفا معجزات الأنبياء في بيان واجبات الأمانة الكبرى ومتطلباتها، كاشفا عن وجوه الحكمة فيها، داعيا الإنسان إلى الاستفادة من أسرارها في ضوء حركته في الوجود. فالخلافة في الأرض لا تتحقق إلا بالتسخير والاستثمار لمنافع الكون، انطلاقا من إشارات النبوة ومطالب القرآن الكريم. يقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[3]، ويقول أيضا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ

---

[1]– سورة الإسراء، الآية ٨٨.

[2]– انظر "الكلمات" ج١، ص : ٢٩١–٢٩٢ بتصرف.

[3]– سورة الجاثية، الآية ١٣.

لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

تبين هذه الآيات حسب رأي النورسي "كيف أن الله تعالى خلق هذا الكون لإنسان في حكم قصر، وأرسل ماء الحياة من السماء إلى الأرض، فجعل السماء والأرض مسخرتين كأنهما خادمان عاملان على إيصال الرزق إلى الناس كافة، كما سخر له السفينة ليمنح الفرصة لكل أحد، ليستفيد من ثمار الأرض كافة، ليضمن له العيش فيتبادل الأفراد فيما بينهم ثمار سعيهم وأعمالهم. أي جعل لكل من البحر والشجر والريح أوضاعا خاصة، بحيث تكون الريح كالسوط، والسفينة كالفرس، والبحر كالصحراء الواسعة تحتها. كما أنه سبحانه جعل الإنسان يرتبط مع كل ما في أنحاء المعمورة بالسفينة وبوسائط نقل فطرية في الأنهار والروافد، وسير له الشمس والقمر وجعلهما ملاحين مأمورين لإدارة دولاب الكائنات الكبير، وإحضار الفصول المختلفة، وإعداد ما فيها من نعم إلهية. كما سخر الليل والنهار جاعلا الليل لباسا وغطاء ليخلد الإنسان إلى الراحة، والنهار معاشا ليتجر فيه"[2].

إن هذا النص يجعل علاقة الإنسان بالكون علاقة تسخير وانتفاع، فالكون بجميع طاقاته ومكوناته مسخر لخدمة الإنسان ونفعه، ومزود لإنسانيته بالإمكانات القوية لإقامة الحياة الإنسانية المادية على أحسن الوجوه والحالات.

إن إنسان الخلافة والعمارة في رأي النورسي، هو ذلك الكائن المسؤول الذي استطاع أن يوجه أجهزته المعنوية والمادية نحو اكتشاف قوانين التسخير، وسنن الانتفاع بعناصر الكون التي

---

[1]- سورة إبراهيم، الآية ٣٢-٣٤.

[2]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٤٩٠.

لا تعد ولا تحصى، كما عبر عن ذلك قوله تعالى:﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴿٣٤﴾﴾[1].

إن هذا الانتفاع بعناصر الكون، لا يقتصر على المطالب المادية فقط، وإنما يجعل المطالب الروحية قاعدة للانطلاق، حتى لا تخرج حركة الإنسان من دائرة اتخاذ الأسباب إلى دائرة الاعتماد على فرعونية الذات التي تلغي نعمة الإمداد الإلهي، وتأله المنجزات البشرية، يقول النورسي رحمه الله : "فهذه المنزلة والسلطنة التي يتمتع بها الإنسان إذن، وهذه الترقيات البشرية والآفاق الحضارية ليست ناشئة من تفوقه، وقوة جداله، وهيمنة غلبته، ولا هو جالب لها، بل منحت للإنسان لضعفه، ومدت له يد المعاونة لعجزه، وأحسنت إليه لفقره وأكرم بها لاحتياجه" [2].

هكذا تكون خلافة الإنسان في الأرض عند النورسي، قائمة على التوافق بين الجوانب المادية والمطالب الروحية، في ضوء اكتشاف سنن التسخير الكونية وتوظيفها لصالح الإنسان تطبيقا لمقررات القرآن الداعية إلى عمارة الكون بالعمل الصالح، يقول الله تعالى: ﴿۞ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴿٦١﴾﴾.[3]

٣- إظهار أسماء الله الحسنى وصفاته في الوجود :

هذه الوظيفة تفصل ما أجمله النورسي سابقا أثناء حديثه عن الغايات الإنسانية في ما يتعلق بمسألة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وعلاقاتها بالإنسان. لقد ذكر النورسي ثلاث غايات: أولها فتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية، ثانيها إعلان ما ركب في الإنسان من الأسماء الحسنى وإظهارها أمام المخلوقات في معرض الدنيا. وثالثها التجمل بمزايا اللطائف الإنسانية التي وهبتها تجليات الأسماء الحسنى للإنسان.

---

[1]– سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

[2]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٣٧٠.

[3]– سورة هود، الآية ٦١.

يسوق النورسي مجموعة من النصوص التفصيلية لشرح هذه الغايات الثلاث وبيان منزلة أسماء الله الحسنى وصفاته في تحقيق مهمة الإنسان الاستخلافية.

يقول رحمه الله : "إن الإنسان مرآة عاكسة لتجليات الأسماء الإلهية الحسنى، وهو مرآة لها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: كما أن الظلام سبب لرؤية النور، أي أن ظلام الليل وشدته يبين النور ويظهره بشكل أكثر وضوحا...، فالإنسان أيضا يعرف بضعفه وعجزه وبفقره وحاجاته وبنقصه وقصوره، قدرة القدير ذي الجلال، وقوته العظيمة، وغناه المطلق ورحمته الواسعة.

فيكون الإنسان بهذا، كأنه مرآة عاكسة لكثير من تجليات الصفات الإلهية الجليلة بل حتى إن ما يحمله من ضعف شديد، وما يكتنفه من أعداء لا حد لهم، يجعله يتحرى دائما عن مرتكز يرتكز عليه، ومستند يستند إليه، فلا يجد وجدانه الملهوف إلا الله سبحانه...

أما **الوجه الثاني**: فهو أن الإنسان مرآة لتجليات الأسماء الحسنى، إذ أن ما وهب من نماذج جزئية من "العلم والقدرة، والبصر، والسمع، والتملك والحاكمية" وأمثالها من الصفات الجزئية، يصبح مرآة عاكسة، يعرف منها الصفات المطلقة لله سبحانه وتعالى، وإدراك عمله وقدرته وبصره وسمعه وحاكميته وربوبيته، فيفهم تلك الصفات المطلقة للربوبية بالنسبة لمحدوديتها عنده.. ولاشك أنه بعد ذلك سيحاور نفسه، ويقول مثلا: أنني قد قمت ببناء هذا البيت وأعلم تفاصيله، وأشاهد جميع جوانبه وأجزائه وأديره بنفسي. فأنا مالكه، كذلك لابد لهذا الكون العظيم من مبدع ومالك يعرف أجزاءه معرفة كاملة، ويبصر كل صغيرة وكبيرة فيه ويديره.

الوجه الثالث: لكون الإنسان مرآة عاكسة للأسماء الحسنى، فهو أيضا مرآة عاكسة لها، من حيث نقوشها الظاهرة عليه، ولقد وضح هذا بشيء من التفصيل في مستهل "الموقف الثالث" من الكلمة "الثانية والثلاثين" أن "الماهية الجامعة للإنسان فيها أكثر من سبعين نقشا ظاهرا من نقوش الأسماء الإلهية الحسنى فمثلا: يبين الإنسان من كونه مخلوقا، اسم الصانع "الخالق"، ويظهر من حسن تقويمه اسم "الرحمن الرحيم"، ويدل من كيفية تربيته ورعايته على

اسم "الكريم" واسم "اللطيف". وهكذا يبرز الإنسان نقوشا متنوعة ومختلفة للأسماء الحسنى المتنوعة بجميع أعضائه وأجهزته وجوارحه وبجميع لطائفه ومعنوياته، وبجميع حواسه ومشاعره. (١)

هذا النص يعتبر مهمة إظهار أسماء الله الحسنى في واقع الإنسان، من كبرى الوظائف الإنسانية وغاياتها الأساسية، يقول النورسي رحمه الله مؤكدا هذه الحقيقة في موضع آخر: "أيها الإنسان، إن ما تملكه من نفس ومال ليس ملكا لك، بل هو أمانة لديك، فمالك تلك الأمانة قدير على كل شيء، عليم بكل شيء، رحيم كريم، يشتري منك ملكه الذي عندك ليحفظه لك، لئلا يضيع في يدك، وسيكافؤك به ثمنا عظيما، فأنت لست إلا جنديا مكلفا بوظيفة، فاعمل لأجله واسع باسمه، فهو الذي يرسل إليك رزقك الذي تحتاجه، ويحفظك مما لا تقدر عليه. إن غاية حياتك هذه ونتيجتها هي أن تكون مظهرا لتجليات أسماء ذلك المالك، ومعكسا لشؤونه الحكيمة". (٢)

إن النورسي بهذا التصور، يعتبر الإنسان هو المرآة العاكسة لتجليات أسماء الله الحسنى، وهو بالتالي، المأمور بنقل صورة هذه الأسماء إلى الحياة، إبداعا وإرادة، وقوة وعدلا، وقدرة ورحمة، إنه المستخلف وليست حقيقته الكبرى الآنية (أنا) إلا في القيام بوظيفة نقل أسماء الله الحسنى إلى عالم الأرض والكون...، لأنه الوحيد من بين كل الكائنات، حتى الملائكة، الذي يملك الإرادة والحرية وعصيان الله وطاعته بطريقة اختيارية. (٣)

يتبين من خلال هذا، أن مفهوم الأمانة الكبرى عند النورسي يتخذ مفهوما كليا يشمل وظائف متعددة، أساسها العبودية المطلقة لله، والاستثمار النافع لعناصر الكون، وإظهار أسماء الله الحسنى في عالم الحياة وتفعيلها في كافة النشاطات الإنسانية.

---

(١)- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٨٢٨-٨٢٩.

(٢)- أنظر "اللمعات" ج٣، ص : ١٨٣.

(٣)- أنظر "رجل الإيمان والتجديد في وجه العلمانية والتقليد بديع الزمان سعيد النورسي"، الدكتور عبد الحليم عويس، القاهرة : دار سولزر، ص : ٣٠.

هذه الوظائف الثلاث تترابط وتتكامل في ما بينها، لتحقق معنى العبادة الشاملة لله تعالى والتي خلق الإنسان من أجلها يقول الله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.[1]

إن النورسي لا يحصر العبادة في التكاليف الشرعية، وإنما يجعلها أكبر من ذلك وأوسع مجالا، إنها الاستثمار الجيد لكنوز الكون ومذخراته، ومحاولة تفعيل أسماء الله الحسنى وصفاته العلى في عالم الإنسان، وإظهار الفقر والاحتياج لسلطة الرحمن انطلاقا من مقررات القرآن.

[1]– سورة الذاريات، الآية ٥٦.

الفصل الرابع:
قضية التوحيد، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التوحيد
المبحث الثاني: أدلة التوحيد
المبحث الثالث: أثر التوحيد في حياة الناس

تمهيد عام :

أولوية القضايا الإيمانية في معالجة مشاكل الإنسان على سائر القضايا

يمثل الإيمان بعقيدة التوحيد والنبوة والحشر أكبر قضية في حياة الإنسان، فهو الموجه والمرشد لحركته في الأرض، والحصن الوحيد الذي يحميه من ظلمات الكفر وعبث الفلسفة المادية.

والنورسي من العلماء الذين بنوا مشروعهم التجديدي على هذه الركائز الثلاث تصورا وعملا ومنطلقا وغاية، دفاعا عن إيمان المسلمين ضد شبهات الفلسفة الإلحادية، يقول رحمه الله : "فإني أخال لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشاه النقشبند، والإمام الرباني، وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هذا، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية، ذلك لأنهما منشأ السعادة الأبدية، وإن أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي.

نعم لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون جدا دون تصوف"[1].

فإنقاد الإيمان هو أعظم إحسان في هذا الزمان، ومن أولى الأولويات الحضارية لمواجهة تحديات الكفر ومخاطره.

لقد أدرك النورسي هذه الحقيقة، وسخر كل ما يملكه من معارف، وعلوم لبيان عقيدة الإيمان ومرتكزاتها الأساسية، وأهميتها في حياة الشعوب والأمم.

والقارئ لرسائل النور، يجد هذه الحقيقة ماثلة في كل أجزائها وصفحاتها، بل إن النورسي اعتبر عقيدة التوحيد والحشر والنبوة من المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، فلا تجد سورة في القرآن الكريم إلا وتناولت هذه الأسس الثلاثة أو بعضها أو فروعها.[2]

---

[1]- أنظر "المكتوبات" ج٢، ص: ٢٧.

[2]- أنظر "إشارات الإعجاز"، ج١٥، ص: ٢٤ بتصرف.

وحصر النورسي لعقيدة الإيمان في هذه المرتكزات الثلاثة : التوحيد، والنبوة، والحشر، ناشئ من كونها أصولا وطريقا إلى مجموعة من العقائد والحقائق الإيمانية المتفرعة عنها، كالإيمان بالملائكة والقضاء والقدر، وغيرها من الحقائق الإيمانية التي ترجع إلى هذه الأصول الكبرى وتقوم على أساسها.

إن هذه الدعائم الثلاث، هي منبع قوة الأمم وأساس نهضتها، فإذا انهارت في النفوس الإنسانية انهارت معها كل التصورات والثوابت والمبادئ التي تسوق الإنسان إلى عالم الفضيلة، لقد رأى النورسي بثاقب رأيه وعمق تجربته في الواقع التركي، أن بوادر الانهيار بدأت، فراح يسخر جميع طاقاته لوقف هذا الخطر الذي أصبح يهدد المجتمع الإسلامي، في زمن أصبحت فيه مصنفات العلماء السابقين وأغلب الكتب القديمة غير قادرة على مواجهة شبهات الغرب وضلالته: يقول رحمه الله: "إن قسما من مصنفات العلماء السابقين وأغلب الكتب القديمة للأولياء الصالحين، تبحث في ثمار الإيمان ونتائجه وفيوضات معرفة الله سبحانه، ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحد واضح، ولا هجوم سافر يقتلع جذور الإيمان وأسسه... أما الآن فإن هناك هجوما عنيفا جماعيا منظما على أركان الإيمان وأسسه، لا تستطيع أغلب تلك الكتب أن تصد التيار الرهيب لهذا الزمان ولا أن تقاومه. أما رسائل النور فلكونها معجزة معنوية للقرآن فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهن ساطعة.[1]

هكذا يكون النورسي قد صرح بأولوية قضية التجديد الإيماني على باقي القضايا في عملية التغيير الحضاري، وفيما يأتي أتناول مفردات هذا التجديد وأركانه بالدرس والتحليل.

[1]- الملاحق ج٧، ص : ١٠٤-١٠٥. ولتأكيد كلام النورسي ومعرفة الشكوك والشبهات التي أصبح أنصار الفلاسفة المادية يثيرونها ينظر في كتاب الشيخ مصطفى صبري التركي : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢ – ١٩٨١، لقد حاول مصطفى صبري أن يتصدى لها بالحجة والبرهان.

الفصل الأول : قضية التوحيد

حاول النورسي أن يقدم عقيدة التوحيد بلغة تتناسب مع تحديات العصر، وتستجيب لمشاكله ومطالبه انطلاقا من منهج القرآن الكريم، وهدايته الذي يركز على التوحيد ويعتبره أساسا ومناطا لخلافة الإنسان في الأرض: يقول رحمه الله : "إن القرآن الكريم ينبه الإنسان إلى أعظم انقلاب يحدث ضمن المخلوقات، ودائرة الممكنات في تاريخ العالم... وهو الآخرة. ويرشده إلى أعظم مسألة تخصه وهو الحامل للأمانة الكبرى وخلافة الأرض... تلك هي مسألة التوحيد الذي تدور عليه سعادته وشقاوته الأبديتان، وفي الوقت نفسه يزيل القرآن سيل الشبهات الواردة دون انقطاع، ويحطم أشد أنواع الحجود والإنكار المقيت".[1]

والنورسي من عمق هذه النظرة القرآنية يتناول موضوع التوحيد ويشرحه في رسائله كاشفا عن أغراضه وأثره في السعادة الإنسانية، ومبينا لأضرار الشرك والكفر وأثرهما على كرامة الإنسان انطلاقا من أدلة نقلية وعقلية.

وفيما يأتي أتناول هذه النظرة القرآنية، وفق المباحث الآتية:

١. تعريف التوحيد.

٢. أدلة التوحيد.

٣. آثار التوحيد في حياة الناس.

[1]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٥٣٣.

المبحث الأول: تعريف التوحيد

لم يكن هم النورسي معالجة موضوع التوحيد معالجة أكاديمية تقتضي تعريفه بالحد والرسم، بقدر ما كان يهدف إلى تفعيل مفرداته، وتجديد مضامينه في النفوس وفق طريقة تعتمد الحالة الروحية للإنسان، ونظرته إلى الوجود وسلوكه الرباني، معيارا لبيان حقيقة التوحيد، وميزانا لتصنيف أنواعه وأقسامه ومراتبه.

انطلاقا من هذا المعيار العام، قسم النورسي التوحيد إلى قسمين وعرف كل قسم. يقول رحمه الله : "التوحيد توحيدان، لنوضح ذلك بمثال:

إذا وردت إلى سوق أو إلى مدينة بضائع مختلفة وأموال متنوعة لشخص عظيم فهذه الأموال ملكيتها بشكلين اثنين:

الأول: إجمالي عامي (أي لدى العامة من الناس) وهو "أن مثل هذه الأموال الطائلة ليس بمقدور أحد أن يمتلكها"، ولكن ضمن نظرة الشخص العامي هذه يمكن أن يحدث اغتصاب، فيدعي الكثيرون امتلاك قطعها.

الثاني: أن تقرأ الكتابة الموجودة على كل رزمة من رزم البضاعة وتعرف الطغراءُ[1] الموجودة على كل طول، ويعلم الختم الموجود على كل مَعْلَم، أي كل شيء في هذه الحالة يدل ضمنا على ذلك المالك.

فكما أن البضاعة يعرف مالكها بشكلين، كذلك التوحيد فإنه على نوعين:

الأول: التوحيد الظاهري العامي وهو "أن الله واحد لا شريك له ولا مثيل وهذا الكون كله ملكه".

الثاني: التوحيد الحقيقي وهو الإيمان بيقين أقرب ما يكون إلى الشهود بوحدانيته سبحانه، وبصدور كل شيء من يد قدرته، وبأنه لا شريك له في ألوهيته، ولا معين له في

[1]– الطغراء : علامة ترسم على المناشير السلطانية : أنظر "المثنوي" ج٦، ص : ٤١ هامش ١ المترجم.

ربوبيته، ولا ند له في ملكه، إيمانا يهب لصاحبه الاطمئنان الدائم، وسكينة القلب لرؤيته آية قدرته وختم ربوبيته ونقش قلمه على كل شيء، فينفتح شباك نافذ من كل شيء إلى نوره سبحانه"[1].

إذن، يميز النورسي بين نوعين من التوحيد، توحيد ظاهري يقوم على أساس الإثبات والمعرفة دون الالتفات إلى المقتضيات العملية والواجبات اللازمة له، وتوحيد حقيقي يجعل من حركة القلب وتفاعله وسلوكه إلى الله مناطا للوصول إلى معرفة الله وتوحيده توحيدا خالصا في ألوهيته وربوبيته.

فالنوع الأول يعرف التوحيد تعريفا مجردا، يعتمد على إثبات أو تقرير العقائد الدينية من أدلتها الشرعية وهو ما تناوله علماء العقيدة في كتبهم[2]. والنوع الثاني يعرف التوحيد من جهة استجابة الإنسان لمقتضيات التوحيد ولوازمه العملية. فكأن النورسي يقسم التوحيد إلى شكل ومضمون، وجسم وروح، فشكل التوحيد: هو الإثبات والإقرار، وروحه ومضمونه هو العمل والامتثال.

إن هذا التصور لحقيقة التوحيد نجد له سندا في نظرة أبي حامد الغزالي رحمه الله، الذي جعل الإقرار بعقيدة التوحيد بمثابة القشر، والانصياع لأوامرها بمثابة اللب، يقول رحمه الله: "والتوحيد جوهر نفيس وله قشران: أحدهما أبعد عن اللب من الآخر، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية، فالقشر الأول: هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله، وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى، ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره، والقشر الثاني، أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول، بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به، وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة. والثالث: وهو اللباب أن يرى

[1]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٣٢٥-٣٢٦.

[2]- أنظر مثلا "البيجوري": تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص : ٨.

الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط، وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره"[1].

يتضح من خلال هذا النص، أوجه الاتفاق بين الإمامين في اعتبارهما التوحيد حقيقة كونية ظاهرة في كل شيء، تستدعي من الإنسان أن يوحد قبلته إلى صانعها، ولا يلتفت إلى الأسباب والوسائط، وإنما ينظر إليها باعتبارها آيات تدل على الواحد القهار.

إن الكون والإنسان والقرآن كلها براهين قوية على حقيقة التوحيد، وطرق دالة على مراتبه ودرجاته، يسوق النورسي تفسيرا لسورة الإخلاص، مؤكدا حقيقة مفادها أن التوحيد الحقيقي لا يتأتى إلا بتحقيق جملة من مراتب التوحيد ومفرداته ومستلزماته، يقول رحمه الله: "الجملة الأولى (قل هو): إشارة بلا قرينة... إلى توحيد الشهود.

الجملة الثانية: (الله أحد) تصريح بتوحيد الألوهية.

الجملة الثالثة: (الله الصمد) صدف لدّرين من درر التوحيد.

الأول: توحيد الربوبية فلسان نظام الكون يقول: (لا خالق إلا هو).

الثاني: توحيد القيومية أي لسان الحاجة إلى مؤثر حقيقي في الكون كله يقول: لا قيوم إلا هو.

الجملة الرابعة: (لم يلد) يستتر فيها توحيد الجلال، ويردّ أنواع الشرك ويقطع دابر الكفر.

لان الذي يتغير ويتناسل ويتجزأ لا شك أنه ليس بخالق ولا قيوم ولا إله.

(لم يلد) يردّ مفهوم البنوة والتولد.

الجملة الخامسة : (ولم يولد) توحيد سرمدي يشير إلى إثبات الأحدية.

الجملة السادسة : (ولم يكن) توحيد جامع أي لا نظير له في ذاته، ولا شريك له في أفعاله ولا شبيه له في صفاته كل ذلك مندمج معا يوجه النظر إلى (ألم).

[1]- أنظر "الإمام الغزالي"، إحياء علوم الدين ج١، ص : ٣٣.

فهذه الجمل الست متضمنة سبع مراتب من مراتب التوحيد، كل منهما نتيجة للأخرى وبرهان لها في الوقت نفسه[١]. إذن يتبين من خلال هذا النص التصور الشمولي لحقيقة التوحيد عند النورسي، فهناك توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد القيومية، وتوحيد الشهود، وتوحيد الجلال، وتوحيد الأحدية.

فهذه الأنواع كلها تتكامل وتتعاون لتحقيق التوحيد الخالص في مرتبته العظمى التي لا يصل إليها إلا الأولياء العظام والعلماء الأصفياء [٢].

إن النورسي بهذه التقسيمات، لا يختلف عن العلماء السابقين الذين تناولوا التوحيد بالتعريف والتقسيم، وإنما يزيد عليهم بالتفصيل والبيان والتفريع، وهذه الزيادة ناشئة من عمق التجربة الواقعية التي كان يعيشها النورسي في زمانه الصعب الذي يستدعي التفريع والتفصيل أحيانا، وإلا فإن جميع ما تطرق إليه من أقسام التوحيد مندرجة في قسمين، كما نص على ذلك معظم علماء السلف وعلى رأسهم ابن تميمة رحمه الله، حيث قسم التوحيد إلى نوعين توحيد الربوبية بمعنى أن رب العالم وخالقه وصانعه واحد وليس اثنين.

الثاني توحيد الألوهية بمعنى أن يعبد الله وحده لا يشرك بعبادته أحد من خلقه وفي هذا النوع يتحقق معنى قول لا إله إلا الله.

فجميع المشركين كانوا يقرون بان الله خالق كل شيء وربه وملكه، ومع إقرارهم بالربوبية لم يخرجوا عن مسمى الشرك لأنهم لم يحققوا معنى قول المسلم: لا إله إلا الله، الذي يتضمنه النوع الثاني "توحيد الألوهية"[٣] الذي هو قطب رحى القرآن وهو يتضمن التوحيد في العلم والقول والتوحيد في الإدارة والعمل[٤].

---

[١]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٨٣٩-٨٤٠ بتصرف.

[٢]- أنظر "اللمعات" ج٣، ص : ٦٢ بتصرف.

[٣]- أنظر قضية الألوهية بين الدين والفلسفة من تحقيق كتاب التوحيد لابن تميمة، دكتور محمد السيد الجليند دار قباء للطباعة ٢٠٠٠، ص : ٤٦.

[٤]- أنظر "منهاج السنة لابن تميمة"، دار الكتب العلمية بيروت، ج٢، ص : ٦٢،

إن هذا النوع، هو أصل التوحيد الذي عليه مدار الدين وعليه قامت الرسالة المحمدية وهو المقصود بالدرس والتناول في الخطاب النورسي، حيث جعله من المقاصد الأساسية للقرآن الكريم ومن المرتكزات الأساسية للوصول إلى الإيمان التحقيقي، كما بينت سابقا، وفي ما يأتي أتناول الأدلة العقلية والعلمية والسمعية على صحة ثبوته ووجوده، دفعا لشبهات الملحدين وردا على ضلالات المشركين.

المبحث الثاني : أدلة التوحيد

في البداية أشير إلى قضيتين ترتبطان بمفهوم التوحيد في فكر النورسي لم أفصل القول فيهما، وهما قضية إثبات وجود الله عز وجل، وقضية الأسماء والصفات، لكون النورسي اعتمد في برهنته على وحدانية الله عز وجل، نفس البراهين التي اعتمدها في إثبات وجوده جل وعلا إلا فيما يتعلق ببعض الخصائص التي ترتبط بمفهوم الوحدانية، كما أنه وظف الأسماء والصفات الإلهية في سياق برهنته على حقيقة التوحيد.

إن هذا التشارك والتداخل بين القضايا للتدليل على وحدانية الله عز وجل، هو الذي جعلني أقتصر على بسط أدلة التوحيد باعتبارها مثبتة بالقياس الأولى والضرورة العقلية وجود الله عز وجل وكاشفة عن تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته العلى في جميع هذه الأدلة، كما سأبينها وفق الترتيب الآتي:

١) دليل الكون والآفاق:

اعتمد النورسي منهج استقراء عالم الموجودات، والأشياء المبثوثة في أرجاء الكون الفسيح للتدليل على حقيقة التوحيد، والقارئ للكلمات والشعاعات وغيرها يجد هذا واضحا جليا حيث صرح النورسي بعد تأمله وسياحته في عالم الكائنات والحيوانات، بحقيقة مفادها أن جميع ما في الكون من أنواع وأجزاء تدل بحكمة الانتظام والإتقان والموازنة والحسن والكمال والعناية على واجب الوجود ووحدانيته[١].

وأنا في هذا المقام سأتناول هذه الأدلة بالتحليل والإختصار وفق ما يتناسب مع أهداف البحث وأغراضه، انطلاقا من الكليات والأصول التي ذكرها النورسي في سياق برهنته على وجود الله ووحدانيته، وأترك الجزئيات المندرجة تحتها لكثرتها وتشابكها وانتشارها في الرسائل كلها.

[١]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : من ٧٨٢ إلى ٨٣٣ وانظر "الشعاعات" ج٤، ص : من ١٤١ إلى ٢٢٤، "ساق النورسي مجموعة من الأدلة الكونية على حقيقة التوحيد".

- **دلالة المخلوقات بوظائفها على وحدة الخالق :**

في الشعاعات يستقرئ النورسي وظائف بعض المخلوقات في الكون، من سماوات وأرض وأنهار وبحار وجبال ونباتات وطيور وحيوانات وإنسان، فيثبت دلالتها على وحدة الخالق[1]، يقول رحمه الله في سياق دلالة السموات على وحدانية الله عز وجل: "وبينما يولع الضيف السائح أن يعلم ويتعرف على صاحب هذه الضيافة الكريمة، وعلى مؤلف هذا الكتاب الكبير، وعلى سلطان هذه المملكة المهيبة، إذ بوجه السماوات الجميل المتلألئ بالنجوم النيرة يطل عليه مناديا "أنظر إلي، فأنا أعرفك بالذي تبحث عنه، فينظر السائح ويرى:

أن ربوبية ظاهرة تتجلى:

في رفعها مئات الألوف من الأجرام السماوية بلا عمد ولا سند، منها ما هو أكبر من أرضنا ألف مرة، وما هو أسرع انطلاقا من القذيفة بسبعين مرة.

وفي تسييرها وجريها تلك الأجرام معا بسرعة فائقة بلا مزاحمة ولا مصادمة...

وفي إيقادها تلك القناديل المتدلية التي لا تعد بلا زيت ولا انطفاء... وفي إدارتها تلك الكتل الهوائية التي لا حد لها، بلا ضوضاء ولا صخب ولا اختلال.

وفي تسخيرها تلك المخلوقات في مهام معينة كاستسلام الشمس والقمر لأداء وظائفهما دون إحجام أو تلكؤ...

فهذه الربوبية الجليلة الظاهرة وما تظهر ضمن فعاليتها من حقيقة جلية مركبة: من "التسخير والتدبير والإدارة والتنظيف والتوظيف" تشهد على وجود خالق تلك السموات وعلى وحدته بعظمتها المهيبة هذه وبإحاطتها الكلية [2].

على هذا المنوال، يشرح النورسي وظيفة الجبال والبحار والطيور والإنسان كما وردت في رسائل النور، ويكشف عن حقائق التوحيد وتجلياته في جميع هذه المخلوقات. وفيما يأتي أتناول هذه الحقائق الكونية مختصرة.

- **استحواذ حقيقة الألوهية والربوبية والكمالات والحاكمية على الكائنات:**

---

[1]- أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ١٤١-١٥٥.

[2]- المصدر نفسه، : ١٤٢-١٤٣، بتصرف.

- **حقيقة الألوهية المطلقة :**

انطلاقا من تأمل النورسي في أنواع العبادات والوظائف الفطرية الصادرة من ذوي الحياة وسائر الجمادات يثبت حقيقة التوحيد، فيقول رحمه الله: "إن انهماك كل طائفة من طوائف البشرية بنوع من أنواع العبادة، وانشغالهم به انشغالا كأنه فطري، وقيام سائر ذوي الحياة، بل حتى الجمادات بخدماتها ووظائفها التي هي بحكم نوع من أنواع العبادة... كل هذا يثبت بالبداهة تحقق الألوهية الواحدة المطلقة وهيمنتها"[١].

- **حقيقة الربوبية المطلقة :**

مفاد هذه الحقيقة: أن التصرف العام الشامل من لدن يد غيبية في جميع الكائنات، وبخاصة الأحياء منها بحكمة ورحمة في تربيتها وفي إعاشتها... إنما هو رشحات وضياء يدل على الربوبية الواحدة المطلقة، بل هو برهان قاطع على تحقيقها [٢].

- **حقيقة الكمالات :**

يستدل النورسي بما في الكون من حكم سامية، وجمال خارق، وقوانين عادلة، وغايات حكيمة، على وحدانية الله عز وجل، وكمال صفاته وقدرته.

فهذه الكمالات الثابتة في أرجاء الكون بحكمة الانتظام والاتزان، تبين عبث الشرك وأضراره الخطيرة التي تحول صورة الكون ذات الكمال والحكمة الظاهرة إلى ألعوبة بيد المصادفة[٣].

- **حقيقة الحاكمية المطلقة :**

يشرح النورسي هذه الحقيقة انطلاقا من قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ۝٧﴾[٤]، فالموجودات كلها ابتداء من جيوش الذرات، وفرق النباتات وأفواج الحيوانات، إلى جيوش النجوم كل أولئك جنود ربانية مجندة لله، تدل جنديتها وسريان الأوامر التكوينية

---

[١]- أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ١٩٤ بتصرف.

[٢]- المصدر نفسه، ص : ١٩٤ بتصرف.

[٣]- نفس المصدر، ص ١٩٤ بتصرف.

[٤]- سورة الفتح، الآية ٧.

المهيمنة عليها، وجريان الأحكام النافذة فيها على وجود الحاكمية الواحدة المطلقة والآمرية الواحدة الكلية لله تعالى[١].

- **دلالة حقيقة العظمة والكبرياء وظهور الأفعال الربانية ظهورا مطلقا:**
  - **حقيقة العظمة والكبرياء :**

يبين النورسي هذه الحقيقة بقوله: "إن الذي أوجد النجوم التي يبعد بعضها عن البعض الآخر آلاف السنين، والذي يتصرف فيها في آن واحد وعلى نمط واحد. والذي يخلق أفرادا غير معدودة لنوع واحد من زهرة نابتة في الشرق والغرب... ويصورها في وقت واحد على هيئة واحدة وصورة واحدة، والذي يخبرنا عن أعجب حادثة ماضية وغيبية في قوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ۝٤**﴾[٢] مثبتا تلك الحادثة كأنها تحدث أمامنا، بما يخلق من مثيلاتها... ينبغي أن يكون – فاعل هذه الأفعال التي كل منها فعل واحد منفرد خاص– واحدا أحدا قادرا صاحب جلال، له من العظمة والكبرياء بداهة ما يقتلع جذور الشرك ويمحو جميع آثاره واحتمالاته مهما كان نوعها[٣].

  - **ظهور الأفعال الربانية ظهورا مطلقا ومحيطا :**

يتخذ النورسي ثلاث آيات من سورة النحل[٤]، مدخلا لشرح هذه الحقيقة وبيانها.

فالآية الثامنة والستون: تكشف عن الأفعال المحكمة والمنظمة التي تظهر على مخلوق صغير اسمه النحلة يشهد على وحدانية الله عز وجل، وذلك لأن تسجيل البرامج الكاملة لوظيفتها الجسيمة في رأس صغير جدا لماكنة عسل صغيرة... ووضع أطيب الأطعمة وألذها في جوفها الصغير وطبخها فيه... واختيار المكان المناسب لوضع سم قاتل مهدم لأعضاء حية في

---

[١]– أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ١٩٥ بتصرف.

[٢]– سورة الحديد، الآية ٤.

[٣]– أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ١٩٧–١٩٨ بتصرف.

[٤]–سورة النحل، الآية ٦٦: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾، والآية ٦٧: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، والآية ٦٨، ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ۝٦٨﴾.

رميحته دون أن يؤثر في الأعضاء الأخرى للجسم... لا يمكن أن يتم –كل هذا– إلا بمنتهى الدقة والعلم، وبمنتهى الحكمة والإرادة، وغاية الموازنة والانتظام، لذا لن يتدخل مطلقا مالا شعور له، ولا نظام ولا ميزان من أمثال الطبيعة الصماء أو المصادفة العمياء في مثل هذه الأفعال البديعة[١].

والآية السادسة والستون: تبين أن خروج الحليب من البقرة والناقة والمعزى النعجة من بين فرث ودم دون أن يختلط بهما أو يتعكر... ليحتاج حتما إلى مرتبة الرحمة والحكمة والعلم والقدرة والاختيار والدقة مالا يكون قطعا من فعل المصادفات العشوائية والعناصر التائهة والقوى العمياء[٢].

والآية السابعة والستون: تنبه الإنسان إلى أن في ثمرة النخيل، والعنب، آية عظيمة دالة على التوحيد ذلك أنهما يعتبران غذاء وقوتا وثمرة وفاكهة في الوقت نفسه،وهما منشأ كثير من المواد الغذائية اللذيذة رغم أن شجرة كل منهما تنمو في تراب جامد، وتترعرع في أرض قاحلة، فكل منهما معجزة من معجزات القدرة الإلهية وخارقة من خوارق الحكمة الربانية[٣].

- **حقيقة الإيجاد والإبداع وكلية الموجودات :**
  - **حقيقة الإيجاد والإبداع:**

مفاد هذه الحقيقة: هو أن إيجاد الموجودات بكثرة مطلقة، في سرعة مطلقة مع انتظام مطلق... وخلق المخلوقات بسهولة مطلقة في غاية الحسن والجمال مع المهارة المتقنة والانتظام الكامل... وإبداع المصنوعات في غاية النفاسة والجودة... لا يمكن أن يتم إلا بقدرة قادر واحد أحد [٤].

  - **حقيقة كلية الموجودات:**

---

[١]– أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ١٩٩.

[٢]– أنظر المصدر نفسه، ص : ٢٠٠ بتصرف.

[٣]– أنظر المصدر نفسه، ص : ٢٠١ بتصرف.

[٤]– أنظر المصدر نفسه، ص : ٢٠٢ بتصرف.

إن وجود الموجودات وظهورها معا، متداخلة، مشابها بعضها البعض الآخر، وكون بعضها مثالا مصغرا للآخر، ونموذجا أكبر له، وكون قسم منها كلا وكليا وبقية الأقسام أجزاؤه وأفراده، مع التشابه في ختم الفطرة وسكتها والعلاقة الوثيقة في نفس الصنعة والإتقان، والتعاون فيما بينها. وإكمال كل منها وظيفة الآخر الفطرية... وأمثال هذه من النقاط العديدة لجهة الوحدة الكثيرة في الموجودات، تعلن التوحيد بداهة، وتثبت أن صانعها واحد أحد [١].

- **وحدة الانتظام الأكمل في مجموع الكون وأركانه وأجزائه :**

يبرهن النورسي على وحدانية الله ونفي الشرك، بشمول الانتظام التام والدقيق في الكون كله، كليا كان الشيء أم جزئيا، ابتداء من دوران الأرض اليومي والسنوي، إلى سيماء الإنسان، إلى منظومة شعوره، وإلى دوران الكريات الحمر والبيض وجريانهما في الدم[٢].

إن هذا الانتظام في القيام بالوظائف والأفعال، لا يمكن أن يصدر من الصدفة وإنما يدل على خالق واحد ومدبر واحد.

- **حقيقة الفتاحية والرحمانية المنتشرة في أنحاء الكون كله :**

- حقيقة الفتاحية:

إن انفتاح ما لا يحد من الصور المنتظمة المتنوعة بتجلي اسم "الفتاح" من مادة بسيطة جدا، وانكشافها معا في كل طرف من أنحاء العالم كله وفي آن واحد، وبفعل واحد، هو أقوى دليل على التوحيد وأعجب معجزة للقدرة الإلهية[٣].

لقد أثبت النورسي نتائج الدراسات والبحوث الدقيقة لعلمي النبات والحيوانات، أن فتح الصور هذا له من الإحاطة والشمول والإتقان مالا يمكن أن يملك هذا الفعل الجامع المحيط سوى الواحد الأحد [٤].

- حقيقة الرحمانية:

---

[١]- أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ٢٠٦.

[٢]- أنظر المصدر نفسه، ص : ٢٠٨.

[٣]- أنظر المصدر نفسه، ص : ٢١٣ بتصرف.

[٤]- أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ٢١٣ بتصرف.

وتعني عند النورسي أن هناك واحدا جعل لنا الأرض –كما هي ظاهرة أمام أعيننا– مضيفا رائعا، وغمر وجهها بآلاف هدايا الرحمة، وفرش لنا بتلك الرحمة مأدبة تحوي مئات الآلاف من مختلف الأطعمة المعدة على تلك المائدة، وجعل لنا جوف الأرض– برحمته وحكمته – مخزنا عظيما لآلاف إحسانه وآلائه القيمة ويقوم بتربيتها تربية في منتهى الرحمة.. كل هذا دليل قاطع على وحدانية الخالق الرحمن[1].

- **هيمنة حقيقة التدبير والإدارة والرحيمية والرازقية على مخلوقات الكون :**
  - حقيقة التدبير:

هذه الحقيقة تظهر جلية في الكون، فالأجرام السماوية في منتهى السرعة والضخامة، والعناصر التي هي في منتهى الاختلاط والتشابك، والمخلوقات الأرضية المتسمة بالحاجة والضعف، كلها تخضع لقانون الإدارة والانتظام والموازنة، مما يدل على حاكم هذا الكون الواحد القهار؛ الذي يدير هذه المخلوقات بحكمته وقدرته.

يمثل النورسي لهذه الحقيقة بالقائد العظيم، الذي يجهز جيشا من أربعمائة ألف أمة وطائفة مختلفة، ويوفر لكل جندي من تلك الأمم والطوائف المختلفة من الملابس، والأسلحة، والأرزاق، والتعليمات، والإعفاءات، والخدمات المختلفة المتنوعة جدا، دون أدنى نقص أو قصور أو خطأ، فلا بد أن هذه الإدارة وهي في منتهى السعة والاختلاط والموازنة والكثرة والعدالة لا تصدر إلا من قدرة خارقة لذلك القائد الخارق[2].

[1]– أنظر المصدر نفسه، ص : ٢١٤ بتصرف.

[2]– أنظر المصدر نفسه، ص : ٢١٧ بتصرف.

- حقيقة الرحيمية والرزاقية:

ملخص هذه الحقيقة: أن إعطاء الرزق إلى جميع ذوي الحياة وبخاصة ذوي الأرواح، وبخاصة العاجزين والضعفاء، وبخاصة الأطفال والصغار على وجه الأرض كافة وفي جوفها وفي جوها وفي بحرها، إعطاءهم أرزاقهم كافة سواء المادية المعدية منها أو المعنوية القلبية بكل شفقة ورأفة، وذلك من الأطعمة المعمولة من تراب بسيط يابس ومن قطع خشب جافة جامدة كالعظم، وبخاصة إخراج ألطف تلك الأطعمة من بين فرث ودم وإخراج كميات هائلة من الأطعمة من بذرة واحدة صلدة كالعظم لا تزن درهما؛ فإخراج كل ذلك في وقته المناسب، وأمام أنظارنا إخراجا مقننا دون نسيان أحد أو التباس أو خطأ.. لهو دليل على وحدة الرزاق الرحيم [1].

خلاصة واستنتاج:

إن اقتصارنا على بسط الأدلة والبراهين الموجودة في كتاب الشعاعات، يرجع إلى كونها جاءت ناظمة وجامعة لما تفرق في الرسائل من أدلة كونية متشعبة.

فالنورسي رحمه الله، ناقش أدلة التوحيد في الكلمة الثانية والعشرين، وذكر جملة من الأدلة ذكرناها سابقا، كدليل الانتظام الأكمل والتوازن والتعاون بين المخلوقات، وإتقان الصنعة ووحدة الكائنات والإدارة والحكمة والاتزان وغيرها من الأدلة الكونية على التوحيد، كما ذكر في المثنوي العربي، أدلة التوحيد وعبّر عنها بقوانين الطبيعة والنظام والتناسق ووجدان الإنسان وفطرته ووحدة الوجود.

وفي اللمعة الثلاثين في "النكتة الرابعة": تحدث عن أدلة التوحيد بصيغ مختلفة بنفس المحتوى، حيث ذكر دليل التعاون بين أجزاء الكون وإدارة الحياة على الأرض وسيماء الإنسان وناموس واحد والاستقلال، والانفراد، ويسر الخلق في التوحيد. والمتأمل في كل هذه الأدلة يجد بينها ترابطا وتعاونا وتداخلا يمكن دمجها في ضوء قواعد كلية، تختصر القول وتعتصره وهو ما فعله النورسي بنفسه، حيث ألف رسالة الآية الكبرى وسماها مشاهدات سائح يسأل الكون

[1]- أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ٢١٩ بتصرف.

عن خالقه.[١] ذكر فيها، أدلة عقلية كونية ومشهودة استمدها من خلال مطالعته وتفكراته في أجزاء الكون وأنواعه.

لقد استطاع النورسي بهذا المنهج الشهودي والتجريبي، أن يقدم الحقائق التوحيدية ناصعة بعيدة عن التعقيد والتكلف الذي سقط فيه علماء الكلام قديما، وبهذا يكون قد أنزل علم الكلام النظري الصعب الذي لا يفهمه إلا الخواص، لمصطلحاته التي تعود إلى صراع ماض، إلى علم موصول بعقل كل فرد وكيانه في هذا العصر، لأنه حول الكائنات التي حوله من الأسرار الدقيقة المشاهدة لعالمي الأنفس والآفاق إلى علم كلام مفتوح أمامه صفحة واضحة يقرأ فيها فيجد ببرهان تام خالقه [٢].

إن النورسي بتناوله هذا، يفتح أمامنا آفاقا واسعة لتأسيس علم التفكر الكوني، حيث نجده اعتمد منهج استقراء عالم الكائنات، وكشف عن وظائفها وأسرارها ودلالتها على الله عز وجل، بأسلوب علمي بعيد عن الإغراق في الإنشاء والتشدق بالكلام. وهذا العلم كفيل بأن يحقق جملة من الانجازات في كافة الميادين الحضارية والعمرانية.

إن الأمة الإسلامية بحاجة إلى أن تعمق النظر في هذا الكون، لاستمداد الحلول الشاملة لكافة احتياجاتها الإنسانية. وإذا كان النورسي اعتمد هذا المنهج في إثبات براهين التوحيد، فحري بأهل العلم أن يعتمدوه في ميادين أخرى لمواجهة التحديات المعاصرة.

٢. دليل سيماء الإنسان وفطرته :

يدل الإنسان بشكله ومضمونه، وجسمه وروحه، على عقيدة التوحيد، فمن جهة الشكل نجد أن لكل إنسان علامة فارقة في وجهه تميزه عن غيره. فالذي لا يستطيع أن يضع تلك العلامات في كل وجه، ولا يكون مطلعا على جميع الوجوه السابقة واللاحقة منذ آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، لا يمكنه أن يمد يده من حيث الخلق والإيجاد ليضع تلك الفوارق المميزة الهائلة في ذلك الوجه الصغير لإنسان واحد[٣].

---

[١]– أنظر "الشعاعات" ج١، ص : ١٤١.

[٢]– أنظر "النورسي متكلم العصر الحديث" الدكتور محسن عبد الحميد، ص : ٨٠.

[٣]– أنظر "اللمعات" ج٣، ص : ٥٤١ بتصرف.

فالإنسان بعلاماته المميزة عن باقي أقرانه الذين يشترك معهم في نفس الأعضاء، كالعيون والأنوف وغيرها، دليل على وحدانية خالق البشر الذي خصص لكل أحد سمة تميزه.

أما من جهة روحه وأعماقه فقد، أودع الله فيه من الأسرار والأجهزة الفطرية، التي تدعوه إلى الإقرار بوجود الله الواحد القهار وإظهار العجز والفقر أمامه، غير أن هذه الأجهزة الفطرية تخضع لعوامل الطمس والتدسية من طرف الشيطان وأعوانه من بني الإنسان فتعمى وتغلق إلى وقت، تجد فيه الفرصة للانبعاث من جديد، خاصة إذا تعلق الأمر بخطر الموت المحدق بالإنسان، فترجع إلى طبيعتها من جديد لاجئة إلى قوة الله عز وجل، معترفة بوحدانيته وربوبيته، يقول الله تعالى عن فرعون حين عاين خطر الموت غرقا، فانبعثت الفطرة من أعماق قلبه، تعترف بحقيقة التوحيد ﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيًا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾[1].

من عمق هذا التصور القرآني، يؤكد النورسي حقيقة دلالة الفطرة والوجدان على وحدانية الله عز وجل، وأنه سبحانه جعل الإنسان مجبولا على اللجوء والاستناد إلى قوة عليا تحميه من المصائب والمخاطر التي تواجهه. يقول النورسي رحمه الله : "والمعرفة الإلهية نفسها هي نقطة استناد للإنسان أمام تقلبات الحياة ودواماتها، وأمام تزاحم المصائب والنكبات وتواليها عليه، إذ الإنسان إن لم يعتقد بالخالق الحكيم الذي كل أمره نظام وحكمة، واسند الأمور والحوادث إلى المصادفات العمياء، وركن إلى ما يملكه من قوة هزيلة لا تقاوم شيئا من المصائب، فإنه سينهار حتما من فزعه وخوفه من هول ما يحيط به من بلايا وسيشعر بحالات أليمة تذكره بعذاب جهنم. وهذا ما لا يتفق وكمال روح الإنسان المكرم، إذ يستلزم سقوطه إلى هاوية الذل والمهانة، مما ينافي النظام المتقن القائم في الكون كله، أي أن هاتين النقطتين: نقطة الاستمداد والاستناد ضروريتان لروح الإنسان. فالخالق ينشر نور معرفته ويبثها في وجدان كل إنسان من

[1]– سورة يونس، الآية ٩٠.

هاتين النافذتين – نقطة الاستمداد ونقطة الاستناد – فمهما أطبق العقل جفنه ومهما أغمض عينه... فعيون الوجدان مفتحة [١].

إن هذا النص، يقرر حقيقة مفادها أن الإنسان مخلوق ومجبول بالفطرة والأصل على النزوع إلى قوة قدسية، يعبدها ويلجأ إليها في حالة الاضطرار والفزع والخوف.

فالإنسان، حسب رأي النورسي، هو صاحب فطرة وأجهزة معنوية تدل على أنه مخلوق للعبادة، مؤهل لأن يكون سلطان الكائنات وسيد المخلوقات من حيث حياته المعنوية والأخروية بما أودع الله فيه من علم به وافتقار إليه وقيام بعبادته [٢].

إن هذا التصور يستمد أصالته من عمق القرآن والسنة؛ واللذين قررا في أكثر من موضع سنة الفطرة وكشفا عن حقيقتها ومظاهرها، نذكر منها قوله تعالى ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾**﴾ [٣].

وقوله تعالى ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ ﴿١٧٢﴾**﴾ [٤].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء**" [٥].

ويقدم لنا ابن تيمية أدلة كثيرة على صدق دلالة الفطرة على توحيد خالقها كما أخبر عن ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، ويبين ذلك من وجوه كثيرة منها.

---

[١]– أنظر "المثنوي" ج٦، ص : ٤٣١.

[٢]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٢٠ بتصرف.

[٣]– سورة الروم، الآية ٣٠.

[٤]– سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

[٥]– الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب "الجنائز" باب ما قيل في أولاد المشركين. والإمام مسلم في كتاب "القدر" باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين.

الأول: إن الإنسان قد يجد نفسه في بعض الأحيان في غمرة من المعتقدات والإرادات التي منها الحق والباطل والضار والنافع، وفي مجال ترجيح رأي أو معتقد على أخر نجده مدفوعا بفطرته إلى ترجيح ما فيه منفعته ودفع ما فيه مضرته، فيرجح الصدق على الكذب والحق على الباطل، وفي هذا دليل كاف على أنه في فطرة كل إنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة النافع، ومن هنا كانت كل نفس مفطورة على الاعتراف بالصانع والإقرار به، استجابة لما هو مركوز فيها من طلب الحق والاعتراف به[1].

الثاني: قد يطرأ على بعض الناس ما يفسد فطرتهم فيحتاجون في ذلك إلى ما ينير لهم السبيل ويوضح لهم الطريق كالتعليم مثلا، ولذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب ليكمل بها الفطرة ويذكرها إذا فسدت بما هي مركوزة عليه من طلب الحق. والطفل حين ولادته لا يكون لديه تعقل لمثل هذه الأمور، لأن الله يقول ﴿**وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا** ﴿٧٨﴾﴾[2]. ولكنه يولد وفطرته تقتضى ذلك الحق وتطلبه، وتزداد هذه القوة الفطرية لدى الطفل بحسب ما يستطيع تحصيله من العلوم النافعة، وكلما ازداد الطفل علما وإرادة ازداد معرفة بخالقه ومحبة له. وهذا دليل على أن النفوس مفطورة على الاعتراف بخالقها[3].

وغيرها من الوجوه التي ذكرها، تتوافق مع ما قرره النورسي، انطلاقا من هداية القرآن الكريم.

لقد استطاع النورسي في رسائله، أن يخاطب العقل الموضوعي والفطرة الشاعرة، بأسلوب يقوم على استنطاق عالم الشهادة ومدى دلالته على عقيدة التوحيد.

---

[1]– أنظر قضية الألوهية بين الدين والفلسفة مع تحقيق كتاب التوحيد لابن تيمية، لدكتور محمد السيد الجليند، ص : ٤٠ نقلا عن العقل والنقل ج٤، ص : ٨٣ مخطوط رقم ١٨٢ عقائد تيمور.

[2]– سورة النحل، الآية ٧٨.

[3]–أنظر "قضية الألوهية بين الدين والفلسفة"، ص : ٤٠.

٣) دلالة القرآن على التوحيد:

سبق الحديث عن مركزية القرآن الكريم في الخطاب النورسي وهيمنته في سائر المعالجات، وفي هذا الموضع نشير إلى مسألة خاصة أساسها خدمة العقائد الإسلامية، وبيان حقيقتها وأهميتها في الحياة الإنسانية، انطلاقا من منهج القرآن الكريم. والنورسي من الذين دخلوا على المباحث الإيمانية بمفتاح القرآن الكريم فتناولوا كبرى القضايا الإيمانية في ضوء هدايته.

ومن هذه القضايا مثلا: قضية إثبات عقيدة التوحيد؛ حيث نجده رحمه الله بالإضافة إلى جملة من الأدلة التي استلهمها من القرآن الكريم، تدل على صحة عقيدة التوحيد، يجعل القرآن في حد ذاته بآياته ومعجزاته اللغوية والتشريعية دليلا على صحة هذه العقيدة، يقول رحمه الله: "إن هذا القرآن المعجز في كل ناحية من نواحيه قد شهد بإجماع سوره وباتفاق آياته، وبتوافق أسراره وأنواره، وبتطابق ثماره وآثاره، شهادة ثابتة بالدلائل على وجوب واجب الوجود، وعلى وحدانيته سبحانه، وعلى صفاته الجليلة، وعلى أسمائه الحسنى، حتى ترشحت الشهادات غير المحدودة لجميع أهل الإيمان من تلك الشهادة[١].

فالقرآن الكريم ببنائه اللغوي والتشريعي يقود إلى إثبات عقيدة التوحيد، ويركزها في النفوس والعقول التي تسعى إلى معرفة الحقيقة.

يقول النورسي رحمه الله عز وجل مثبتا دلالة القرآن على عقيدة التوحيد: "إن القرآن الكريم المعجز البيان قد بين سبيل سعادة الدارين، ووضح غايات خلق الكون، وما فيه من المقاصد الربانية، موضحا ما يحمله ذلك المخاطب الكريم من الإيمان السامي الواسع، الذي يضم الحقائق الإسلامية كلها عارضا كل ناحية من نواحي هذا الكون الهائل، ومقلبا إياه كمن يقلب خارطة أو ساعة أمامه، معلما الإنسان صانعه الخالق سبحانه من خلال أطوار الكون وتقلباته، فلا ريب ولا بد أنه لا يمكن الإتيان بمثل هذا القرآن أبدا ولا يمكن أن تنال درجة إعجازه [٢].

---

[١]- انظر "الكلمات" ج١، ص : ٥٢٤.

[٢]- أنظر المصدر نفسه، ص : ٥٢٣.

هكذا يكون النورسي أثبت من خلال إعجاز القرآن الكريم وجهاته، حقيقة التوحيد، وأكدها بمنهج يقوم على الوجدان والعقل، فالقرآن الكريم عليه الإعجاز الظاهر، وتحته المنطق والدليل، وفي يمينه استنطاق العقل، وفي يساره استشهاد الوجدان، أمامه وهدفه الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، نقطة استناده: الوحي المحض... أفيجرأ وهم أن يقتحم هذا الحصن الحصين؟ [1].

٤) دلالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على التوحيد:

يسوق النورسي مجموعة من النصوص، لبيان دلالة الرسول صلى الله عليه وسلم على حقيقة التوحيد، نورد بعضها لمعرفة موقع الاستدلال والبرهان منها على قضية التوحيد، يقول رحمه الله في اللمعات: "الحمد لله الذي دل على وجوب وجوده ودل الناس على أوصاف جلاله وجماله وكماله، وشهد على أنه واحد فرد صمد: الشاهد الصادق، والبرهان المصدق، الناطق المحقق سيد الأنبياء والمرسلين، الحاوي لسر إجماعهم وتصديقهم ومعجزاتهم. وإمام الأولياء والصديقين. الحاوي لسر اتفاقهم وتحقيقهم وكرامتهم، ذو الإرهاصات الخارقة، والمعجزات الباهرة، والبراهين القاطعة الواضحة، ذو الأخلاق العالية في ذاته، والخصال الغالية في وظيفته، والسجايا السامية في شريعته"[2].

ويقول في المثنوي: "فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يبين للبشرية جمعاء وجود الله ووحدانيته في جميع أقواله الصادقة المصدقة بمعجزاته الباهرة، وبشهادة الأنبياء عليهم السلام وتصديق الأديان كلها، فهو صلى الله عليه وسلم، يظهر ذلك النور باسم المصطفين الأخيار من البشرية الذين اتحدوا في هذه الدعوة"[3]. وغيرها من النصوص التي تكشف عن موطن دلالة الرسول صلى الله عليه وسلم على حقيقة التوحيد، انطلاقا من هيمنة رسالته على سائر رسائل الأنبياء، وإمامته لجميع الأولياء والصديقين، وشريعته السامية، وأخلاقه العليا، ومعجزاته الباهرة.

---

[1]- أنظر "المثنوي" ج٦، ص : ٤٢٧ وانظر "اللمعات" ج٣، ص : ٤٩٩.

[2]- أنظر "اللمعات" ج٣، ص : ٤٩٧-٤٩٨.

[3]- أنظر "المثنوي" ج٦، ص : ٤٢١-٤٢٢.

إن هذه الأوصاف الخمسة، هي المنطلقات الأساسية التي اعتمدها النورسي لإبراز دلالة النبي صلى الله عليه وسلم على حقيقة التوحيد. وتأتي بعدها متعلقات أخرى تخدمها وتشرحها، ذكرها في رسائله[1]، وأسوق هنا نصا يمثل لبعضها وأترك المجال مفتوحا للقارئ يستنبطها ويكتشفها في رسائله، يقول رحمه الله في رسالة المعجزات الأحمدية: "أعلم أن هذا البرهان النوراني الذي دل على التوحيد وأرشد البشر إليه، كما أنه يتأيد بقوة ما في جناحيه: نبوة وولاية من الإجماع والتواتر... كذلك تصدقه مئات إشارات الكتب السماوية من بشارات التوراة والإنجيل والزبور وزبر الأولين.. كذلك تصدقه دلالات معجزاته من أمثال شق القمر، ونبعان الماء من الأصابع كالكوثر، ومجيء الشجر بدعوته، ونزول المطر في آن دعائه، وشبع الكثير من طعامه القليل[2].

خلاصة واستنتاج:

هكذا يكون النورسي، قد اعتمد في الوصول إلى حقيقة التوحيد، على الحقائق الأربع: الكون، والقرآن، والنبي صلى الله عليه وسلم، وسيماء الإنسان وفطرته.

وتأتي بعدها الحقائق الأخرى لتؤكدها وتعززها وتخدم أغراضها، كحقيقة شهادة الملائكة والأولياء والعقلاء على عقيدة التوحيد.

إن اقتصارنا على هذه الأدلة الأربعة ناشئ من كونها أصولا تبنى عليها سائر الأدلة الأخرى التي تأتي في سياق الموضوع، كما أن طبيعة الموضوع تقتضي منا الاختصار والإجمال، وإلا فإن النورسي في رسائله كلها، يتحدث عن التوحيد وبراهينه يجمل أحيانا ويفصل أحيانا أخرى، وأنا في هذا الموطن اعتمدت إجماله الرئيس؛ كما ذكره بنفسه في المثنوي في رسالة نقطة من نور معرفة جل جلاله.

---

[1]- أنظر على سبيل المثال اللمعة الثامنة والعشرين والكلمة التاسعة عشرة حيث ذكر النورسي أربع عشرة رشحة تكشف عن دلالة الرسول صلى الله عليه وسلم على حقيقة التوحيد.

[2]- أنظر "ذو الفقار مجموعة رسائل المعجزات القرآنية والمعجزات الأحمدية ورسالة الحشر"، القاهرة : دار سوزلر، ط ١ – ٢٠٠٥، ص : ٣٦١ بتصرف.

المبحث الثالث :
أثر التوحيد في حياة الناس

سبق الحديث عن أدلة التوحيد وبراهينه، وفي هذا المبحث أتناول ثمراته وآثاره في الحياة الإنسانية كما سطرها النورسي في رسائله انطلاقا من نقده لمسالك الشرك والضلالة، وبيانه لأهمية التوحيد في صناعة سعادة الإنسان وكماله وتقدمه، وقدرته على تحمل مسؤولية الأمانة؛ والتي لم تقدر عليها السماوات والأرض والجبال، يقول النورسي رحمه الله، مؤكدا هذه الحقيقة في الكلمات، كاشفا عن أثر الكفر في القضاء على إنسانية الإنسان: "إن ما يطلق عليه "الإنسانية" التي هي قصيدة حكيمة منظومة تعلن إعلانا لطيفا جميع تجليات الأسماء الإلهية القدسية، وهي معجزة قدرة باهرة جامعة كالنواة لأجهزة شجرة دائمة باقية. هذه "الإنسانية" يقذفها الكفر من صورتها الحية، التي تفوقت بها على الأرض والجبال والسماوات، بما أخذت على عاتقها من الأمانة الكبرى وفضلت على الملائكة وترجحت عليها، حتى أصبحت صاحبة مرتبة خلافة الأرض يقذفها من هذه القمة السامية العالية إلى دركات هي أذل وأدنى من أي مخلوق ذليل فان عاجز فقير"[1].

إن هذا النص، يكشف عن المنهجية التي اتبعها النورسي في بيان آثار عقيدة التوحيد في حياة الناس. فهي منهجية تقوم على أساس المقارنة بين طريق التوحيد وطريق الشرك في التصورات والنتائج والآثار الواقعية والفوائد العملية.

لقد اتبع النورسي هذا المنهج في سائر رسائله، وفيما يلي أورد تطبيقاته في ما يتعلق بموضوعي، في العناصر الآتية:

١) أثر التوحيد في بناء الإنسان المسؤول:

يعيش الإنسان في الحياة، ويواجه جملة من الأحداث والتحديات التي تستلزم وجود قاعدة صلبة ينطلق منها ليتعامل معها بقوة وعزم كبيرين.

---

[1]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٣٦١.

هذه القاعدة، لا تتأتى إلا بنور الإيمان، كما يرى النورسي، "فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستندا إلى قوة إيمانه فيبحر منفرجا على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام قائلا: توكلت على الله، ويسلم أعباءه الثقيلة أمانة إلى يد القدرة للقدير المطلق، ويقطع بذلك سبيل الدنيا مطمئن البال في سهولة وراحة حتى يصل إلى البرزخ ويستريح، ومن ثم يستطيع أن يرتفع طائرا إلى الجنة للدخول إلى السعادة الأبدية"[١].

أما الإنسان البعيد عن حقيقة التوحيد والإيمان، كما يرى النورسي، يعيش تحت سيطرة الأغلال والهلع أمام الحادثات، فالإيمان وحده هو الذي يخلص الإنسان من العبودية والخضوع للمخلوقات والأشياء، ويبعث في نفسه الأمن والسلامة، فلا تستبد به المخاوف التي تسلط على أهل الشرك، فقد سد منافذ الخوف التي يفتحها الناس على أنفسهم: الخوف على الرزق، والخوف على الآجال، والخوف على النفس، والخوف على الأهل والأولاد، والخوف من الإنس، والخوف مما بعد الممات[٢].

إن هذه المخاوف كلها بسر عقيدة التوحيد تتحول إلى عبر وحكم لطيفة يستفيد منها الإنسان في حياته. فالإنسان المؤمن يرى كل حادثة من حوادث الكون كالزلازل، إنما هي مسخرات وموظفات ومأمورات من قبل خالقها.

فالتوحيد حسب نظرة النورسي، يؤثر في نظرة الإنسان إلى الوجود والأحداث، وهذا التأثير ينعكس على طبيعة تفاعله معها وفق منهج إيجابي، عكس الشرك والكفر الذي يمنح الإنسان نظرة عدمية تسقطه في قبضة المادية. وإذلال الأحداث؛ فيصبح أضعف من الذبابة والعنكبوت من جهة الخير والإيجاد، وأثقل من الجبل وأضر من الطاعون من جهة الشر والتخريب[٣].

---

[١]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٣٥٢.

[٢]– أنظر "حقيقة التوحيد" للدكتور يوسف القرضاوي، دار المعرفة، ص : ٨٠.

[٣]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٣٦٠ بتصرف.

فالإنسان بسر الإيمان الذي يقتضي التوحيد، يتخلص من هذا الضعف ويملك قوة واسعة تمكنه من قيادة الكون وإدارته وفق إرادة الله عز وجل.

إن التوحيد كما يرى النورسي، هو العقيدة الوحيدة التي تحرر الإنسان من عبادة الأشياء، وتمنحه اطمئنانا واسعا، وثقة كاملة تقوده إلى الفعل الايجابي في الحياة.

فبدون التوحيد، يقع الإنسان في شَرَكَ العبثية والشرك وأوهام الكفر، ومن ثم تصبح حركته في الوجود لا تخضع لنظام محكم ولا لرؤية رشيدة.

فالتوحيد هو مركز دائرة النشاطات الإنسانية، فمنه يتحرك الإنسان في الحياة ويفسر الأحداث ويواجه التحديات، فهو أساس حركته وأخلاقه ونظرته إلى الموجودات والأشياء من حوله.

أما الشرك فهو مناط من إذلال الإنسان، وطريق استعباده، وقتل نشاطه، فبه يتحول الإنسان إلى مخلوق ضعيف تستبد به الأشياء، وتتحكم في وجهته ونظرته الظواهر المادية؛ فيصير عبدا لها وخاضعا لتقلباتها وتغيراتها ويعيش دوما الحزن والآلام. يقول النورسي رحمه الله: "إن طريق الشرك والضلالة والسفاهة والفسوق يهوي بالإنسان إلى منتهى السقوط وإلى أسفل سافلين، ويلقي على كاهله الضعيف العاجز في غمرة آلام غير محدودة عبئا ثقيلا لا نهاية لثقله؛ ذلك لأن الإنسان إن لم يعرف الله سبحانه وتعالى وإن لم يتوكل عليه، يكون بمثابة حيوان فان يتألم دوما ويحزن باستمرار، ويتقلب في عجز وضعف لا نهاية لهما، ويتلوى في حاجة وفقر لا نهاية لهما"[1].

نستفيد من هذه النصوص، وغيرها، أن الإيمان الذي يقتضي عقيدة التوحيد، يبني الإنسان المسؤول عن حركته في الوجود، والقادر على مواجهة المصائب والخطوب، انطلاقا من عقيدة تسند كل الأمور إلى خالقها الجليل مالك الملك، الواحد القهار، وتتوكل عليه في سائر جنبات الحياة دقها وجلها، وصغيرها وكبيرها، وتعتبر الإنسان سيد المخلوقات. فالإنسان بسر

[1]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٧٥٥.

التوحيد، صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات وهو أثمن ثمرات الكون، وألطف المخلوقات وأكملها، وأسعد ذوي الحياة ومخاطب رب العالمين وأهل ليكون خليله ومحبوبه. حتى إن جميع المزايا الإنسانية وجميع مقاصد الإنسان العليا مرتبطة بالتوحيد وتتحقق بسره. فلولا التوحيد، لأصبح الإنسان أشقى المخلوقات، وأدنى الموجودات، وأضعف الحيوانات، وأشد ذوي المشاعر حزنا وأكثرهم عذابا وألما.[1]

هكذا يشكل التوحيد وفق منظور النورسي، مناط تكريم للإنسان بالخلافة الكونية ورمز سعادته، وقوته وأمنه، عليه تدور جميع حركاته ونشاطاته، وإليه ترد كل أعماله ومشاعره، فبه يفتح الإنسان خزائن الكون ويتخلص من وحل الضلالة والكفر.

٢) أثر التوحيد في علاقة الناس بعضهم ببعض :

إن اجتماع المؤمنين على عقيدة التوحيد، ووحدتهم في القبلة والهدف، هي سر قوتهم ورمز استقرارهم وسعادتهم، ومناط تحملهم لرسالة الشهود الحضاري على العالمين.

فالأمة التي تعبد إلها واحدا، وتتوجه إلى خالق واحد تستمد منه مطالبها وواجباتها الحضارية تكون قادرة على مواجهة الصراع والفوضى الناشئة من التعددية في الاتجاهات والمعتقدات.

والنورسي من موقع هذه النظرة الشمولية، يعتبر التوحيد ركيزة أساسية لبناء مجتمع قوي تسوده علاقات أخوية تعاونية، تقوم على أساس التكافل والتعاون والمحبة ومحاربة الآلهة المتعددة" [2] – من نفس وعنصرية وشيطان– وغيرها من الآلهة التي تفسد على الإنسان معتقده، وتجعله يعيش في صراع مع ذاته والناس من حوله، يقول النورسي رحمه: "لأن الإيمان يؤسس الأخوة بين كل شيء، لا يشتد الحرص والعداوة والحقد والوحشة في روح المؤمن؛ إذ بالدقة يرى أعدى عدوه نوع أخ له... ولأن الكفر يؤسس أجنبية وافتراقا — لا إلى اتصال – بين كل الأشياء،

---

[1]– أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ١٨.

[2]– تأمل في الآية التي تصرح بآلهة الأهواء يقول الله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾، سورة الجاثية، الآية ٢٣.

يشتد في الكافر الحرص والعداوة والتزام النفس والاعتماد عليها، ومن هذا السر صاروا غالبين في الحياة الدنيا. ولأن الكافر يرى في الدنيا مكافأة حسناته في الجملة، والمؤمن يرى جزاء بعض سيئاته في الدنيا، صارت (سجن المؤمن وجنة الكافر). [1]

فالإيمان الذي يقتضي عقيدة التوحيد كما يرى النورسي رحمه الله، يؤسس علاقات إنسانية خالية من الحقد والعداوة الناشئة من معتقدات الكفر ووساوس النفس الشيطانية، ويبني مجتمعا متماسكا متوحدا في عمله ومنهجه واتجاهه.

إن التجرد من الانتساب إلى سلطة الهوى والنفس والشيطان يقود الإنسان إلى عقيدة التوحيد؛ التي تجعله جوهرا لائقا للأبدية[2] ينظر إلى الناس من حوله عبادا متساوين معه في الوظيفة والغاية ومتحدين معه في النية والعمل لتحقيق رضا الواحد القهار.

إن هذا التصور من شأنه أن يبني الأمة المتماسكة القادرة على الإمامة الإنسانية، فبدون هذا التوحد في المعتقد لا يمكن للمسلمين أن يواجهوا التحديات الجديدة بل سيقعون تحت إكراهات الصراعات الشخصية والانتماءات الطائفية العرقية؛ فتموت قوتهم.

لقد أشار النورسي رحمه الله، في أكثر من موضع في رسائله إلى هذه الحقيقة، وركز على أهمية الإيمان في بناء العلاقات الإنسانية الأخوية في مختلف المستويات بداية من الأسرة ونهاية بالسلطة.

فالعلاقة بين الزوج والزوجة والأب والابن والحاكم والمحكوم لابد أن تقوم على وحدة المرجعية والاتجاه العقائدي الذي يرى أن الجميع في درجة واحدة لهم دين واحد ورب واحد وهدف واحد ومصير واحد، يتفاضلون بالتقوى.

إن هذا الاتحاد في الهدف والمصير والانتماء، قادر على إحداث تغيرات جذرية في مجالات الحياة المختلفة انطلاقا من تأليف المتجانسين والمتحدين في الدين على اختلاف ألوانهم

---

[1]- أنظر "المثنوي" ج٦، ص : ١٥٨.

[2]- أنظر المصدر نفسه ج٦، ص : ١٥٨ بتصرف.

ولغاتهم وجمع طاقاتهم وقوتهم في اتجاه واحد غايته عبادة رب الأرباب، وعمله إقامة الشهود الحضاري على باقي الأمم، كما سطره القرآن الكريم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

هكذا يكون التوحيد وسيلة للتعاون والإخاء، وطريقا إلى القوة والثبات، ومناطا لإمامة الإنسانية، وحصنا منيعا يحمي الأمة الإسلامية من آلهة الشرك والهوى، ويقودها إلى السعادة والاطمئنان في ضوء وحدة الهدف والعمل.

٣) أثر التوحيد في مواجهة نظر الشرك والكفر لطبيعة الحياة والكون:

لقد صرح النورسي في رسائله كلها بحقيقة مفادها، أن الكفر والشرك عدميان يفسران كل الأمور بالعبثية والصدفة العمياء، ويقودان الإنسان إلى ساحة الشبهات والأوهام التي تورثه الأحزان والآلام المستمرة. وفي هذه النقطة أتناول أثر التوحيد في مواجهة هذه العبثية والعدمية التي تحكم الإنسان المشرك أو الكافر في نظرته إلى حياة الإنسان ومصيره وطبيعة الموجودات والأشياء من حوله من جهة هيأتها وجمالها، ومن جهة وظائفها ومقاصدها وأبينها على المنوال الآتي.

- ماضي الإنسان ومستقبله ومصيره :

إن الشرك والكفر، كما يرى النورسي، يجعل الماضي مقبرة كبرى واسعة والمستقبل شبحا مظلما مخيفا، والموت سجنا أبديا أليما، بينما الإيمان يقلب كل هذه القناعات إلى سرور وحكم وسعادات، يقول رحمه الله، واصفا تأمله في حقيقة القبر والموت والزوال، أثناء اعتزاله في قمة من الجبال: "وإزاء هذا الأمر توجهت إلى الجهات الست لأستمد منها العون، فلم أجد ما يسليني أبدا، حيث إن جهة الماضي تحولت إلى مقبرة كبرى واسعة، وجهة المستقبل مظلم مخيف، وجهة الفوق مخيفة رهيبة، وجهة الأسفل وكذا اليمين والشمال كلها جهات تورث حالات أليمة حزينة، فرأيت كأن الأشياء المضرة التي لا تحد تنقض عليَّ انقضاضا فأغاثني سر

[1]– سورة آل عمران، الآية ٦٤.

التوحيد من حالتي التي كنت فيها ورفع الستار من أمام بصيرتي وأراني حقيقة هذه الجهات قائلا: أنظر فنظرت أول ما نظرت إلى وجه الموت المخيف: ورأيت أن الموت لأهل الإيمان تسريح من الوظيفة، والأجل هو بطاقته. فالموت إذن تبديل مكان، ومقدمة لحياة باقية، وباب إليها... ثم نظرت إلى الزوال والفناء، ورأيت أن زوال الأشياء إنما هو تجديد لها ولأمثالها، فهو تجديد ممتع ملذ، شبيه بتجدد مشاهد السينما وشبيه بتجدد جمال النهر الجاري تحت ضوء الشمس، لذا علمت يقينا أن زوال الأشياء وفناءها إنما هو تجديد للتجليات الجميلة للأسماء الحسنى، ووظيفته يؤديها ضمن سير وتجوال في عالم الشهادة بعد مجيئها من عالم الغيب.

ثم نظرت إلى الجهات الست ورأيت: أنها نورانية بسر التوحيد... حتى رأيت أن الزمن الماضي لم يعد مقبرة عظيمة، بل انقلب إلى المستقبل ليكون مجالس نورانية ومجامع مع أحباب ومناظر نورانية تزيد على الألوف"[1].

هكذا تنكشف الرؤية الجمالية إلى طبيعة الأحداث والتقلبات التي يعيشها الإنسان في حياته منذ ولادته إلى حين وفاته، حيث تكسبه راحة وتمنحه أملا وتدفعه إلى العمل المفضي إلى السعادة الأبدية.

فالتوحيد يمنح الإنسان رؤية ايجابية تفسر الماضي والحاضر والمستقبل بقانون الحكمة والنظام، وتجعل الإنسان عزيزا بوجوده، مسؤولا عن حركاته وفعاله، ومطمئنا على مستقبله ومصيره.

[1]- أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ٢٠-٢١ بتصرف.

- **إبصار الجمال الإلهي في جميع المخلوقات:**

يرى النورسي رحمه الله : أن التوحيد يمكن الإنسان من إدراك الجمال الإلهي، والحسن الرباني، والبهاء الرحماني المتمركز في ملامح الجزئيات الموجودة في أقصى نهايات شجرة الكائنات، ويمثل لهذه الحقيقة بعدة أمثلة، نذكر منها مثالين يكشفان عن أثر التوحيد في الكشف عن المحاسن والكمالات الموجودات في أنواع المخلوقات.

المثال الأول: يتعلق بإرسال اللبن الخالص السائغ إلى رضيع صغير لا يملك حولا ولا قوة، ومن حيث لا يحتسب، من بين فرث ودم، هذا الفعل الجزئي ما إن ينظر إليه بنظر التوحيد، يظهر الجمال السرمدي لرحمة الرحمن بأبهى كماله وبأجلي سطوعه في إعاشة جميع الصغار في العالم إعاشة خارقة، وفي إحاطتهم بمنتهى الشفقة والحنان، وبتسخير والدتهم. إن فعل إرسال اللبن إن لم ينظر إليه بنظر التوحيد، كما يرى النورسي يخفي الجمال الباهر، إذ تحال تلك الإعاشة الجزئية إلى الأسباب والمصادفة والطبيعة، فتفقد قيمتها[1].

أما المثال الثاني: فيتحدث عن النظرة إلى الشفاء من مرض عضال، انطلاقا من منظار التوحيد، حيث يتجلى جمال شفقة الرحيم تجليا باهرا كاملا على وجه إحسان الشفاء إلى جميع المرضى الراقدين في المستشفى الكبير المسمى بالأرض، وإسعافهم بأدوية ناجعة وإغاثتهم بعلاجات شافية تؤخذ من الصيدلية العظمى المسماة بالعالم.

إن هذا الفعل الجزئي –منحة– الشفاء المتسم بالعلم والبصيرة والشعور إن لم ينظر إليه بنظر التوحيد، فإن الشفاء يسند إلى خاصيات الأدوية الجامدة وإلى القوة العمياء والطبيعة الصماء فتفقد تلك المنحة الرحمانية ماهيتها وحكمتها وقيمتها كليا[2].

وهكذا قياسا على هذه الأمثلة، يؤكد النورسي: أن الألوف من أنواع الجمال الإلهي ومئات الألوف من أضراب الكمال الرباني، تظهر، وتفهم، ويثبت تحققها من زاوية نظر

---

[1]– أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ٨ بتصرف.

[2]– أنظر المصدر نفسه ج٤، ص : ١٠.

التوحيد، وذلك بتمركز تلك الأنماط من الجمال الإلهي والكمال الرباني في تلك الأحوال الجزئية لأصغر الجزئيات التي هي في منتهى أقاصي دائرة الكثرة من الموجودات.

إذن، من خلال التوحيد يكتشف الإنسان الكمالات والمحاسن المنتشرة في الوجود ويتذوقها ويستشعر قيمتها وحقيقتها، ويتفاعل معها بحسن وجمال، عكس الشرك الذي يجعل هذا المصنع العظيم، شيئا لا فائدة له ولا يكسب منه شيئا، معطلا عن كل عمل، مختلطا ومتشابكا تلعب به المصادفات العشوائية والطبيعة الصماء والقوى العمياء، ومأتما حزينا لذوي الشعور كافة، ومذبحة ومسلخة أليمة لذوي الحياة كافة[١].

إن هذا التصور الفعلي الجمالي لأثر التوحيد في رؤية الإنسان إلى ذاته والكون من حوله، يصنع شخصية قوية قوامها الارتباط في جميع الميادين بخالق الكون ومدبره وفق نظام الحسن والكمال والإتقان، مما ينعكس على كافة نشاطاتها وانجازاتها وأعمالها، فتصبح بالحسن والجمال والإتقان منسجمة مع الجمال المطلق الممدود في سائر المخلوقات.

- إدراك مزايا الكون ووظائفه:

يرى النورسي: "أن المفتاح الأساسي لإدراك مزايا الكون ووظائفه ومقاصده: هو التوحيد، فبسره يفهم الإنسان أن الكون برمته كتاب صمداني ينطوي على معان عميقة غزيرة، وأن الموجودات بأسرها مجموعة مكاتيب سبحانية في منتهى الإعجاز، وأن المخلوقات بجميع طوائفها جنود ربانية في غاية الانتظام والهيبة، وأن المصنوعات بجميع قبائلها ابتداء من الميكروب والنمل إلى الكركدن والنسر وإلى الكواكب السيارة، موظفات دؤوبات مأمورات جادات تأتمر بأمر السلطان الأزلي"[٢].

إن إبصار هذه المزايا كلها، حسب رأي النورسي، لا تتحقق إلا بالتوحيد، فالشرك ظلم كبير في حق الكائنات، لكونه لا يعترف بهذه المزايا والمقاصد الكونية، ولا يلتفت إليها، بل يستهين بها ويهون من شأنها، ويعتبرها من قبيل المصادفات العشوائية والطبيعة الصماء فيحقق

---

[١]- أنظر "الشعاعات" ج٤، ص : ١٥.

[٢]- أنظر المصدر نفسه، ص: ١٤.

بذلك جريمة كبرى وجناية عظمى. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

فالمشرك يستهين بالكون ويعتدي عليه ويحط من قيمته، لإنكاره حكمة الخلق ورده لوظائف المخلوقات.[2]

من خلال هذه الدراسة العلمية لقضايا التوحيد في رسائل النور، نستخلص مجموعة من النتائج نذكرها في النقاط الآتية:

١. إن النورسي تناول مفهوم التوحيد تناولا شاملا، يجمع بين النظر والعمل، حيث ذكر توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وربطهما بالتوحيد الفطري للكون وسيماء الإنسان.

٢. لقد استطاع النورسي أن يوسع من مفهوم التوحيد، ليشمل جميع المجالات الكونية والإنسانية ويؤثر فيها.

٣. قدم النورسي مفهوم التوحيد وبرهن على حقائقه بما يتوافق مع معطيات العصر العقلاني.

٤. اعتبر النورسي التوحيد مقصدا كبيرا يسع حياة الإنسان كلها والكون بأجزائه، ويعمل على بناء الشخصية القوية الصامدة أمام الابتلاءات المعاصرة.

٥. اعتمد النورسي في بنائه المعرفي لقضايا التوحيد على منهج استقراء الكونيات والتعامل المباشر مع الكتاب والسنة بدون وساطة معرفية.

٦. لم يذكر النورسي الآيات القرآنية كثيرا في سياق حديثه عن دليل الآفاق والأنفس ويرجع السبب إلى طبيعة المرحلة التي كان يواجهها.

٧. يعتبر التوحيد ضرورة لازمة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي ومواجهة الفوضى الناشئة من التعددية في المعتقدات والتصورات.

---

[1]- سورة لقمان، الآية ١٣.

[2]- أنظر "الشعاعات" ج٤/ ، ص : ١٥ بتصرف.

٨. يعد التوحيد القاعدة الصلبة لبناء التصورات الكلية عن الكون والحياة والإنسان فهو روح الأمة ونهضتها، فمنه تأخذ قوانينها الناظمة لأسس الحياة في مختلف المجالات.

٩. إن الانحراف عن عقيدة التوحيد يسقط الحضارة في قبضة العبثية والصدفة، ويفقد الحياة الإنسانية قيمتها.

١٠. إن الشرك يخلق تعدد الآلهة ويظلم الكائنات الإنسان إلى الشقاء.

١١. التوحيد مصدر أمن الإنسانية ومناط سعادتها ووسيلة اتحادها تصورا ومنهجا وعملا.

١٢. إن التوحيد يوحد الأمة الإسلامية ويجعلها قادرة على تحمل أمانة الاستخلاف الحضاري، ويمنحها القوة الروحية والمادية لمواجهة هجمات الإلحاد والزندقة وغيرها من النتائج وأختم هذا المبحث بما ذكره الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه : "النورسي الرائد الإسلامي الكبير" حيث قال : "لقد استطاع النورسي في حياته أن يحول عقيدة الوحدانية من الأبحاث النظرية المجردة إلى حياة روحية واقعية، حيث تمثلت في سلوك جيل كبير من المسلمين في بلاده، بحيث أدى إلى إنقاد الشخصية الإسلامية من الذوبان أمام الحياة المادية الحديثة التي سيطرت عليها الفلسفات المادية المتعددة والأنظمة الاجتماعية التي تفرعت عنها"[١].

[١]- أنظر "النورسي الرائد الإسلامي الكبير"، ص : ٤٩.

الفصل الخامس:

قضية النبوة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم النبوة وحاجة الإنسانية إليها.
المبحث الثاني: دلائل صدق الرسول وبراهين نبوته.
المبحث الثالث: وظيفة النبوة وأثرها في الحياة الإنسانية.

المبحث الأول:
مفهوم النبوة وحاجة الإنسانية إليها

بدون أن أخوض في استعراض التعاريف الكثيرة التي تناولت النبوة، أبادر إلى استخلاص زبدتها في ضوء ما ورد في رسائل النور، وهنا أذكر أن النورسي لم يعرف النبوة تعريفا اصطلاحيا، بقدر ما كشف عن حقيقتها انطلاقا من أهميتها في الحياة الإنسانية وافتقار العقل الإنساني لها في ميادين الحياة.

فالنبوة كما وردت في كتب العقيدة فضل من الله، وموهبة ونعمة يمن بها سبحانه ويعطيها لمن يشاء أن يكرمه بالنبوة من خلقه[1]. فهي اصطفاء خالص من عند الله يختص به من يشاء من عباده، وليست شيئا يكتسبه العباد من ذات أنفسهم بعمل يعملونه من جانبهم[2].

وقد بين الله في أكثر من آية هذه الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ ۝٥٨﴾[3].

وحكى الله قول يعقوب لإبنه يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ ۝٦﴾[4].

وقال الله لموسى: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ۝١٤٤﴾[5].

---

[1]- أنظر مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضيّة في عقد الفرقة المرضية تأليف الشيخ العلامة بن علي بن سلوم رحمه الله. تحقيق محمد زهري النجّار، بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٣-١٩٩٣م، ص : ٤٥٣.

[2]- أنظر "ركائز الإيمان" لمحمد قطب، دار الشروق ط١،٢٠٠١ ص : ٢٢٦، وانظر في نفس المعنى النبوة في الأديان الكتابية أحمد المشرقي، دار الجيل ط ١،٢٠٠٤ ص: ٨٢. وانظر كذلك "أضواء على البعثة المحمدية" للأستاذ الدكتور فاروق حمادة، دائرة الرباط العلمية للبحث في الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس أكدال الرباط، ط ٢٠٠٦، ص : ١٤.

[3]- سورة مريم، الآية ٥٨.

[4]- سورة يوسف، الآية ٦.

[5]- سورة الأعراف، الآية ١٤٤.

ومن وحي هذه الآيات القرآنية وغيرها، يؤكد النورسي رحمه الله ضرورة النبوة للحياة البشرية ونظام العالم، يقول: "إن القدرة الإلهية التي لا تترك النمل من دون أمير، والنحل من دون يعسوب، لا تترك حتما البشر من دون نبي، من دون شريعة. نعم هكذا يقتضي سر نظام العالم"[1]. والنورسي بكلامه هذا يؤكد ما ذهب إليه ابن القيم الجوزية رحمه الله حيث قال: "ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزانُ الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظمُ من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فُرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير"[2].

إن ما ذهب إليه النورسي وابن القيم وغيرهما من العلماء، يقف ضد الفلسفة المادية التي اختزلت الحياة الإنسانية في البعد المادي، واقتصرت على توجيهات العقل الإنساني القاصر في نشاطاتها الإنسانية؛ مما نتج عنه تأليه العقل الإنساني وإلغاء البعد الروحي في حياة الناس والشعوب، وهو ما نراه في واقع المجتمعات الغربية التي ساد فيها الفساد والخراب، نتيجة الابتعاد عن نور النبوة وعدم الاعتراف بضرورتها.

لقد أكد النورسي هذه الحقيقة في أكثر من موضع، وبين قصور العقل الإنساني وعدم قدرته على تلبية حاجة الإنسان في كافة جوانبه.

ولنقتصر على نص يجمع ما تفرق في الرسائل، ويحصّل المقصود، يقول رحمه الله: "إن الإنسان لا يعيش عيش الحيوانات ولا يسعه ذلك، فهو محتاج لتحصيل حاجته في مأكله

---

[1]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٨٤٣.

[2]- أنظر "زاد المعاد" لابن القيم الجوزية، بيروت : مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٩، ص: ٦٩،

وملبسه ومسكنه إلى تلطيفها وإتقانها بصنائع جمة، لا يقتدر هو بانفراده عليها كلها، ولهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه ليتشاركوا فيتعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم. ولكن لتجاوز قوى الإنسانية على الآخرين – بسر عدم التحديد – تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي،... ثم لأن عقل كل واحد لا يكفي في إدراك العدالة احتاج النوع إلى وضع قوانين كلية... ثم لمحافظة تأثيرها ودوامها، لابد من مقنن يجريها... ثم لإدامة حاكمية ذلك المقنن في الظاهر والباطن يحتاج إلى امتياز وتفوق – مادة ومعنى – ويحتاج أيضا إلى دليل على قوة المناسبة بينه وبين مالك الملك صاحب العالم... ثم لتأسيس إطاعة الأوامر وتأمين اجتناب النواهي يحتاج إلى إدامة تصور عظمة الصانع وصاحب الملك في الأذهان...ثم لإدامة التصور ورسوخ العقائد يحتاج إلى مذكر مكرر وعمل متجدد، وما المذكر المكرر إلا العبادة... وهذه العبادة توجه الأفكار إلى الصانع الحكيم، وهذا التوجه يؤسس الانقياد. والانقياد هو للإيصال إلى النظام الأكمل والارتباط به. وهذا النظام الأكمل يتولد من سر الحكمة، وسر الحكمة يشهد عليها إتقان الصنع وعدم العبثية.

فإذا علمت هذه الجهات الثلاث من تمايز الإنسان عن سائر الحيوانات أنتج لك بالضرورة: أن النبوة المطلقة في نوع البشر قطب بل مركز ومحور تدور عليه أحوال البشر"[1].

إن هذا النص ببراهينه وحججه المنطقية الدامغة، يرد على كثير من الطوائف والاتجاهات التي أنكرت النبوة وجعلت العقل مكانها، يقوم بوظيفتها ويستغني عن مهامها كالبراهمة والسمنية والفلسفة الإلحادية[2]. وغيرها من المذاهب التي تنكرت لهدي النبوة ونور السماء. فأودت بأصحابها وأنصارها إلى جحيم لا يطاق؛ حيث يتحول العقل في حد ذاته إلى عنصر مزعج ينغص على الإنسان حياته، يقول النورسي مبينا هذه الحقيقة: "العقل عضو وآلة، إن لم تبعه – يا أخي – لله ولم تستعمله في سبيله بل جعلته في سبيل الهوى والنفس، فإنه يتحول إلى عضو مشؤوم مزعج وعاجز، إذ يحملك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة، فينحدر

[1]– أنظر "صقيل الإسلام" ج٨، ص : ١٣٧–١٣٨.

[2]– أنظر البيجوري تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص : ٧٠.

عندئذ إلى درك آلة ضارة مشؤومة، ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته، وينغمس في اللهو أو السكر إنقاذا لنفسه من إزعاجات عقله"[١].

إن هذا العقل الذي يريد أن يستغني عن هداية النبوة، كما يرى النورسي، "يغرق في قطرة... ويفنى في ذرة... ويغيب في شعرة... وينحصر الوجود عنده فيما فنى فيه... ويريد أن يدخل معه كل ما أحاط به في النقطة التي بلعته[٢].

هكذا تكون النبوة منحة ربانية وعطاء إلهيا يختص به من يشاء من عباده، غايتها الاستجابة إلى مطالب الإنسان، وتسديد حاجته، وتوجيه حركته في الحياة وفق سنن التسخير في ضوء الهداية الربانية وأوامرها الرشيدة.

[١]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٢٣. وأنظر في نفس المعنى رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص: من ١٤٥ إلى ١٦١.

[٢]- أنظر "المثنوي" ج٦، ص : ٢٢٥.

المبحث الثاني:
دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وبراهين نبوته

إن إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا تحتاج إلى أدلة كثيرة ومتنوعة، ولكن النورسي حاول بسطها والتفصيل في بعض أنواعها، ردا على الخصوم والمعاندين الذين زرعوا مجموعة من الشبهات والدعاوى الباطلة التي تصد البشرية عن نور محمد صلى الله عليه وسلم وهدايته.

وأنا في هذا المبحث سأذكر هذه الأدلة كما بينها النورسي في رسائله وأشير إلى حقيقة مفادها أن النورسي لم يقتصر على ذكر المعجزات النبوية فقط، وإنما ذكر كل دليل يثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويبرهن على صدق نبوته ورسالته وإن لم يكن معجزة في حد ذاته، يقول رحمه الله: "اعلم إن دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وبراهين نبوته لا تنحصر في معجزاته، بل يرى المدققون أن جميع حركاته، وأفعاله، وأحواله، وأقواله، وأخلاقه، وأطواره، وسيرته وصورته، كل ذلك يثبت إخلاصه وصدقه، حتى آمن به كثير من علماء بني إسرائيل بمجرد النظر إلى طلعته البهية أمثال: عبد الله بن سلام الذي قال: "فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كاذب".

وعلى الرغم من أن العلماء المحققين قد ذكروا ما يقارب الألف من دلائل نبوته ومعجزاته فإن هناك ألوفا منها، بل مآت الألوف. ولقد صدق بنبوته مئات الألوف من الناس المتباينين في الفكر بمئات الألوف من الطرق، والقرآن الكريم وحده يظهر ألفا من البراهين على نبوته صلى الله عليه وسلم، عدا إعجازه البالغ أربعين وجها"[1].

إذن يتبين من خلال هذا النص، أن النورسي يعتمد مجموعة من المسالك والطرق في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فهناك المسلك الذاتي يرجع إلى ذاته وأوصافه وكل ما

[1]- أنظر ذو الفقار مجموعة رسائل المعجزات القرآنية والمعجزات الاحمدية ورسالة الحشر، ص: ٢٠٠-٢٠١.

يتعلق بنفسه صلى الله عليه وسلم، وهناك المسلك الخارجي الذي يرتبط بالعلامات والمعجزات الخارجة عن ذاته وقد سماها النورسي في رسائله بالدلائل الكونية.

ولبيان منهجه العام في إثبات نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام، أسوق نصا يكشف عن التقسيمات المنهجية التي بنى عليها النورسي كتاباته في موضوع دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم: وهي قسمان:

الأول: الحالات التي سميت بالإرهاصات، وهي الحوادث الخارقة التي وقعت قبل النبوة ووقت الولادة.

الثاني: دلائل النبوة الأخرى، وهذا ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: الخوارق التي ظهرت بعده صلى الله عليه وسلم تصديقا لنبوته.

ثانيهما: الخوارق التي ظهرت في فترة حياته المباركة صلى الله عليه وسلم. وهذا أيضا قسمان:

الأول: ما ظهر من دلائل النبوة في شخصه وسيرته وصورته وأخلاقه وكمال عقله.

الثاني: ما ظهر منها في أمور خارجة عن ذاته الشريفة، أي في الأفاق والكون وهذا أيضا قسمان: قسم معنوي وقرآني. وقسم مادي وكوني. وهذا الأخير قسمان أيضا:

القسم الأول: المعجزات التي ظهرت خلال فترة الدعوة النبوية، وهي إما لكسر عناد الكفار أو لتقوية إيمان المؤمنين، كانشقاق القمر ونبعان الماء من بين أصابعه الشريفة وإشباع الكثيرين بطعام قليل، وتكلم الحيوان والشجر والحجر...

القسم الثاني: الحوادث التي أخبر عنها صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها – بما علمه الله سبحانه – وظهرت تلك الحوادث وتحققت كما أخبر[1].

[1]– أنظر "رسالة ذو الفقار"، ص : ٢٠٣.

إن النورسي في هذا النص، قد كشف عن الطرق والمسالك المعتمدة في إثبات صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته، وأنا هنا أحاول استنباط الأدلة المرتبطة بكل مسلك وطريق، وفق منهجية تعتمد الجمع والتصنيف وتضم السابق باللاحق في إطار كلي يروم صياغة رؤية واضحة حول دلائل صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، انطلاقا من التصنيف والترتيب الآتي بسطه.

إن المتأمل في التقسيمات السابقة يجد أنها ترتد إلى شعبتين:

شعبة تتعلق بالأدلة الذاتية، وشعبة تتعلق بالأدلة الخارجية، والنورسي يتناول هذه الشعب بالدراسة والتحليل، ويمثل لكل نوع بأمثلة كثيرة لا يمكن سردها جميعا، ولكن يكفي ذكر بعضها لمعرفة المنهج العام الذي اعتمده في معالجة قضية إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وهنا، أشير إلى أن النورسي ذكر مجموعة من الآيات والبراهين والمعجزات والعلامات، واعتبرها أدلة قوية على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، معتمدا في ذلك على منهج المحدثين في تصحيح الأخبار وتقويتها بالمتابعات والشواهد، حيث نجده في المسألة الواحدة كمعجزة تكثير الطعام أو نبع الماء من أصابعه، يسرد مجموعة من الأدلة. وأنا في هذا الموطن أذكر جملة من هذه الدلائل والمعجزات وفق منهج الاختصار حسب الترتيب الآتي ذكره.

١. القرآن الكريم المعجزة الكبرى:

لقد كانت معجزة الأنبياء عليهم السلام مرتبطة بحياتهم ومحدودة بزمانهم، أما معجزة النبي صلى الله عليه وسلم فهي خالدة لا ترتبط بحياته وزمانه، وإنما تتجاوزه إلى مسيرة التاريخ الإنساني كله، وتبقى خالدة في كل زمان ومكان، تتحدى كل إنسان وكل طبقة وكل جيل، إنها معجزة القرآن الكريم التي تعتبر أعظم معجزات الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد تحدث النورسي عن هذه المعجزة الكبرى وبين وجوهها وأنواعها في رسائل النور، وهنا أذكر بعضا يسيرا للتمثيل فقط. [1]

يقول رحمه الله: "إن قيل: إن سر إعجاز القرآن الكريم إنما هو في بلاغته الفائقة، بينما لا يرقى إلا واحدا من الألف من علماء البلاغة الفطاحل إلى إدراك هذا السر، مع أنه كان ينبغي أن تكون لكل طبقة من طبقات الناس حظها من هذا الإعجاز؟

الجواب: إن للقرآن الكريم إعجازا لكل طبقة من طبقات الناس، إلا أنه يشعر إعجازه هذا بأسلوب معين ونمط خاص.

فمثلا، يبين إعجازه الباهر في البلاغة "لأهل البلاغة والفصاحة".

ومثلا، يبين أسلوبه الرفيع الجميل الفريد "لأرباب الشعر والخطابة". هذا الأسلوب مع أنه تستسيغه كل طبقة من الناس، إلا أن أحدا لا يجرؤ على تقليده، فلا تخلقه كثرة الرد ولا يبليه مرور الزمان، فهو أسلوب غض طري يحتفظ بفتوته وشبابه ونضارته دائما، وهو أسلوب يحمل من النثر المنظوم والنظم المنثور ما يجعله رفيعا عاليا ولذيذا ممتعا في الوقت نفسه.

– ثم إنه يبين إعجازه فيما يخبر من أنباء معجزة عن الغيب فيتحدى به طبقة الكهان "والذين يدعون أنهم يخبرون أشياء عن الغيب".

– ثم إنه يقص "لأهل التاريخ"، والذين يتتبعون أحداث العالم من العلماء ما يشعرهم إعجازه، وذلك بذكره أحداث الأمم الغابرة وأحوالها، وما سيحدث في المستقبل من وقائع، سواء في الحياة الدنيا أو في البرزخ أو في الآخرة، فيتحداهم بإعجازه هذا.

– ويعرض أيضا إعجازه "لعلماء الاجتماع والسياسة والحكم"، وذلك بعرض ما في الدساتير القرآنية المقدسة من إعجاز...

---

[1]– يقول النورسي : "في المعجزات الأحمدية"، إن أعظم معجزة من معجزات الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم الذي يضم مئات دلائل النبوة وقد ثبت إعجازه بأربعين وجها كما في الكلمة الخامسة والعشرين" أنظر "رسالة ذو الفقار"، ص : ٣٤٠.

– ويبين كذلك لأولئك الذين توغلوا في "المعارف الإلهية والحقائق الكونية" إعجازا باهرا في سوقه الحقائق الإلهية السامية المقدسة، أو يشعرهم بوجود هذا الإعجاز.

– ولأولئك الذين يسلكون "طرق الولاية والتصوف"، يبين القرآن الكريم إعجازه لهم بكنوز الأسرار التي ينطوي عليها بحر آياته الزاخرة.

وهكذا، تفتح أمام كل طبقة من الطبقات الأربعين للناس نافذة مطلة على الإعجاز الباهر.[1]

غيرها من وجوه الإعجاز التي ذكرها النورسي في رسائله، تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته الخالدة، وقد تناول أبعادها الدكتور زياد خليل محمد الدغامين في كتابه الموسوم "بإعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي". حيث ذكر "الوجوه الإعجازية الكبرى وتناولها بالدراسة والتحليل كاشفا عن خلودها التشريعي في كل زمان ومكان".[2]

فالقرآن الكريم بوجوه إعجازه، كما يرى النورسي، دليل على التوحيد، والنبوة يُخاطب طبقات العلماء اللغويين والاجتماعيين والسياسيين وغيرهم ويتحداهم ببنائه اللغوي، وهدايته الشاملة وتشريعه الخالد على الإتيان بمثله" ﴿**قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴿٨٨﴾﴾[3]. وفي هذا الصدد يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله : "لقد جعل نبوة مُحمد صلى الله عليه وسلم ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وفي موضوعها، لأن البشر قد بدأوا يدخلون بها في سن الرشد، والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لإتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم العقلي مع هذا الخضوع، بل هو من موانعه، فجعل حجة نبوة خاتم النبيين عين موضوع نبوته. وهو كتابه

---

[1]– أنظر "رسالة ذو الفقار"، ص : ٣٤٠–٣٤١.

[2]– إعجاز القرآن، دغامين من ص : ١٤٤ إلى ١٧٤.

[3]– سورة الإسراء، الآية ٨٨.

المعجز للبشر بهدايته وبعلومه، وبإعجازه اللفظي والمعنوي، وبأنباء الغيب الماضية والحاضرة والآنية فيه ليربي البشر على الترقي في هذا الاستقلال إلى ما هم مستعدون له من الكمال"[١].

إن ما ذكره رشيد رضا في هذا النص، يؤكد تصور النورسي الذي يعتبر القرآن الكريم أصلا كبيرا يدل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الآيات والمعجزات الأخرى، فرعا من هذا الأصل الكبير وآية صغرى من هذا البرهان العظيم.

فالنورسي رحمه الله، يؤكد في أكثر من موضع في رسائله على حقيقة مفادها، أن القرآن الكريم وحده يكفي للبرهنة على صدق النبوة، وحقائق التوحيد، ولكنه يسرد باقي الأدلة الأخرى المتفرعة عنها تثبيتا للمؤمنين ودفعا لشبهات الملحدين.

٢. أخلاقه وصفاته صلى الله عليه وسلم وسيرته :

إن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم هي أعظم شخصية في تاريخ البشرية كلها لاتصافه بجميع السجايا الفاضلة والخصال الحميدة، حتى شهد له بذلك أعداءه وظهور مئات المعجزات منه، كانشقاق القمر"[٢]. وهذا الكمال في أخلاقه وصفاته وتاريخه شاهد على نبوته، كما يرى النورسي "إذ من كان ذو "أخلاق حسنة" بهذا القدر و"فضائل" إلى هذا الحد "ومعجزات" باهرة بهذه الكثرة، فلا جرم أنه صاحب أصدق حديث، ومن ثم لا يمكن أبدا – وحاشاه – أن يتنازل إلى الحيلة والكذب والتمويه التي هي دأب الفاسدين"[٣].

والنورسي يجعل حقيقة النبوة ظاهرة في شخصه صلى الله عليه وسلم انطلاقا من استقرائه لجوامع أخلاقه وكمال صفاته وصدق سيرته، يقول رحمه الله: "واعلم أنه كما تصدقه هذه دلائل الأفاق، كذلك هو كالشمس يدل على ذاته بذاته، فتصدقه دلائل الأنفس؛ إذ اجتماع أعالي جميع الأخلاق الحميدة في ذاته بالاتفاق... وكذا جمعُ شخصيته المعنوية في وظيفته أفاضل جميع السجايا الغالية والخصال النزيهة... وكذا قوة إيمانه بشهادة قوة زهده، وقوة تقواه،

---

[١]– أنظر "الوحي المحمدي الشيخ محمد رشيد رضا"، دار الكتب العلمية، ط١/٢٠٠٥ ، ص : ٥٣.

[٢]– أنظر "رسالة ذو الفقار"، ص : ٣٨٤ وانظر في نفس المعنى ركائز الإيمان لمحمد قطب من ص : ٣٢٣ إلى ٣٢٧.

[٣]– أنظر "رسالة ذو الفقار"، ص : ٣٨٤.

وقوة عبوديته، وكذا كمال وثوقه بشهادة سيره، وكمال جديته وكمال متانته، وكذا قوة أمنيته في حركاته بشهادة قوة اطمئنانه، تصدقه كالشمس الساطعة في دعوى تمسكه بالحق وسلوكه الحقيقة"[١].

إن هذه الصفات العالية، والأخلاق العظيمة، هي التي أهلت محمدّا صلى الله عليه وسلم إلى مرتبة الشهود على الإنسانية بنبوته ورسالته، وهي التي جعلته شخصية عظيمة جمعت كل ما تفرق من الصفات العليا في شخصية العظماء عبر التاريخ الإنساني، كما شهد بذلك عقلاء الحضارة الغربية في كتاباتهم،[٢] كما أهلته ليكون قائد الأنبياء وإمامهم والحاوي لجميع صفاتهم وخصائصهم، يقول محمد قطب: "إن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته قد جمعت ما تفرق في الأنبياء الآخرين مما تميز به. فإذا كانت حياة نوح عليه السلام قد تميزت بطول صبره على مد قومه مع عدم الانقطاع عن دعوتهم، وإذا كانت حياة إبراهيم عليه السلام قد تميزت بحلمه وأناته والرفق في توصيل الحق إليهم...، وإذا كانت حياة موسى عليه السلام قد تميزت بالقيادة الحكيمة التي ارتبط بها بنو إسرائيل حتى خرجوا من الاستعطاف والذل والحرية... وهكذا ودواليك، فإن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قد استوعبت ذلك كله في طياتها، وكان أثره في كل جانب من هذه الجوانب أعظم من كل ما سبقوه من الرسل الكرام"[٣].

---

[١]- أنظر "الكلمات "ج١، ص : ٢٥٦.

[٢]- يقول مايكل هارت في كتابه "المائة الأعظم أثرا في التاريخ"، ص : ١٣، (لقد اخترت محمدا في أول هذه القائمة ولابد أن يندهش الكثيرون لهذا الإختيار ومعهم حق في ذلك ولكن محمدا عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي)، ويقول طوماس كارليل في كتابه الأبطال ص ٥٤، (لقد أصبح من اكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذبا وان محمدا خداع مزور وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا)، وغيرها من الشهادات، كويل ديورنت في قصة الحضارة ودجيمس بيرك في كتابه عندما تغير العالم، وزيجريد هونكه في كتابها شمس الله تشرق على الغرب.

[٣]- ركائز الإيمان محمد قطب ص: ٣٢٦-٣٢٧ بتصرف يسير.

٣. معجزاته الكونية وكرامته الخارقة:

لقد ذكر النورسي ما يزيد على العشرين من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الكونية، وكشف عن حقيقتها ومظانها في كتب الحديث والسيرة، وأثبت قوة دلالتها بالاجتماع والتساند والتعاضد على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم.

على أن هذا التساند والتعاضد الذي اعتمده النورسي لإزالة شبهة من اعترض على هذه المعجزات والخوارق وأنكرها من عدة وجوه؛ إما لكونها تخالف السنن الكونية، أو لكونها معجزات غير متحدى بها يحتمل تطرق الضعف إلى سندها، يبقى حجة يستأنس بها في تثبيت المؤمنين، وترسيخ عقيدة التوحيد، والتوكل في قلوبهم، خاصة أنها وقعت في الظروف الصعبة التي كان يعيشها النبي صلى الله عليه وسلم في صراعه مع الكفار والمشركين.

من منطلق هذه الحجية، وأهميتها في زيادة الإيمان وترسيخ عقيدة التوكل، حاول بديع الزمان سعيد النورسي أن يجمع في رسائله مجموعة من المعجزات والخوارق، ويتناول دراستها بالتحليل وأنا هنا أشير باختصار بحسب ما يقتضيه منهج البحث إلى ما اتفق عليه المحدثون الكبار كالبخاري ومسلم"، وأترك الروايات التي وقع فيها اختلاف بين العلماء، إرغاما لأحرار الفكر الذين يتخذونها في وقتنا المعاصر منطلقا لإثارة الشبهات، وإتهام المسلمين بالخرافة والخروج عن السنن الكونية.

قبل الحديث عن هذه المعجزات أشير إلى أن النورسي كان صاحب منهج رصين في تعامله مع هذه المعجزات والخوارق، حيث أبان عن منهجيه في إطار مقدمات علمية تضع القارئ في سياج محاط بكل التدابير الوقائية، لمواجهة كل الشبهات العقلية. وفيما يأتي أورد بعضا من هذه الإشارات المنهجية أثناء سردي لهذه المعجزات والكرامات.

- إخباره عن الغيوب في الماضي والمستقبل:

لفهم هذه الحقيقة فهما صحيحا كاملا، يسطر النورسي ستة أسس هامة تشكل المدخلي المنهجي لمعرفة هذه المعجزات وإدراكها إدراكا صحيحا يعصم الإنسان من خطأ في الفهم والتأويل، أوردها مختصرة في ما يأتي: [1]

- الأساس الأول:

إن جميع أحوال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يمكن أن تكون دليلا على صدقه، ولكن ليس بالضرورة أن تكون خارقة للعادة،... لأن الله سبحانه وتعالى قد أرسله بشرا رسولا ليكون بأعماله وحركاته كلها إماما ومرشدا للبشر كافة...

فلو كان صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله خارقا للعادة،... لما تسنى له أن يكون أسوة يقتدى به،... لذا ما كان يلجأ إلى إظهار المعجزات إلا بين حين وآخر عند الحاجة إقرارا لنبوته أمام الكفار المعاندين. ولما كان الابتلاء والاختبار من مقتضيات التكليف الإلهي، فلم تعد المعجزة مرغمة على التصديق –أي سواء أراد الإنسان أم لم يرد. لأن سر الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معا فتح مجال الاختيار أمام العقل من دون سلب الإرادة منه. فلو ظهرت المعجزة ظهورا بديهيا ملزما للعقل... لما بقي للعقل ثمة اختيار ولصدق أبو جهل كما صدّق أبو بكر الصديق رضي الله عنه– ولانتفت الفائدة من التكليف، ولتساوى الفحم الخسيس مع الألماس النفيس.

- الأساس الثاني:

لا ينظر إلى جميع تفاصيل كل حديث شريف بمنظار الوحي المحض، ولا يتحرى عن الآثار السامية للرسالة في معاملاته صلى الله عليه وسلم وأفكاره التي تجري بمقتضيات البشرية. وحيث إن بعض الحوادث يوحى إليه وحيا مجملا ومطلقا، وهو بدوره يصوره بفراسته الشخصية أو حسب نظر العرف العام. لذا يلزم أحيانا التفسير وربما التعبير لهذه المتشابهات والمشكلات التي ينطوي عليها ذلك التصوير[2].

---

[1]– أنظر "رسالة ذو الفقار"، ص : ٢٠٤ بتصرف.

[2]– أنظر المصدر نفسه، ص : ٢٠٥ بتصرف.

- الأساس الثالث:

إن الآثار المنقولة إن كانت متواترة فهي قطعية الثبوت وتفيد اليقين،... والقسم الأعظم مما نقل إلينا من دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم هو: بالتواتر الصريح أو المعنوي أو السكوتي وقسم منها بخبر الآحاد، إلا أنه ضمن شروط معينة ممحصة أخذ وقبل من قبل أئمة الجرح والتعديل من أهل الحديث النبوي فأصبحت دلالته قطعية كالتواتر. ولا شك إذا ما قبل بصحة خبر الآحاد محدثون ومحققون من أصحاب الصحاح الستة وفي مقدمتهم البخاري ومسلم وهم الحفاظ الجهابذة... الذين تخصصوا في هذا الفن إلى درجة أنهم اكتسبوا ملكة في معرفة سمو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وبلاغة تعابيره، وطراز افادته فأصبحوا قادرين على تمييزه عن غيره [1].

- الأساس الرابع:

إن قسما من حوادث المستقبل الذي أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم هو حوادث كلية، تتكرر في أوقات مختلفة وليس بحادثة جزئية مفردة، فالرسول صلى الله عليه وسلم قد يخبر عن تلك الحادثة الكلية بصورة جزئية مبينا بعض حالاتها، حيث إن لمثل هذه الحادثة الكلية وجوها كثيرة، فيبين صلى الله عليه وسلم في كل مرة وجها من وجوهها، ولكن لدى جمع هذه الوجوه من قبل راوي الحديث في موضع واحد، يبدو هناك ما يشبه الخلاف، مثال ذلك: الروايات المختلفة "حول المهدي".[2]

- الأساس الخامس:

لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب ما لم يعلّمه الله سبحانه وتعالى، إذ لا يعلم الغيب إلا الله فهو يبلغ الناس ما علمه الله إياه. [3]

---

[1]- أنظر "رسالة ذو الفقار"، ص : ٢٠٦-٢٠٧ بتصرف.

[2]- أنظر المصدر نفسه، ص: ٢٠٨ بتصرف.

[3]- أنظر المصدر نفسه، ص: ٢٠٩ بتصرف.

- الأساس السادس:

لئلا يقع أحد في غائلة الخطأ يلزم من يسمع أوصافه صلى الله عليه وسلم البشرية الاعتيادية أن يرفع بصره دوما عاليا لينظر إلى ماهيته الحقيقية، وإلى شخصيته المعنوية النورانية الشامخة في قمة مرتبة الرسالة، وإلا أساء الأدب ووقع في الشبهة والوهم.[1]

هكذا يكون النورسي قد وضع المفاتيح المنهجية للتعامل مع معجزة الإخبار بالغيوب، انطلاقا من أصول الشريعة الإسلامية التي تأسست على قواعد التكليف ومراعاة جانب الواقع البشري ودعت إلى تمحيص الأخبار وتحقيقها والتعامل معها بمنهج رصين يعصم الإنسان من الخطأ في الفهم والتأويل، وأقامت صرحها المجيد على هدي محمد صلى الله عليه وسلم صاحب المزايا العليا والأخلاق الحميدة.

إن هذه المقدمات المنهجية التي سطرها النورسي تقف حاجزا أمام كل الشبهات التي يثيرها "أحرار الفكر" حول قضية المعجزات والخوارق والكرامات التي جرت على يد محمد صلى الله عليه وسلم، كما تؤسس رؤية متكاملة حول منهج النظر إلى الأحداث والوقائع التي جرت في عصر الرسالة، ويمكن استلهام هذا المنهج وتطبيقه في كثير من المجالات المعرفية لتجاوز الاختلالات والأخطاء التي تقع بسبب غياب الرؤية المنهجية التركيبية التي تفسر في ضوئها الأحداث والوقائع.

وبعد هذه المقدمات المنهجية أذكر طرفا من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بما أطلعه الله عليه من غيوب كما صنفها النورسي في ثلاث قبسات[2].

١. القبس الأول: إخباره الغيبي عن الماضي :

ملخص هذا القبس: هو أن القرآن الحكيم بلسان النبي أمين، بالاتفاق يذكر أخبارا من لدن آدم عليه السلام إلى خير القرون، مع ذكره أهم أحوال الأنبياء عليهم السلام وأحداثهم المهمة، يذكرها ذكرا في منتهى القوة وغاية الجد، وبتصديق من الكتب السابقة كالتوراة

[1]- أنظر "رسالة ذو الفقار"، ص : ٢١٠ بتصرف.

[2]- أنظر الكلمات ج١، ص : ٤٦٨.

والإنجيل، فيوافق ما اتفقت عليه تلك الكتب السابقة ويصحح حقيقة الواقعة ويفصل تلك المباحث التي اختلفت فيها[1].

إن شخصا أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة يخبر بهذه الحقائق التي لا يردها أصحاب الكتب السابقة، لدليل على أنه نبي مرسل، ورسول مكلف بهداية العالمين، اصطفاه الله تعالى، وأيده بهذه الحقائق الغيبية يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾[2].

وفي سورة آل عمران: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ١٧٩﴾[3].

٢. القبس الثاني:إخباره الغيبي عن المستقبل :

مدار هذا القبس على الآيات الآتية؛ حيث تنبئ عن الغيب، تناولها المفسرون بالدراسة والتأويل وأثبتوا دلالتها على اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على غيوب المستقبل، وهي :

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ٦٠﴾[4]

﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ٢٧﴾[5]

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ٢٨﴾[6]

﴿وَهُمۡ مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ ٤﴾[7]

---

[1]– الكلمات ج١، ص : ٤٦٨.

[2]– سورة الجن، الآية ٢٧.

[3]– سورة آل عمران، الآية ١٧٩.

[4]– سورة الروم، الآية ٦٠.

[5]– سورة الفتح، الآية ٢٧.

[6]– سورة الفتح، الآية ٢٨.

[7]– سورة الروم، الآية ٣-٤.

﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦﴾ (١)

﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ۝٣٠ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١﴾ (٢)

﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ۝٦٧﴾ (٣)

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ ۝٢٤﴾ (٤)

﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا ۝٩٥﴾ (٥)

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ۝٥٣﴾ (٦)

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨﴾ (٧)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٤﴾ (٨)

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ ۝٩٣﴾ (٩)

﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢٩﴾ (١٠)

---

(١)– سورة القلم، الآية ٥-٦.

(٢)– سورة الطور، الآية ٣٠-٣١.

(٣)– سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٤)– سورة البقرة، الآية ٢٤.

(٥)–سورة البقرة، الآية ٩٥.

(٦)– سورة فصلت، الآية ٥٣.

(٧)– سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٨)– سورة المائدة، الآية ٥٤.

(٩)– سورة النمل، الآية ٩٣.

(١٠)– سورة الملك، الآية ٢٩.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ٥٥﴾[1]

وأمثال هذه الآيات كثيرة جدا، تتضمن أخبارا عن الغيب وقد تحققت كما أخبرت.

هذا من جهة الآيات الكريمات ودلالتها على صحة ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من عيوب.

أما من جهة الأحاديث النبوية، فهي كثيرة جدا نقتصر على ذكر بعضها كما وردت في رسائل النور بالمعنى لا باللفظ[2] منها:

- إخباره بإصلاح الحسن سبط النبي صلى الله عليه وسلم بين الطائفتين. [3]
- إخباره صلى الله عليه وسلم بفتح مكة[4]، وبيت المقدس[5]، وخيبر[6]، وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر. [7]
- إخباره صلى الله عليه وسلم بنته فاطمة بأنها أول أهل بيته لحوقا به. [8]

---

[1]- سورة النور، الآية ٥٥.

[2]- أنظر "رسالة ذو الفقار"، من ص : ٢١٤ إلى ٢٣٢.

[3]- الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلح باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما بن هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين وقوله جل ذكره فأصلحوا بين أخويكم، ج٢، ص : ٨٢٢.

[4]- الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الخندق وهي الأحزاب "عن سليمان بن صرد قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (نغزوهم ولا يغزوننا)".

[5]- رواه البخاري عن عوف بن مالك في كتاب الجزية والموادعة باب ما يحذر من الغدر وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ سورة الأنفال، الآية ٦٢. وانظر البداية والنهاية لابن كثير ج٧، ص : ٥٧. يقول رحمه الله : ففي عهد عمر بن الخطاب تم فتح بيت المقدس سنة ستة عشرة من الهجرة : بتصرف.

[6]- الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة خيبر عن سلامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر (لأعطين هذه الراية إذا – أو : ليأخذن الراية إذا رجل يحبه الله ورسوله، يفتح الله عليه). فنحن نرجوها. فقيل هذا علي فأعطاه ففتح عليه.

[7]- أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

[8]- الحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام .

- إخباره بفتح القسطنطينية. [1]

وغيرها من الغيوب التي أطلع الله نبيه عليها، وقد فصلتها كتب الحديث وشرحتها، وتناولها النورسي بالدرس والتحليل، وقد قصدت العدول عنها لما يقتضيه منهج البحث ومقاصده وأهدافه.

٣. القبس الثالث: إخباره الغيب عن الحقائق الإلهية والحقائق الكونية والأمور الأخروية.

يقول النورسي رحمه الله: نعم ! "إن بيانات القرآن التي تخص الحقائق الإلهية، وبياناته الكونية التي فتحت طلاسم الكون، وكشفت عن معمّى خلق العالم لهي أعظم البيانات الغيبية، لأنه ليس من شأن العقل فقط، ولا يمكنه أن يسلك سلوكا مستقيما بين ما لا يحد من طرق الضلالة، فيجد تلك الحقائق الغيبية: وكما هو معلوم فإن أعظم دهاة حكماء البشر لم يصلوا إلى أصغر تلك الحقائق وأبسطها بعقولهم. ثم إن عقول البشر ستقول بلا شك أمام تلك الحقائق الإلهية والحقائق الكونية التي أظهرها القرآن الكريم: صدقت، وستقبل تلك الحقائق بعد استماعها إلى بيان القرآن بصفاء القلب وتزكية النفس وبعد رقي الروح واكتمال العقل وستباركه"[2].

إن هذا النص، يكشف عن مجموعة من الحقائق الكونية التي تحققت في الواقع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى زماننا المعاصر، فهناك كثير من القضايا المرتبطة بالكون. تناولها العلماء المعاصرون ونصت عليها النصوص القرآنية: كتماسك الكون مثلا يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾[3]، ويقول أيضا جز وجل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۝١٠﴾[4] ويقول أيضا: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۝٦٥﴾[5].

---

[1]- الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه ج٤، ص : ٤٢٢. وقال هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[2]- الكلمات ج١، ص : ٤٧٠-٤٧١.

[3]- سورة الذاريات، الآية ٧.

[4]- سورة لقمان، الآية ١٠.

[5]- سورة الحج، الآية ٦٥.

يقول أحد الباحثين في علم الفلك القرآني : "وقد اختصر أحد العلماء النظام الكوني بالجملة الجامعة التالية: "في الكون كل شيء يدور ويجري ويشد بعضه بعضا"، ففي السماء حبال غير مرئية تشد المجرات والكواكب والنجوم إلى بعضها البعض فتجعلها تلتزم بمسارات محددة بكل منها، عنينا بذلك قوى الطبيعة الأربع التي يقوم عليها النظام الكوني: وهي قوى الجاذبية والكهرطيسية والنووية القوية والضعيفة[١].

وغيرها من الحقائق الطبية والبيولوجية المرتبطة بتكوين الإنسان ومراحله، شهد العلم المعاصر بصدق انطباقها على آيات القرآن الكريم.

- **تكثير الماء وإفاضته بغير الطرق المعتادة :**

بعد مقدمة منهجية، يذكر فيها النورسي اتفاق مجموعة من المحدثين الكبار أصحاب المجاميع والسنن والمسانيد على وقوع هذه المعجزات، وتلقيهم هذه الأخبار بالسند الصحيح يورد مجموعة من المعجزات المتعلقة بالماء ويمثل لها بالأخبار الصحيحة، أذكر حديثا منها على سبيل الاختصار والتمثيل، كما أورده في الرسائل بمعنى، وهو : ما رواه البخاري عن البراء ومسلم عن سلمة بن الأكوع، وعن طرق أخرى في كتب الصحاح الأخرى "كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها، حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي صلى الله عليه وسلم على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استسقينا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبنا"[٢].

وغيرها من الأحاديث التي رواها كبار المحدثين البخاري ومسلم ومالك وأصحاب السنن، وصلت إلى حد التواتر، كحديث فوران الماء من أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم وسقيه كثير من الناس؛ حيث رواه جماعة من مشاهير الصحابة وفي مقدمتهم أنس خادم الرسول

---

[١]– من علم الفلك القرآني د. عدنان الشريف، دار العلم للملايين، ص : ٦٣.

[٢]– الحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام. والإمام مسلم في كتاب اللفظة باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت والمؤاساة فيها.

صلى الله عليه وسلم وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين[1] ورواه عنهم جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب.

- تكثير الطعام القليل ببركة النبي صلى الله عليه وسلم :

بعد المقدمة المنهجية للحكم على هذه الأحاديث بالصحة، يورد النورسي ستة عشر حديثا، يثبت هذه المعجزة ويؤكدها، اقتصر على ذكر حديث واحد للتمثيل فقط كما جاء في الرسائل رواية بمعنى وهو ثابت في الصحاح وفي مقدمتها البخاري ومسلم أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة" في سفر "وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام، وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال: وأيم الله ما من الثلاثين ومئة إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها، ثم جعل منها قصعتين فأكلوا أجمعون وفضل في القصعتين، فحملته البعير"[2].

وإلى غيرها من الأحاديث الصحيحة والحسنة التي أوردها النورسي في هذا الباب وأثبت أن اجتماع هذه الأمثلة الستة عشر هي في درجة التواتر المعنوي، خاصة إذا مزجت مع سائر الأقسام الأربعة عشر من معجزاته حول البركة التي لم يذكرها في هذا الموضوع[3].

- انشقاق القمر:

"سأل أهل مكة الرسول صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما، وقد كان القمر عند انشقاقه بدرا وقد وردت أحاديث في شأنه تفيد القطع[4] وقد سجل الله ذكر هذه الآية في كتابه : ﴿**ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢**﴾[5].

---

[1]– أنظر "رسالة ذو الفقار"، ص : ٢٥٠ بتصرف.

[2]– رواه البخاري في كتاب الهبة: باب قبول الهدية من المشركين، ورواه مسلم في كتاب الأشربة باب فضل إكرام الضيف وفضل إيثاره.

[3]– أنظر رسالة ذو الفقار، ص : ٢٤٧.

[4]– أنظر البداية والنهاية ج٣، ص : ١١٩.

[5]– سورة القمر، الآية ١-٢.

يشرح النورسي عناد الكفار، ويرد على شبهاتهم لإثبات هذه المعجزة في خمسة نقاط نجملها في ما يلي: [1]

- **النقطة الأولى**: إن تعنت الكفار في ذلك الزمان وذلك المحيط معلوم ومشهور فعندما أعلن القرآن ﴿وانشق القمر﴾ وبلغ صداه الآفاق، لم يجرؤ أحد من الكفار – أن يكذب بهذه الآية الكريمة... وإنما اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر وفي هذا دليل على وقوع الحادثة.
- **النقطة الثانية**: لقد قال معظم أئمة علم الكلام، من أمثال سعد التفتازاني "إن انشقاق القمر متواتر، مثل فوران الماء من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم وارتواء الجيش منه، ومثل حنين الجذع من فراقه صلى الله عليه وسلم"،... أي أن الحادثة نقلتها جماعة غفيرة عن جماعة غفيرة يستحيل تواطؤهم على الكذب".
- **النقطة الثالثة**: إن المعجزة تأتي لإثبات دعوى النبوة، عن طريق إقناع المنكرين، وليس إرغامهم على الإيمان. لذا يلزم إظهارها للذين سمعوا دعوى النبوة، بما يوصلهم إلى القناعة والاطمئنان إلى صدق النبوة. أما إظهارها في جميع الأماكن... فهو مناف لحكمة الله ومخالف أيضا لسر التكليف الإلهي الذي يقتضي فتح المجال أمام العقل دون سلب الاختيار منه.
- **النقطة الرابعة**: إن هذه المعجزة التي وقعت ليلا، وآنيا، وعلى حين غفلة لا يراها كل الناس دون شك في كل مكان، بل حتى ولو ظهرت لبعضهم، فلا يصدق عينيه. ولو صدقها، فإن حادثة كهذه مروية من شخص واحد لا تكون ذات قيمة للتاريخ.
- **النقطة الخامسة**: إن انشقاق القمر ليس حادثة حدثت من تلقاء نفسها، بناء على أسباب طبيعية وعن طريق المصادفة ! بل أوقعها الخالق الحكيم – رب الشمس والقمر – حدثا خارقا للسنن الكونية، تصديقا لرسالة رسوله الحبيب صلى الله عليه وسلم،

[1]–أنظر "رسالة ذو الفقار"، من ص : ٣٧٤ إلى ٣٧٨ بتصرف واختصار.

وإعلانا عن صدق دعوته، فأبرزه سبحانه وتعالى وفق حكمته وبمقتضى سر الإرشاد والتكليف وحكمة تبليغ الرسالة، وليقيم الحجة على من شاء من المشاهدين له: بينما أخفاه –اقتضاء لحكمته ومشيئته– عمن لم تبلغهم دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم من الساكنين في أقطار العالم".

وخلاصة القول في هذه المعجزة، كما بينها النورسي، أنها أمر لا ريب في إمكان وقوعه بإجماع الصحابة الكرام العدول، واتفاق العلماء المحققين من المفسرين، ورواية كثير من المحدثين الصادقين، وقبول الأمة التي لا تجتمع على ضلالة، وشهادة الأولياء الصالحين وأئمة علماء الكلام.

كل ذلك يبين انشقاق القمر ويثبته إثباتا قاطعا يضاهي الشمس في وضوحها.[1]

- **الإسراء والمعراج:**

من الخوارق التي سجلها القرآن الكريم إسراءه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعروجه إلى السموات العلى: يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾.[2]

ويقول أيضا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾.[3]

---

[1]– رسالة ذو الفقار، ص : ٣٧٧ بتصرف.

[2]– سورة الإسراء، الآية ١.

[3]– سورة النجم، الآية ٤–١٨.

من وحي هذه الآيات الكريمة يناقش النورسي مسألة الإسراء والمعراج ويثبت حقيقتها وضرورتها، ويفند كل المزاعم التي أثيرت حولها بالحجة والمنطق العقلي، يقول رحمه الله بعد مخاطبته لطبقة المؤمنين: "والآن نوجه كلامنا إلى ذلك الملحد الجالس في مقام الاستماع فنقول:

ما دام هذا العالم شبيها بمملكة في غاية الانتظام وبمدينة في غاية التناسق، وبقصر في غاية الزينة والجمال، فلا بد أن له حاكما مالكا صانعا.

وحيث إن ذلك المالك الجليل والحاكم الكامل والصانع الجميل موجود، هناك إنسان ذو نظر كلي وذو علاقة عامة بحواسه ومشاعره مع ذلك العالم، وتلك المملكة وذلك القصر... فلا بد أن ذلك الصانع الجليل، ستكون له علاقة سامية قوية، مع هذا الإنسان المالك للنظر الكلي، والمشاعر العامة، ولا شك أنه سيكون له معه خطاب قدسي وتوجه علوي؛ وحيث إن محمدا النبي الأمين قد أظهر تلك العلاقة السامية من بين من تشرفوا بها منذ زمن سيدنا آدم عليه السلام بأعظم صورة وأجلاها، بشهادة آثاره أي بحاكميته على نصف المعمورة وخمس البشر، وتبديله الملامح المعنوية للكائنات وتنويره لها؛ لذا فهو أليق وأجدر من يتشرف بالمعراج الذي يمثل أعظم مرتبة من مراتب تلك العلاقة"[1].

وما إلى ذلك من النصوص التي ساقها النورسي في رسالته معتمدا الحجج الكونية والعقلية، لإقناع العقل البشري بصحة وقوع هذه الحادثة ودلالتها على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

- **معجزات وخوارق مادية كثيرة:**

سبق الحديث عن مجموعة من المعجزات والكرامات النبوية، كتكثير الماء وزيادة الطعام وغيرها، وفي هذه النقطة أجمل مجموعة من المعجزات التي فصلها النورسي في رسائله[2]، لكونها من جنسها في إثبات صحة وقوع الخوارق المادية والحسية على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي:

---

[1]- أنظر المعراج النبوي ضرورته حقيقته حكمته ثمرته بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص : ٢١-٢٢.

[2]- أنظر رسالة ذو الفقار رسالة المعجزات الأحمدية، ص : ١٩٧-٣٩٠.

- انقياد الشجر وسلامه وكلامه وتسبيحه.
- حنين الجذع وبكاؤه على فراق النبي صلى الله عليه وسلم.
- سلام الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم.
- إبراء المرضى والجرحى بنفثه المبارك صلى الله عليه وسلم.
- إجابة دعوته صلى الله عليه وسلم.
- معرفة الأموات والحيوانات والجن والملائكة صلى الله عليه وسلم... وغيرها من الخوارق، ذكرها المحدثون الكبار وقد أورد النورسي بعضها في الرسائل بالمعنى وحققها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، وأشار إلى مظانها[١].

إن الباحث المتأمل في ما كتبه النورسي في المعجزات والكرامات النبوية وما أورده من أحاديث كثيرة، يدرك سعة إطلاع النورسي على الحديث النبوي ومدى قدرته على توظيفه في خدمة الحقائق الإسلامية المقصودة من البحث، دون اعتمادها أساسا في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم العقلية المعنوية، ولكن اعتبارها بمثابة إكرام رباني وإحسان إلهي، وضيافة رحمانية للرسول صلى الله عليه وسلم، وتنويرا للمؤمنين وتقوية لإيمانهم.[٢]

٤. بشارة التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء عليهم السلام بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم :

يبين النورسي هذه الحقيقة ويثبتها في ثلاث حجج، نختصرها في ما يأتي: [٣]

[١]- أنظر هوامش رسالة المعجزة الأحمدية، ضمن رسالة ذو الفقار من ص : ٢٩٤-٢٩٩.

[٢]- أنظر رسالة ذو الفقار، ص : ٢٤٧ بتصرف.

[٣]- المصدر نفسه، ص : ٣١٨-٣٢٦ بتصرف.

الحجة الأولى:

تحدي النبي صلى الله عليه وسلم أحبار اليهود وقسس النصارى، بإظهار خلاف ما يقول.

الحجة الثانية:

إيمان مشاهير علماء اليهود والنصارى، بعد ما رأوا أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم وبينوها لغيرهم من العلماء فألزموهم الحجة، ومنهم عبد الله بن سلام، ووهب بن منبه وأبو ياسر، وشامول صاحب تبع، وغيرهم كثير ومن النصارى مثل بحيراء الراهب، والنجاشي وحارث بن أبي شمر الغساني، وإلى غيرهم من الصحابة والتابعين من بعدهم، وقد أشار النورسي إلى اعتماده في بيان هذه الحجة بيانا واضحا كتاب "إظهار الحق" لرحمة الله الهندي، وكتاب "الرسالة الحميدية" للعالم المشهور حسين الجسر، حيث أظهرا في كتابيهما أدلة كثيرة تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والزبور، رغم وجود التحريف والتزوير فيها.

الحجة الثالثة:

وجود آيات عديدة في التوراة والإنجيل والزبور تبشر بالرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أوردها النورسي بالمعنى. وهنا في هذا المقام أذكر بعض ما بقي منها في كتبهم إلى وقتنا المعاصر اعتمادا على تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، وهي:

ما جاء في التوراة:

١. "وَقَالَ يَا مُوسى إِنِّي مُقِيمٌ لَهُمْ نَبِيًا مِنْ بَنِي إِخْوَتِهِمْ مِثْلُكَ وَأُجْرِي قَوْلِي فِي فَمِهِ، وَالرَّجُلُ الذِي لا يَقْبَلُ قَوْلَ النَبِيِّ الذِي يَتَكَلَّمُ بِإِسْمِي فَأَنَا أَنْتَقِمُ مِنْهُ".[١]

[١]- أنظر رسالة ذو الفقار، ص: ٣٢٢، المترجم إحسان قاسم صالحي نقلا عن سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، وأنظر في نفس المعنى "الرسل والرسالات" للدكتور سليمان عبد الله الأشقر، ص: ١٦٤.

٢. "يَا أَيُهَا النَبِيُ إِنَا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِيينَ، أَنْتَ عَبْدِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِلُ، لَيْسَ بِفَظٍ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِئَةُ بِالسَّيِئَةِ، بَلْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةُ العَوْجَاءُ بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ". (١)

وكذلك ماء جاء في الإنجيل:

"لاَ أَتَكَلَمُ أَيْضًا مَعَكُمْ كَثِيرًا لِأَنَّ رَئِيسَ هَذَا العَالِمَ يَأْتِي، وَلَيْسَ لَهُ فِي شَيْءٍ أَوْ لَيْسَ لَهُ عِنْدِي مَثِيلٌ". (٢)

وإلى غيرها من الآيات الكثيرة التي أوردها الباحثون في مقارنة الأديان، وتؤكد ما صرح به النورسي. (٣)

استنتاج عام:

هكذا يكون النورسي قد أثبت صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، من خلال معجزة القرآن الكريم وسائر المعجزات الأخرى، في ضوء منهج علمي رصين يتميز بالوسطية والاعتدال.

ومما يثبت سداد منهجيته، موقفه الوسط من المعجزات والخوارق النبوية بين فئة وقعت في الإفراط وأخرى في التفريط.

فالنورسي كما رأينا، يثبت معجزة القرآن الكريم بوجوهها المتنوعة، ويعتبرها أكبر آية عظمى على صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ويضيف إليها سائر الخوارق والمعجزات التي صح ثبوتها، ويعدها إكراما إلهيا لرسوله والمؤمنين من حوله.

وهذا المنهج كفيل بأن يواجه كل المشاكل التي تقع بسبب الإفراط في قبول الأخبار دون تمحيصها إلى حد إلغاء السنن الكونية، كما هو الشأن عند كثير من الطوائف الصوفية. كما

---

(١)- أنظر رسالة ذو الفقار، ص : ٣٢٢، المترجم نقلا (اشعيا) الإصحاح ٤٢ مكتبة القدس بغداد.

(٢)- أنظر نفس المصدر، المترجم نقلا عن الآية الثلاثون من الإصحاح ١٤ من إنجيل يوحنا (طبعة جمعية الكتاب المقدس). ص: ٣٢٤-٣٢٥.

(٣)- أنظر على سبيل المثال نبوة محمد من الشك إلى اليقين د. فاضل السمارائي، مكتبة القدس بغداد.

انه أقدر على مواجهة حجة من ادعى أن القرآن وحده هو البرهان على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

فالنورسي إذن، قد اعتمد في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم على ثلاثة مسالك.

المسلك الأول: يرتبط بحقائق القرآن ووجوه إعجازه.

المسلك الثاني: يتمثل في أخلاقه صلى الله عليه وسلم وكمالاته ومحاسنه.

المسلك الثالث: يتجلى في المعجزات الكونية التي ظهرت على يديه، أو جاءت لتصديقه والتبشير بنبوته.

لاشك أن هذه المسالك أخذها عن شيخه وأستاذه رحمه الله بن خليل الرحمان الهندي الذي أثبت النبوة المحمدية من خلالها[1].

[1]- أنظر "إظهار الحق" رحمة الله بن خليل الهندي، دار الجيل، بيروت : دار الجيل، ط١ ١٩٨٨، ص : ١٥١-١٨٣.

المبحث الثالث:
وظيفة النبوة وأثرها في الحياة الإنسانية:

في البداية، أشير إلى مسألة منهجية ترتبط بأسلوب تناول النورسي، لوظائف النبوة وآثارها، وتتجلى في جمعه بين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، ونبوة الأنبياء عامة. في سياق تحليلي موحد، يروم إلى الكشف عن الوظائف الكبرى، والمقاصد العليا لعقيدة النبوة في حياة الشعوب والأمم.

فالنورسي يتحدث أحيانا عن وظيفة النبوة عامة وآثارها في الكون والحياة، وتارة يخصص الحديث عن وظيفة النبوة المحمدية وأثرها في الكون والحياة والإنسان، وتارة أخرى يدمج بين الأمرين في خطاب واحد.

وفي هذا المبحث، أتناول الكل بالدرس والتحليل انطلاقا من العناصر الآتية، بناء على ضم السابق إلى اللاحق. وإلحاق الخاص بالعام. وفق الأهداف المشتركة كما بينها النورسي في رسائله.

١. التعريف بحقائق الألوهية والربوبية:

الإنسان بضعفه وعجزه لا يصل إلى إدراك حقائق الألوهية والربوبية حق الإدراك، ولهذا كانت النبوة ضرورة لازمة لإرشاد الناس إلى معرفة الله وصفاته العليا وكمالاته الحسنى. يقول النورسي رحمه الله: "نعم، يلزم أن يكون لمثل هذا الكون البديع ولصانعه القدوس، مثل هذا الرسول الكريم، كلزوم الضوء للشمس، لأنه كما لا يمكن للشمس إلا أن تشع ضياء، كذلك لا يمكن للألوهية إلا أن تظهر نفسها بإرسال الرسل الكرام عليهم السلام[١].

فإرسال الرسل ضرورة كونية، وتكليف رباني لتحقيق معرفة الله وعبوديته وحده لا شريك له. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ

[١]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٦٢.

﴿٣٦﴾[1]. ويقول أيضا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.[2]

إن هذه العبادة الحقه الصادرة من معرفة الله عز وجل، وتقديس أفعاله، وصفاته، هي مصدر أمان الإنسان وسعادته، والنورسي يسوق نصوصا كثيرة يكشف فيها عن أثر المعرفة الإلهية في سعادة الإنسان. يقول رحمه الله في شأن السعادة المادية والمعنوية: "فكل من عرف الله حق المعرفة، وملأ قلبه من نور محبته، سيكون أهلا لسعادة لا تنتهي، ولنعمة لا تنضب ولأنوار وأسرار لا تنفد، وسينالها إما فعلا وواقعا أو استعدادا وقابلية. بينما الذي لا يعرف خالقه حق المعرفة، ولا يكن له ما يليق من حب وود، يصاب بشقاء مادي ومعنوي دائمين، ويظل يعاني من الآلام والأوهام ما لا يحصر"[3].

وفي شأن تلبية الحاجات غير المحدودة، ودفع الأخطار المتوقعة يقول رحمه الله: "إن روح الإنسان المتلهفة إلى حاجات غير محدودة، والمستهدفة من قبل أعداء لا يعدون... هذه الروح المبتلاة بين حاجات لا تنتهي وأعداء لا يحصرون، تجد في هذه الكلمة العظيمة منبعا ثرا من الاستمداد، بما يفتح لها أبواب خزائن رحمة واسعة ترد منها ما يطمئن جميع الحاجات وتضمن جميع المطالب... وتجد فيها كذلك مرتكزا شديدا، ومستندا رضيا يدفع عنها جميع الشرور، ويصرف عنها جميع الأضرار..."[4] وغيرها من النصوص التي اعتمدها النورسي في سياق إثبات وظيفة النبوة في إسعاد الإنسانية، انطلاقا من بيان حقائق الألوهية وأسرارها. هذا من جهة الحقائق المرتبطة بالألوهية، أما من جهة الحقائق المرتبطة بالربوبية. فقد ذكر النورسي جملة من النصوص تكشف عن أهميتها في الحياة الإنسانية، نذكر بعضا منها على سبيل البيان والتوضيح بما يتناسب مع أهداف البحث ومقاصده :

---

[1]– سورة النحل، الآية ٣٦.

[2]– سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

[3]– انظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٢٨٩.

[4]– المصدر نفسه، ص : ٢٩٠.

يقول رحمه الله : "مبينا أثر الإيمان بالربوبية الحقة في تحقيق العزة النفسية، والنجاة من الخوف على الرزق والمستقبل وغيرها من الشدائد التي تواجه الإنسان: "إن الله واحد، فلا تتعب نفسك –أيها الإنسان– بمراجعة الأغيار. ولا تتذلل لهم، فترزح تحت منتهم وأذاهم...ولا تحني رأسك أمامهم وتتملق لهم...ولا ترهق نفسك فتلهث وراءهم...ولا تخف منهم وترتعد إزاءهم...لان سلطان الكون واحد، وعنده مفاتيح كل شيء، بيده مقود كل شيء، تنحل عقد كل شيء بأمره. وتنفرج كل شدة بإذنه فان وجدته فقد ملكت كل شيء، وفزت بما تطلبه، ونجوت من أثقال المن والأذى ومن أسر الخوف والوهم"[1].

إن الإيمان بأن لهذا الكون مالكا يدير حركته، ويتحكم في أجزائه وأفراده ويبعث الحياة في جنباته، يمنح الإنسان استقرارا واطمئنانا تجاه مخاوف المستقبل ومخاطره، ويدفعه نحو تحقيق الايجابية والتفاعل في الحياة وفق الاستناد إلى حقائق الربوبية؛ التي تجعل الإنسان مملوكا لمالك الملك، لا يقدر على إدارة أمور نفسه ولا يستطيع تأمينها من البلايا والرزايا دون الاستناد إلى قدرة الله عز وجل والاعتماد على ربوبيته وجبروته"[2].

٢. التعريف بالحقائق الغيبية:

يندرج ضمن هذه الوظيفة، جملة من الفروع الغيبية، بينها الأنبياء عليهم السلام وارشدوا الناس إلى الإيمان بها، والعمل بمقتضياتها في الحياة العملية، وتتمثل في الحقائق المرتبطة بالحياة الأزلية كالوعد والوعيد، والحشر والبعث، والجزاء والعقاب، والميزان والصراط، وغيرها من العناصر التي لا يصل إليها العقل الإنساني دون الاعتماد على وساطة الأنبياء عليهم السلام، يقول النورسي رحمه الله: "لو لم تكن هناك "رسل" ولا "كتب" لما عرفت تلك الحياة الأزلية، فكما أن تكلم الفرد بين حيويته وحياته كذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنزلة عليهم يبينون ويدلون على ذلك المتكلم الحي الذي يأمر وينهى بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون"[3]. وفي معرض آخر، يقول محتجا على الكافر الذي يخالف

---

[1]– انظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٢٩٠.

[2]– انظر المصدر نفسه، ص : ٢٩١ بتصرف.

[3]– انظر "الكلمات" ج١، ص : ١١٩.

جميع الأشياء والمشهودات والكائنات في إنكاره لعقيدة الوعد والوعيد: "فمادام الله سبحانه قد وعد، وهذه الموجودات كلماته الصادقة بالحق، وهذه الحوادث في العالم آياته الناطقة بالصدق، فانه سيوفي بوعده حتما وسيفتح محكمة كبرى وسيهب سعادة عظمى"[1].

إن الإيمان بهذه الحقائق الغيبية، يمنح الإنسان السعادة في الدنيا والآخرة ويخلصه من عذاب الفراق ومخاوف المستقبل وآلامه، ويدفعه إلى العمل والاجتهاد في الحياة وفق إرادة الله وأوامره.

٣. التعريف بحقائق الكون ومقاصده:

يعتبر النورسي النبوة ضرورة كونية لازمة لحياة الكون، وموجبة لحركته ووظيفته التسبيحية.

فالكون حسب تصوره رحمه الله يحيا بحياة النبوة فيه، ويموت بانقطاع نور النبوة عنه يقول رحمه الله: "فإذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره، مات الكون وتوفيت الكائنات، وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون، جن جنونه وتفقد الكرة الأرضية صوابها، وزلزل عقلها، وظلت بلا شعور، واصطدمت بإحدى سيارات الفضاء وقامت القيامة"[2].

إن موت الكون، في اصطلاح النورسي بمفارقته لنور النبوة، يشير إلى حقيقة موضوعية يشهدها الواقع المعاصر في كثير من المجالات الإنسانية التي أصبحت تعاني من العبثية والفوضى، نتيجة عدم استنادها إلى توجيهات النبوة وإرشاداتها.

إن إمكانات التسخير ووسائل التعمير متاحة للإنسانية في هذا الكون بشرط الانصياع لقواعد النبوة وقوانينها في إدارة العملية الإستخلافية في الحياة.

فالخروج عن مستلزمات النبوة وقواعدها الإستخلافية، يعيق عملية التسخير الايجابي لإمكانات الكون وكنوزه، ويجعل حركة الإنسان في الكون عديمة الجدوى سيئة الآثار والنتائج.

---

[1]– انظر الكلمات ج١، ص : ٨٤.

[2]– الكلمات ج ١، ص : ١١٩.

فالكون حسب رأي بديع الزمان لا حياة له، ولا فائدة من وجوده، بدون حركة الإنسان ونشاطه العقلي الموجه بنور النبوة وتوجيهاتها.

إن أي حركة في الكون لا تستند إلى حقائق النبوة وهدايتها، لن تحقق السعادة الإنسانية الكاملة وإن كانت قادرة على توفير بعض المطالب والحاجات المادية، كما نراه ماثلا في التقدم الذي وصل إليه الغرب في تحقيق المنجزات المادية، ولكن ظل غارقا في مستنقع العبثية والشهوات التي أورثته القلق والإضطراب الروحي المستمر، والانتشار الواسع للجريمة في الأوساط الاجتماعية، نتيجة البعد عن نور النبوة والاستناد إلى رغبات النفس الفرعونية.

بهذا المعنى، يثبت النورسي أهمية النبوة في بيان غاية تحولات الكون ومقاصده، والعلة من خلقه وبسط أجزائه وتسخيرها لإنسان الخلافة والعمارة[1].

٤-إعطاء القدوة الحسنة في رعاية مصالح الدنيا والآخرة:

الإنسان بفطرته مفتقر إلى القدوة الحسنة والنموذج الأعلى الذي تجسدت فيه الصفات العليا والأخلاق العظمى والمثل الشريفة. وهذه الميزات الكبرى تتمثل في شخصية الأنبياء عليهم السلام، وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم. يقول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2].

في ضوء هذه الآية الكريمة وغيرها من الإشارات القرآنية التي تنص على استقامة محمد عليه السلام وتوازنه في جميع أفعاله وأقواله وأحواله، يؤكد النورسي حقيقة مفادها أن الأنبياء هم المثل الأعلى في هداية البشرية إلى مصالح الدنيا والآخرة، وتوجيهها نحو تحقيق الاستقامة والتوازن في الحياة المادية والمعنوية، يقول رحمه الله: "نعم مادام –عليه الصلاة والسلام– متصفا بأسمى مراتب محاسن الأخلاق، باتفاق الأولياء والأعداء، وإنه صلى الله عليه وسلم هو المصطفى المختار من بين البشر، وهو أشهر شخصية فيهم باتفاق الجميع...وما دام هو أكمل إنسان، بل أكملَ قدوة ومرشد بدلالة آلاف المعجزات، وبشهادة العالم الإسلامي الذي كونه،

---

[1]– انظر الكلمات ج ١/ ٦٣ بتصرف.

[2]– سورة القلم، الآية ٤.

وبكمالاته الشخصية بتصديق حقائق ما بلغه من القرآن الحكيم ...ومادام ملايين من أهل الكمال قد سموا في مراتب الكمالات، وترقوا فيها بثمرات أتباعه فوصلوا إلى سعادة الدارين...فلابد أن سنة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وحركته هي أفضل نموذج للاقتداء، وأكمل مرشد للإتباع والسلوك واحكم دستور، وأعظم قانون، يتخذه المسلم أساسا في تنظيم حياته"[١].

إن النورسي في هذا النص، يجعل حركة النبوة مناطا لتأمين التوازن بين المصالح الدنيوية والأخروية، فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس مرشدا وقائدا في الأفق الروحية والمصالح الأخروية فحسب؛ وإنما يمثل النموذج الأهدى والأقوم في تنظيم الحياة الاجتماعية وتطويرها نحو تحقيق السعادة المادية، يقول رحمه الله: "إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل إلى البشرية كافة، قدوة وإماما ورائدا، كي تتعلم منه مناهج الحياة الاجتماعية والشخصية ودساتيرها، وتتعود على الانقياد لقوانين الإدارة الإلهية الحكيمة وتنسجم مع دساتيرها الربانية"[٢].

فالنبوة حسب هذا النص، لا تنحصر في القيادة الروحية للبشر، وإنما تتعدى ذلك إلى إرشاد الناس إلى مصالحهم في الدنيا وتوجيههم نحو اكتشاف أفاق الحياة المادية، يقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[٣].

إن الأنبياء والرسل لا تقتصر وظيفتهم على هداية الناس روحيا، وإنما تتجاوز ذلك إلى سياستهم في أمور حياتهم المادية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من المجالات، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[٤]، والى غيرها من الآيات والأحاديث الشريفة التي نصت على شمولية الرسالة المحمدية لمصالح الدنيا والآخرة وقيادتها وتأمينها لمصالح العقل والقلب والروح والجسد.

---

[١]– انظر "اللمعات" ج ٣، ص : ٩٤-٩٥.

[٢]– انظر المصدر نفسه، ص : ١٢٥.

[٣]– سورة فصلت، الآية ٥٣.

[٤]– سورة النور، الآية ٥١.

هكذا تكون النبوة مصدر الاقتداء، ومناط تحقيق التوازن بين مصالح الدنيا والآخرة، ورمز تأمين سعادة الدارين. كما نصت على ذلك نصوص الكتاب والسنة يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1].

٥- تزكية النفس وتخليصها من داء الأنانية والغرور:

يعقد النورسي مقارنة جلية بين أثار النبوة، وأثار الفلسفة في النفس الإنسانية (الأنا)، ويكشف عن فشل الفلسفة المادية في تزكية النفس الإنسانية؛ لقيامها على أسس تمجيد الأنانية والفردانية ونسيان الجماعة في مقام الأخذ والاستفادة.

ولبيان هذه المقارنة بيانا واضحا لا يخل برشاقة أسلوب النورسي ومضمونه الرفيع، نسوقها –كما جاءت في رسائل النور– دون تعديل أو اختصار، يقول رحمه الله : "إن "أنا" له وجهان: وجه أخذته النبوة، ووجه أخذته الفلسفة.

فالوجه الأول: منشأ العبودية المحضة؛ ماهيته حرفية–ووجوده تبعي، ومالكيته وهمية، وحقيقته فرضية، ووظيفته: صيرورته ميزانا ومقياسا لفهم صفات الخالق. فالأنبياء هكذا نظروا إلى "أنا" فسلموا الملك كله لله وحكموا بأنه لا شريك له لا في ملكه ولا ربوبيته ولا في ألوهيته، وبيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير. ومن هذا الوجه الشفاف الحي أنبت الرحيم جل جلاله شجرة طوبى العبودية فأثمرت أغصانها المباركة في حديقة الكائنات، دانية قطوفها، متدلية ثمرات الأنبياء والمرسلين الأولياء والصديقين المتلألئين كالنجوم في الظلمات.

وأما الفلسفة فنظرت إلى "أنا" –بالمعنى الاسمي دون الحرفي وبالوجود الأصلي دون التبعي، وزعموه مالكا بالحقيقة، وظنوه حقيقة ثابتة. وتوهموا وظيفته تكمل ذاته بحب ذاته. فمن هنا تشعبت أنواع الشرك، وعلى رأس "أنا" نبتت شجرة زقوم الضلالة. فمن غصن "القوة البهيمية" أثمرت في أنظار البشر باستحسان القوة الظالمة والحسن المرائي أصناما عابدة من جهة، ومعبودة من جهة،... ومن غصن القوة الغظبية، أثمرت على رؤوس البشر نماريد

[1]– سورة الأحزاب، الآية ٢١.

وفراعين...ومن "القوة العقلية" أثمرت في عقول البشر الدهريين والماديين، وفلاسفة يعطون للواجب واحدا، ويقسمون سائر ملكه على غيره تعالى" [1].

هكذا، استطاع النورسي بتحليله العلمي أن يكشف عن نتائج النفس الأمارة بالسوء "أنا"، المعتمدة على ذاتها في تقرير الأحكام وبناء الأفعال، وصياغة التصورات، حيث أثمرت الضلالة والظلم والطغيان والعبودية لغير الله عز وجل، بينما النفس المعترفة بتقصيرها والمستندة إلى خالقها أنتجت عكس ذلك.

إن مناقشة النورسي للنفس وأقسامها انطلاقا من مصطلح "أنا"، راجع إلى الواقع الذي كان يواجهه، حيث طغى فيها التصور الغربي؛ الذي يمجد الذات ويعتبرها رمز كل عطاء وتقدم وينكر كل المقومات الروحية والمعنوية التي تخرج عن دائرته.

إن تركيز النورسي على مصطلح "أنا" في الكشف عن مخاطر النفس الأمارة بسوء وتزكيتها، هو من باب مخاطبة الخصم بمصطلحه، وإلزام الكافر بنتائج فلسفته وحجته.

لقد كان هم النورسي هو دفع ما يعترض المسلمين من شبهات وإكراهات وافدة من حضارة الغرب، ولهذا وجدناه في كثير من القضايا لا يذكر الآيات الواردة فيها والأحاديث المفصلة لأمورها لما كان يراه مناسبا لطبيعة الظروف التي عاش فيها، ومقتضيات المرحلة التي يستوجب التفاعل معها، خاصة في واقع لم يسمح له بالرجوع إلى المصادر الشرعية قصد إعادة كتابة ما كتبه في وقت السجن والقهر؛ الذي فرض السرعة في التأليف.

ولكن رغم كل هذا، نجد النورسي لا يكتب إلا عن أصالة قرآنية شاملة تؤطر منهجه التأليفي الكلي وتضفي عليه القوة العلمية والجدة البحثية. فهو مثلا وإن لم يذكر الآيات الواردة في تزكية النفس[2]، فقد فصل الأهداف المقصودة من سياقها في القرآن الكريم اعتمادا على

---

[1]– انظر "المثنوي" ج٦، ص :٣٢٩.

[2]– تأمل في سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ أية ١٢٩. – وتأمل سورة آل عمران: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ

طريقته في استخدام المصطلحات المناسبة لطبيعة الصراع الفكري الذي كان يخوضه مع فلسفة الغرب، واستطاع أن يبين أسباب الانحدار الشديد الذي وصل إليه الغرب في التصور والممارسة، بسبب طغيان النفس أو "أنا" وابتعادها عن هداية النبوة ومنهجها الخالد في بناء التصورات، وتوجيه السلوكات، وترشيد الأحداث.

٦- نشر الرحمة في العالمين وبعث المحبة الإلهية في قلوب المؤمنين:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز متحدثا عن رحمة رسوله الكريم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[1]. وفي موضع أخر يقول عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

من منطلق هذه الآيات، يقرر النورسي أهمية الرحمة وموقعها في الوظائف النبوية، حيث تعتبر مقصدا كبيرا من مقاصد النبوة، ووسيلة كبرى لفتح القلوب المفطورة على حب الحق والانصياع إلى حقائقه.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم برحمته الفياضة وخلقه العظيم، وقلبه الودود ينفتح على الوجوه المقبلة على الهداية، ويتواصل معها بالحكمة والموعظة الحسنة، قصد هدايتها إلى طريق الحق. وكتب السيرة تروي لنا هذه الحقيقة وتؤكدها في أكثر من موضع. يقول النورسي رحمه الله: "إن الأنبياء والكبار لدى خطابهم لأمتهم ولرعاياهم، ولدى نظرهم إليهم، نظر الأبوة، إنما هو باعتبار مهمة الرسالة وليست باعتبار الشخصية الإنسانية"[3].

فالأنبياء عليهم السلام هم آباء الإنسانية، وطبيعة الأبوة تقتضي الرحمة والصبر المستمر على تمرد الأبناء وعصيانهم إلى وقت رجوعهم إلى الهدى والصواب.

ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿١٦٤﴾﴾ الآية ١٦٤. – وتأمل سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿٢﴾﴾ الآية ٢، تجد أن التزكية النفسية من أمات الوظائف النبوية.

[1]– سورة التوبة، الآية ١٢٨.

[2]– سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

[3]– أنظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٣٥.

لقد كانت رحمة سيد المرسلين رحمة متوازنة شاملة، لم تنحصر في الناس فقط، بل تعدتهم إلى الوجود كله، عكس النصارى الذين يرحمون من في طريقهم وعلى دياناتهم، ويعتمدون شعارات (حقوق الإنسان والحرية الإنسانية) وسيلة لمحاربة المسلمين ودينهم، والقضاء على إنسانية الإنسان.

إن الحب الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمثله، لم يكن فيه حيلة بل كان متوازنا احتضن الإنسانية كلها"[1].

فهذه الوظائف النبوية، وغيرها من المقاصد التي تندرج تحتها، كان لها الأثر الكبير في علاقة الإنسان بالكون والحياة عبر تاريخ الإنسان، وقد شكلت النبوة في كل مرحلة زمنية، القاعدة التصحيحية والتقويمية لنظرة الإنسان إلى ذاته وإلى الكون وما فيه من أشياء وأجزاء تحيط به.

ويمثل النورسي لهذه الحقيقة التاريخية بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وما خلفته من آثار ايجابية على الكون والحياة والإنسان، وما أنجزته من أحداث وتغييرات على مستوى الشعوب والأقوام في كافة الميادين والمجالات.

ففي ما يتعلق بأثر الرسالة المحمدية في علاقة الكون بالإنسان، يقول النورسي رحمه الله: "فإن شئت فأنظر إليه وهو في الصلاة الكبرى، التي بعظمة وسعتها صيرت هذه الجزيرة بل الأرض مصلين بتلك الصلاة الكبرى"[2].

فالعلاقة بين الكون والإنسان، تقوم على التسبيح والصلاة والانتساب إلى خالق المخلوقات كلها والإمام الأكبر لهذه الصلاة هو محمد صلى الله عليه وسلم.

فبفضله صارت للحياة والكائنات مقاصد ومعان، وبسببه انتشرت المحبة والانسجام بين الموجودات والكائنات والإنسان، يقول النورسي رحمه الله: "أنظر ! إلى هذا الشخص النوراني

---

[1]- أنظر "النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية" محمد فتح الله كولن، دار النيل، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٩٩٩م، ص : ٣١٥-٣١٦ بتصرف.

[2]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٢٦١.

كيف ينشر من الحقيقة ضياء نوّار ومن الحق نورا مضيئا، حتى صيّر ليل البشر نهارا وشتاءه ربيعا؛ فكأن الكائنات تبدل شكلها فصار العالم ضاحكا مسرورا بعد ما كان عبوسا قمطريرا... فإذا ما نظرت إلى الكائنات خارج نور إرشاده؛ ترى في الكائنات مأتما عموميا، وترى موجوداتها كالأجانب الغرباء والأعداء، لا يعرف بعضها بعضا، بل يعاديه، وترى جامداتها جنائز دهاشة، وترى حيواناتها وأناسيها أيتاما باكين بضربات الزوال والفراق.

فهذه هي ماهية الكائنات عند من لم يدخل في دائرة نوره، أما إذا دخلت في دائرة شريعته ونور هدايته تتحول حركتها وتغيراتها من العبثية والتفاهة إلى مكاتب ربانية وصحائف آيات تكوينية ومرايا أسماء إلهية"[1].

إن النبوة كما بين النورسي، تكشف عن قيمة الكائنات ومقاصدها ووظائفها في الحياة، وتقف ضد الفلسفة المادية التي تعبث بكل شيء، وتصور الكائنات والأشياء عدما، إن هذا التصور يشكل إحدى القوانين الأساسية لبناء التصور الشامل حول قضايا البيئة وأثر الإنسان في حماية الكون من التلوث والدمار.

وفيما يتعلق بأثر الرسالة المحمدية على طبيعة الإنسان المسلم وأخلاقه، يذكر النورسي جملة من النصوص نجملها في العناصر الآتية: [2]

- ترقيته من درجة الحيوانية إلى مقام السيادة على الكائنات.
- تأهيله إلى القيام بمهمة الاستخلاف الحضاري والشهود على الأمم.
- تخليصه من الأخلاق الذميمة والعادات السيئة.

[1]- المصدر نفسه، ص : ٢٥٦-٢٥٧ بتصرف.

[2]- المصدر نفسه، ص : ٢٥٨.

الفصل السادس:
قضية الحشر وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج النورسي في عرض عقيدة الحشر

المبحث الثاني: أدلة الحشر وبراهينه

المبحث الثالث: أثر عقيدة الحشر في الحياة الإنسانية

المبحث الأول:
منهج النورسي في عرض عقيدة الحشر

إن انتشار الفكر المادي المتسلط على عقيدة المسلمين بشتى الوسائل، وأدق الشبهات، فرض ضرورة المواجهة العلمية والجدل العقلي، والاستجابة الواقعية لكافة التغيرات والتحديات التي تستهدف القضاء على هوية الإنسان المؤمن، وتجريده من عقيدته وأخلاقه وتراثه.

هذه التحديات وغيرها، دفعت النورسي في ضوء الدفاع عن عقيدة الحشر، إلى اختيار منهج علمي تجريبي يناسب مقتضيات المرحلة التي يتفاعل معها ويسعى إلى تحقيق الوقاية الشاملة في صفوف الناس الذين أصبحوا عرضة للفتنة بحضارة الغرب وشبهاته المنكرة لعقيدة البعث والنشور.

لقد أيقن النورسي أن المنهج التجريبي العقلاني الذي يعتمد على التمثيل والتشبيه والتصوير، كفيل بالرد على جملة من الشبهات الإلحادية، وقادر على بناء عقيدة الحشر في نفوس المسلمين بناء سليما، يرتكز على العقل والوجدان، والحس والشعور، ويرتبط بواقع الناس ومشاكلهم، ويتفاعل مع قضاياهم، ويستجيب لمطالبهم في مواجهة الفلسفة المادية المتنكرة لحقائق الغيب.

فالقارئ لرسالة الحشر يجد هذا المنهج حاضرا فيها من البداية إلى النهاية، وقد كشف النورسي عن علته ومقصده في نقطتين: أولها تقريب المعاني في الأذهان، وثانيها إظهار مدى معقولية الحقائق الإسلامية. يقول رحمه الله : "إن سبب إيرادي التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو تقريب المعاني إلى الأذهان من ناحية، وإظهار مدى معقولية الحقائق الإسلامية ومدى تناسبها ورصانتها من ناحية أخرى، فمغزى الحكايات إنما هو

الحقائق التي تنتهي إليها، والتي تدل عليها كناية فهي إذن ليست حكايات خيالية وإنما حقائق صادقة[١].

انطلاقا من هذين المقصدين، صار النورسي يحشد الأمثلة ويسرد الحكايات ببيان واقعية ومعقولية الحقائق الإيمانية، وحضورها القوي في عالم الكون والإنسان والحياة، اعتمادا على جملة من الأساليب الاستفهامية والاستنكارية التي تستفز العقل الإنساني وتنفض عنه غبار الفلسفة المادية.

يمكن التمثيل لهذه الأساليب ببعض المفردات، قصد كشف غايتها ومقاصدها، ويسوق النورسي في أكثر من موضع، أسلوبا استفهاميا غرضه إثبات بداهة عقيدة الحشر ومعقوليتها، ومثاله تقديمه الكلام بقوله: "أمن الممكن" حيث كررها كثيرا في سياق إثبات عقيدة الحشر والبرهنة على حقائقها.

والغاية من تكرارها حسب رأي النورسي هي أن الكفر والضلال يتولدان غالبا من الاستبعاد، أي يرى الإنسان مالا يعتقده بعيدا عن ميزان العقل فيعده محالا، ويبدأ بالإنكار والكفر... والحقيقة أن الاستبعاد الحقيقي، والمحال الحقيقي والبعد عن موازين العقل، والصعوبة الحقة، والمشكلات العويصة التي هي بدرجة الامتناع، إنما هي في الكفر ومنهج أهل الضلال، وإن الإمكان الحقيقي والمعقولية التامة والسهولة الجارية مجرى الوجوب إنما هي في طريق الإيمان، وجادة الإسلام. والخلاصة أن الفلاسفة إنما زلوا إلى الإنكار نتيجة الاستبعاد[٢].

إن هذا الشرح التفصيلي لمفردة "أمن الممكن"، يدل على جدية النورسي واجتهاده في اختيار المصطلحات، والأساليب المناسبة لمستويات الناس وعقولهم، ففي كثير من المواضيع يتعمد تكرار بعض المصطلحات، وتكثير الحكايات وتنويع الأدلة بغرض إقناع المستمع وإزالة الشبهات عن عقله وفي هذا نجده مثلا يكرر عبارة (هل يقبل العقل)، وعبارة (هل يعقل)،

---

[١]- أنظر "رسالة الحشر بديع الزمان سعيد النورسي" ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة : دار سوزلر، ط٤، ٢٠٠٥، ص : ٥

[٢]- أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٦٨، الهامش رقم ١.

وعبارة (لا يمكن)، وعبارة (لا يخطرن على بال أحد)، وعبارة (هل يمكن)، وغيرها من العبارات التي تعتبر مفاتيح لتحريك العقل مباشرة، وفتح آفاقه نحو إدراك بداهة قضية الحشر، وإمكانية وقوعها ومعنا.

إن اعتبار النورسي قضية الحشر، قضية معقولة المعنى، تستند إلى استفادته من منهج القرآن الكريم في عرضه لحقائق الغيب والمستقبل، يقول رحمه الله في ضوء تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾[1]،"إن القرآن قد يذكر من أفعال الله الدنيوية العجيبة والبديعة كي يعد الأذهان للتصديق، ويحضر القلوب للإيمان بأفعاله المعجزة في الآخرة أو إنه يصور الأفعال الإلهية العجيبة التي ستحدث في المستقبل والآخرة بشكل نقنع ونطمئن إليه بما نشاهده من نظائرها العديدة"[2].

هذا الاستمداد من منهج القرآن حكم رسالة الحشر كلها، منهجا وأثرا وبرهانا، فالنورسي رحمه الله اعتمد إلى جانب الأدلة العقلية وسائل متنوعة مستمدة من حياة الناس، ومن أجزاء الكون، وسنن التشريع الكوني، يقول الدكتور محسن عبد الحميد مبينا هذه الحقيقة بقوله :[3] "وهو في إثباته لضرورة الحشر يلجأ إلى استقراءات تفصيلية من حياة الناس اليومية، ومشاهد الطبيعة المنظورة والتحليلات الفكرية التجريدية لينسج منها بلغة العصر ومصطلحاته دليل ضرورة يوم الحساب. وهو يكتبها بتفاصيل تحيط بجوانب القضية كلها؛ بحيث يفهمها كل ذي عقل سليم، وكل ذي فكر ثاقب، سواء أكان فيلسوفا أم مثقفا أم أميا، كل بقدر ما أتاه الله من التعقل والفضل والحكمة، ولو راجعت الصور الإثنى عشر التي جعلها مقدمة لرسالة الحشر، لظهر لك ذلك أشد الظهور. وهو لا يكتفي بالأدلة العقلية، وإنما يلجأ إلى استقراء قانون الهدم والبناء في حياتنا كلها، ليستخلص منها الدليل العلمي القاطع على أن المجتمع الإنساني

---

[1]- سورة يس، الآية ٧٨-٧٩.

[2]- انظر "الكلمات" ج١، ص : ١٢٣.

[3]- لقد سقنا هذا النص مطولا لتخصص الرجل في الكشف عن منهج بديع الزمان سعيد النورسي في إثبات الحقائق الإيمانية، وللحفاظ على رشاقة أسلوبه الذي يضيع بالاختصار. والتصرف أحيانا.

يستحيل أن يشذ عن القاعدة، لأنه جزء من الوجود الذي حوله. وفي أثناء استعراضه لأدلة العقل التجريدي والعلم المشاهد، لا ينسى أن يزيد عليها دليل التواتر التاريخي لعشرات الألوف من أرقى البشر عقلا ووجدانا، كلهم يخبرون أن يوم الحساب آت لا ريب فيه"[1].

إن هذا النص الذي سقته، يكشف عن منهجية النورسي في عرض الأدلة والبراهين المثبتة لحقائق الحشر؛ والتي تتسم بتنوع الطرق والأساليب، وتتميز بالواقعية والحيوية والانطلاق من الواقع المشاهد.

فالنورسي حين ساق الحكايات لم يكن غرضه القصص، بقدر ما كان يهدف إلى تقريب الواقع إلى الناس في صورة ملموسة تقنع العقل وتطمئن القلب وترسخ العقيدة، وتجعلها حية نابضة في كل حركة ونشاط إنساني.

لقد أدرك النورسي رحمه الله، أن العصر ملئ بالفلسفات المادية التي لا تعترف إلا بالمحسوس المشاهد، فصار يحشد الأدلة الحسية والكونية على وقوع الحشر، انطلاقا من تأمله العميق والمستنير في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٥٠﴾[2].

في ضوء هذه الآية الكريمة، حاول النورسي أن يثبت حقيقة الحشر من خلال طرق عديدة أطلق عليها مرة اسم الصور، ومرة اسم الإشارات، ومرة اسم الحقائق، وهو في كل هذا يحاول أن يجعل من معطيات الكون المشاهد، ومن تجليات الواقع الإنساني، ومن مقررات التشريع الكوني، والضرورة الاجتماعية، دليلا قاطعا على معقولية عقيدة الحشر وبداهتها[3].

إن المتأمل في هذه الطرق والأدلة المثبتة لحقيقة الحشر، يدرك نجاح النورسي في اختيار موضوعات الحشر وقضاياه، بما يتناسب مع طبيعة المرحلة التي يعيش فيها، حيث تقتضي تجاوز المباحث البعيدة عن واقع المسلمين ومشاكلهم، كمبحث "هل الحشر جسماني أو روحاني ؟

---

[1]- النورسي متكلم العصر الحديث، ص : ١٤٥.

[2]- سورة الروم، الآية ٥٠.

[3]- أنظر "رسالة الحشر"، من ص : ٦ إلى ١٠٦.

ومبحث الصراط والميزان وغيرها من فروع العقيدة التي تحتاج إلى دراسة المتخصصين ولا ينفع انتشارها بين عموم المسلمين.

لقد حاول النورسي أن يربط بين عقيدة الحشر وحياة الناس وسلوكاتهم ويبين ضرورتها وأثرها في سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

إن هذا الربط المستديم بين عقيدة الحشر وحقيقة الإنسان وتفاعلاته في الكون في الخطاب النورسي ينطلق من مفاتيح يمكن اختصارها في النقاط الآتية.

١. اعتبار قضية الحشر من كبرى المقاصد القرآنية، ومن القضايا الثابتة الأساسية في منظومة العقيدة الإسلامية. [١]

٢. ضرورة تجاوز الجدل الكلامي في مناقشة عناصر العقيدة الإسلامية والالتزام بالأسلوب القرآني.

٣. الاعتماد على معطيات الكون وما يزخر به من سنن وقوانين.

٤. الاعتبار بالشواهد التاريخية وتجارب الأمم والشعوب.

٥. الانطلاق من حاجات الإنسان وطبيعته وحقائقه.

٦. الجمع بين قراءة الكتاب المنظور والكتاب المسطور في ضوء معالجة مشاكل الإنسان المعاصر.

٧. الاعتماد على نتائج الإيمان بعقيدة الحشر في الواقع الإنساني، ونتائج الكفر وسلبياته على المجتمع والكون.

---

[١]- أنظر على سبيل المثال: المدخل لكتاب المثنوي، قدمه أديب إبراهيم الدباغ: يقول: "والآخرة بأحداثها وأهوالها، ونشرها وحشرها، وجنتها ونارها، وليست عند النورسي قضية هامشية تحتل هامش ذهنه، وفضول وقته، وبقايا همه، كما هي اليوم لدى الغالبية العظمى من الناس – وإنما هي شهود دائم وحضور قائم ووجود شاخص لا يبرح فكره ولا يغادر وجدانه. يراها بنظر بصيرته كما يرى الأشياء بنظر عينه"، المثنوي ج٦، ص: ١٨.

٨. اعتبار عقيدة الحشر من القواعد الكبرى لبناء الإنسان المسؤول عن حركاته وأفعاله في الدنيا والآخرة.

وغيرها من النقاط التي يستنبطها القارئ لرسالة الحشر خاصة وللرسائل الأخرى عامة.

فالنورسي رحمه الله يبنى تصوراته على قواعد، ومفاتيح قرآنية وكونية، ويمثل لها بعدة أدلة وطرق، كما سنراه في المبحث الآتي ليصل إلى الغاية النهائية وهي إنقاذ الإنسان المؤمن من ضلالات الفلسفة الغربية وشبهاتها الإلحادية.

إن هذا المنهج الذي اعتمده النورسي في عرض حقيقة الحشر، يعتبر من المناهج الجديدة التي حركت العقيدة الإسلامية، وبثت فيها الحياة وجعلتها مصدرا لتفعيل الإنسان، وترشيد حركته في الوجود وسأحاول أن أشير هنا إلى نقطة أساسية مفادها أن النورسي يوافق بمنهجه هذا، الأستاذ محمد عبده الذي ألف "رسالة التوحيد" وحاول أن يقرب جملة من الحقائق الإيمانية إلى العقول، انطلاقا من معطيات الكون وواقع الإنسان[١]، والأستاذ حسن البنا رحمه الله الذي حاول أن يجعل من حقائق العقيدة الإسلامية منهجا عمليا في حياة الإنسان المسلم، وخلفه سيد قطب الذي عمل على تأسيس النظرية الشمولية لحيوية القضايا الإسلامية في كافة جنبات الحياة والكون والإنسان، من خلال تفسيراته وتأملاته في ظلال القرآن.

إن كل هؤلاء المجددين انطلقوا من القرآن الكريم، وحاولوا أن يستلهموا منهجيته في معالجة القضايا الإسلامية، والمشاكل الإنسانية انطلاقا من الاستجابة للمتغيرات الجديدة في عالم الإنسان.

والإمام النورسي في "كليات رسائل النور" عامة وفي رسالة الحشر خاصة، حاول أن يستلهم المنهج القرآني الذي يعتمد على ضرب الأمثال وقص العبر والحكايات والشواهد التاريخية، لتأكيد الحقائق وحصول الاعتبار لدى أصحاب العقول والألباب.

---

[١]– أنظر "رسالة التوحيد" لمحمد عبده على سبيل التمثيل المنهجي، دار ابن حزم ط١، ٢٠٠١، ص : من ١٥٠ إلى ١٦١.

يقول رحمه الله: "فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق التي تنتهي إليها والتي تدل عليها كناية، فهي إذن ليست حكايات خيالية وإنما حقائق صادقة". [1]

فصدقية الحقائق، تستمد أصالتها من حراك الاجتماع البشري، ومن سنن المعطى الكوني، وهذه الثنائية هي خلاصة سنن الآفاق والأنفس التي فصلها القرآن الكريم، واعتمدها في سياق إثبات حقائق الإيمان.

يسوق النورسي كلاما يعترف فيه باستناده إلى القرآن الكريم في عرضه لحقيقة الحشر، والبرهنة على وقوعها، وكل ما تقدم من الأمثلة والإيضاحات – منذ البداية – لصور الحشر وحقائقه ما هي إلا من فيض القرآن الكريم، وما هي إلا لتهيئة النفس للتسليم، والقلب للقبول، إذ القول الفصل للقرآن الكريم والكلام كلامه، والقول قوله، فلنستمع إليه... فلله الحجة البالغة...

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝﴾[2]، ثم يذكر جملة من الآيات التي تفيد عقيدة الحشر، وتؤكد ضرورة وقوعها لإقامة العدل بين الناس، ورد الأمور إلى نصابها[3].

إن هذا التأثر الحقيقي، بمنهج القرآن في عرض حقائق الإيمان، يظهر حتى في منهج الخطاب؛ حيث نجد النورسي رحمه الله ينوع أساليب الكلام من ضمير المفرد المخاطب إلى ضمير المفرد الغائب، ومن التعميم إلى التخصيص، ومن الجزء إلى الكل. وفي بعض الأحيان يعكس القضية. والخلاصة التي يصل إليها الباحث المتعمق في رسائل النور "أن النورسي في سياق برهنته على عقيدة الحشر وسائر قضايا الإيمان، وتركيزها في النفوس، يعتمد منهجا نظريا عقليا في ضوء مقررات القرآن، يقوم على العناصر الآتية:

- عنصر الاستدلال بالتمثيل والتشبيه.

---

[1]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٤٧.

[2]– سورة الروم، الآية ٥٠.

[3]– الكلمات ج١، ص : ٩٩–١٠٠ بتصرف.

- عنصر الاستدلال بالتعميم والتخصيص.
- عنصر الاستدلال بالشواهد القرآنية.
- عنصر الجدل والمناضرة.
- عنصر الاستقراء في عالم الكونيات.
- وعنصر مطابقة الخطاب لمقتضى الواقع.

وغيرها من العناصر التي تحتاج إلى التمثيل لها بنماذج وأدلة يصعب عرضها في هذا المبحث لما يقتضيه منهجه وغايته.

المبحث الثاني:
أدلة الحشر وبراهينه

بعد عرض المنهج العام الذي يؤطر قضية الحشر، ويؤكد معقوليتها وضروريتها الواقعية، نسوق مجمل الأدلة التي اعتمدها النورسي في سياق إثباته لحقيقة الحشر، مع التمثيل لكل دليل بمثال مختصر، كما سطره النورسي في رسائله اعتمادا على منهجه المتبع في البرهنة على الحقائق الإيمانية كما أشرنا سابقا. وقبل سرد هذه الأدلة نشير إلى مسألة منهجية مفادها أن هذه الأدلة كثيرة ومتنوعة، تستند إلى حقائق الكون، وما يعرفه من تحولات وتغيرات، تشبه الموت والحشر وإلى طبيعة الإنسان. وما يشهده من حقائق تثبت عقيدة الحشر وتؤكدها، وإلى طبيعة الواقع وما يعانيه من تسلط وفساد وظلم يقتضي ضرورة وجود محكمة في الآخرة، تنتصر للمظلومين وتردع الظالمين وإلى مقررات العقيدة الإيمانية من إيمان بالله ورسله صلى الله عليه وسلم. وما تقتضيه من إثبات الحشر وغيرها من المستندات. وفيما يأتي أورد بعضا من هذه الأدلة.[1]

١. إثبات الأركان الإيمانية الخمسة، عقيدة الحشر.

ملخص هذا الدليل هو أن جميع ما يثبت من أدلة، لتأكيد الحقائق الإيمانية الكبرى "من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره" يثبت عقيدة الحشر ويؤكد إمكانية وقوعه، يقول النورسي رحمه الله: "مادام مالك الملك قد اختار الأرض من الكون، واختار الإنسان من الأرض، ووهب له مكانة سامية، وأولاه الاهتمام والعناية، واختار الأنبياء والأولياء والأصفياء من الناس، وهم الذين انسجموا مع المقاصد الربانية وحببوا أنفسهم إليه بالإيمان والتسليم، وجعلهم أولياءه المحبوبين المخاطبين له، وأكرمهم بالمعجزات والتوفيق في الأعمال، وأدّب أعداءهم بالصفعات السماوية، واصطفى من بين هؤلاء المحبوبين إمامهم، ورمز فخرهم واعتزازهم، ألا وهو محمد، صلى الله عليه وسلم، فنور بنوره نصف الكرة الأرضية ذات الأهمية، وخمس البشرية ذوي الأهمية طوال قرون عدة؛ حتى كأن الكائنات قد خلقت لأجله؛ لبروز

[1]– إن هذا الترتيب يعتمد على الاختصار في ضوء ضم السابق إلى اللحق وجمع المتشابه والمتشارك في عناوين كلية، تندرج تحتها حكايات وأمثلة كثيرة سردها النورسي في رسائله أثناء التدليل على حقيقة الحشر وإمكانية وقوعها.

غايتها جميعا به، وظهورها بالدين الذي بعث به، وانجلائها بالقرآن الذي أنزل عليه، فبينما يستحق أن يكافأ على خدماته الجليلة غير المحدودة بعمر مديد غير محدود وهو أهل له، إلا أنه قضى عمرا قصيرا، وهو ثلاث وستون سنة في مجاهدة ونصب وتعب، فهل يمكن ويعقل مطلقا، وهل هناك أي احتمال ألا يبعث هو أمثاله وأحباؤه معا، وألا يكون الآن حيا بروحه؟ وأن يفنى نهائيا ويصير إلى العدم؟ كلا... ثم كلا... وحاشاه ألف ألف مرة... نعم إن الكون وجميع حقائق العالم يدعو إلى بعثه ويريده ويطلب من رب الكون حياته"[١].

على هذه الطريقة يستمر النورسي في الربط بين أدلة الإيمان بالله وكتبه ورسله، والإيمان بالملائكة والقدر خيره وشره لتأكيد حقيقة الحشر. [٢]

فالجزاء العام قضية معقولة المعني تقضيها الأركان الإيمانية وتستوجبها.

٢. اتفاق جميع الكتب السماوية والمعجزات النبوية على حقيقة الحشر.

يبين النورسي هذا الدليل بقوله: "إن جميع المعجزات الدالة على رسالة سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، مع جميع دلائل نبوته، وجميع البراهين الدالة على صدقه، تشهد بمجموعها معا على حقيقة الحشر، وتدل عليها وتثبتها، لأن دعوته صلى الله عليه وسلم طول حياته المباركة انصبت بعد التوحيد على الحشر، وأن جميع معجزاته وحججه الدالة على صدق الأنبياء عليهم السلام – وتحمل الآخرين على تصديقهم– تشهد على الحقيقة نفسها وهي الحشر. وكذا شهادة الكتب المنزلة" التي رقت الشهادة الصادرة من "الرسل الكرام" إلى درجة البداهة تشهدان على الحقيقة نفسها"[٣].

---

[١]– أنظر "الكلمات"، ج١، ص : ١١٢–١١٣.

[٢]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ١١٣.

[٣]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ١٠٧.

٣. اقتضاء صفات الكمال الإلهي وجماله الخالد ضرورة وقوع الحشر.

مفاد هذا الدليل هو أن الله عز وجل له كمال باهر، وجمال معنوي زاهر، يبعثان على الإعجاب. ولاشك أن الكمال المستتر الذي لا نقص فيه يقتضي إعلانه على رؤوس الأشهاد، من المعجبين المستحسنين، ويتطلب إعلانه أمام أنظار المقدّرين لقيمته. أما الجمال الخفي الذي لا نظير له، فيستلزم الرؤية والإظهار أي رؤية جماله بوجهين:

أحداهما: رؤيته بذاته، جماله في كل ما يعكس هذا الجمال من المرايا المختلفة.

ثانيهما: رؤيته بنظر المشاهدين المشتاقين والمعجبين المستحسنين له، وهذا يعني أن الجمال الخالد يستدعي رؤية وظهورا، مع مشاهدة دائمة، وشهود أبدي... وهذا يتطلب حتما خلود المشاهدين المشتاقين المقدرين لذلك الجمال، لأن الجمال الخالد لا يرضى بالمشتاق الزائل. ولأن المشاهد المحكوم عليه بالزوال يبدل تصور الزوال محبته عداء وإعجابه استخفافا، وتوقيره اهانة؛ إذ الإنسان عدو لما يجهل ولما يقصر عنه... ولما كان الجميع يغادرون دور الضيافة هذه بسرعة، ويغيبون عنها بلا ارتواء من نور ذلك الجمال والكمال، بل قد لا يرون إلا ضلالا خافتة منه عبر لمحات سريعة... فالرحلة إذن منطلقة إلى مشهد دائم خالد. [١]

٤. تحقيق العدالة في الحياة وانتفاء العبثية في واقع الناس يقتضي عقيدة الحشر ويؤكدها.

لقد حاول النورسي أن يثبت الحشر من خلال أدلة استنبطها من واقع الانسان، وما يشهده من ظلم كبير، وفساد كثير، وطغيان شرس، ضيع حقوق الضعفاء وقضى على إنسانية الإنسان في مختلف المجالات.

وهذه المظاهر من الظلم والطغيان، حسب النورسي، توجب الحشر وتثبته لإحقاق الحق، وإزهاق الباطل، ورد المظالم إلى أهلها، يقول رحمه الله: "ما دام الرب سبحانه –كما في هذه الحقيقة– يحب الإنسان، ويحبب نفسه إليه، وهو باق، وله عوالم باقية، ويجري الأمور وفق عدالته، ويعمل كل شيء وفق حكمته، وأن عظمة سلطان هذا الخالق الأزلي وسرمدية

[١]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٥١.

حاكميته لا تحصرهما هذه الدنيا القصيرة، ولا يكفيهما عمر الإنسان القصير جدا، ولا عمر هذه الأرض المؤقتة الفانية؛ حيث يظل الإنسان دون جزاء في هذه الدنيا لما يرتكبه من وقائع الظلم، وما يقترفه من إنكار وكفر وعصيان، تجاه مولاه الذي أنعم عليه ورباه برأفة كاملة وشفقة تامة، مما ينافي نظام الكون المنسق، ويخالف العدالة والموازنة الكاملة التي فيها. ويخالف جماله وحسنه، إذ يقضي الظالم القاسي حياته براحة، بينما المظلوم البائس يقضيها بشظف من العيش. فلا شك أن ماهية تلك العدالة –المطلقة– التي يشاهد آثارها في الكائنات– لا تقبل أبدا، ولا ترضى مطلقا، عدم بعث الظالمين العتاة مع المظلومين البائسين الذين يتساوون معا أمام الموت"[1].

إن وجود الآخرة كما بين النورسي في هذا النص، سلاح قوي لمحاربة العبثية والفوضى في عالم الناس، فبدون عقيدة الثواب والعقاب في الحياة الباقية يتحول العالم الإنساني بجميع نشاطاته وحركاته إلى ضرب من العبث والصدفة، التي لا طائل من ورائها. وهو ما نشاهده في واقع المتنكرين لحقائق الغيب والمؤلهين لحقائق المادة ومتطلباتها.

لقد أضحى العالم في زمن غياب الحقائق الإيمانية التي تقتضي مسؤولية الإنسان عن حركته ونشاطه في الوجود، سوقا واسعا، تنتهك فيه حرمات الناس، وتهضم فيه حقوق البؤساء، وتستغل فيه دماء الضعفاء.

إن إقامة الحشر حسب رأي النورسي، يتوافق مع قانون التوازن والتناسق والحسن والنظام المخيم على الكون، ويتناسب مع الصفات الإلهية ذات الكمال الزاهر والجمال الخالد. فالإيمان بعقيدة الحشر يَحُلُّ ألغاز الكون، ويضفي على أجزائه الغائية والمقصدية. وإنكار حقيقة الحشر يعدم الكائنات حكمها وأسرارها ويصور العالم ضربا من العبثية والعدم[2].

٥. اقتضاء حقائق تجليات أسماء الله الحسنى لضرورة الحشر .[3]

---

[1]– الكلمات ج١، ص : ١١٢.

[2]– المصدر نفسه، ص : ٦٤.

[3] للوقوف على تفاصيل هذه الحقيقة ينظر في "الكلمات" ج من ص : ٦٥ إلى ٢٣.

ملخص هذا الدليل عند النورسي هو أن إنكار عقيدة الحشر يستلزم الإلحاد بأسماء الله الحسنى التي تعتبر جزء من عقيدتنا؛ فالرحمة الواسعة، والعدالة المطلقة، والنظام الدقيق، والحكمة الباهرة، والعناية الظاهرة، والكرم اللنهائي، والإدارة الكاملة، والجمال السرمدي والحفظ الشامل... الجارية في الكون، وواقع الحياة الإنسانية كلها في نظر النورسي تدل على حقيقة الحشر وتومئ إليها، يقول رحمه الله: "وحيث أن الدنيا موجودة فعلا، وفيها الآثار الظاهرة للحكمة والعناية والرحمة والعدالة، فالآخرة موجودة حثما، وثابتة بقطعية ثبوت هذه الدنيا. ولما كان كل شيء في الدنيا يتطلع من جهة إلى ذلك العالم، فالسير إذن والرحلة إلى هناك، لذا فإن إنكار الآخرة هو إنكار للدنيا وما فيها. وكما أن الأجل والقبر ينتظران الإنسان، فإن الجنة والنار كذلك تنتظرانه وتترصدانه"[1].

إذن، إن حقائق أسماء الله الحسنى المتجلية في عالم الشهادة، تقتضي بالقياس الأولى وجودها في عالم الغيب لتحقيق الحكمة والعدالة في الدنيا والآخرة.

٦. سنة الموت والحياة تثبت الحشر.

لقد أكثر النورسي في رسائل النور، من ذكر دلالة حياة الكائنات وموتها، على عظمة الخالق وقيام الحشر، يقول رحمه الله: "ومادام قلم القدرة الذي يكتب في فصل الربيع وفي صحيفة ضيقة صغيرة، مائة ألف كتابة، كتاب متداخلة بلا خطأ ولا نصب ولا تعب، كما هو واضح جلي أمام أعيننا. وأن صاحب ذلك القلم قد تعهد ووعد مائة ألف مرة لأكتبن كتابا أسهل من كتاب الربيع المكتوب أمامكم ولأكتبنه كتابة خالدة، في مكان أوسع وأرحب وأجمل من هذا المكان الضيق المختلط المتداخل.. فهو كتاب لا يفنى أبدا"[2].

هكذا يكون النورسي قد بسط أدلة الحشر وأثبتها بأسلوب قوي يستند إلى حركة الكون، وأجزائه، وطبيعة المتغيرات التي تقع فيه، ويتخذها شواهد قوية على عقيدة الحشر،

---

[1] انظر "الكلمات" ج١، ص : ٩٣.

[2] "الكلمات" ج ١، ص : ١١١ بتصرف.

ويرتكز على طبيعة الإنسان، وما يشهده من أحداث وقضايا تقتضي ضرورة الحشر والميزان، يستند إلى حقائق أسماء الله الحسنى المتجلية في الكون وجنباته والتي تقتضي عقيدة الحشر.

والنورسي رغم تنوع أدلته، وكثرة براهينه، يعترف في آخر البحث بحقيقة مفادها أن إثبات حقيقة الحشر قضية نقلية لا يمكن الوصول إليها عقلا، ولكن بفيض القرآن الكريم وبرحمة الخالق الرحيم، استطاع أن يسير في هذا الطريق الرفيع العميق في هذا العصر الذي تحطم فيه التقليد وفسد الإذعان والتسليم[1].

[1] الكلمات ج١، ص : ١٠١ بتصرف.

المبحث الثالث:
أثر عقيدة الحشر في الحياة الإنسانية

لاشك أن الإيمان بالآخرة يبعث في الإنسان الشعور بالمسؤولية ويدفعه إلى سلوك طريق الصواب في الحياة الدنيا، راجيا الثواب، وخائفا من العقاب.

والإمام النورسي، رحمه الله، ذكر جملة من الآثار والفوائد التي تتركها عقيدة الإيمان بالحشر في نفوس المؤمنين، وكشف عن النتائج السلبية، والثمار السيئة للجحود بهذه القضية الكبرى في حياة المسلمين. وأنا في هذا الموطن قبل سرد هذه الآثار وبيانها أشير إلى ملاحظة أساسية تتعلق بمنهج النورسي في عرض هذه الثمار والآثار، حيث نجده اعتمد طريقين: الطريق الأول: يتجلى في ذكره لهذه الآثار بطريقة غير مباشرة. أثناء سياق حديثه عن أهمية الحشر وضرورته وأدلته.

والطريق الثاني: يتمثل في ذكره لهذه الآثار بطريقة مباشرة يصرح فيه بلفظ الفوائد والنتائج.

وفيما يأتي أتناول الكل بالدراسة والتحليل معتمدين منهج الجمع والتصنيف في ضوء عناوين كلية تضبط الموضوع ويمكن صياغتها في العناصر الآتية:

١. أثر الإيمان بالآخرة في تسلية الأطفال وتخفيف آلامهم نتيجة فراق الأحبة:

يجد الطفل صعوبة كبيرة في تقبل موت أقرانه، وأحبابه، وإخوانه، فيتألم لفراقهم وموتهم، ولكن اعتقاده بوجود النعيم في الجنة يحميه من خطورة هذه الأحداث على نفسيته وعقله، يقول النورسي رحمه الله: "إن الأطفال الذين يمثلون نصف البشرية، لا يمكنهم أن يتحملوا تلك الحالات التي تبدو مؤلمة ومفجعة أمامهم من حالات الموت والوفاة إلا بما يجدونه في أنفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من " الإيمان بالجنة". ذلك الإيمان الذي يفتح باب الأمل المشرق أمام طبائعهم الرقيقة التي تتمكن من المقاومة والصمود وتبكي

لأدنى سبب، فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور، فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه: "إن أخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي، أصبح الآن طيرا من طيور الجنة، فهو إذن يسرح من الجنة حيث يشاء، ويعيش أفضل وأهنأ منا" وإلا فلولا هذا الإيمان بالجنة لهدم الموت الذي يصيب أطفالا أمثاله – وكذلك الكبار – تلك القوة المعنوية لهؤلاء الذين لا حيلة لهم ولا قوة ولحطم نفسياتهم، ولدمر حياتهم ونغصها فتبكي عندئذ جميع جوارحهم ولطائفهم من روح وقلب وعقل مع بكاء عيونهم، فإما أن تموت أحاسيسهم وتغلظ مشاعرهم أو يصبحوا كالحيوانات الضالة التعسة"[1].

٢. أثر عقيدة الحشر في تطمين نفوس الشيوخ وحمايتهم من اليأس والقنوط :

يشرح النورسي هذه الثمرة بقوله: "إن الشيوخ الذين هم نصف البشرية، إنما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر بالإيمان بالآخرة"، ولا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم إلا في ذلك الإيمان. فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالأطفال، وأصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم، إنما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة. وإلا فلولا هذا الإيمان بالآخرة لشعر هؤلاء الآباء والأمهات –الذين هم أجدر بالشفقة والرأفة والذين هم أشد الحاجة إلى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة– ضراما روحيا واضطرابا نفسيا وقلقا قلبيا، ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت ولتحولت سجنا مظلما رهيبا، ولانقلبت الحياة إلى عذاب أليم قاس"[2].

إذن فالإيمان بالآخرة يحقق السلوان والاطمئنان للشيوخ، ويمنحهم القوة والقدرة على مواجهة أعباء الشيخوخة بالتطلع إلى الثواب السرمدي والحياة الخالدة.

٣. أثر عقيدة الحشر في ضبط نفوس الشباب وحمايتهم من الطيش والفساد.

---

[1] "الكلمات" ج، ص : ١٠٤–١٠٥ بتصرف.

[2] المصدر نفسه، ص : ١٠٥ بتصرف.

إن ربط الأعمال الدنيوية بعالم الآخرة يجعل الشباب مهتمين بأعمالهم، متيقظين في تصرفاتهم، حذرين في أفعالهم، لما يعلمون من عقاب وجزاء في دار الحساب، يقول النورسي رحمه الله: "إن الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدئ فورة مشاعرهم، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتها، ولا يؤمن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلا الخوف من نار جهنم. فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز، حيث "الحكم للغالب" ولحولوا الحياة الإنسانية السامية إلى حياة حيوانية سافلة"[1].

فيقين الشاب بالتعرض للعقاب أو الثواب يدفعه إلى اختيار الأحسن من الأعمال والاتصاف بالأهدى من الأخلاق، فينعكس كل ذلك على شخصيته وبنائه، فيصير إنسانا مسؤولا عن حركاته وأفعاله في الحياة الدنيا.

٤. أثر عقيدة الحشر في تحقيق السعادة الأسرية:

يقول النورسي رحمه الله في هذه الثمرة: "إن الحياة العائلية هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها، وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين. وان بيت كل فرد هو عالمه ودنياه الخاصة، فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلا حد التضحية والإيثار. ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفية إلا بالإيمان بوجود علاقات صداقة أبدية، ورفقة دائمة، ومعية سرمدية، في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، تربطها علاقات أبوة محترمة مرموقة، وأخوة خالصة نقية، وصداقة وفية نزيهة، حيث يحدث الزوج نفسه: "إن زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتي في عالم الأبد والحياة الخالدة، فلا ضير أن أصبحت الآن ذميمة أو عجوزا، إذ إن لها جمالا أبديا سيأتي، لذا فأنا مستعد لتقديم أقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة، وأضحي بكل ما

[1] الكلمات ج ١، ص : ١٠٥.

تتطلبه تلك الصداقة الدائمة"... وهكذا يمكن أن يكن هذا الرجل حبا ورحمة لزوجته العجوز كما يكنه للحور العين"[١].

وهكذا يصبح الإيمان بالآخرة مصدرا لتحقيق السعادة في الأسرة المسلمة، ورمزا لبث الحب المستمر بين أفرادها، ومناطا لإشاعة قيم الفضيلة في صفوفها.

٥. أثر الإيمان بالحشر في تحقيق الأمن والسلام الاجتماعي:

إن الإيمان بعقيدة الثواب والعقاب، ينمي استدامة الرقابة الاجتماعية، ويحقق التوازن في علاقة الأفراد بالجماعات، ويعمق العدل وينميه في تصرفات وفعال العباد؛ فالمجتمع الذي يؤمن بعقيدة الحشر يسوده الاستقرار الأمني، والتكافل الاجتماعي والتعارف التعاوني، لما تفرضه هذه العقيدة من إلزامات تجعل إنسان المجتمع مسؤولا عن ذاته وعن تزكية مجتمعه، وحمايته من ذيوع الرذيلة وشيوع الظلم والبغضاء والنزاع بين الناس.

يقول النورسي رحمه الله: "إن عقيدة الآخرة هي أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية، وأساس جميع كمالاته ومثله وسعادته"[٢].

إن تحقيق الكمال الاجتماعي والرشد الإنساني رهين بالإيمان بالآخرة، كما يرى النورسي ويؤكد ذلك لعلماء الاجتماع والسياسة والأخلاق الذين فشلوا في معالجة مشاكل الإنسان المعاصر، نتيجة إقصائهم لعقيدة الإيمان بالآخرة ومقتضياتها في أبحاثهم ومشارعهم الإصلاحية، يقول رحمه الله: "فليلق السمع علماء الاجتماع، والسياسة، والأخلاق، من المعنيين بشؤون الإنسان وأخلاقه واجتماعه، وليأتوا بماذا سيملأون هذا الفراغ؟ وبماذا سيداوون ويضمدون هذه الجروح الغائرة العميقة؟.[٣]

---

[١] المصدر نفسه، ص : ١٠٥-١٠٦.

[٢] الكلمات، ج١، ص : ١٠٤.

[٣] المصدر نفسه، ص : ١٠٦.

من خلال ما سبق يتبين المنهج العام الذي رسمه النورسي لمواجهة الشبهات المادية، وبناء عقيدة الحشر في نفوس المؤمنين بناء قويا يدفعهم إلى الحيوية والنشاط في الأرض قصد تحقيق العمارة والاستخلاف، ضد الظلم والاستكبار والطغيان البشري.

ولتحقيق هذه المقاصد الهامة لعقيدة الحشر، حاول أن يركز على مجموعة من الأسس والمفاهيم يمكن اختصارها في النقاط الآتية:

١) الانطلاق من طبيعة الإنسان، ورغباته وميولاته لمقاربة إشكالية العقاب والثواب الأخروي.

٢) الانطلاق من نفي العبثية والعدمية في الأحكام الإلهية والصفات الربانية.

٣) جعل الواقع مصدرا ثريا لتأكيد عقيدة الحشر بما يزخر به من أحداث وأفعال تقتضي إحقاق الحق وإزهاق الباطل في عالم أبدي.

٤) الاعتماد على المعطيات الكونية والشواهد الحسية في إثبات عقيدة الحشر.

٥) الربط بين عقيدة الحشر وسائر المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٦) الانطلاق من نتائج وثمرات الإيمان بالآخرة لمواجهة شبهة منكري البعث والحشر.

٧) ربط عقيدة الإيمان بالحشر بسائر الأركان الإيمانية.

الفصل السابع:
قضية العدالة الاجتماعية عند النورسي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقسام العدالة عند النورسي
المبحث الثاني: مفهوم العدالة الاجتماعية عند النورسي
المبحث الثالث: آليات تطبيق العدالة الاجتماعية عند النورسي

المبحث الأول:
أقسام العدالة عند النورسي

يجد القارئ لرسائل النور: حقيقة مفادها أن لفظ العدالة لم يعط تعريفا معينا بالحد أو الرسم، وإنما وضع في سياق الرؤية الكلية لمفردات العدل وحقائقه المرتبطة به، وأقسامه المتعلقة به. فالعدالة عند النورسي مفهوم كوني وقانون اجتماعي ومقصد قرآني كلي يؤطر مجموعة من الميادين الإنسانية.

لقد تحدث رحمه الله، النورسي عن العدل في سياقات متنوعة: العدل في الحقوق والواجبات، والعدل في الكون والنفس، والعدل في السياسة والاقتصاد، والعدل في القضاء والحكم، والعدل في العلاقات والمعاملات وغيرها من القضايا المتفرقة، التي يجمعها رابط العدل في إطار كلي، يؤكد مقصديته الكبرى وأهميته القصوى في معالجة مشاكل الإنسان في كافة الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية...

وفيما يلي نبين أقسام العدالة عند بديع الزمان سعيد النورسي كما سطرها في رسائله.

لقد صرح النورسي بالتقسيم الرباعي للعدالة في رسائله، وتناولها من جهتين: الجهة الأولى سماها العدالة الايجابية، والسلبية، والجهة الثانية سماها العدالة المحضة، والإضافية.

١. العدالة الايجابية والعدالة السلبية.

- **العدالة من جهة الايجابية.**

يعتبر النورسي مبدأ إعطاء كل ذي حق حقه هو جوهر العدالة ولبها الأساسي الذي يحيط بعالم الآفاق والأنفس، ويظهر ظهور الوجود والحياة، يقول النورسي، "نعم إن العدالة شقان أحدهما ايجابي والآخر سلبي".

أما الايجابي فهو: إعطاء كل ذي حق حقه. فهذا القسم من العدالة محيط وشامل لكل ما في هذه الدنيا لدرجة البداهة. فكما أثبتنا في "الحقيقة الثالثة" بأن ما يطلبه كل شيء، وما هو ضروري، لوجوده وإدامة حياته، التي يطلبها بلسان استعداده وبلغة حاجاته الفطرية،

وبلسان اضطراره من الفاطر ذي الجلال يأتيه بميزان خاص دقيق، وبمعايير ومقاييس معينة، أي أن هذا القسم من العدالة ظاهر ظهور الوجود والحياة"[١].

يتضح من خلال كلام النورسي، أن جوهر العدل الايجابي أن يعطى كل ذي حق حقه، وهو المبدأ الذي تتأسس عليه حركة الكون وحقائقه، وعالم الإنسان وأجهزته يقول النورسي: "نعم إنه لواضح أن الذي يتصرف في هذا الكون، إنما يتصرف فيه بحكمة مطلقة أفتطلب برهانا على هذا...؟" فانظر إلى رعايته سبحانه للمصالح والفوائد في كل شيء.. ألا ترى أن أعضاء الإنسان جميعا سواء العظام منها، أو العروق وحتى خلاياه الجسمية وكل جزء منه ومكان، قد روعيت فيه فوائد وحكم شتى، بل إن في أعضاء جسمه من الفوائد والأسرار بقدر ما تنتجه الشجرة الواحدة من الثمار، مما يدل على أن يد حكمة مطلقة تدير الأمور. فضلا عن التناسق البديع في صنعة كل شيء، والانتظام الكامل فيها اللذان يدلان على أن الأمور تؤدى بحكمة مطلقة... وهل تريد برهانا على إنجاز الأعمال بالعدل والميزان؟... إن منح كل شيء وجودا بموازين حساسة، وبمقاييس خاصة، وإلباسه صورة معينة ووضعه في موضع ملائم يبين بوضوح أن الأمور تسير وفق عدالة وميزان مطلقين. وكذا إعطاء كل ذي حق حقه وفق استعداده ومواهبه، أي إعطاء كل ما يلزم وما هو ضروري لوجوده، وتوفير جميع ما يحتاج إلى بقائه في أفضل وضع، يدل على أن يد عدالة مطلقة هي التي تسير الأمور. وكذا الاستجابة المستمرة والدائمة لما يسأل بلسان الاستعداد والحاجة الفطرية، أو بلسان الاضطرار تظهر أن عدالة مطلقة وحكمة مطلقة هما اللتان تجريان عجلة الوجود. [٢]

إن النورسي بهذا الخطاب الفلسفي القرآني، يكشف عن علاقة الإنسان بالكون في ضوء القوانين المتحكمة في وجود هما.

فالنورسي لا يفصل حركة الإنسان في الحياة عن حركة الكون، بل يربط بينهما برابط الحكمة والعدالة التي تسير أمورهما وتدير حركتهما.

---

[١]- أنظر الكلمات ج١، ص : ٩١. (الهامش)

[٢]- أنظر الكلمات ج١، ص : ٦٨-٦٩.بتصرف

فإذا كانت حركة الكون وحقائقه قائمة على العدالة والحكمة، فكذلك يجب أن تكون حركة الإنسان متناغمة مع هذا النظام الدقيق، وإلا حكمت العدالة الحقة بعقابه وإدخاله في نار جهنم. يقول النورسي: "غير أن الإنسان الذي يقضي حياة قصيرة في هذه الدنيا الفانية لا ينال ولن ينال حقيقة مثل هذه العدالة، وإنما تؤخر إلى محكمة كبرى، حيث تقتضي العدالة الحقة أن يلاقي هذا الإنسان الصغير ثوابه وعقابه لا على أساس صغره، بل على أساس ضخامة جنايته، وعلى أساس أهمية ماهيته وعلى أساس عظمة مهمته". [1]

إن هذا التصور الذي يجعل العدالة قانونا ثابتا يحكم الجسم الكوني والجسم البشري وفق إرادة الله عز وجل وحكمته، نجد له سندا في القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿**وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩**﴾[2]. وقال في سورة النساء : ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۝٥٨**﴾[3].

فبالعدل أنزلت الكتب وبعثت الرسل، وبالعدل قامت السموات والأرض، فالعدل أن يعط كل ذي حق حقه، سواء كان فردا أم جماعة أم شيئا من الأشياء أم معنى من المعاني، بلا طغيان ولا إخسار، فلا يبخس حقه، ولا يجور على حق غيره[4].

وفي نفس السياق يؤكد هذه الحقيقة الشيخ جمال الدين الأفغاني رحمه الله بقوله: "إعطاء كل ذي حق حقه، ووضع الأشياء في مواضعها، وتفويض أعمال الملك للقادرين على أدائها، مما يوجب صيانة الملك وقوة السلطان، ويشيد بناء السلطة، ويحكم دعائم السطوة، ويحفظ نظام الداخل من الخلل، ويشفي نفوس الأمة من العلل، هذا مما تحكم به بداهة العقول، وهو

---

[1]- الكلمات ج١، ص : ٦٩.

[2]- سورة الرحمن، الآية ٧ – ٩.

[3]- سورة النساء، الآية ٥٨.

[4]- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده الدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط،١ ٢٠٠١م، ص : ١٤٧.

عنوان الحكمة التي قامت بها السماوات والأرض، وثبت بها نظام كل موجود، وهو العدل المأمور على لسان الشرع في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ۝٩٠﴾(*)"[1].

إن هذا التصور الشامل عن حقيقة العدل، يكشف لنا التقارب الفكري بين الرجلين، فكل منهما انطلق في ضوء حقائق القرآن، وأثبت حقيقة موحدة، مما يدل على سعة اطلاع النورسي على التراث الفكري الذي أنتجه جمال الدين الأفغاني وأسلافه محمد عبده. ويؤكد هذه الحقيقة النورسي ويثبت متابعته لحركة الإصلاح التي أسسها جمال الدين الأفغاني بقوله: "لقد بايعت السلطان سليم وقبلت فكره في الاتحاد الإسلامي، لأن ذلك الفكر هو الذي أيقظ الولايات الشرقية، فهم قد بايعوه على ذلك".

فالشرقيون هم أولئك لم يتغيروا، فأسلافي في هذه المسألة هم الشيخ جمال الدين الأفغاني ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده، ومن العلماء الأعلام علي السواعي والعالم تحسين والشاعر نامق كمال الذي دعا إلى الاتحاد الإسلامي. [2]

هكذا يكون فكر النورسي منفتح الآفاق على سائر التجارب الفكرية التي سبقته مستفيدا منها في حدود ما يوافق منهجه القرآني الذي سطره في بناء المعرفة الإسلامية. فهو لا يتحرج من إثبات أثر العلماء المصلحين في فكره، بل يعتبره عزة وكرامة وتفوقا في البناء والتجديد لمواجهة التحديات، وبناء أسس التغيير الحضاري.

- العدالة السلبية:

أما العدالة السلبية فمدارها حول مبدأ تأديب غير المحقين بإنزال الجزاء والعذاب عليهم.

فهذا القسم، كما بين النورسي، لا يظهر بجلاء في هذه الدنيا كظهور قسم العدالة الايجابية، وإنما هناك إشارات تدل على حقيقته. يقول النورسي:" أما القسم السلبي فهو: تأديب غير المحقين، أي إحقاق الحق بإنزال الجزاء والعذاب عليهم". فهذا القسم وإن كان لا

(*)- سورة النحل، الآية ٩٠.

(١)- أنظر "العروة الوثقي"، جمال الدين الأفغاني، ص : ١٥٩-١٦٠.

(٢)- أنظر "صقيل الإسلام" ج٨، ص : ٤٤٦.

يظهر بجلاء في هذه الدنيا، إلا أن هنالك إشارات وإمارات تدل على هذه الحقيقة، خذ مثلا سوط العذاب وصفعات التأديب التي نزلت بقوم عاد وثمود بل بالأقوام المتمردة في عصرنا هذا، مما يظهر للحدس القطعي هيمنة العدالة السامية وسيادتها"[١].

إن خفاء هذا المبدأ في عالم الوجود يستند إلى الحكمة الإلهية والعدالة الربانية في إدارة وتسيير قانون العقاب، والثواب، والإنعام، والابتلاء. يشرح النورسي هذا المبدأ، انطلاقا من الحقيقة الثالثة التي سماها باب الحكمة والتي هي تجلي اسم "الحكيم والعادل"[٢]، يقول رحمه الله: "أمن الممكن لخالق ذي الجلال أظهر سلطان ربوبيته بتدبير قانون الوجود ابتداء من الذرات وانتهاء بالمجرات، بغاية الحكمة والنظام وبمنتهى العدالة والميزان... أن لا يعامل بالإحسان من احتموا بتلك الربوبية وانقادوا لتلك الحكمة والعدالة، وأن لا يجازي أولئك الذين عصوا بكفرهم وطغيانهم تلك الحكمة والعدالة" ؟ بينما الإنسان لا يلقى ما يستحقه من الثواب أو العقاب في هذه الحياة الفانية على وجه يليق بتلك الحكمة وتلك العدالة إلا نادرا، بل يؤخر، إذ يرحل أغلب أهل الضلالة دون أن يلقوا عقابهم، ويذهب أكثر أهل الهداية، دون أن ينالوا ثوابهم فلا بد أن تناط القضية بمحكمة عادلة وبلقاء آيل إلى سعادة عظمى"[٣].

إن مناط هذا العقاب والثواب الموصوف بحكمة التأخير والإلجاء، هو ماهية الإنسان وحقيقته المؤسسة على نعمة الاختيار والإرادة المودعة في ماهيته، فالإنسان الذي يقضي حياة قصيرة في هذه الدنيا الفانية، لا ينال ولن ينال حقيقة مثل هذه العدالة، وإنما تؤخر إلى محكمة كبرى، حيث تقتضي العدالة الحقة أن يلاقي هذا الإنسان الصغير ثوابه وعقابه لا على أساس صغره، بل على أساس ضخامة جنايته، وعلى أساس أهمية ماهيته، وعلى أساس عظمة مهمتة... وحيث إن هذه الدنيا العابرة بعيدة كل البعد عن أن تكون محلا لمثل هذه العدالة

---

[١]- أنظر "الكلمات"، ص : ٩١، الهامش.

[٢]- المصدر نفسه، ص : ٦٨.

[٣]- المصدر نفسه، ص : ٦٨.

والحكمة بما يخص هذا الإنسان – المخلوق لعبادة أبدية – فلابد من جنة أبدية، ومن جهنم دائمة للعادل الجليل ذي الجمال وللحكيم الجميل ذي الجلال. [1]

إذن يتضح من خلال هذه النصوص، أن العدالة السلبية مبدأ أساسي لتحقيق المساواة والحفاظ على الحقوق والواجبات التي تقع في الواقع الإنساني. فالنورسي بهذه الرؤية، يكشف عن حكمة تأخير الظالمين إلى المحكمة الكبرى، كما يعالج غمة المظلومين بنعمة الثواب السرمدي الخالد.

فالعدالة الإلهية مبدأ يحفظ لجميع الكائنات حقوقها، ويعاقب الكافر على فجوره وظلمه، ويضمن للمؤمن الثواب الباقي، يقول النورسي "إن الكفر إهانة وتحقير للكائنات جميعا، حيث يتهمها بالعبثية وانتفاء النفع. وهو تزييف تجاه أسماء الله الحسنى، لأنه ينكر تجلي تلك الأسماء على مرايا الموجودات. وهو تكذيب للمخلوقات جميعا، حيث يرد شهادة الموجودات على الوحدانية. لذا فإنه يفسد قوى الإنسان واستعداداته إلى درجة يسلب منه القدرة على تقبل الخير والصلاح. فالكفر إذن ظلم عظيم جدا، إذ هو تجاوز لحقوق جميع المخلوقات، ولجميع الأسماء الحسنى، لذا فحفاظا على هذه الحقوق، ولعدم تمكن نفس الكافر من قبول الخير، اقتضى حرمانه من العفو"[2]. والآية الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[3]. قانون أساسي لتحقيق العدالة في يوم الحساب

نستنتج مما سبق، أن تقسيم النورسي للعدالة من جهة السلبية والايجابية لا يخرج عن السياق القرآني الذي يقضي بإعطاء كل ذي حق حقه، وهو مراد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم

[1]– أنظر "الكلمات"، ص : ٧٠.

[2]– المصدر نفسه، ص : ٨٨، الهامش.

[3]– سورة لقمان، الآية ١٣.

﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۝٥٨﴾ .[1] وعقاب المسيئين وإثابة المحسنين وهو مراد قوله تعالى: ﴿ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ .[2]

كما أنه لا يتعارض مع المعاني اللغوية المتداولة في كتب اللغة، والتي عدت الإنصاف وعدم الجور من مشمولات العدالة.

٢. العدالة المحضة والعدالة الإضافية:

لقد بين النورسي حقيقة العدالة المحضة وتميزها عن العدالة الإضافية بحقيقتين:

الحقيقة الأولى: تتعلق "بمعركة الجمل" التي وقعت بين علي رضي الله عنه وجماعته، وبين طلحة والزبير وعائشة رضي الله منهما، حيث استند كل فريق منهما إلى نوع من العدالة.

الحقيقة الثانية: تقوم على أساس فهم الآيتين الكريمتين الأولى في سورة الإسراء وهي قوله تعالى: ﴿ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝١٥﴾[3] والثانية وهي قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[4].

يسوق النورسي مقاربة فكرية يعلل فيها الخلاف بين الصحابة على الأساس الاجتهاد المستند إلى نوعي العدالة "المحضة والإضافية"، ويثبت الأولى لعلي وأصحابه، والثانية للزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم، يقول النورسي: "لقد جعل سيدنا علي رضي الله عنه العدالة المحضة أساسا لسياسته في إدارة دفة الحكم، وسار بمقتضاها على وفق اجتهاده وبمثل ما كان الشيخان يسيران عليه من قبله"، أما معارضوه فقد قالوا: إن صفاء القلوب وطهارة النفوس في عهد الشيخين كانا ملائمين وممهدين لكي تنشر العدالة المحضة سلطانها على المجتمع، إلا أن دخول أقوام متباينة الطبائع والاتجاهات وهم على ضعف الإسلام بمرور الزمن في هذا المجتمع

---

[1]- سورة النساء، الآية ٥٨.

[2]- سورة فصلت، الآية ٤٦.

[3]- سورة الإسراء، الآية ١٥.

[4]- سورة المائدة، الآية ٣٢.

أدى إلى وضع عوائق مهمة إزاء الرغبة في تطبيق العدالة المحضة. فغدا تطبيقها صعبا، لذا فقد اجتهدوا على أساس العدالة النسبية التي هي اختيار لأهون الشرين.

ولكن لأن المنافسة حول هذين النوعين من الاجتهاد آلت إلى ميدان السياسة، فقد نشبت الحرب بين الطرفين؛ وحيث إن كل طرف قد توصل إلى اجتهاده بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ومصلحة الإسلام، ونشبت الحرب نتيجة هذا الاجتهاد الخالص لله فيصح أن نقول: القاتل والمقتول كلاهما من أهل الجنة، وكلاهما مأجوران مثابان[1].

يتبين من خلال هذا النص، أن العدالة الإضافية هي اختيار أهون الشرين، وأن العدالة المحضة هي اختيار العزيمة وحقائق الإسلام كما نص عليها القرآن صراحة؛ ولبيان هذه الحقيقة يشرح النورسي الحقيقة الثانية المستفادة من قوله تعالى: ﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا** ۝٣٢﴾[2] بقوله: "تشير الآية الكريمة إلى أن حق الشخص البرئ الواحد لا يبطل لأجل الناس جميعا، أي أن حقه محفوظ، فلا يضحى بفرد واحد لأجل الحفاظ على سلامة الجميع، إذ الحق هو حق ضمن إطار الرحمة الإلهية، فلا ينظر إلى كونه صغيرا أو كبيرا، لذا لا يغدى بالصغير لأجل الكبير، ولا بحياة فرد وحقه لأجل سلامة جماعة والحفاظ عليها، إن لم يكن له رضى في الأمر. أما إذا كانت تضحية برضاه ورغبة منه فهي مسألة أخرى.

أما العدالة الإضافية فهي أن يضحى بالجزء لأجل سلامة الجميع، فهذه العدالة لا تأخذ حق الفرد بنظر الاعتبار لأجل الجماعة، وإنما تحاول القيام بنوع من عدالة إضافية من حيث الشر الأهون. ولكن إذا كانت العدالة المحضة قابلة للتطبيق فلا يصار إلى العدالة الإضافية، وإن صار إليها فقد وقع الظلم. فالإمام علي رضي الله عنه قال: "إن العدالة المحضة قابلة للتطبيق، كما كان عليه في عهد الشيخين. لذا حاول بناء الخلافة الإسلامية على تلك القاعدة من

---

[1]- أنظر المكتوبات ج٢، ص : ٦٦.

[2]- سورة المائدة، الآية ٣٢.

العدالة المحضة. بينما معارضوه كانوا يقولون: إن هذه العدالة المحضة غير قابلة للتطبيق، حيث هناك عوائق ومشكلات كثيرة تظهر أثناء تطبيقها، فصار اجتهادهم إلى العدالة الإضافية"[1].

إذن يتضح من خلال الحقيقتين التي بنى عليهما النورسي وجه التفرقة بين العدالة المحضة والعدالة الإضافية، أن الفارق بينهما يتجلى في قاعدة مبناها، السؤال التالي: هل يضحى بالجزء من أجل سلامة الكل أو لا؟

فالعدالة المحضة تقضي بعدم التضحية والعدالة الإضافية تحكم بجواز التضحية.

إن هذا الإشكال لا يبقى عالقا في فكر النورسي، بل يوجهه أحسن توجيه، وفق قواعد الشرع ومقررات القرآن، حيث يعمل بمبدأ كل نوع من العدالة في مظانها المناسب دون الوقوع في سوء استخدام هذه القواعد أو الاتكاء عليها من أجل خدمة المصالح الشخصية يقول النورسي: "إن الدستور الغادر للسياسيين الظلمة الذي هو: " "يضحى بالفرد لآجل الجماعة" له وقائع وأحداث قاسية ظالمة تحت اسم "أهون الشرين" الذي اتخذه بعض الحكام نوعا من أنواع العدالة الإضافية وأبرزوه لمصلحة إدامة حكمهم. حتى في هذا العصر بموجب هذا الدستور الغادر يفني أحدهم قرية كاملة بخطأ شخص واحد فيها، ويهلك ألوف الناس لتوهم ضرر قد يلحق بسياستهم من جراء معارضة عشرة أشخاص.

وحيث إن هذا الدستور الغادر للسياسة قد دخل إلى حد ما بين المسلمين في العصور الإسلامية فقد آثر السلف الصالحون السكوت – مضطرين – أمام هذه الدساتير الرهيبة، فسدّ أئمة السنة والجماعة تلك الأبواب بقولهم : "طهر الله أيدينا فنطهر ألسنتنا"[2].

إن النورسي بهذا التوجيه الدقيق لمبدأ العدالة الإضافية، يضع حدا للظالمين الذين يلوون أعناق القواعد الإسلامية ويسخرونها في سبيل تحقيق مآربهم الشخصية، كما يصور الأزمات والمشاكل المعاصرة التي تقع في المجتمع الإسلامي بسبب سوء استخدام هذه القواعد أو تعمد الاتكاء عليها. وهو أمر خطير يؤثر في بناء السلم الاجتماعي ويشل نظام العلاقات الإنسانية،

---

[1]– أنظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٦٧.

[2]– أنظر "الملاحق" ج٧، ص : ٣٠١.

ويقوي الإرهاب الاجتماعي والدولي يقول: "فالعدالة القرآنية المحضة لا تهدر دم برئ ولا تزهق حياته حتى لو كان في ذلك حياة البشرية جمعاء". فكما أن كليهما في نظر القدرة سواء، فهما في نظر العدالة سواء أيضا، ولكن الذي تمكن فيه الحرص والأنانية يصبح إنسانا يريد القضاء على كل شيء يقف دون تحقيق حرصه حتى تدمير العالم والجنس البشري إن استطاع"[1].

وهذا الذي شرحه النورسي هو الذي نعيشه في الواقع المعاصر، فالغرب الغاصب يدمر المدن ويقتل الأطفال ويشرد النساء، ويقضي على أسس البلاد بناء على شبهة وجود عنصر ظالم فيها.

إن هذا المنطق الغربي في التعامل مع المخالف الذي يستند إلى عقدة الاستعلاء والأنانية والاعتداء القائمة على القوة، سيجر العالم إلى مزيد من الأزمات والمشاكل الإنسانية، وسيرفع من وتيرة الحروب ويعمق أصول الخلاف بين بني الإنسان. فحري بحنفاء الحضارة الغربية وعقلائها أن يستفيدوا من هذه التوجيهات، ويعملوا على إيصالها إلى الدوائر المتحكمة في السياسات الدولية، وإلا حل الدمار الشامل في ربوع العالم في مقبلات الأيام.

من خلال ما سبق، يتبين لنا أن النورسي يتميز بأصالة فكره المستنير بهداية القرآن، فهو في تقسيمه للعدالة إلى قسمين : قسم "العدالة المحضة والعدالة الإضافية" وقسم "العدالة الايجابية والعدالة السلبية"، لا يخرج عن مضامين الشريعة الإسلامية وقواعدها، وإنما يعتمدها أساسا لبناء اجتهاده في التفريع والتقسيم بغرض الكشف عن الوجه المشرق لقضية العدالة في الفكر الإسلامي، وأثرها في حل مشاكل الإنسان المعاصر.

إن النورسي بتقسيمه هذا، استطاع أن يعالج مجموعة من المشاكل الإنسانية تحت إطار كلي يتأسس على قاعدتين أساسيتين (السلبية والايجابية) و (الاطلاقية والنسبية). هذه القواعد في فكر النورسي تحتاج إلى بعد نظر، وحسن التأمل لوضعها في مكانها المناسب قصد تفسير الظواهر وممارسة الفعال، واكتشاف الحقائق، لتحقيق السلام والانسجام مع الكون وحقائقه، والإنسان ومطالبه دون الوقوع في شراك الظلم الذي يتعدى على حقوق الكائنات والإنسان

[1]- المكتوبات ج ٢، ص : ٦٠٨.

معا، مما يحتم ظهور بعض تجليات العدالة السلبية في واقع الإنسانية مثل الزلازل والحروب والمصائب وغيرها من البلايا.

المبحث الثاني:
مفهوم العدالة الاجتماعية عند النورسي

يشكل البعد الاجتماعي أساسا قويا يحرك مفهوم العدالة في مختلف الميادين الإنسانية لتحقيق الأمن الاجتماعي، والاستقرار النفسي.

والمتبع لما كتبه النورسي في شأن العدالة الاجتماعية يجده ينظر إليها نظرة شاملة تتعدى المدلول الاقتصادي، وتتجاوزه إلى المضمون الإسلامي الشامل لكافة الفروع المتعلقة بأسس النظام الاجتماعي وقواعده، وهو بهذا المنهج يتفق مع منهج سيد قطب في تناوله لقضية العدالة الاجتماعية في الإسلام، ويختلف مع المناهج الغربية في دراسة العدالة الاجتماعية[١] يقول سيد قطب رحمه الله: "وانفساح المجال في نظر الإسلام إلى الحياة وتجاوز القيم الاقتصادية البحتة إلى سائر القيم التي تقوم الحياة عليها يجعله أقدر على إيجاد توازن وتعادل في المجتمع، وعلى تحقيق العدالة في الدائرة الإنسانية كلها، ويعفيه من التفسير الضيق للعدالة كما تفهمها الشيوعية. فالعدالة في نظر الشيوعية: مساواة في الأجور، تمنع التفاوت الاقتصادي... والعدالة في نظر الإسلام مساواة إنسانية ينظر فيها إلى تعادل جميع القيم، بما فيها القيمة الاقتصادية البحتة، وهي على وجه الدقة تكافؤ في الفرص، وترك المواهب بعد ذلك تعمل في الحدود التي لا تتعارض مع الأهداف العليا للحياة"[٢].

وفي موضع آخر يقول: "إن التوازن الاجتماعي هو القاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإسلام بناء العدالة الاجتماعية التي ينهض على أساسها السلام الاجتماعي وكل ما مضى في هذا الفصل من تأمينات وضمانات لم يكن إلا مقدمات وأسبابا لتحقيق ذلك التوازن بصفة شاملة[٣].

---

[١]- أنظر "مفهوم العدالة الاجتماعية في الفكر الإسلامي المعاصر"، إحسان سمارة، دار النهضة الإسلامية، ط١، ١٩٩١م ص : من ٧٩ إلى ٩٥، حيث تناول العدالة الاجتماعية في النظم الوضعية وأثبت انحصار موضوعها في المدلول الاقتصادي.

[٢]- "العدالة الاجتماعية في الإسلام" سيد قطب، ص : ٣٠-٣١.

[٣]- "السلام العالمي والإسلام" سيد قطب، دار الشروق، ص : ١٤٣.

يتبين من خلال النصين، المنهج الشمولي الذي حكم سيد قطب في تناوله لقضية العدالة الاجتماعية وما يرتبط بها من حقائق، وهو ما نجده عند النورسي، وإن كان يختلف عنه في طبيعة صياغة الموضوع وترتيبه.

فالنورسي لم يخصص كتابا في الموضوع، كما فعل سيد قطب، وإنما تناول قضاياه في مواضع متفرقة مشيرا إلى فروعه ومصاديقه وقواعده. ويرجع السبب في هذا إلى طبيعة المنهج الذي يحكم النورسي في التأليف، حيث يقوم على بنية السابق واللاحق، فهو يجمل الحقائق في المثنوي، ويفصلها في الكلمات، ويختصر في المكتوبات، ويبسطها في الشعاعات، وهكذا؛ مما يتطلب من الباحث أن يضم السابق إلى اللاحق ويتناول الجميع بالدرس والتحليل وهو ما أفعله في هذه القضية التي تناولها في أكثر من موضع في رسائله وأثبت أن العدالة تشكل الركيزة الأساسية لتنظيم الحياة الاجتماعية، وتوجيها نحو التزكية الشاملة في كافة الميادين الإنسانية يقول النورسي، "إن الإنسان لا يعيش عيش الحيوانات، ولا يسعه ذلك، فهو محتاج لتحصيل حاجياته في مأكله، وملبسه، ومسكنه، إلى تلطيفها وإتقانها بصنائع جمة، لا يقتدر هو بانفراده عليها كلها، ولهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه، ليشاركوا فيتعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم. ولكن لتجاوز قوى الإنسانية على الآخرين – بسر عدم التحديد – تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي"[1].

وفي موضوع آخر، يعلل النورسي النكوص الحضاري الغربي، وسوء استخدامه وتسخيره لمنجزات العلم لفائدة الإنسانية عامة بعدم الاحتكام إلى قيم العدالة، والارتداد إلى النزاعات الشهوية التي تقود الإنسان إلى الظلم والطغيان، "لأن ما أنجزته هذه المدنية الحاضرة من خوارق – في ساحة العلم – نعم ربانية تستدعي شكرا خالصا من الإنسان على ما أنعم عليه، وتقتضي منه كذلك، استخداما ملائما لها لفائدة البشرية، ومنفعتهم بيد أننا نرى الآن خلاف ذلك، إذ تقود تلك الخوارق قسما من الناس الذين –لهم أهمية بالغة في الحياة– وتوردهم موارد الكسل والسفاهة... إذ أنها تذكي نار الأهواء النفسانية، وتثير كوامن النزاعات الشهوانية فتقعد

[1]– أنظر "صيقل الإسلام"، ص : ١٣٧–١٣٨.

الإنسان عن الكد والسعي وتثنيه عن الشوق إلى العمل، وتسوقه بعدم القناعة وعدم الاقتصاد إلى السفاهة والإسراف والظلم وارتكاب المحرمات"[١].

وفي اعتبار العدالة دستورا اجتماعيا ينظم حركة الاجتماع البشري على أساس المساواة في الحقوق والواجبات يقول النورسي: "إن شئت دساتير في المجتمع فدونك:

فالتماثل سبب مهم للتضاد،

وأما التناسب فهو أساس التساند،

منبع التكبر إظهار صغر النفس،

ومنبع الغرور ضعف القلب،

وقد أصبح العجز منشأ الخلاف[٢].

وفي موطن آخر، يقول النورسي: "اعلم أن "العدالة والاقتصاد والطهر" التي هي من حقائق القرآن ودساتير الإسلام، ما أشدها إيغالا في أعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدها عراقة وأصالة. وأدرك من هذا مدى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون، وكيف أنها مدت جذورا عميقة في أغور الكون فأحاطته بعرى وثيقة لا انفصام لها. ثم افهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنع كامتناع إفساد نظام الكون والإخلال به وتشويه صورته"[٣].

يتبين من خلال هذه النصوص، أن العدالة في فكر النورسي مفهوم شمولي كوني، يستغرق المعنى العام لسنة العبودية المودعة في عالم الآفاق والأنفس، فهي دستور اجتماعي وقانون إنساني كوني، يحكم أجزاء الكون وينظم حركة الاجتماع البشري، ويوجهها نحو الاستقرار النفسي والأمن الاجتماعي.

---

[١]- الملاحق، ص : ٣٧٩.

[٢]- الكلمات ج١، ص : ٨٧٣.

[٣]- أنظر "اللمعات" ج٣، ص : ٥٢٦.

إن العدالة، حسب تعبير النورسي، هي المبدأ المتغلغل في جميع شؤون الحياة الاجتماعية، والقانون الذي ينسجم مع حركات أجزاء الكون في أداء مهمة التسبيح والميزان العادل الذي يضبط حركة البشر. يؤكد سيد قطب رحمه الله، هذه الحقيقة في ضوء تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ ﴿٢٥﴾﴾[1] بقوله: "هذا الميزان الذي أنزله الله في الرسالة هو الضمان الوحيد للبشرية من العواصف والزلازل والاضطرابات والخلخلة التي تحيق بها في معترك الأهواء ومضطرب العواصف، ومصطخب المنافسة وحب الذات. فلا بد من ميزان ثابت يثوب إليه البشر فيجدون عنده الحق والعدل والنصفة بلا محاباة "ليقوم الناس بالقسط"... فبغير هذا الميزان الإلهي الثابت في منهج الله وشريعته، لا يهتدي الناس إلى العدل. [2]

إن هذا الميزان هو عين ما عبر عنه الإمام النورسي بمصطلح نظام العدالة[3]، ونظام هيئة البشر والميزان الحساس والعدل العادل[4] والدستور الاجتماعي الذي يتغلغل في جميع جنبات الحياة، ولا يترك مجالا فارغا للأهواء والنزاعات تدير أمور الحياة، بل يسيرها جميعا نحو تحقيق العبودية، والقضاء على الفساد في الأرض.

إذن، نستنتج مما سبق، أن الطريقة التي عالج بها النورسي موضوع العدالة الاجتماعية، تتناسب مع تعقد الحياة الاجتماعية، وتطور الأساليب والأدوات التي يمكن أن يستخدمها الظالمون، وتطور مفاهيم المجتمع المتحضر. كل ذلك منح لقيمة العدل أبعادا جديدة تتجاوز إلى أبعد حدود العدل بين خصمين متنازعين والقسم بين زوجتين، وأضحى يتجلى في الثقافات المعاصرة في العديد من الرموز والأفكار والنظم والإجراءات[5] وفيما يلي أتناول الخطوط الكبرى لتطبيق العدالة الاجتماعية في الواقع المعاصر.

---

[1]– سورة الحديد، الآية ٢٥.

[2]– في ظلال القرآن الكريم سيد قطب، دار الشروق ط ٣، ٢٠٠٥، ص : ١٤٢٥ ج٦، ص : ٣٤٩٤.

[3]– أنظر "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز النورسي"، ص : ٩٩–١٠٠.

[4]– أنظر "المثنوي" ج٦، ص : ٢١٢ بتصرف.

[5]– تجديد الوعي، الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكار، دمشق : دار القلم ، ط١، ٢٠٠٠م، ص : ٢٥٢.

المبحث الثالث:
آليات تطبيق العدالة الاجتماعية عند النورسي

انطلاقا من المعنى الشمولي لمفهوم العدالة الاجتماعية في فكر النورسي نحاول الكشف عن القواعد الأساسية لإيجاد العدالة الاجتماعية في حياة الناس، من خلال ما تفرق في رسائل بديع الزمان من قضايا تتعلق بهذا الموضوع.

ومن الإنصاف، أن نذكر حقيقة مفادها أن النورسي لم يستعمل مصطلح العدالة الاجتماعية ولم يتناولها بشكل منهجي منظم، كما فعل سيد قطب، وإنما جعلها مفتاحا ومقصدا كبيرا، يعالج على ضوئها جملة من القضايا المتعلقة بحقائق الكون، والحياة والإنسان.

لقد لجأ النورسي لبيان مفهوم العدل وحقائقه الشاملة، إلى نظرية أفلاطون في الفضائل الأربع، وهي أي العفة، والشجاعة، والحكمة، والعدل، وإلى نظرية "أرسطو" في مفهوم الفضيلة باعتبارها وسطا بين الإفراط والتفريط[1] والمتأمل في رسائل النور، يجد هذه الحقيقة ماثلة في تفسير النورسي لمسألة "الصراط المستقيم" يقول رحمه الله: "أعلم أن الصراط المستقيم هو العدل الذي هو ملخص الحكمة والعفة والشجاعة اللاتي هي أوساط للمراتب الثلاث للقوى الثلاث.

توضيحه: إن الله عز وجل لما أسكن الروح في البدن المتحول المحتاج المعروض للمهالك أودع لإدامتها فيه قوى ثلاثا:

إحداها: القوة الشهوية البهيمية الجاذبة للمنافع.

وثانيها: القوة الغضيبة السبعية الدافعة للمضرات والمخرّبات.

وثالثتها: القوة العقلية الملكية المميزة بين النفع والضر. لكنه تعالى –بحكمته المقتضية لتكمل البشر بسر المسابقة– لم يحدد بالفطرة تلك القوى، كما حدد قوى سائر الحيوانات،

---

[1]– أنظر "فصل المقال فيما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال عند الحكيم بديع الزمان"، مشاركة طه عبد الرحمان ضمن كتاب الإسلام على مفترق الطرق رحلة في حياة وفكر بديع الزمان سعيد النورسي حرره وقدم له الأستاذ الدكتور إبراهيم ربيع ونقله إلى العربية محمد فاضل، ص : ٣٣٥ بتصرف.

وإن حدَّدها بالشريعة؛ لأنها تنهى عن الإفراط والتفريط، وتأمر بالوسط، يصدع عن هذا "فاستقم كما أمرت" وبعدم التحديد الفطري يحصل مراتب ثلاث: مرتبة النقصان وهي التفريط، والزيادة وهي الإفراط، والوسط هي العدل.

فتفريط القوة العقلية الغباوة والبلادة، وإفراطها الجربزة[1] الخادعة والتدقيق في سفاسف الأمور، ووسطها الحكمة[2] ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ٢٦٩﴾"[3].

إن هذا النص يكشف لنا منهج النورسي في طريقة تعامله مع التراث الإنساني، فهو لا يرفضه، بل ينفتح عليه، ويستفيد منه في ضوء مقررات القرآن الكريم، ويوظفه في منهجه التأليفي، بحسب ما يخدم الحقائق الإسلامية ولا يتعارض معها، وهذا ما نجده حاضرا في هذه المسألة.

لقد شرح النورسي مفهوم ، وأبان عن بعض حقائقه، من خلال تقسيمات الفلسفة اليونانية في إطار قرآني كلي، يتجلى في ثابت الاستقامة والوسطية المقتضي للعدالة. وكأني بالنورسي بهذا التوظيف يريد أن يقول: "إن العدالة هي الوسطية والاستقامة في كل الأمور فلا إفراط ولا تفريط".

إن هذا المنهج المؤسس على قواعد الإسلام والمنفتح على تراث الإنسان في قضية تناول حقائق الإسلام، يجعل الكشف عن قواعد تطبيق العدالة الاجتماعية في الواقع الإسلامي، محتاجا إلى استقراء النصوص وتخريجها وتنقيحها وتحقيقها ثم ترتيب قضاياها وفق ما يتطلبه البحث، وهو ما قمت به في هذا الموضوع. وقد توصلت إلى جملة من الآليات والقواعد الأساسية لبناء العدل الإجتماعي في الواقع المعاصر أصوغها وفق العناوين والمضامين الآتية بحسب ما يقتضيه منهج البحث والدراسة الذي يروم الكشف عن الأسس والقواعد التي بنى

---

[1]- الجربز بالزاي، الخب وهو دخيل، انظر كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم القاضي العلامة نشوان بن سعيد الحميري ج٢، ص : ١٠٥٩. باب الجيم والراء وما بعدها، وانظر تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ج١، ص :٥٧١، قال الأزهري الجربز هو الخب من الرجال.

[2]- أنظر "إشارات الإعجاز"، ص : ٣٢.

[3]- سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

عليها بديع الزمان تصوراته للعدالة الإجتماعية من خلال ثلاثة كتب : المتلو[١] والكتاب المنطوق[٢] والكتاب المنظور[٣].

[١]– الكتاب المتلو هو القرآن الكريم.

[٢]– الكتاب الناطق : محمد عليه الصلاة والسلام.

[٣]– الكتاب المنظور : الكون.

لقد استطاع النورسي أن يحرك هذه الكتب الثلاثة لبيان مفهوم العدل وشموليته لقضايا الإنسان والكون والحياة وهو ما جعل الدكتور محسن عبد الحميد يشهد له بالتجديد والإضافة في علم الكلام القرآني. أنظر من معالم التجديد عند النورسي : الدكتور محسن عبد الحميد، ص : ٢٦.

❖ القاعدة الأولى: الالتزام بمبدأ الإنصاف والأخوة الإسلامية في العلاقات الاجتماعية:

إن أخطر ما يواجه المجتمعات الإنسانية عامة، والمجتمع الإسلامي خاصة من مشاكل هو فساد علاقتها الاجتماعية، وتفكك روابطها الأخوية، وذوبان وحدتها، وشيوع روح الحرص والأنانية والفردانية في روح أفرادها، وهو ما أدركه النورسي، وحاول أن يضع له حدا، انطلاقا من مجموعة من الحقائق التي استمدها من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ومن عمق تجربته في الحراك الاجتماعي الذي طغت فيه المادية، وانقطعت علاقات المحبة والأخوة الإسلامية، وشاع داء الاستئثار، والحقد، والعداء، والحسد، وغيرها من الأخلاق المدمرة لقوة المجتمع وتسانده وتعاونه.

لقد حاول النورسي بعمق تفكيره، أن يسطر بنودا ودساتير هامة، تشد أسس المجتمع الإسلامي، وتبني روابطه على قيم العدل، والرحمة، والتعاون، والتساند في ضوء القرآن الكريم وسنن الاجتماع الإنساني، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴿١٠﴾﴾[1] ويقول أيضا ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[2] ويقول كذلك ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[3].

من منطلق هذه الآيات يتحدث النورسي عن آثار العداء والحقد، والبغضاء وسائر الأمراض النفسية ويبين ما يترتب عليه من مظالم تفسد حياة البشر الشخصية، والاجتماعية، والمعنوية في ستة أوجه نتناولها بالدرس والتحليل في ما يلي:

الوجه الأول: أثبت النورسي في هذا الوجه، الميزان العادل في تعامل الأفراد بعضهم مع بعض والذي يقوم على أساس تعظيم الحسنات على السيئات، وهو ميزان قرآني، قال الله

---

[1]- سورة الحجرات، الآية ١٠.

[2]- سورة فصلت، الآية ٣٤.

[3]- سورة آلا عمران، الآية ١٣٤.

تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.[1]

انطلاقا من هذه الآية الكريمة يسوق النورسي كلاما عجيبا: "فيا من امتلأ صدره غلا وعداء لأخيه المؤمن، ويا عديم المروءة ! هب أنك في سفينة أو في دار معك تسعة أشخاص أبرياء ومجرم واحد. ورأيت من يحاول إغراق السفينة أو هدم الدار عليكم، فلا مراء انك – في هذه الحالة – ستصرخ بأعلى صوتك محتجا على ما يرتكبه من ظلم قبيح، إذ ليس هناك قانون يسوغ إغراق سفينة برمتها تضم مجرمين طالما فيها بريء واحد.

فكما أن هذا ظلم شنيع وغدر فاضح، كذلك انطواؤك على عداء وحقد مع المؤمن الذي هو بناء رباني وسفينة إلهية، لمجرد صفة مجرمة فيه، تستاء منها أو تتضرر، مع أنه يتجلى بتسع صفات بريئة، بل بعشرين منها: كالإيمان والإسلام والجوار...إلخ: فهذا العداء والحقد يسوقك حتما إلى الرغبة ضمنا في إغراق سفينة وجوده، أو حرق بناء كيانه. وما هذا إلا ظلم شنيع وغدر فاضح"[2].

إن هذا التمثيل للمؤمن بالسفينة الربانية غاية في الأهمية، يكشف لنا عن المنهج المتبع في معالجة الاختلالات والعطوب التي تقع في العلاقات الاجتماعية، الذي يتمثل في تحقيق عدالة شخصية تقوّم البناء الفردي بحسناته وسيئاته؛ فتغلب الحسنات من حيث نسبتها إلى الله وتُخْسر السيئات من حيث نسبتها إلى الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

فالشخص الذي يرى نفسه بهذا المنظار، يكون العدل حليفه أثناء تعامله مع الآخرين، والذي لا يحقق العدالة القرآنية في الحكم على نفسه، يسقط في شراك الاعتداء على حقوق إخوانه المؤمنين، وبذلك ينخرم نظام العدالة الاجتماعية، انطلاقا من الفرد ذاته إلى الجماعة ذات الأسرة الواحدة، إلى السفينة الإنسانية ذات الأصل الواحد.

---

[1]– سورة فصلت، الآية ٣٤.

[2]– المكتوبات ج٢، ص : ٣٤٠.

وهذا التصور الشامل لإدارة العلاقات الاجتماعية، من شأنه أن يكون مدخلا أساسيا لعملية الإصلاح الاجتماعي المعاصر الذي يعاني من أمراض الفرقة والتشتت في الأهداف والجهود؛ مما نتج عنه انعدام السلم والأمن والأمان بين أفراد المجتمع الواحد.

إن غياب الإنصاف الذي ينطلق من الذات، هو مناط الاختلال الاجتماعي المعاصر. قال عمار رضي الله عنه : ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار. [١] فهذه القيم الثلاث تعبر عن حقيقة الإيمان وأثره في بناء الترابط الاجتماعي وفق الإنصاف وبذل السلام والتعاون الإحساني، وتشكل كبرى القواعد الأساسية للبناء الاجتماعي المتماسك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"[٢] وفي حديث آخر: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعض ثم شبك بين أصابعه"[٣].

تلكم هي القواعد النبوية للحفاظ على تماسك المجتمع، وتقوية روابطه، وتحصينه من عوامل الفرقة والانشقاق الداخلي، وتوجيه أفراده إلى التعاون والتراحم ضمن دائرة إحقاق الحق وتحقيق العدالة.

الوجه الثاني: يدعو فيه النورسي إلى بناء المجتمع الإسلامي على قاعدة المحبة، والمودة ونبذ العداوة والبغضاء من وحي قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"... [٤]

---

[١]– الحديث أورده الإمام البخاري معلقا في كتاب الإيمان باب إفشاء السلام من الإسلام.

[٢]– الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

[٣]– أخرجه البخاري في كتاب الآداب باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

[٤]– أخرجه الإمام البخاري في كتاب الاستئذان باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، والإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي.

ولتحقيق هذه الدعوة في أرض الواقع، وإثبات معقوليتها وأهميتها في بناء المجتمع الإسلامي العادل في علاقاته الإنسانية، يبرهن النورسي على ذلك بقاعدة اجتماعية تشكل إحدى القوانين الإنسانية، في علم الاجتماع التواصلي. وهذه القاعدة يمكن صياغتها على الشكل التالي: إن الإعراض عن الوحدات المشتركة، المكونة للمجتمع من دين ونبوة ونظام في سبيل تحقيق نزوة نفسية أثناء التعامل مع ، وتقويم أخطائهم ظلم عظيم في قانون العلاقات الاجتماعية يقول النورسي: "نعم إن الإيمان بعقيدة واحدة، يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه، تقتضي وحدة المجتمع. فأنت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد، وبعلاقة صداقة معه إن كنت تعمل معه تحت امراة قائد واحد بل تشعر بعلاقة أخوة معه لوجودكما في مدينة واحدة، فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة ما تبلغ عدد الأسماء الحسنى. فيرشدك مثلا إلى: أن خالقكما واحد، مالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد... نبيكما واحد، ودينكما واحد، وقبلتكما واحدة... وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة.

فلئن كان هناك إلى هذا القدر من الروابط التي تستدعي الوحدة والتوحيد والوفاق والاتفاق والمحبة والأخوة، ولها من القوة المعنوية ما يربط أجزاء الكون الهائلة، فما أظلم من يعرض عنها جميعا ويفضل عليها أسباب واهية أوهن من بيت العنكبوت. [1]

إن هذا النص، يكشف مدى عمق التصور الشمولي للنورسي في قضية البناء الاجتماعي، ومحاربة عوامل الاحتراب الداخلي والتفكيك النسيج الاجتماعي انطلاقا من جامعية الانتماء الحضاري الذي يقوم على وحدة العقيدة، ووحدة النظام الأخلاقي والسياسي والاقتصادي. كما يضع مقاييس للحكم على المجتمع الإسلامي والإنساني بالصحة أو المرض.

[1]- أنظر المكتوبات ج٢، ص : ٣٤٠-٣٤١ بتصرف.

فالمجتمعات ترتقي وتتزكى علاقاتها الاجتماعية بقدر تفاعل أفرادها مع الوحدات المكونة للنسيج الاجتماعي، تفاعلا ايجابيا يهدف إلى إيجاد المحبة والتعاون بين الجميع من أجل تحقيق المصالح المشتركة في ضوء وحدة الدين والنظام.

كما أنها تنحط وتتلاشى، بسبب عدم مراعاة أفرادها للأبعاد الكبرى المكونة للبناء الاجتماعي أثناء تعاملهم مع الآخرين، وأمام وقوع بعض الأخطاء التي تخالف أغراضهم ومصالحهم الشخصية؛ فيقعون في شراك الظلم والطغيان النابع من بؤرة العداء والبغضاء، فتنشأ بذلك عوامل التفكك الاجتماعي.

إن المجتمع الصحيح، حسب رؤية النورسي، هو الذي يملك أفراده القدرة على التكيف مع الاختلالات الاجتماعية، والأخطاء الفردية تكيفا إيجابيا يقوم على تقوية العناصر الايجابية في الفرد وتفعيلها نحو تحقيق الأهداف الكبرى للمجتمع الإسلامي، وتحقير العناصر السلبية والصفات المذمومة وعدم اعتمادها قاعدة في التعامل مع الآخرين ومحاولة علاج هذه الصفات بالحكمة وبنصرة الظالم والمظلوم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قالوا: يا رسول الله، هذا تنصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟ قال: تأخذ فوق يديه"[1]، وفي لفظ آخر: قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره[2].

هكذا تقوم الروابط الاجتماعية على النصرة والتعاون، في ضوء الوحدة الدينية والانتماء الحضاري، العام فيصبح العدو المؤمن صديقا من حيث إيمانه، وانتسابه إلى الله عز وجل، فتتحقق معاني الأخوة، وتعلو فوق المصالح الأنانية، معلنة الدستور القرآني الذي يقوم على الإصلاح من وحي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[3].

---

[1]- الحديث أخرجه البخاري في كتاب المظالم باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما، وأخرجه الإمام الترمذي: في كتاب الفتن عن أنس وقال حديث حسن صحيح.

[2]- أنظر الإمام أحمد في مسنده، ج١٩، ص : ١٤.

[3]- سورة الحجرات، الآية ١٠.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضى الله سبحانه ورضى الخصمين، فهذا أعدل الصلحذ، وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل، فيكون المصلح عالما بالوقائع، عارفا بالواجب قاصدا للعدل. فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم[1].

وهذا الذي عبر عنه ابن قيم الجوزية استند فيه إلى ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم "في أهمية الصلح في البناء الاجتماعي، ودوره في الحفاظ على الدين الإسلامي".

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا: بلى، قال: "صلاح ذات البين، "فإن فساد ذات البين هي الحالقة"[2].

الوجه الثالث: هذا الوجه مداره حول الآية الكريمة في سورة الأنعام : ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾[3]، يقول النورسي: تفيد الآية الكريمة، العدالة المحضة، أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة غيره[4]، وهذا المبدأ الإسلامي في نظام العقوبات الدنيوية والأخروية، له آثار ايجابية على نظام العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، حيث يحصر العقاب في دائرة الفرد المجرم، ولا يعدّيه إلى أقاربه وذويه حفاظا على شبكة الصلات الاجتماعية، وتحقيقا للأمن الاجتماعي، وعصمة من فتنة الاحتراب الداخلي، والتهارش والافتتان القبلي، يقول النورسي: "فاعلم ! أن المفاسد التي هي سبب العداء والبغضاء كثيفة في نظر الحقيقة، كالتراب والشر نفسه، وشأن الكثيف أنه لا يسري ولا ينعكس إلى الغير – إلا ما يتعلمه الإنسان من شر الآخرين – بينما البر والإحسان وغيرهما من أسباب المحبة فهي لطيفة كالنور وكالمحبة نفسها، ومن شأن النور الانعكاس والسريان إلى الغير. ومن هنا سار في عداد الأمثال: "صديق الصديق صديق" وتجد الناس يرددون "لأجل عين ألف عين تكرم"، فيا أيها المجفف ! إن كنت تروم

---

[1]– إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزي، ص : ١١٣.

[2]– هذا الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وقال حديث صحيح، وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأدب باب إصلاح ذات البين.

[3]– سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

[4]– المكتوبات ج٢، ص : ٣٤٢.

الحق، فالحقيقة هي هذه، لذا فإن حلمك عداء مع أقارب ذلك الذي تكره صفة فيه، وحقدك على ذويه المحبوبين لديه، خلاف للحقيقة وأي خلاف!"[1].

إن هذه الفلسفة في ربط علاقة الاختلالات الفردية، بنظام الشبكة الاجتماعية في فكر النورسي، كما سطرناه، يحتاج إلى حسن التوجيه والتوظيف، بما يتوافق مع نظام المسؤولية في الإسلام، والذي يجعل مبدأ "لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة غيره" مبدأ نسبيا له تطبيقاته الخاصة في مجالات معينة خاصة فيما يتعلق بالأمور العقابية الدنيوية، أما فيما يتعلق بالأمور العقابية الأخروية، فالعدالة الإلهية تقضي بالدستور القرآني الذي يحمل مسؤولية الانحدار الاجتماعي إلى الجميع، انطلاقا من واجب التدافع قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ** ﴿٢٥١﴾﴾[2] يقول الشيخ محمد عبد الله دراز : "ألم تسمع إلى العقل البليغ الذي صورت به الحكمة النبوية مسؤولية الجماعة عن غواية أفرادها. روى البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: "مالك! قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء. فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجّوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه واهلكوا أنفسهم".[3] بل ألم تسمع إلى العبرة البالغة فيما قصه الله علينا من بني إسرائيل ﴿**لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾**﴾[4] ولسائل أن يسأل أي دخل للبرئ منا في صدور الجريمة عن المجرمين؟.

---

[1]- أنظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٣٤٢.

[2]- سورة البقرة، الآية ٢٥١.

[3]- الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الشهادات باب القرعة في المشكلات.

[4]- سورة المائدة، الآية ٧٨-٧٩.

ونحن نجيب، بأن المسؤولية في هذه المرحلة ضرب قائم بنفسه، ليس من جنس المسؤولية في المراحل السابقة، بل يجئ من ورائها، ذلك أن سكوتنا عن المنكر والباطل ليس تسببا في أصل وقوع المنكر، لأنه وقع بغير تدخل منا، ولكن السكوت عنه تسبب في بقائه، واستمراره، أو تكراره وتجدده أو شيوعه وانتشاره[1]. ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾[2].

إذن، من خلال هذه الدساتير التشريعية نستعمل "مبدأ لا يجوز معاقبة الإنسان بجزيرة غيره"، في المجال الذي يتعلق بالعقاب المادي لشخصية المجرم ولا نتخذه مبدأ مطلقا يرفع عنا تكاليف الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويقتل روح الفاعلية والغيرة في نظام العلاقات الاجتماعية، ويكرس فيها عقدة التخلص من المسؤولية والهروب من الواجب، وبهذا المنظار يوجه كلام النورسي في مسألة العقاب التوجيه السديد وينتفي الإجمال والإبهام، ويتحقق مناط تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝١٦٤﴾.[3]

الوجه الرابع: يبين النورسي هذا الوجه في أربعة دساتير اجتماعية، تنظم حركة الإنسان في مجتمعه، وتضبط خصائصه النفسية، ونزواته العصبية تجاه أعدائه، وتوجه بغضه وعداوته نحو تحقيق الرشد السلوكي، والأمن الاجتماعي.

ويمكن صياغة هذه الدساتير على الشكل الآتي:

الدستور الأول: عدم الاعتداد بالرأي واحترام رأي الآخرين.

يقول النورسي: "عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول: "إن مسلكي حق أو هو أفضل"، ولكن لا يجوز لك أن تقول: "إن الحق هو مسلكي أنا فحسب"

---

[1]- دراسات إسلامية في العلاقات الدولية والاجتماعية، د. محمد عبد الله دراز، تحقيق أحمد مصطفى فضيلة، كويت : دار القلم للنشر، ط ٥ ٢٠٠٣ ص : ١٦٦-١٦٧.

[2]- سورة الإسراء، الآية ٣٨.

[3]- سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

لأن نظرك الساخط وفكرك الكليل لن يكونا محكا ولا حكما يقضي على بطلان المسالك الأخرى. [1] وقديما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا عين الرضا[2]

إن هذا المبدأ الإسلامي في إدارة الخلاف الفكري، يشكل إحدى القواعد الأساسية لضبط الخلاف بين المسلمين، وتوجيهه نحو خدمة الغايات المشتركة والأساسات الكبرى للمجتمع الإسلامي، يساهم في بناء التعاون المعرفي المشترك في ضوء الوحدة الإيمانية والانتماء الحضاري الموحد، كما يجنب الأمة الإسلامية المخاطر الكبرى الناتجة من قبل الاعتداد بالرأي والتعصب له.

الدستور الثاني: الالتزام بمبدأ الحق في كل الأقوال وعدم إذاعة كل الحقائق.

يقول النورسي: "عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن ليس لك أن تذيع كل الحقائق، وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صوابا أن تقول كل صدق. لأن من كان على نية غير خالصة – مثلك – يحتمل أن يثير المقابل بنصائحه فيحصل عكس المراد". [3]

يستفاد من هذا النص: أن تبليغ الحقائق للناس، وتوجيهه نحو الرشاد والسداد، لابد أن يقوم على شعبة الصدق والحكمة، فالصدق في الكلام، والحكمة في انتقاء الأطايب منه كما ينتقى أطايب التمر، رعاية لمصلحة المخاطب، وتجنبا لمفاسد سوء الظن التي تنشأ عن تأويل الكلام وحمله على غير حقيقته ومقصوده، وهذا المنهج كفيل بأن يحفظ الود والمحبة بين الطرفين، ويحقق الغرض المقصود من الخطاب والدعوة. يقول محمد فتح الله كولن: "نعم المبلغ يعرف جيدا أوضاع مخاطبه، فيبتعد كليا عن كل ما ينفره من أسلوب أو تصرف. فما يبلغ إلا أمورا سامية طاهرة. ولاشك أن من يبلغ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه واليوم

---

[1]– أنظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٣٤٢-٣٤٣.

[2]– أنظر "ديوان الشافعي"، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ص : ١٣٩.

[3]– أنظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٣٤٢.

الآخر ويحبب ذلك إلى قلب مخاطبه، ويقدر مدى أهمية عمله؛ فيقوّم أحواله وأطواره وتصرفاته وفق تلك الأهمية[١].

وفي نفس السياق يؤكد هذه الحقيقة سيد قطب رحمه الله، في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ١٢٥﴾[٢] يقول: "والدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة، حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه"[٣]. فالرفق في الكلام هو السبيل القويم إلى كسب الناس والتأثير فيهم، كما أن الصدق في التبليغ هو الطريق الحسن لتغيير قلوبهم وعقولهم وشحذها بالإيمان والمعرفة.

الدستور الثالث: "دفع سيئة المسلم بالحسنة وتوجيه عدائه إلى الكفر والزندقة والنفس الأمارة بالسوء.

يشرح النورسي هذه القاعدة بقوله: "إن كنت تريد أن تعادي أحدا فعاد ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها واستئصال شأفتها. وحاول أن تعادي من هو أعدى عدوك وأشد ضررا عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك فقاوم هواها، واسع إلى إصلاحها، ولا تعاد المؤمنين لأجلها. وإن كنت تريد العداء أيضا فعاد الكفار والزنادقة، فهم كثيرون. وأعلم أن صفة المحبة محبوبة بذاتها جديرة بالمحبة، كما أن خصلة العداوة تستحق العداء قبل أي شيء آخر... وإن أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة، فبه تخمد نار الخصومة... فتسوقه إلى الندم، وقد يكون صديقا حميما لك، إذ أن من شأن المؤمن أن يكون كريما، فإن أكرمته فقد ملكته وجعلته أخا لك، حتى لو كان لئيما –ظاهرا– إلا أنه كريم من حيث الإيمان". [٤]

---

[١]– طرق الإرشاد في الفكر والحياة محمد فتح الله كولن، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، تركيا : مطبعة جاغلايان/ أزمير، ط ١ ٢٠٠٣، ص : ١٢٥.

[٢]– سورة النحل، الآية ١٢٥.

[٣]– أنظر "في ظلال القرآن" سيد قطب، ج٤، ص : ٢٢٠٢.

[٤]– أنظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٣٤٣ بتصرف.

إن هذا التصور النورسي لطبيعة العلاقات الاجتماعية حري بأهل الإصلاح والتغيير أن يسعوا إلى تطبيقه ونشره لمعالجة مشاكل الفرقة والتمزق التي يعاني منها مجتمعنا المعاصر نتيجة لتوافه الأمور والخلافات الجانبية المستندة إلى النفس الأمارة بالسوء.

فالنورسي، يتخذ من ذات الإنسان ونفسه مدخلا أساسيا لمعالجة الأمراض الاجتماعية، ويعتبر العداوة الحقيقية هي مخالفة النفس الأمارة بالسوء، وكراهية الكفر والزندقة، أما ما يقع فيه الناس من بغض وعداوة نتيجة اختلاف مصالحهم وميولاتهم، فهو ظلم يسوق المجتمع إلى التفكك ويتعارض مع الدساتير القرآنية[1] التي تقول: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ۝٧٢﴾[2] ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٤﴾[3] ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤﴾[4] فالمعاملة القائمة على التسامح والدفع بالتي هي أحسن، ومخالقة الناس بخلق حسن، إنما هو قانون اجتماعي في نطاق نصرة الحق، ودفع الفساد على أن لا يظن أن هذا ضعف يؤدي إلى نصرة الباطل، إذ في هذه الحالة، لا مودة ولا محبة، إذ الذين يحادّون الله ورسوله. [5]

الدستور الرابع: إبصار الإنسان عيوب نفسه ومعرفة عواقب العداوة والبغضاء.

يبين النورسي في هذا الدستور أن الحقد والعداوة والحسد تضر صاحبها، وتوقع نفسه في عذاب أليم، كلما رأى نعمة حلت بخصمه، ومن ثم يسقط في شراك السخط على قدر الله، وتجاوز حدود رحمته التي أعطاها لخصمه ومحسوده، يقول النورسي: "ترى هل هناك إنصاف يرضى أن يمتلئ صدر المؤمن لسنة كاملة غيظا وحقدا على أخيه لشيء جزئي تافه لا يساوي

---

[1]- المصدر نفسه، ص : ٣٤٣ بتصرف.

[2]- سورة الفرقان، الآية ٧٢.

[3]- سورة التغابن، الآية ١٤.

[4]- سورة فصلت، الآية ٣٤.

[5]- أنظر "مؤسسة العدالة في الشريعة الإسلامية"، دكتور عبد السلام التونجي، منشورات طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، ط١ ١٤٠٢- ١٩٩٣، ص : ١٦.

العداء عليه ليوم واحد؟ علما أنه لا ينبغي أن تنسب السيئة التي أتتك من أخيك المؤمن إليه وحده وتدينه بها لأن:

أولا: القدر الإلهي له حظ في الأمر، فعليك أن تستقبل حظ القدر هذا بالرضى والتسليم.

ثانيا: إن للشيطان والنفس الأمارة بالسوء حظهما كذلك، فإذا ما أخرجت هاتين الحصتين لا يبقى أمامك إلا الإشفاق على أخيك، بدلا من عدائه، لأنك تراه مغلوبا على آمره، أمام نفسه وشيطانه، فتنتظر منه بعد ذلك الندم على فعلته، وتأمل عودته إلى صوابه.

ثالثا: عليك أن تلاحظ في هذا الأمر تقصيرات نفسك، تلك التي لا تراها، أو لا ترغب أن تراها، فاعزل هذه الحصة أيضا من الحصتين السابقتين الباقي حصة ضئيلة، فإذا استقبلتها بهمة عالية وشهامة رفيعة، أي بالعفو والصفح، تنجو من ارتكاب ظلم وتتخلص من إيذاء أحد. [1]

يتضح من كلام النورسي، أن العداء والحسد يتعمق في العلاقات الاجتماعية، نتيجة غياب المعرفة بالقدر الإلهي، وعدم مواجهة الإنسان لوساوس الشيطان وتقصيرات نفسه الأمارة بالسوء، وهي موطن نار الحسد الذي يأكل كل أخضر ويابس، وتتفكك به أواصر الأمة كما تنفرط حبات العقد، ويرتع بأرجائه إبليس وذريته، ويزين له الأعمال، ويأخذ به بعيدا عن حبل الله المتين، وصراطه المستقيم[2] فيصبح إنسانا تنطبق عليه صفة "ظلوما جهولا"، ويكون أشبه بذلك اليهودي الأحمق الذي صرف أموالا طائلة لقطع زجاجة لا تساوي شيئا، وبلورات ثلجية لا تلبث أن تزول، ظنا منه أنها ألماسى.

يقول الحافظ الشرازي: "إن الدنيا كلها لا تساوي متاعا يستحق النزاع عليه".

---

[1]- أنظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٣٤٤-٣٤٥ بتصرف.

[2]- الإنسان كما فطره الله رؤى في دعائم نهضة الأمم وبناء الحضارة نبيل عبد اللطيف، الهيئة العامة للكتاب ط ٢٠٠٠، ص: ٧٢ بتصرف.

ويقول أيضا: "نيل الراحة والسلامة في كلا العالمين توضحه كلمتان: معاشرة الأصدقاء بالمروءة والإنصاف ومعاملة الأعداء بالصفح والصفاء". [1]

هكذا سطر النورسي جملة من الدساتير الاجتماعية، انطلاقا من القرآن الكريم ومن عمق تأمله في الطبيعة الإنسانية، وما تحمله من خصائص وميزات يمكن توظيفها لتوجيه العلاقات الاجتماعية نحو الرشد الأخلاقي، والتعاون الايجابي، والتفاعل الإنساني المشترك، في ضوء مجتمع المودة، والمحبة، والتعاون، والتعارف، والتسابق من اجل الارتقاء والنمو لبلوغ مقام الشهادة على العالمين.

الوجه الخامس: في هذا الوجه، يضع النورسي مجموعة من المطالب، لابد من تحقيقها لتوجيه الخلاف بين المسلمين نحو الايجابية، والتفاعل والتعاون المشترك، وهذه المطالب نجملها في الثوابت الآتية :

١. عدم الطعن في مسالك الآخرين.

٢. ضبط الاختلاف في إطار الوحدة في الأساسات والغايات.

٣. الاحتكام إلى دستور "الحب في الله والبغض في الله".

٤. التحرر من سلطة الأغراض الشخصية وحب الشهرة والظهور.

٥. تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

من خلال هذه الثوابت المستنبطة من كلام النورسي، يتحدد المنهج المسير لسياسة المسلمين في اختلافهم، وتتبين الفروق الحقيقية بين الاختلاف الايجابي البناء، والاختلاف السلبي الهدّام.

فالنورسي يعتبر الأخلاق ظاهرة إنسانية وحقيقة وجودية لا يمكن رفعها، فبه تكشف الحقائق، ويحصل التسابق في إثراء الفكر، وإحداث التجديد والنمو.

---

[1]- أنظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٣٤٥ بتصرف.

ولكن هذا الاختلاف المحمود الذي يمنح المجتمع الإسلامي إمكانات هائلة من الحقائق، ويدفعه إلى الإبداع والاكتشاف، لا يتحقق في فكر النورسي إلا بالالتزام بقواعد الاختلاف الايجابي، يقول النورسي" "شارحا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "اختلاف أمتي رحمة"[1]. إن الاختلاف الوارد في الحديث، هو الاختلاف الايجابي البناء المثبت. ومعناه: أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه، وإظهار صحة وجهته، وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين، أو الطعن في وجهة نظرهم، وإبطال مسلكهم بل يكون سعيه لإكمال النقص، ورأب الصدع، والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا. أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسالك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد، والضغينة، والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلا في نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بناء. ومن خلال هذا الكلام يتبين أن النورسي يقسم الاختلاف إلى قسمين: الاختلاف المذموم الناشئ من الأغراض الشخصية، والخاضع لهوى النفس الأمارة بالسوء[2].

والاختلاف الايجابي، الذي يعد مصدرا لإثراء المعرفة، ووسيلة لتحقيق الإبداع والتعاون المعرفي المشترك، يقول النورسي في شأن هذا النوع من الاختلاف: "إن تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق، وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة، إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة، وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح. لكن إن كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور.. فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار[3].

---

[1]- أورده الإمام نوردين علي بن محمد بن سلطان القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة وقال زعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له لكن ذكره الخطابي في غريب "الحديث" مستطردا: واشعر بأن له أصل عنده وقال السيوطي: أخرجه نصر الدين المقدسي في "الحجة" والبيهقي في "الرسالة الأشعرية" وإمام الحرمين وغيرهم ولعله خرّج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا والله اعلم"، المكتب الإسلامي، ص ١٠٨-١٠٩.

[2]- أنظر المكتوبات ج٢، ص : ٣٤٧ بتصرف.

[3]- المصدر نفسه، ص ٣٤٧.

إن هذا التصور في بيان حقيقة الإختلاق، يشكل إحدى الأسس العملية لبناء الوحدة الفكرية في المجتمع الإسلامي، كما يجعل الاختلاف في النظر والاجتهاد سببا لإظهار الحق، وازدهار المعرفة، وثراء الفكر الإسلامي، ذلك أن جمع المجتهدين على رأي واحد فيما ليس موضعا للقطع لن يتأتى أبدا، ولا يظن ذلك إلا من جهل خصائص الشريعة وموارد أدلتها، وجهل حقيقة الحياة وطبائع البشر[١] فالاختلاف والتنوع في إطار الوحدة من أكبر حقائق هذا الوجود، فنحن مختلفون على مقدار ما نحن متفقون.

والاتفاق يمنحنا إمكانات هائلة للتعاون والبناء المشترك، والاختلاف مصدر للثراء والتجديد والصقل والإبداع والنمو. [٢]

وهذا الاختلاف الايجابي الذي يعد مصدر الطاقة الإبداعية في المجتمع الإسلامي، لابد أن يراعي الضوابط الثلاثة.

أولا: يجب أن يكون في الفروع لا في الأساسات والغايات، فالاختلاف في فكر النورسي يجب أن يقوم في ضوء الوحدة الدينية وفي إطار الاتفاق في الأساسات والقواعد الإسلامية الكبرى ولا يخرج عنها. [٣]

ثانيا: يجب أن يخضع الخلاف للدستور النبوي الذي يحارب الاختلاف الناشئ من التعصب المذهبي، إذ المحبة أو العداوة لابد أن تكون على أساس الدين والإيمان لا على أساس الانتماء الفكري والمذهب الفقهي يقول النورسي: إن لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف "الحب في الله والبغض في الله" والاحتكام إلى أمر الله في الأمور كلها فالنفاق والشقاق يسودان... نعم، إن الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مقترفا ظلما في الوقت الذي يروم العدالة. [٤]

---

[١]- أنظر أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان سعيد النورسي، الدكتور عبد الكريم عكيوي، مصر : شركة سوزلر، ط ١ ٢٠٠٤، ص : ٦٢.

[٢]- أنظر "عصرنا والعيش في زمانه الصعب" د. عبد الكريم بكار، دمشق : دار القلم، ط٢ ١٤٢٥-٢٠٠٤، ص : ٣٢٩.

[٣]- أنظر المكتوبات ج٢/ ص : ٣٤٧ بتصرف.

[٤]- المكتوبات ج٢، ص ٣٤٨ بتصرف.

ثالثا: لابد أن يتحرر الاختلاف من سلطة الأغراض الشخصية وحب الشهرة والظهور، حيث إن هذه الصفات تقود إلى انشقاقات غير قابلة للالتئام كما تضيع الحقائق ويموت التسابق المشروع وينمو التنافس المذموم، فتقع الفتن ويختلف الناس في المقاصد والغايات. [1]

رابعا: لابد أن يوجه هذا الخلاف اتجاه المصلحة العامة، فلا اختلاف في مواجهة العدو، ولا اختلاف في الاتحاد من أجل الدفاع عن القضايا الكبرى للمجتمع الإسلامي. يسوق النورسي كلاما يشرح هذا الضابط، ويكشف عن أهميته القصوى في حماية المسلمين في الزمن المعاصر، أمام تعدد دوائر الأعداء المحيطة بهم. يقول: "وإن شئت أن تعدد دوائر الأعداء المحيطة بالإسلام، فهم ابتداء من أهل الضلالة والإلحاد وانتهاء إلى عالم الكفر ومصائب الدنيا وأحوالها المضطربة، فهي دوائر متداخلة تبلغ السبعين دائرة كلها تريد أن تصيبكم بسوء، وجميعها حانقة عليكم وحريصة على الإنتقام منكم، فليس لكم أمام جميع أولئك الأعداء الألداء، إلا ذلك السلاح البتار، والخندق الأمين والقلعة الحصينة، ألا وهي الأخوة الإسلامية. فأفق أيها المسلم ! واعلم أن زعزعة قلعة الإسلام الحصينة بحجج تافهة وأسباب واهية خلاف للوجدان الحي وأي خلاف ومناف لمصلحة الإسلام كليا[2].

إن النورسي بهذا التصور، يضع للمسلمين التدابير الوقائية لحماية المجتمع الإسلامي من الضعف والعجز، انطلاقا من مبادئ الأخوة الإسلامية ومقتضياتها الاجتماعية التي تفرض الوحدة في المنطلقات، والغايات، والاتفاق في القضايا الكلية المهتمة بمصلحة الإسلام دون الالتفات إلى ميولات الأفراد ورغباتهم الخاضعة لمنطق الاضطراب والاختلاف، مما يحتم ضبطها وتوجيهها نحو خدمة الوحدة الإسلامية في مواجهة العدو. حيث إن الافتراق والخلاف يفتح الطريق للعدو الغاصب، ويسهل له عملية الاختراق يقول النورسي: "أيها المؤمنون إن كنتم تريدون حقا الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعودوا

---

[1]– المصدر نفسه، ص : ٣٤٧–٣٤٨ بتصرف.

[2]– المصدر نفسه، ص : ٣٥٠.

إلى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ۝١٠﴾.[١] وحصنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة الذين يستغلون خلافتكم الداخلية...وألا تعجزون عن الدفاع عن حقوقكم بل حتى عن الحفاظ على حياتكم، إذ لا يخفى أن طفلا صغيرا يستطيع أن يضرب بطلين يتصارعان، وان حصاة صغيرة تلعب دورا في رفع كفة ميزان وخفض الأخرى ولو كان فيهما جبلان متوازنان...فيا معشر أهل الإيمان ! إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضكم الشخصية وأنانيتكم وتحزبكم، فقوة قليلة جدا تتمكن من أن تذيقكم الذل والهلاك. فإن كنتم حقا مرتبطين بملة الإسلام فاستهدوا بالدستور النبوي العظيم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، [٢] وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا وتنجون من شقاء الآخرة[٣].

هكذا، يكون الاختلاف محكوما بقاعدة المصالح العليا للمجتمع الإسلامي، ومضبوطا بقواعد النظر في المآلات والنتائج، متجها نحو الدفاع عن القضايا الكبرى للمسلمين في ضوء الفناء في الأخوة الإسلامية. إن هذه الرؤية كفيلة بحل مجموعة من المشاكل التي يتخبط فيها كثير من المسلمين في العالم الإسلامي، نتيجة تنازعهم، واختلافهم الداخلي متجاهلين العدو المشترك الذي يقضي على الجميع[٤]

الوجه السادس: تحدث النورسي في هذا الوجه، عن أثر العداء في ركنين أساسيين، عليهما مدار أعمال البر في المجتمع الإسلامي، وبهما تتحقق عبودية الإنسان، ويتلخص من العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وهما العدالة والإخلاص. يقول النورسي: "إن الإخلاص واسطة الخلاص، ووسيلة النجاة من العذاب، فالعداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله، إذ يضيع الإخلاص، ذلك لأن المعاند الذي ينحاز إلى رأيه

---

[١]– سورة الحجرات، الآية ١٠.

[٢]– الحديث أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.

[٣]– انظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٣٥٠.

[٤]– المتأمل في الواقع الفلسطيني والواقع العراقي يجد أن ظاهرة الاحتراب الداخلي أودت بالمجتمع إلى الضعف والانحلال وسهلت عملية الاختراق والاستيطان الأجنبي، وهو ما يجعل الحالة الفلسطينية والحالة العراقية تتطلب جهودا كبيرة في جمع شتات المسلمين وتوحيدهم وتوجيههم نحو العدو الحقيقي المشترك.

وجماعته، يروم التفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها. فلا يوفق توفيقا كاملا إلى عمل خالص لوجه الله، ثم إنه لا يوفق أيضا إلى العدالة، إذ يرجح المواليين لرأيه الموافقين له في أحكامه ومعاملاته على غيرهم، وهكذا، يضيع أساسان مهمان لبناء البر، الإخلاص والعدالة بالخصام والعداء[1].

وكلام النورسي هذا، يتخذ من القيم المعنوية الخفية مدخلا أساسيا لمعالجة الأعمال الظاهرة، وتوجيهها نحو تحقيق العبودية الخالصة لله، والاحتكام إلى قوانينه في عالم حركة الاجتماع البشري.

والإخلاص هو إحدى هذه القيم، وهو أهم أساس، وأعظم قوة، وأرجى شفيع، واثبت مرتكز، واقصر طريق للحقيقة، وأبر دعاء معنوي، وأكرم وسيلة للمقاصد، وأسمى خصلة، وأصفى عبودية،[2] وهو إحدى القواعد الأخلاقية الكبرى التي تضبط الاختلاف، وتوجهه نحو الايجابية، و التعاون الإنساني المشترك أمام التحديات الكبرى.

[1]– انظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٣٥٠.

[2]– انظر "الإخلاص والأخوة بديع الزمان سعيد النورسي"، المغرب : الأحمدية الدار البيضاء، ط١، ١٤٢١-٢٠٠١، ص : ٣٠.

❖ القاعدة الثانية: إشاعة القيم العليا في المجتمع الإسلامي:

تختلف قوانين العدالة باختلاف نظرة المجتمعات إلى القيم، من حيث التقبيح والتحسين، ويظهر هذا جليا أثناء المقارنة بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الغربي، حيث يقع الانفصال والتباعد في الحكم على مفردات القيم، فما يراه الأول حسنا، يراه الثاني عكس ذلك من القضايا الاجتماعية.

والنورسي، من عمق هذا الانفصال القيمي والأخلاقي بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب دعا المجتمع الإسلامي إلى التشبث بالقيم الإسلامية الرشيدة، واعتبرها مناط تحقيق العدل الاجتماعي، وتثبيته، وحمايته من أخطار القيم الغربية الفاسدة.

وفي ما يأتي، نتناول القيم الرشيدة الكفيلة بتحقيق العدالة الاجتماعية، كما سطرها النورسي في رسالته وفق التصور الإسلامي الذي يعتبر القيم من الركائز الأساسية لضبط تصرفات الأفراد وحركتهم من الداخل، قبل ترجمتها في الواقع المعيش، وهنا يجب التنبيه إلى أن كلمة "قيم" أشمل وأعم من الأخلاق، فهناك قيم أخلاقية وقيم معرفية، وقيم خاصة، وقيم مشتركة، وإلى غيرها من الأنواع التي سنتناول بعضها بما يتناسب مع طبيعة الموضوع في الأنواع الآتية:

١. قيمة الصدق في الحياة الاجتماعية:

يعد الصدق من القيم الكبرى التي اهتم بها الإسلام، وجعلها الوسيلة المثلى لحماية المجتمع الإسلامي من أضرار الكذب والنفاق، والمحور الأساسي لترقي الإنسان في معارج الكمال، يقول النورسي : "لقد علمتني زبدة تتبعاتي وتحقيقاتي في الحياة الاجتماعية أن : الصدق هو أس أساس الإسلام، وواسطة العقد في سجاياه الرفيعة، ومزاج مشاعره العلوية. فعلينا إذن أن نحيي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية وفي نفوسنا ونداوي به أمراضنا المعنوية".

أجل، أن الصدق هو عقدة الحياة في حياة الإسلام الاجتماعية. أما الرياء فهو نوع من الكذب الفعلي، وأما المداهنة والتصنع فهو كذب دنئ مرذول. أما النفاق فهو كذب ضار جدا. والكذب نفسه إنما هو افتراء على قدرة المانع الجليل.

إن الكفر بجميع أنواعه كذب والإيمان إنما هو صدق وحقيقة. وعلى هذا فالبون شاسع بين الصدق والكذب بعدما بين المشرق والمغرب، وينبغي أن لا يختلط الصدق والكذب اختلاط النور والنار، ولكن السياسة الغادرة والدعاية الظالمة قد خلطتا أحدهما بالآخر فاختلطت كمالات البشرية ومثلها بسفسافها ونقائصها[1].

تتضح من خلال هذا النص قيمة الصدق وأثره في الحياة الاجتماعية، فهو حجر الزاوية في الحياة الإنسانية كما عبر عن ذلك النورسي ولعل هذا التصور الشامل لمفهوم الصدق ينبع من النصوص الإسلامية التي دعت إلى تحقيقه في كافة الميادين الإنسانية واعتبرته من التدابير الوقائية للحفاظ على المجتمع الإسلامي من صنوف الباطل وضروب النفاق والفساد يقول ابن قيم الجوزية رحمه في منزلة الصدق " وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلا إلا أرداه وصرعه. من مال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال ومحك الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين[2].

إن هذه الأهمية الكبرى والدرجة العليا لمنزلة الصدق كما بينها ابن القيم رحمه الله تأخذ موقعها في الخطاب النورسي وتظهر جليا في تحليله لثمار الصدق ونتائجه، ومخاطر الكذب وتداعياته على الأمم والشعوب.

---

[1]- انظر "صقيل الإسلام" ج ٨، ص : ٥٠٦.

[2]- انظر مدارج السالكين بين منازل "اياك نعبد وإياك نستعين" للإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، ج٢، ص : ٢٣.

لقد اعتبر النورسي الصدق من عوامل تقدم الأمة الإسلامية وأسباب نهوضها[١].وأثبت خطورة الكذب ونتائجه على الاستقرار النفسي والأمن الاجتماعي في الواقع المعاصر، يقول النورسي: "إن انعدام الأمن والاستقرار في الوقت الحاضر بالكذب الرهيب الذي تقترفه البشرية وبتزييفها وافتراءاتها، ما هو إلا نتيجة كذبها، وسوء استعمالها للمصلحة، فلا مناص للبشرية إلا سدّ ذلك الطريق الثالث، وإلا فإن ما حدث خلال نصف هذا القرن من حروب عالمية وانقلابات رهيبة ودمار فظيع قد يؤدي إلى أن تقوم قيامة على البشرية.[٢]

وهذه الحقيقة التي استنبطها النورسي من عمق تأمله في الواقع البشري، يتخذها قاعدة أساسية ومدخلا رئيسيا لمعالجة الأمراض الاجتماعية، وحماية المجتمع الإسلامي من الأفول والانهيار، يقول النورسي: "إن ماهية الكفر الكذب، وماهية الإيمان الصدق، أليس هذا البرهان كافيا : أن بقاء حياتنا مرهونة بدوام الإيمان والصدق والتساند[٣] وفي موضوع آخر يقول : "الصدق هو أساس الإسلامية، وهو خاصية الإيمان، بل الإيمان صدق ورأسه... وهو الرابط لكل الكمالات.. وهو الحياة الأخلاق العالية...، وهو العرق الرابط للأشياء بالحقيقة، وهو تجلي الحق في اللسان..وهو محور ترقي الإنسان وهو نظام العالم الإسلامي، وهو الذي يسُرع بنوع البشر في طريق الترقي –كالبرق– إلى كعبة الكمالات وهو الذي يصير أخمد الناس وأفقره أعز من السلاطين... وبه تفوق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على جميع الناس وبه ارتفع سيدنا محمد الهاشمي إلى أعلى عليي مراتب البشر" [٤].

إن هذا التصور لأهمية الصدق، ينبع من أصالة القرآن الكريم التي دعت إلى الصدق والكينونة مع الصادقين، ومن عمق الرسالة المحمدية التي جعلت الصدق طريقا إلى تحقيق البر الاجتماعي والسعادة الأخروية. يقول الله عز وجل في سورة التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

[١]– انظر "صقيل الإسلام" ج ٨، ص : ٤٩٢ بتصرف.

[٢]– المصدر نفسه، ص : ٥٠٨.

[٣]– المصدر نفسه، ص : ٤١٧.

[٤]– إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، ج٥، ص : ٩٧.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[1] ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور، يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا"[2] وإلى غيرها من التوجيهات القرآنية، والإرشادات النبوية الداعية إلى تحقيق الصدق في نفوس أفراد المجتمع، والاجتماع حول أساسه في تسيير شؤون المجتمع، وتنظيم علاقاته وفق نظم العدالة الإسلامية.

نستخلص مما سبق، أن مفهوم الصدق في الفكر النورسي يتخذ أبعادا اجتماعية وحضارية، تشكل إحدى الأسس القوية لبناء المجتمع الإسلامي العادل الذي يقوم على أساس الصدق، ويتصف أفراده بالأمانة، والثقة، والبر، والتعاون، والتساند، والكينونية بالصدق ومع الصدق، من أجل خلق عالم تسود في كافة جوانبه مفردات العدالة القرآنية، وتشكل القيم والمثل العليا مناط عصمته من الانحدار نحو الظلم والاستبداد والأنانية.

إن النورسي بهذا المفهوم، يضع دستورا للساسة والاقتصاديين وعلماء التربية والاجتماع والدعاة إلى الدين والأخلاق، بخاصة الذين لا يمثلون قدوة ولا يعملون بما يقولون)، إنه يتجه إليهم بهذا الدستور المجلي لقيمة الصدق.. كي يقفوا ضد هذه الحضارة التي أصبح الكذب والنفاق والتصنع جزءا من كيانها الداخلي... حيث أصبح من الصعب علاجها، ولا طريق إلا بإقامة كيان إسلامي حضاري يقود الحضارة المعاصرة... بعيدا عن الرياء والكذب والتصنع"[3].

هكذا يكون الصدق دستورا كليا يعالج قضايا المجتمع الإسلامي، وينفتح بمفرداته ومصداقيته على كافة الشعوب والأمم، ويمدها بنوره، وبسر الحياة الاجتماعية العادلة ودوام الاستقرار البشري.

---

[1]- سورة التوبة، الآية ١١٩.

[2]- الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ سورة التوبة الآية ١١٩، والإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

[3]- أنظر مشاركة الدكتور عبد الحليم عويس ضمن أعمال المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان سعيد النورسي، تركيا : نسل، ط١، ٢٠٠٤، ص : ١٨٢.

- قيمة السلم وأثرها في الاستقرار الاجتماعي.

تحتل قيمة السلم مركزا أساسيا لبناء المجتمع الإسلامي المتماسك في فكر النورسي، وبفقدانها يتحول المجتمع الرشيد إلى مجتمع الفوضى والانقسام؛ فينتشر الظلم والاستبداد، وينعدم الأمن والأمان في الحياة الإنسانية.

ويقترح النورسي خمسة أسس تشكل قوام الأمن الاجتماعي والاستقرار النفسي في حياة الأمم والشعوب وهي :

- الاحترام المتبادل؛
- الشفقة والرحمة؛
- الابتعاد عن الحرام؛
- الحفاظ على الأمن؛
- نبذ الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة"[1].

إن هذه الأسس الخمسة، تعتبر في فكر النورسي من مقومات السلم الاجتماعي وعوامل حمايته من الاحتراب الداخلي الذي يقع بسبب غياب التوجيهات الإسلامية، المقتضية بضرورة وتبادل المحبة، ونبذ العنف في ضوء مجتمع إنساني هادئ ينصاع إلى تعاليم القرآن في مسائل الحلال والحرام، ويحتكم لقواعد السلم الاجتماعي في سائر | أعماله وتصرفاته. يسوق النورسي جملة من الضوابط لتحقيق قاعدة الاحترام المتبادل أثناء وقوع الاختلاف على مستوى الأقوال والأفعال، والتي عدها من عناصر مقومات السلم الاجتماعي، وهي تسعة أمور :

١. العمل الايجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره أو يتدخل في عمله عداء الآخرين، أو التهوين من شأنهم.

[1]- انظر "الشعاعات" ج ٤، ص : ٤٠٦.

٢. عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام- مهما كان نوعها، والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣. اتخاذ دستور الإنصاف دليلا ومرشدا والذي يمنح صاحبه حق الادعاء بأن مسلكه حق وأجمل، دون أن يحكم على مسالك الآخرين بالبطلان.

٤. العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي، وأحد منابع الأخوة الإسلامية.

٥. الحفاظ على الحق والعدل، بإيجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل.

٦. إنقاد الحق من صولة الباطل.

٧. ترك غرور النفس وحظوظها.

٨. ترك ما يتصور خطأ أنه من العزة والكرامة.

٩. ترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة[١].

بهذه النقاط التسع، يوجه الاختلاف ويضبط في ضوء الاحترام المتبادل بين أطراف المجتمع فيتحقق الإخلاص في كافة جوانب الحياة الاجتماعية، مما ينتج عنه السلام العام في العلاقات الدائمة بين الأفراد.

هذا عن قاعدة الاحترام أما عن قواعد الرحمة والشفقة ونبذ الفوضى، فالرسائل طافحة بالنصوص تدعو إلى تحقيق المجتمع المتراحم الذي تسوده مبادئ الشفقة والتعاون والتساند.

لقد تحدث النورسي عن حقيقة الرحمانية في كتاب الشعاعات، وبين تجلياتها في عالم الآفاق والأنفس[١]، كما تناول حقيقة الشفقة في كتاب الكلمات، واعتبرها من طرق تحقيق العبودية لله[٢].

---

[١]- انظر "اللمعات" ج ٣، ص : ٢٢٨-٢٢٩ بتصرف.

والمتأمل في ما كتبه النورسي، يجد أن هذه القواعد تتكامل فيما بينها، وتتعاون لتشكل بعدا كونيا يحكم عالم الإنسان والكائنات، فحقيقة الرحمة والشفقة في فكر النورسي، تتجسد في أصغر مخلوق، وتتجلى في أكبره مما يتحتم على الإنسان الاستفادة من هذا القانون الكوني في ضوء حركته ونشاطه الاجتماعي مع سائر الأفراد والجماعات، قصد تحقيق الوئام الداخلي والتعاون الجماعي في ضوء المجتمع الإسلامي الذي تسوده علاقات الرحمة والشفقة ويتميز أفراده بفضيلة الاهتمام بالآخرين، والشفقة، عليهم والتفكير في مشاكلهم.

إن هذه الشروط والمقومات لتحقيق السلم الاجتماعي تتطلب الاستجابة للنداء القرآني الداعي إلى ضرورة دخول المؤمنين في السلم كافة، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ .[٣]

يسوق سيد قطب تعليقا طويلا يكشف فيه عن دلالة السلم الشمولية في شأن هذه الآية. "إنها دعوة للمؤمنين باسم الإيمان. بهذا الوصف المحبب إليهم، والذي يميزهم ويفردهم، ويصلهم بالله الذي يدعوهم..دعوة للذين امنوا أن يدخلوا في السلم كافة.

وأول مفاهيم هذه الدعوة، أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله، في ذوات أنفسهم، وفي الصغير والكبير من أمرهم. أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور، ومن نية أو عمل، ومن رغبة أو رهبة، لا تخضع لله ولا ترضى بحكمه وقضاءه. استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية.

والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلم وكله سلام. عالم كله ثقة واطمئنان، وكله رضى واستقرار. لا حيرة ولا قلق، ولا شرود ولا ضلال.. سلام مع النفس والضمير..سلام مع العقل والمنطق سلام مع الناس والأحياء سلام مع الوجود كله ومع كل

---

[١]- انظر "الشعاعات" ج ٤، ص : ٢١٤.

[٢]- انظر "الكلمات" ج ١، ص : ٥٥٨.

[٣]- سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

موجود...سلام يرف في حنايا السريرة. وسلام يظلل الحياة والمجتمع سلام في الأرض وسلام في السماء"[1].

هذه بعض معاني السلم، ذكرها سيد قطب رحمه الله في تفسيره، والتي تتوافق مع نظرة بديع الزمان النورسي الكونية لمقومات السلم وخصائصه كما سبق بيانه." والذي يمكن استخلاصه من خلال تصور العالمين لمفهوم السلم وآليات تطبيقه هو تكامل القيم الإسلامية وترابطها في إطار كلي متراص فلا سلم بدون رحمة ولا رحمة بدون سلم، وكذلك الشفقة وغيرها، ويؤكد هذه الحقيقة مجمل الآيات التي دعت إلى تحقيق الرحمة والشفقة في المجتمع الإسلامي، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[2] وهذا النص وغيره يجعل قيمة الرحمة مفضية إلى تحقيق قيمة السلم في المجتمع الإسلامي، وهو ما يفسر المنهج النورسي في تحليل القضايا الذي ينطلق من الكل إلى الجزء.

- قيمة المحبة :

تعتبر قيمة المحبة في فكر النورسي، معيارا أساسيا لتقويم المجتمع الإسلامي وتصنيفه في مراتب التقدم أو التراجع، فكلما سادت معاني الحب والود بين الأفراد والقبائل والأقرباء، تحقق جوهر الحياة الاجتماعية الإنسانية، وكلما انتشرت الأحقاد والضغائن في شبكة العلاقات الاجتماعية، انهار المجتمع وتلاشت قواه وانتشر الظلم في جميع جوانبه يقول النورسي: "إن جوهر الحياة الاجتماعية الإنسانية ولاسيما الأمة الإسلامية وأساسها هو: وجود محبة خالصة بين الأقرباء، ووجود رابطة وثيقة بين القبائل والطوائف، ووجود أخوة معنوية وتعاونية نحو أخوته المؤمنين ضمن القومية الإسلامية ووجود علاقة فداء نحو قومه وجنسه ووجود التزام قوي ورابطة قوية لا تهتز مع الحقائق القرآنية التي تنقد حياته الأبدية، ومع ناشري هذه الحقائق، وأمثالها من الروابط التي تحقق أساس الحياة الاجتماعية[3]، وفي موضع آخر يؤكد النورسي أهمية المحبة في صيانة المجتمع الإسلامي من الأفول والانهيار بقوله: "إن مما تعلمته من الحياة الاجتماعية

---

[1]- انظر "في ضلال القرآن" سيد قطب رحمه الله، ج ١،ص : ٢٠٦-٢٠٧ بتصرف.

[2]- سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

[3]- انظر "الشعاعات" ج٤، ص : ٤٦٥.

البشرية طوال حياتي وما أملته علي التتبعات والتحقيقات هو: أن أجدر شيء بالمحبة هو المحبة نفسها وأجدر صفة بالخصومة هي الخصومة نفسها، أي أن صفة المحبة التي هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع إلى تحقيق السعادة، هي أليق للمحبة، وأن صفة العداوة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي أقبح صفة وأضرها وأجدر أن تتجنب وتنفر منها[١].

إن هذا التصور الذي يتخذ من قيمة المحبة أساسا لبناء مجتمع الرحمة والمودة يستمد أصالته من عمق التأسيس النبوي للمجتمع الإسلامي الأول على ميثاق المحبة بين الأنصار والمهاجرين، يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾.[٢] يقول سيد قطب رحمه الله عز وجل في تفسيره لهذه الآية: "لم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين، بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل السخي، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة، لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين"[٣].

من هذا المنطلق النبوي، بنى النورسي رؤيته الكونية لقيمة المحبة، وكشف عن أهميتها في البناء الاجتماعي العادل، وعن مكانتها في باب الفضائل حتى جعلها قانونا كونيا ينسكب على جميع الكائنات، ويعتبر سببا لوجودها، وعلة للربط بين أجزائها وأنها نور الأكوان، وحياتها.[٤] فالكون كله بهذا التصور النورسي يردد أنغام الحب الشجية، وتسبيحاته العذبة نحو

---

[١]– انظر "صقيل الإسلام" ج٨، ص : ٥٠٩.

[٢]– سورة الحشر، الآية ٩.

[٣]– انظر "في ظلال القرآن" سيد قطب، ج٦، ص : ٣٥٢٦.

[٤]– انظر الكلمات ج ١، ص : ٤١٠ بتصرف.

الجمال السرمدي الخالد الذي يستحق الحب صدقا وعدلا"[1]. يقول النورسي رحمه الله : "إن ما يخفق به قلب الكون من حب جاد وعشق صادق يدل على معشوق دائم باق..إذ كما لا يظهر شيء في الثمرة ما لم يوجد في الشجرة نفسها، فذلك العشق الإلهي العذب الذي يستحوذ على قلب الإنسان، وهو ثمرة شجرة الكون يبين أن عشقا خاصا ومحبة صادقة بأشكال شتى، مغروزة في كيان الكون كله وتتظاهر بأشكال شتى، هذا الحب المالك قلب الكون يفصح عن محبوب خالد سرمدي".[2] هكذا تكون قيمة المحبة ذات بعد كوني اجتماعي يساهم في ضبط حركة الإنسان في المجتمع، ويسوق الكائنات إلى وظيفة التسبيح، فيتحقق بها قانون العبودية في سائر المخلوقات، وينتج عن ذلك سيادة العلاقات الإنسانية العادلة في عالم متوازن سالم من الخروقات البشرية.

- قيمة التعاون :

تنمي قيمة التعاون في أفراد المجتمع الإسلامي شعور الانتماء إلى وحدة المجتمع، وتدفع عنهم مشاعر الاغتراب والاضطراب، من خلال اهتمام بعضهم ببعض، وهذا الشعور من شأنه أن يحقق التضامن الأخوي والسلام الاجتماعي، ويعزز الاتحاد والمساندة بين أفراد المجتمع فينتج عن ذلك عدالة اجتماعية دستورها التعارف والتعاون. يقول الله عز وجل: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ** ﴿١٣﴾﴾[3] ويقول أيضا في سورة المائدة : ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ** ﴿٢﴾﴾[4].

---

[1]- الحب بين الوهم والحقيقة بحث مستقى من كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي: تأليف الباحثة خديجة النبراوي، القاهرة : دار سوزلر، ط ٢، ٢٠٠٢، ص : ١٨.

[2]- انظر "الكلمات" ج١، ص : ٨١٧-٨١٨.

[3]- سورة الحجرات، الآية ١٣.

[4]- سورة المائدة، الآية ٢.

من خلال الآيتين الكريمتين، يؤسس النورسي رؤيته لحقيقة الاختلاف الإنساني في كافة جوانبه، ويضع التدابير الوقائية لتحقيق وظيفة هذا الاختلاف، انطلاقا من دستور التعارف والتعاون[١].

يشرح النورسي حقيقة هذا الدستور بمثال يجعل المجتمع الإسلامي في تعارفه وتعاونه مثل تقسيم وظائف أفراد الجيش لحماية مجتمعهم من هجوم الأعداء، يقول النورسي: "يقسم الجيش إلى فيالق، وإلى فرق، وإلى ألوية، وإلى أفواج وإلى سرايا، وإلى فصائل وإلى حظائر، وذلك ليعرف كل جندي واجباته حسب تلك العلاقات المختلفة المتعددة، وليؤدي أفراد ذلك الجيش تحت دستور التعاون وظيفة حقيقية عامة لتصان حياتهم الاجتماعية من هجوم الأعداء، وإلا فليس هذا التقسيم والتمييز إلى تلك الأصناف، لجعل المنافسة بين فوجين، أو إثارة الخصام بين سريتين، أو وضع التضاد بين فرقتين.

وكذلك الأمر في المجتمع الإسلامي الشبيه بالجيش العظيم، فقد قسم إلى قبائل وطوائف، مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة، إذ أن خالقهم واحد، ورازقهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، ووطنهم واحد.. وهكذا واحد واحد... إلى الألوف من جهة الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل– كما تعلنه الآية الكريمة ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم.[٢]

يتضح من خلال هذا النص أن الحكمة من اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل هي تحقيق التعارف والتعاوني الذي يجعل من الإنسان قوة فاعلة في مجتمعه تسعى إلى التعاون على المعروف وترك التعاون على المنكر كما أمرت بذلك الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢**﴾[٣].

---

[١]– انظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٤١٣ ، وانظر "اللمعات" ج ٣، ص : ٢٣٤ بتصرف.

[٢]– المصدر نفسه، ص : ٤١٣–٤١٤ بتصرف.

[٣]– سورة المائدة، الآية ٢.

هذا التعاون الذي يبنى على التعارف الوظيفي لكل فرد في مجتمعه، يستمد قوته وأصالته في فكر النورسي، من القانون الكوني الذي حكم الموجودات والكائنات بسنة التساند والتعاون والتراحم انطلاقا من قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ٣٤﴾.[1]

يقول النورسي: "إن معاونة الموجودات بعضها للبعض الآخر وتجاوبها بينها، وتساندها في الوظائف والواجبات..يدل على أن كل المخلوقات تحت تربية ورعاية مرب واحد أحد. وأن الكل تحت أمر مدبر واحد أحد..وأن الكل تحت تصرف واحد أحد..ذلك لأن "دستور التعاون" بين الموجودات، يجري ابتداء من الشمس، التي تهيئ بأمر الله لوازم الحياة للإحياء، ومن القمر الذي يعلمنا المواقيت، وانتهاء إلى إمداد الضوء والهواء والماء والغذاء لذوي الحياة، وإمداد النباتات للحيوانات، وإمداد الحيوانات للإنسان، بل حتى إمداد كل عضو من أعضاء الجسم للآخر، وإمداد ذرات الغذاء لحجيرات الجسم...فخضوع هذه الموجودات الجامدة الفاقدة للشعور، وانقيادها لدستور التعاون وارتباطها معا ارتباط تفاهم وتجاوب في منتهى الحكمة، وفي منتهى الإيثار والكرم، وجعل كل منها يسعى لإغاثة الآخر، وإمداده بلوازم حياته، ويهرع لقضاء حاجياته وإسعافه، تحت ظل قانون الكرم وناموس الرأفة، ودستور الرحمة... كل ذلك يدل بداهة على أن جميعها مخلوقات مأمورات، ومسخرات عاملات للواحد الأحد، الفرد الصمد، القدير المطلق القدرة، والعليم المطلق العلم، والكريم المطلق الكرم[2].

---

[1]- سورة إبراهيم، الآية ٣٢- ٣٤.

[2]- انظر "الكلمات" ج ١، ص : ٧٩٢.

إن التفسير التوحيدي الكوني لقيمة التعاون، يجعل منها بعدا أساسيا شموليا يتطلب الحضور في كافة مجالات الحياة الإنسانية، كما يمنحها قدرة فائقة على معالجة مشاكل المجتمعات الإسلامية التي تعاني من خطر الاستهداف الأجنبي لكافة جوانبها[1].

يتبين من خلال ما سبق أن النورسي يعطي مفهوم القيم الاجتماعية أبعادا كونية شمولية ويجعل استدعاءها في النشاط الاجتماعي والحراك الإنساني ضرورة حضارية للتأثير في الأفراد والجماعات، قصد تحقيق رقي المجتمع وتقدمه، بناء على تنظيم مساعيهم وبث الثقة فيما بينهم وتسهيل وسائط التعاون فيما بينهم[2].

فالعدل بهذا التصور النورسي، يرتبط بنظام القيم، ويتحقق وجوده في المجتمع الإسلامي بناء عليه؛ فكلما انتشرت القيم الرشيدة تحقق العدل الاجتماعي، وكلما عدمت القيم انتفى العدل الاجتماعي، فالعدل يدور مع القيم وجودا وعدما.

[1]- إن غياب قيمة التعاون بين أفراد وشعوب الأمة الإسلامية هو الذي فتح الطريق للصهاينة المعتدين وشجعهم على تفريق عزائمهم وأخذ أموالهم وتشريد نسائهم وتيتيم أطفالهم. فقمن بأولى النهى أن يسهلوا التعاون بين المسلمين لمواجهة الأعداء المعتدين.

[2]- انظر "اللمعات" ج٣، ص : ١٨٨ بتصرف.

❖ القاعدة الثالثة : التوازن الاقتصادي في ضوء التكافل الاجتماعي:

لقد وضع القرآن الكريم نظما أساسية، تحقق العدل الاقتصادي في المجتمع الإسلامي، وتكفل لجميع أفراده الحد الأدنى من العيش الكريم الذي يحفظ لهم كرامتهم الشخصية، ويضمن لهم الضرورات المادية للاستمرار في الحياة.

والنورسي من وحي تأمله في هذه النظم، وضع مجموعة من التوجيهات العلمية، تحقق التوازن الاجتماعي الاقتصادي، وتحفظ حقوق جميع طبقاته ضمن إطار كلي أساسه التكافل بدل التنازع، والاقتصاد بدل الإسراف، والعمل بدل الكسل، ويمكن صياغة هذه التوجيهات القرآنية على الشكل الآتي.

١. وجوب الزكاة وحرمة الربا [1] مناط تحقيق التكافل الاجتماعي.

يعتبر النورسي، أن الترياق الشافي للسموم القاتلة في الهيئة الاجتماعية هو حرمة الربا ووجوب الزكاة، فبهما يتحقق التكافل الاجتماعي وتنمحي الفوارق الكبرى بين الأفراد والطبقات، وتزول قيم الاستئثار والاستحواذ والاستغلال.

يقول النورسي: "نعم في "وجوب الزكاة" وحرمة الربا" حكمة عظيمة، ومصلحة عليا، ورحمة واسعة؛ إذ لو أمعنت النظر في صحيفة العالم نظرا تاريخيا، وتأملت في مساوئ جمعية البشر لرأيت أس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية كلمتين فقط :

إحداهما : "إن شبعت فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع"،

والثانية : " اكتسب أنت لآكل أنا واتعب أنت لأستريح أنا".

فالكلمة الأولى الغادرة النهمة الشنعاء هي التي زلزلت العالم الإنساني فاشرف على الخراب والقاطع لعرق تلك الكلمة ليس إلا "الزكاة".

---

[1]- انظر "الكلمات" ج١، ص : ٤٦٥- ٤٧٤ -٨٥١ ، وانظر "المكتوبات" ج ٢، ص : ٣٥٥- ٣٥٦ – ٤١٨ ، وانظر "إشارات الإعجاز" ٥، ص : ٥٤-٥٥.

والكلمة الثانية الظالمة الحريصة الشوهاء هي التي مارت بترقيات البشر فأوشك أن تنهار بها في نار الهزج والمزج والمستأصل والدواء لتلك الكلمة ليس إلا "حرمة الربا"[١].

إن الأخذ بهذه التدابير القرآنية يضمن الحياة المعتدلة بين أفراد الجماعة البشرية، ويجعل حركة الإنسان في المجتمع مشروطة بالتكامل والتكافل مع الآخرين، في ضوء مقررات القرآن، التي تحرم أشكال الاستغلال والاستحواذ، وأنماط الظلم والاغتصاب، وتوجب وسائل التعاون والتقارب بين الطبقات. يقول النورسي : "اعلم أن شرط انتظام الهيأة الاجتماعية أن لا تتجافى طبقات الإنسان، وأن لا تتباعد طبقة الخواص عن طبقة العوام، والأغنياء عن الفقراء بدرجة ينقطع خيط الصلة بينهم. مع أن بإهمال وجوب الزكاة وحرمة الربا انفرجت المسافة بين الطبقات، وتباعدت طبقات الخواص عن العوام بدرجة لا صلة بينهما، ولا يفور من الطبقة السفلى إلى العليا إلا صدى الاختلال، وصياح الحسد، وأنين الحقد والنفرة، بدلا عن الاحترام والإطاعة والتحبب، ولا يفيض من العليا على السفلى، بدل المرحمة والإحسان والتلطيف، إلا نار الظلم والتحكم، ورعد التحقير. فآسفا! لأجل هذا قد صارت "مزية الخواص" التي هي سبب التواضع والتراحم سببا للتكبر والغرور، وصار عجز الفقراء و"فقر العوام" اللذان هما سببا المرحمة عليهم والإحسان إليهم سببا لأسارتهم وسفالتهم وإن شئت شاهدا فعليك بفساد ورذالة حالة العالم المدني، فلك فيه شواهد كثيرة ولا ملجأ للمصالحة بين الطبقات والتقريب بينها إلا جعل الزكاة –التي هي ركن من أركان الإسلامية– دستورا عاليا واسعا في تدوير الهيأة الاجتماعية[٢].

إن غياب هذا الدستور القرآني، هو الذي جعل المدنية بكل جمعياتها الخيرية، ومؤسساتها الأخلاقية، وبكل وسائل نظامها وانضباطها الصارم، عاجزة عن الإصلاح بين الطبقتين من البشر؛[٣] وهو ما يؤكد قوة التشريع القرآني، وقدرته على صياغة المجتمع الإسلامي الصحيح الذي تسوده علاقات التكافل والتعاون، وتموت فيه الفوارق والتمايزات الناشئة عن حب

---

[١]– انظر "إشارات الإعجاز" ج ٥، ص : ٥٤.

[٢]– المصدر نفسه، ص : ٥٤–٥٥.

[٣]– انظر "الكلمات" ج ١، ص : ٤٧٣ بتصرف.

الحرص والاستغلال، فالمجتمع الصحيح، حسب تصور النورسي، هو المجتمع الذي يتميز بروح التكافل والتعاون الكفيلين بتحقيق السعادة للجميع والقضاء على روح الفردانية المتوحشة، كما هي سائدة في حضارة الغرب. يقول النورسي رحمه الله: "فقد دفعت هذه المدنية الحاضرة ثمانين بالمئة من البشرية إلى أحضان الشقاء، وأخرجت عشرة بالمئة منها إلى سعادة مموهة زائفة. ظلت العشرة الباقية بين هؤلاء وأولائك، علما أن السعادة تكون سعادة عندما تصبح عامة للكل أو للأكثرية؛ بيد أن سعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس. لأجل كل هذا لا يرضى القرآن الكريم بمدنية لا تضمن سعادة الجميع أولا تعم الغالبية العظمى[1].

يتضح من خلال ما سبق، أن وجوب الزكاة وحرمة الربا، تشكلان القاعدة الصلبة لبناء مجتمع متوازن سالم من خطورة الأنانية، وطغيان التسلط والاستغلال، الناشئين من حب الهوى وسلطة المنفعة الذاتية.

وهذا التصور يتوافق مع مقررات الدين الإسلامي الحنيف الذي حرم الربا، وجعله مناطا لأكل أموال الناس بالباطل، وحث على أداء الزكاة والصدقات، واعتبرها وسيلة لتحقيق إنسانية الإنسان، وصيانته من وحشية الفردانية التي قضت على الإنسان الغربي واختزلته في بعده المادي، حتى أضحى كتلة من المتاع المادي الرخيص.

٢- الاقتصاد وحرمة الإسراف مفتاح الكرامة الإنسانية.

من وحي قوله تعالى: ﴿۞ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ۝٣١﴾[2] يسطر النورسي جملة من الحقائق الإسلامية في مجال الاستهلاك وإشباع الحاجات الإنسانية التي تقوم على أساس الاقتصاد، وتجعل الإسراف من أكبر عوامل الجحود لنعم الله عز وجل، ومن أسباب سقوط الإنسان في مخالفة سننه وحكمه الكامنة في عالم النعم، يقول النورسي : "إن الخالق الرحيم سبحانه يطلب من البشرية شكرا وحمدا إزاء ما أغدق عليها من النعم والآلاء إلا أن الإسراف مناف للشكر واستخفاف خاسر وخيم تجاه النعمة،... إن الاقتصاد كما هو شكر معنوي،

[1]- انظر "صقيل الإسلام" ج ٨، ص : ٣٥٧-٣٥٨.

[2]- سورة الأعراف، الآية ٣١.

فهو توقير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والإحسان... وهو سبب حاسم للبركة والاستكثار.. وهو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذل الاستجداء المعنوي"[1].

إن هذا التصور الذي يجعل من الاقتصاد وسيلة إلى الخلاص من سيطرة الملذات، كفيل بأن يحرر مجموعة من الشعوب والدول من هيمنة المنتج الخارجي الذي أثقل كاهلها، وأفقدها التوازن في مجال إشباع الحاجات، فصارت مسلوبة مستعبدة بكل جديد في عالم الاستهلاك.

لقد أدرك النورسي هذه الحقيقة في زمانه، وواجهها بقانون الاقتصاد الذي يقوم على معرفة الحاجات والضرورات الحقيقية، وإدراك الحاجات والضرورات الموهومة.

هذه المعرفة من شأنها أن تؤسس قواعد الاستهلاك في المجتمع الإسلامي، وتوجه المستهلك نحو الطريق الصحيح لإشباع حاجاته المادية بعيد عن ذل الاستهلاك الجشع. يقول النورسي: "نعم إن من لا يقتصد، مدعوّ للسقوط في مهاوي الذلة، ومعرض للانزلاق إلى الاستجداء والهوان معا".

إن المال الذي يستعمل في الإسراف في زماننا هذا لهو مال غال وباهظ جدا، حيث تدفع أحيانا الكرامة والشرف ثمنا ورشوة له، بل قد تسلب المقدسات الدينية، ثم يعطي نقودا منحوسة مشؤومة، أي يقبض بضعة قروش من نقود مادية، على حساب مئات الليرات من النقود المعنوية.

بينما لو اقتصر الإنسان على الحاجات الضرورية واختصرها وحصر همّه فيها، فسيجد رزقا يكفل عيشه من حيث لا يحتسب[2].

هذا التوجيه المقاصدي لضبط عملية الاستهلاك وحصرها في الحاجات الضرورية، تنم عن فقه النورسي لواقع المسلمين الذي أصبح يعاني من عقدة الانغماس في الشهوات المادية، ومن شراهة الاستهلاك الترفي الذي فرضته حضارة الغرب، كما يكشف عن رؤية أساسها لحضارة

---

[1]- انظر "اللمعات" ج٣، ص : ٢١٢ بتصرف.

[2]- المصدر نفسه، ص : ٢١٥-٢١٦.

القسط والاعتدال وحسن استخدام الموارد الطبيعية والكونية، وتثميرها على حد لا ابتزاز فيه، بعيدا عن مدنية الغرب القائمة على الاستهلاك الفاحش، والابتلاع الأهوج لخيرات وثروات الشعوب المستضعفة[1].

إن هذا التصور النورسي لقضية ترشيد الاستهلاك وتخليقه، ينبني على حقيقة فهمه لمسألة الرزق الإلهي، وحسن تفسيره للآيتين الكريمتين :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[2] ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴿٦﴾ ﴾[3].

يقول النورسي : نعم إن الرزق قسمان :

القسم الأول : وهو الرزق الحقيقي الذي تتوقف عليه حياة المرء، وهو تحت التعهد الرباني بحكم هذه الآية الكريمة، يستطيع المرء الحصول على ذلك الرزق الضروري مهما كانت الأحوال، إن لم يتدخل سوء اختياره، دون أن يضطر إلى فداء دينه ولا التضحية بشرفه وعزته.

القسم الثاني : هو الرزق المجازي، فالذي يسيء استعماله لا يستطيع أن يتخلى عن الحاجات غير الضرورية، التي غدت ضرورية عنده نتيجة الابتلاء ببلاء التقليد وثمن الحصول على هذا الرزق باهظ جدا، ولاسيما في هذا الزمان، حيث لا يدخل ضمن التعهد الرباني، إذ قد يتقاضى ذلك المال لقاء تضحيته بعزته سلفا راضيا بالذل، بل قد يصل به حد السقوط في هاوية الاستجداء المعنوي، والتنازل إلى تقبيل أقدام أناس منحطين، لا بل قد يحصل على ذلك المال المنحوس بالتضحية بمقدساته الدينية التي هي نور حياته الخالدة، ثم إن الألم الذي ينتاب ذوي الوجدان، من حيث العاطفة الإنسانية، بما يرونه من آلام يقاسيها المحتاجون البائسون في هذا الزمان الذي خيم عليه الفقر والحاجة- يشوب لذتهم التي يحصلونها بأموال غير مشروعة،

---

[1]- انظر "النورسي في رحاب القرآن وجهاده المعنوي في ثنايا رحلة العصر"، الدكتور عشراتي سليمان، القاهرة : دار سوزلر، ط ١- ١٩٩٩، ص : ٥٥.

[2]- سورة الذاريات، الآية ٥٨.

[3]- سورة هود، الآية ٦.

وتزداد مرارتها إن كانت لهم ضمائر. إنه ينبغي في هذا الزمان العجيب الاكتفاء بحد الضرورة في الأموال المريبة...وكذا لا يؤكل الطعام بشراهة أمام مائة من الجائعين"[1].

إن هذا التفسير الموضوعي لحقيقة الرزق في الواقع المعاصر، يضع حدا لثقافة الاستهلاك الشرسة التي اختزلت الإنسان في بعده الاستهلاكي، وجعلت إنسانيته تتحقق بقدر ما يستهلك من المنتجات، ويرسم للمجتمع الإسلامي منهج الإنتاج والاستهلاك وقف تحديد الاحتياجات الضرورية الكفيلة بتحقيق الكرامة الاقتصادية لبني الإنسان في ضوء قانون الاقتصاد، وعدم الإسراف الذي سطرته الآية الكريمة: ﴿۞ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[2].

يتخذ النورسي من هذه الآية مدخلا أساسيا لبيان نتائج الإسراف الوخيمة على الفرد والمجتمع، وخطورته على الحياة المعنوية للإنسان، يقول: "إن الإسراف ينتج عدم القناعة أي الطمع، أما الطمع فيخبت وهج الشوق والتطلع إلى العمل ويقذف بالإنسان إلى التقاعس والكسل، ويفتح أمامه أبواب الشكوى والحسرة في حياته، ليجعله يئن دوما تحت مضض الشكوى والسأم. كما أنه يفسد إخلاصه ويفتح دونه بابا للرياء والتصنع فيكسر عزته، ويريه طريق الاستجداء والاستخذاء.[3]

يتضح من خلال هذا الكلام، أن سعيد النورسي يريد للأمة أن تتشبث بقيم الإسلام ومبادئ الأخلاق في مجال الاستهلاك، وتملك القدرة على مواجهة الحضارة الغربية التي تستهدف الإنسان في كافة أبعاده، انطلاقا من سلاح السلع والمنتجات الاستهلاكية.

يقول النورسي : "كان البشر في عهد البداوة تعوزهم ثلاثة أو أربعة أشياء، وكان اثنان من كل عشرة أشخاص يعجزان عن تدارك تلك الأشياء، بينما في الوقت الحاضر تحت سطوة المدنية الغربية المستبدة، المتميزة بإثارة سوء الاستعمال والدفع إلى الإسراف، وتهيج الشهوات،

---

[1]- انظر "اللمعات" ج ٣، ص : ٢١٦.

[2]- سور الأعراف، الآية ٣١.

[3]- انظر "اللمعات" ج ٣، ص : ٢٢٢.

وإدخال الحاجات والمطالب غير الضرورية في حكم المطالب والحاجات الضرورية؛ فقد أصبح الإنسان العصري من حيث حب التقليد والإدمان مفتقرا إلى عشرين حاجة بدلا من أربع منها ضرورية. وقد لا يستطيع إلا شخصان من كل عشرين شخص أن يلبيا تلك الحاجات العشرين من مصدر الحلال بشكل مباح. ويبقى الآخرون الثمانية عشر محتاجين وفقراء. فهذه المدنية الحاضرة إذ تجعل الإنسان فقيرا جدا ومعوزا دائما، ولقد ساقت البشرية –من جهة تلك الحاجة– إلى مزيد من الكسب الحرام، وإلى ارتكاب أنواع من الظلم والغبن، وشجعت طبقة العوام المساكين على الصراع والتخاصم المستمر مع الخواص، وذلك بهجرها القانون الأساس الذي سنه القرآن الكريم القاضي بوجوب الزكاة وتحريم الربا، والذي يحقق بواسطتهما توفير العامة للخاصة"[1].

إن النورسي بتصوره هذا، يجسد الحقائق القرآنية الداعية إلى نبذ الإسراف وحسن التعامل مع المطالب المادية في زمن الحضارة الغربية المخترقة للحدود.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ﴿٥١﴾﴾[2].

ويقول أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[3]. وإلى غيرها من الآيات التي جعلت الإسراف من خصال الكفار وعلامات الأشقياء[4].

---

[1]– انظر "الملاحق في فقه دعوة النور" ج٧، ص : ٣٧٨–٣٧٩.

[2]– سورة المؤمنون، الآية ٥١.

[3]– سورة البقرة، الآية ١٧٢.

[4]– تأمل في سورة محمد، الآية ١٢، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾﴾، سورة الحجر، الآية ٣ : ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾﴾.

٣- ضرورة السعي والعمل لمحاربة الفقر والعطل.

يرجع تخلف المسلمين وضياع حياتهم المعيشية إلى تراخيهم وكسلهم في العمل، وموت إرادتهم ورغبتهم في السعي والعطاء المتجدد. يؤكد النورسي هذه الحقيقة، مجيبا عن سؤال مفاده "لماذا أصبح المسلمون فقراء وكانوا أغنياء، ولماذا أصبح الكفار أغنياء وكانوا فقراء؟" قائلا : هناك سببان لهذا حسب علمي:

السبب الأول : الفتور في السعي وعدم الرغبة، خلافا لما هو مستفاد من الأمر الرباني: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ۝٣٩﴾[١]، وانطفاء جذوة شوق الكسب المستفاد من الأمر النبوي بأن "الكاسب حبيب الله"[٢]، وذلك نتيجة إيحاءات بعض الرجال وتلقينات قسم من الوعاظ الجاهلين، أولئك لم يدركوا إن إعلاء كلمة الله في الوقت الحاضر يتوقف على الرقي المادي... ولم يتفهموا قيمة الدنيا (من حيث هي مزرعة الآخرة... ولم يميزوا بين متطلبات القرون الوسطى والقرون الأخرى... ولم يفرقوا بين قناعتين بعيدتين عن بعضهما (القناعة في التحصيل والكسب)، وهي المذمومة والقناعة في المحصول والأجرة، وهي الممدوحة ولم يتبينوا البون الشاسع بين التواكل الذي هو عنوان الكسل والتوكل الذي هو صدقة الإخلاص الحقيقي.

السبب الثاني : هو سلوكنا في المعيشة مسلكا غير طبيعي، مسلكا يوافق الكسل ويلائمه، ويداعب الغرور ويربت عليه، وهو المعيشة على الوظيفة الحكومية..لذا لقينا جزاء ما كسبت أيدينا.

إن الطريق المشروع للمعيشة والسبيل الطبيعي والحيوي إليها، هو "الصناعة، الزراعة، التجارة". أما الطريق غير الطبيعي فهو الوظيفة الحكومية والأمارة بأنواعها[٣].

---

[١]– سورة النجم، الآية ٣٩.

[٢]– لقد وقع لنورسي التباس في لفظ هذا الحديث فالرواية التي أوردها صاحب كشف الخفاء هي بلفظ الكريم حبيب الله ولو كان فاسقا، وقال لا أصل له وقال القاري حديث الكريم حبيب الله ولو كان فاسقا والبخيل عدو الله ولو كان راهبا لا أصل له: أنظر كشف الخفاء لعجلوني ج٢، ص : ١١٠.

[٣]– انظر "صيقل الإسلام" ج، ص : ٤٠٢–٤٠٣ بتصرف.

إن هذا التصور الذي يجعل العمل في الوظائف الحكومية رمزا للكسل والخمول، لا يأخذ على إطلاقه إلا من جهة دراسة الأوضاع الاجتماعية والسياسية، وما تفرضه من خصوصيات تنعكس على فاعلية الأفراد والشعوب في مجتمعاتهم، إذ أن الوظائف جزء من التجلي الحضاري العام لنشاط الإنسان وحركته في المجتمع، من أجل تحقيق التقدم والنهوض، ولهذا يمكن توجيه كلام النورسي في مرحلة حضارية تتسم بتقاعس الأفراد وتكاسلهم وعطالتهم، نتيجة ظلم دولهم وفشلهم في إدماجهم في الحياة العملية وهو ما نراه في واقع شعوب العالم الإسلامي التي يعاني متخصصوها من البطالة والتقاعس عن العطاء والتجديد.

وتصور النورسي هذا، ينم عن ربطه القوي بين عمل الإنسان ووظيفته في الأرض، والتي تقوم على العمارة بكل أشكالها الحضارية، فالإنسان الذي ينخرط في سلك الوظيفة من أجل المعيشة فقط ولا يربطها بقضية الدفاع عن الأمة وتطوير قدراتها، إنسان سلبي، وكل على الحكومة الإسلامية.

لقد أكد النورسي خطورة هذا الإنسان وأثره السلبي في الاستقرار الاجتماعي، ودعا إلى إحياء قيمة العمل في نفوس المسلمين وإشاعة روح المبادرة فيهم، قصد التخلص من براثين الجوع الذي أصبح يهدد الوجود الإسلامي، ويقض مضجعه نتيجة انسياقه وراء حضارة الغرب الاستهلاكية، يقول النورسي : "إن المدنية الحاضرة الغربية، لسلوكها طريقا مناقضا لأسس دساتير السماء وقيامها بمناهضتها، فقد طفح كيل سيئاتها على حسناتها وثقلت كفة أضرارها على فوائدها، فلقد اضطرب أمن الناس واطمئنانهم، واقلقوا وأسنت سعادتهم الحقيقية، فاختل ما هو مطلوب من المدنية ومقصود منها. حيث حلت بسبب نوازع الإسراف والسفاهة محل بوادر الاقتصاد والقناعة، واستمرئت ميول الكسل والدعة، وهجرت مرعى السعي والعمل. ولقد ألبست –هذه المدنية– البشرية المضطربة لباس الفقر المدقع، وكستها أثواب الكسل والتقاعس الرهيب[1].

[1]– انظر "الملاحق في فقه دعوة النور" ج٧، ص : ٣٧٧-٣٧٨.

إن هذا النقد الموضوعي لحضارة الغرب يشي بقوة الخطاب النورسي وقدرته على فهم مشاكل المسلمين وأسباب تخلفهم، كما يحمل في طياته آليات التحدي والمواجهة المتجلية في السعي والعمل الجاد المستمر ضد العجز والكسل.

لقد اعتبر النورسي العمل قانونا كونيا يسري في عالم الكائنات، ويوجه حركتها ووظائفها، يقول رحمه الله: "يا من لا يدرك مدى اللذة والسعادة في السعي والعمل..أيها الكسلان! اعلم، أن الحق تبارك وتعالى قد أدرج لكمال كرمه جزاء الخدمة في الخدمة نفسها وأدمج ثواب العمل في العمل نفسه.

ولأجل هذا كانت الموجودات قاطبة فيها الجمادات– من زاوية نظر معينة– تمتثل الأوامر الربانية بشوق كامل، وبنوع من اللذة، عند أدائها لوظائفها الخاصة بها والتي تطلق عليها" الأوامر التكوينية"، فكل شيء ابتداء من النحل والنمل والطير... وانتهاء إلى الشمس والقمر، كل منها يسعى بلذة تامة في أداء مهماتها. أي : اللذة كامنة في ثنايا وظائف الموجودات، حيث إنها تقوم بها على وجه من الإتقان التام، برغم أنها لا تعقل ما تفعل ولا تدرك نتائج ما تعمل"[1].

يتضح من خلال ما سبق، أن العمل في فكر النورسي يشكل قاعدة صلبة وسلاحا قويا يحمي المجتمع الإسلامي من شراسة الاستهداف الغربي، ويفتح للإنسان أفاق البحث في عوامل التقدم والتنمية الحضارية في كافة الجوانب الإنسانية.

وهذا التصور نجده ماثلا في نصوص الشريعة الإسلامية التي اعتبرت العمل من قواعد البناء الاجتماعي وعوامل تقدمه، وحثت الإنسان على الاستمرارية فيه إلى آخر لحظة يعيش فيها وتقوم قيامته. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"[2].

---

[1]– انظر "اللمعات" ج ٣، ص : ١٨٨.

[2]– الحديث أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد باب اصطناع المال، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٢٠، ص : ٢٩٦.

الفصل الثامن:

قضية العدالة السياسية عند بديع الزمان سعيد النورسي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم السياسة عند بديع الزمان سعيد النورسي

المبحث الثاني: إزالة الوهم عن مسألة هجر النورسي لعالم السياسة

المبحث الثالث: آليات تطبيق العدالة السياسية في المجتمع الإسلامي

المبحث الأول:
مفهوم السياسة عند بديع الزمان سعيد النورسي

تحدث النورسي عن السياسة بطرق شتى في رسائله، فتارة يتحدث عن سياسة الحكام وتارة أخرى يتحدث عن السياسة الدائرة على المنفعة، وتارة يتحدث عن السياسة الأوربية والسياسة الحاضرة، وغيرها من الأنواع التي تدل على المنهج الكلي الذي حكم النورسي في تناوله لقضايا السياسة وما يتعلق بها من أمور.

فهو وإن لم يتناول السياسة بمعناها الخاص، كما هو متداول في كتب علم السياسة، فقد تناول مرتكزاتها ومقوماتها ووظائفها، في سبيل تحقيق العدالة في المجتمع الإسلامي والقيام بمصالحه في الدنيا والآخرة[1].

إن النورسي رحمه الله، لم يختزل موضوع السياسة في المطالب المادية، بل تجاوزها إلى حدود ما يحتاج إليه الإنسان في سبيل تحقيق السعادة الأخروية والنجاة من العذاب الأليم.

فالسياسة الإسلامية في المنظور النورسي، هي التي ترتكز على قواعد الدين، وتسعى إلى تحقيق السلام بين أفراد المجتمع بتحكيم دساتير الحق ومرتكزات العدل.

إن أية سياسة تلغي البعد الديني لن تحقق العدل والمساواة بين أفراد مجتمعها، لكونها ترتكز على الأهواء والأنانيات والأخلاق الفاسدة والصفات الذميمة.

لقد سأل قسم من النواب المتدينين سعيدا القديم أوائل عهد الحرية: –إنك تجعل السياسة تابعة للدين في كل شيء، بل تجعلها وسيلة منقادة للشريعة، ولا تقبل الحرية إلا على أساس الوجه المشروع، بمعنى أنك لا تعترف بالحرية والمشروطية بدون الشريعة، ولأجل هذا جعلوك في صفوف المطالبين بتطبيق الشريعة في حادثة(٣١) مارت.

---

[1]– تعكس الخطبة الشامية ورسالة السنوحات والمحكمة العسكرية العرفية وغيرها من الأبحاث التي تناولها بشكل مفصل في كتاب "صيقل الإسلام" الرؤية الشاملة لقضايا الاجتماع السياسي عند بديع الزمان سعيد النورسي.

فأجابهم سعيد القديم بالآتي:

أجل ! إنه لا سعادة لأمة الإسلام إلا بتحقيق حقائق الإسلام، وإلا فلا ، ولا يمكن أن تذوق الأمة السعادة في الدنيا أو تعيش حياة اجتماعية فاضلة، إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإلا فلا عدالة قطعا، ولا أمان مطلقا إذ تتغلب عندئذ الأخلاق الفاسدة والصفات الذميمة، ويبقى الأمر معلقا بيد الكذابين والمرائين.[1]

يتضح من خلال هذا النص أن مفردات ومصاديق السياسة العادلةمن "أمن وحرية وسلام وعدل وغيرها" لا تتحقق إلا بوجود الشريعة الإسلامية.

فالسياسة الحقيقية، كما يراها النورسي، هي تلك النظم والممارسات التي تسعى إلى إحقاق الحق والعدل بين الناس، دون إحداث الفروق والتمايزات بين أفراد المجتمع، كما هو ماثل في التصور الغربي.

إن استحضار البعد الديني في العمل السياسي، هو الذي يضمن تحقيق العدالة السياسية في المجتمع الإنساني، ويمكّن الإنسان من تأمين حاجته المادية والمعنوية، ويحميه من سياسة الظلم والفساد الصادرة عن تطلعات النفس والأحاسيس المادية، ويحول دون دخول مفاسد المدنية إلى حدود حريته ومدنيته، يقول النورسي مؤكدا هذه الحقيقة في خطاب وجهه إلى النواب: "إن الإسلام بشريعته الغراء هو: المالك الحقيقي وصاحب العنوان المعظم... والمؤثر الحق والمتضمن للعدالة المحضة... ويحقق نقطة استنادنا... ويرسي المشروطية على أساس متين... وينقذ ذوي الأوهام والشكوك من ورطة الحيرة... ويتكفل بمستقبلنا وآخرتنا... وينقدكم من التصرف في حقوق الله بدون إذن منه... ويظهر ثباتنا ومكانتنا ويحقق وجودنا أمام الأجانب... وسحر العقول والأذهان... وينقدكم من تبعات الدنيا والآخرة... ويؤسس الاتحاد العام الشامل نهاية المطاف... ويولد الأفكار العامة (الرأي العام) التي هي روح ذلك الاتحاد... ويحول دون دخول مفاسد المدنية إلى حدود حريتنا ومدنيتنا... وينجينا من ذل التسول من أوربا... ويطوي لنا المسافة الشاسعة التي تخلفنا فيها عن الرقي في زمان قصير بناء

[1]- انظر "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٥٢١.

على سر الإعجاز أو يرفع من شأننا في زمن قصير بتوحيد العرب والطوران وإيران والساميين... ويظهر الشخصية المعنوية للدولة بمظهر الإسلام... ويقيم سدا أمام الإلحاد الذي يدمر المدنية... ويجعل جميع العلماء والوعاظ متحدين في سبيل سعادة الأمة وتنقية إجراءات الدولة وخداما للمشروطية المشروعة... ويبرئ ساحتكم أيها المبعوثون من مطالبة حقوق خمسين ألف شخص.. ويظهركم مثالا مصغرا مشروعا لإجماع الأمة.. وينجيكم من الجناية التي ترتكب بحق الحياة المعنوية لثلاثمائة مليون من المسلمين..فإذا ما أظهرتم الإسلام وشريعته الغراء، واتخذتموها أساسا لأحكامكم، وطبقتم دساتيرها، فمع اغتنام فوائد إلى هذا الحد هل تفقدون من شيء؟ والسلام، فتحيا الشريعة الغراء"[1].

هكذا تكون الشريعة الإسلامية جوهر العمل السياسي وقوامه، بها يتحقق التعاون بين الأفراد والمؤسسات، من أجل خلق مجتمع سياسي عادل تسوده مبادئ الحق والعدالة وتنتشر في ربوعه قيم الفضيلة ومحاسن الأخلاق.

إن هذه النتيجة التي توصلنا إليها بعد تدقيق النظر في تصور النورسي لحقيقة السياسة العادلة، هي إحدى النقاط الأساسية الكاشفة عن أسباب هجر النورسي للعمل السياسي بتياراته ومؤسساته وهو ما سنتناوله بالدرس والتحليل فيما يأتي.

[1]- انظر صيقل الإسلام ج٨/ص ٥٢٥-٥٢٦: لقد تعمدت سوق هذا الخطاب مطولا مع قليل من الحذف لإبراز قوة الخطاب السياسي الذي كان يمتلكه النورسي والذي ينم عن فقه كبير لمجريات الأحداث وطبيعة التحديات التي واجهتها الأمة في عصره.

المبحث الثاني:
إزالة الوهم عن مسألة هجر النورسي لعالم السياسة

إن خفاء المنزع السياسي في رسائل النور، يرتد إلى طبيعة المرحلة التي عاشها النورسي بعد كفاحه السياسي والاجتماعي في العصر العثماني، فأمام التحديات والمستجدات التي فرضتها طبيعة الإصلاحات في عهد كمال أتاتورك، رأى النورسي ضرورة التغيير في أساليب الدعوة والتعاطي مع الواقع وفق معايير جديدة تأخذ بعين الاعتبار حجم الإمكانات والقدرات المتاحة لمواجهة الأوضاع الجديدة.

لقد أدرك النورسي قوة العدو العلماني، وقدراته الكبيرة على احتواء المجتمع الإسلامي والقضاء على أسسه الإيمانية، فحاول أن يبدع الوسائل الكفيلة، والطرق الجديدة لمواجهة هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ الدولة التركية التي تميزت بالإجهاز التام على مكتسبات الإسلام، والإلغاء الكامل لجميع النشاطات الإسلامية بقوة السيف وقهر السلطة.

هذه الوسائل الجديدة قامت على منهج الثابت والمتحول في الفكر السياسي، كما سطره النورسي في رسائله، كما تمثلت في المراجعة المتأنية لمنهج الإصلاح والتغيير في ضوء المعطيات الجديدة، ومحاولة إنتاج آليات مناسبة للحفاظ على الوجود الإسلامي، أمام قوة الهجوم العلماني الكاسح.. يقول النورسي رحمه الله: "لهذا تكون الدنيا ميدان تقدم وترق للجميع وتكون لنا وحدنا ميدان تأخر وتدن... فهل الأمر هكذا ؟ فها أنذا آليت على نفسي ألا أخاطبكم، فأدير إليكم، وأتوجه بالخطاب إلى القادمين في المستقبل أيا من اختفى خلف عصر شاهق لما بعد ثلاثمائة سنة، يستمع إلى كلمات النور بصمت وسكون، وتلمحنا بنظر خفي غيبي.. أيا من تتسمون ب (سعيد وحمزة، وعمر وعثمان وطاهر ويوسف واحمد وأمثالهم) إنني أتوجه بالخطاب: إليكم ارفعوا هامتكم وقولوا: " لقد صدقت"، وليكن هذا التصديق دينا في أعناقكم. إن معاصري هؤلاء وإن كانوا لا يعيرون سمعا لأقوالي، لندعهم وشأنهم. إنني أتكلم معكم عبر أمواج الأثير الممتدة من الوديان السحيقة للماضي المسمّى بالتاريخ- إلى ذرى

مستقبلكم الرفيع..ما حيلتي لقد استعجلت وشاءت الأقدار، أن آتي إلى خضم الحياة في شتائها..أما انتم فطوبى لكم ستأتون إليها في ربيع زاهر كالجنة إن ما يزرع الآن ويستنبت من بذور النور ستنفتح أزاهير يانعة في أرضكم... نحن ننتظر منكم لقاء خدماتنا، أنكم إذا جئتم لتعبروا إلى سفوح الماضي عوجوا إلى قبورنا، واغرسوا بعض هدايا ذلك الربيع على "قمة القلعة"(*) التي هي بمثابة شاهد قبر مدرستي والمستضيقة لرفاتنا وعظامنا(١).

لله ما أطيب هذه الرؤية المستنيرة، وما أحوج أهل الدعوة الإسلامية في واقعنا المعاصر أن يعملوا بأسسها القائمة على الثقة بالله وحسن الاستشراف للمستقبل بناء على التخطيط المحكم والجهاد المعنوي المستمر(٢). ويبتعدوا عن آفات التهور.ومشكلة الاندفاع والتسرع في الفعال أمام مجريات الأحداث وأزمات الواقع المعاصر.

هكذا يتضح الإشكال، ويزول الوهم المتعلق بهجر النورسي للسياسة انطلاقا من عمق استنارة التخطيط، وقوة الاستشراف، وبعد النظر في الكشف عن الحالات والعواقب المترتبة على الاصطدام مع القوى المعادية للإسلام.

لقد درس النورسي عالم الأشخاص، وأدرك طبيعة التحديات الداخلية والخارجية، فأيقن أن خير وسيلة للدفاع عن الوجود الإسلامي في تركيا هو حسن إدارة الصراع مع العدو وفق رؤية تعتمد على ترسيخ أسس الإيمان في نفوس المجتمع التركي، وتجتنب أسباب الصراع والتنازع مع العدو العلماني(٣).

(*)- المقصود قلعة مدينة "وان" التي هي بمثابة شاهد قبر للمدرسة الدراسة (خورخور) والتي تمثل نموذجا لمدرسة الزهراء في وان – المؤلف صيقل الإسلام ج٨/ ٤٠٩.

(١)–المصدر نفسه، ص ٤٠٨–٤٠٩.

(٢)– لقد تجولت في الواقع التركي وزرت كثيرا من مدنه ومراكزه ومؤسساته فوجدت أن الإستشراف النورسي لمستقبل الإسلام في تركيا أصبح يمثل حقيقة واقعية بدأت بوادرها وبشارتها تظهر شيئا فشيئا وهو ما يؤكد عمق النظر النورسي لقضايا المستقبل الإسلامي وأصالة تنظيره.

(٣)– لقد استطاع النورسي بذكائه الخارق أن ينجح في تحقيق المعادلة الصعبة التي تتجلى في الحفاظ على البقاء الإسلامي في الواقع التركي دون الوقوع في شراك الاحتواء العلماني الخطير والرضوخ إلى مطالبه وهو ما يؤكد حنكة النورسي السياسية وقدرته على التعاطي مع الواقع وفق مقايس محددة ومقاصد مرسومة تمتص قوة العدو وتحول دون تحقيق أهدافه الكبرى.

ويمكن الكشف عن نتائج هذه المراجعة في نقطة مركزية مفادها اعتزال النورسي السياسة، وتركيزه على بناء الفرد المسلم انطلاقا من حقائق الإيمان التي سطرها في رسائله بناء على تأمله في القرآن الكريم والكون والحياة.

لقد شكلت هذه الأسس الثلاثة الأبعاد الكبرى التي بنى عليها النورسي رؤيته لقضايا الإصلاح والتغيير والتعامل مع المعطيات الجديدة في ساحة الواقع التركي.

فالقرآن الكريم أمده بالمعطيات الشرعية والنبوية، وفتح له آفاق البحث في التراث الإسلامي وما يحتويه من علاجات مناسبة لأمراض عصره، والكون أمده بحقائق علمية كبرى، قادرة على مواجهة العقلانية الغربية، والحياة أمدته بتجارب كثيرة ساهمت في ترشيد عمله الدعوى وجهاده المعنوي، من أجل حماية المجتمع من خطر العلمانية المعاصرة.

من خلال هذه الروافد الثلاثة، رسم النورسي مشروعه الإصلاحي الجديد، وأكد أولوية البناء الإيماني على سائر العناصر الأخرى وفق رؤية إستراتيجية تقوم على دراسة موازين القوى في المجتمع الإسلامي.

لقد أيقن النورسي أن المرحلة الجديدة تقتضي الرجوع إلى القاعدة الشعبية، وتكوين جيل جديد على أساس الإيمان ومقتضياته، وفق إستراتيجية سرية تعتمد على العمل الداخلي المغلق والبعيد عن الاحتكاك السياسي الخارجي –المشحون بالاضطرابات والأهواء والتدليس– يقول النورسي معبرا عن هذه الحقيقة في كتابه الموسوم بالملاحق في فقه دعوة النور[1] " ينبغي أن تكون الحقائق الإيمانية أول مقصد وأسبقه في هذا الزمان وتبقى سائر الأمور في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة وفي الوقت الذي ينبغي أن تكون خدمة الحقائق الإيمانية برسائل النور أجل وظيفة وموضع اهتمام ولهفة ومقصودة بالذات، إلا أن أحوال العالم الحاضرة ولاسيما الحياة الدنيوية، ولاسيما الحياة الاجتماعية والحياة السياسية خاصة وأخبار الحرب العالمية بالأخص–

[1]– إن هذا الكتاب يكشف عن الرؤية المنهجية لقواعد الدعوة الإسلامية ووسائلها وأساليبها في التعاطي مع الواقع الذي عاصره النورسي، كما يوضح الطريقة الصحيحة لمنطق الاشتغال الحركي في جماعة النور، ويبرز أهدافها ومقاصدها وأولوياتها في العمل الإسلامي.

التي هي تجل من تجليات غضب الله النازل عقابا لضلالة المدنية الحاضرة وسفاهتها- والتي تستميل الناس إلى جانبها وتهيج الأعصاب والعروق حتى تدخل إلى باطن القلب، بل حتى مكّنت فيه الرغبات الفاسدة المضرة بدلا من الحقائق الإيمانية الرفيعة النافعة، فهذا العصر المشؤوم قد عرز الناس بهذه الأمور ومازال، ولقّحهم بأفكاره وما زال، بحيث ترك العلماء الذين هم خارج دائرة رسائل النور، بل بعض الأولياء، حكم الحقائق الإيمانية في الدرجة الثانية والثالثة بسبب ارتباطهم بتلك الحياة السياسية والاجتماعية منجرفين مع تلك التيارات، فيولون حبهم للمنافقين الذين يبادلونهم الفكر نفسه، ويعادون من يخالفهم الرأي من أهل الحقيقة بل من أهل الولاية وينتقدونهم. حتى جعلوا المشاعر الدينية تابعة لتلك التيارات[1].

إن هذا النص يكشف عن أسباب اعتزال النورسي لعالم السياسة، ويظهر نتائجها السلبية على الواقع الإسلامي المعاصر، في ضوء اختلال عملية التوازن والتكافؤ بين القوى الإسلامية، التي تفتقد شروط التمكين وآليات الثبات على المبدأ السياسي الرشيد. والقوى العلمانية المسيطرة على مقاليد الأمور، والقادرة على احتواء العناصر الإسلامية وامتصاص جهودها بالأساليب القوية والإمكانات المتوفرة.

لقد أدرك النورسي هذه الخطورة وتوصل إلى قناعة تامة تثبت فشل العمل السياسي الإسلامي في مواجهة أجهزة السياسة المعاصرة، فحاول أن يرسم طريقا جديدا يعتمد على سنة التدرج والمصابرة والحكمة والأمد الطويل، والاستشراف المستقبلي لبناء الجيل الإسلامي القوي، في ضوء النصوص المبشرة بالتمكين والنصر للمؤمنين في الأرض.

هذا الاستشراف المستند إلى نور الوحي، والأمل المنبعث من الوعد الإلهي، منح النورسي القدرة على تجاوز العدو الداخلي، وحسن إدارة الصراع معه في ضوء المقاصد الكبرى القاضية بضرورة الحفاظ على الوجود الإسلامي في الواقع التركي الخطير، بناء على التخطيط المحكم، والرؤى الدقيقة لمجريات الأحداث، والمتغيرات الجذرية في موازين القوى في المجتمع، يقول النورسي محاورا وزير العدل والحكام الذين لهم علاقة برسائل النور.

---

[1]- انظر "الملاحق في فقه دعوة النور" ج٧، ص : ١٤٩.

أيها السادة !

لِمَ تنشغلون بنا وبرسائل النور دون داع أو سبب. إني أبلّغكم قطعا بالآتي: إنني ورسائل النور لا نبارزكم بل حتى لا نفكر فيكم. وإنما نعد ذلك خارج وظيفتنا، لأن رسائل النور وطلابها الحقيقيين يؤدون خدمة جليلة للجيل المقبل الذي سيأتي بعد خمسين سنة، ويسعون لإنقاذهم من ورطة جسيمة، ويجدّون في إنقاذ هذه البلاد والأمة من خطر عظيم، فمن ينشغل بنا الآن سيكون رميما في القبر في ذلك الوقت.

إن إظهار أعضاء الاتحاد والترقي شيئا من عدم المبالاة في الحياة الاجتماعية وفي الدين وفي السجايا القومية أدّى إلى ظهور الأوضاع الحالية بعد ثلاثين سنة تقريبا من حيث الدين والأخلاق والعفة والشرف فالأوضاع الحاضرة ستنعكس على الجيل الآتي لهذه الأمة– البطلة المتدينة الغيورة على شرفها– بعد خمسين سنة.

نعم في الوقت الذي نجد خمسين بالمائة ممن تربوا بالتربية القديمة لا يكترثون بالأعراف الشعبية والإسلامية، فإنه بعد خمسين سنة يسوق تسعون بالمائة منهم هذا الوطن والأمة– بنفوسهم الأمارة بالسوء– إلى فوضى ضارب أطنابها. فلا شك أن التفكر في هذا البلاء العظيم ومحاولة التحري عن الأسباب لدفعه، هو الذي دفعني قبل عشرين سنة إلى ترك السياسة كليا وعدم الانشغال مع أناسي هذا الزمان، مثلما دفع رسائل النور وطلابها إلى قطع علاقتهم مع صراعات هذا الزمان. فلا مبارزة معهم ولا انشغال بهم"[1].

إن هذا النص يكشف بجلاء تام عن عمق النظرة النورية لمسألة التعاطي مع الشأن السياسي في زمن الهيمنة العلمانية الحاقدة على أسس الإسلام، فحري بأهل العمل السياسي الإسلامي في زمننا المعاصر أن يستفيدوا منها، وينهلوا من نتائج تجاربها، حتى لا يسقطوا في

[1]– انظر "الملاحق في فقه دعوة النور" ج٧، ص : ٢٣٤ بتصرف.

عملية الاختراق والذوبان والامتصاص التي أصبحنا نراها ماثلة في كثير من تجارب الإصلاح السياسي في العالم الإسلامي[1].

فالنورسي بهذا التصور، يعتبر السياسة المعاصرة مثل الانفلونزا الذي يسبب الهذيان وتنعكس آثاره على جميع الأطراف المقتربة منه، يقول النورسي رحمه الله: "إن السياسة الحاضرة لاستانبول شبيهة بالانفلونزا يسبب الهذيان. فنحن لسنا متحركين ذاتيا، بل نتحرك بالوساطة. فأوربا تنفخ ونحن نرقص هنا، فهي تلقن بالتنويم– المغناطسي – ونحن نتصورها نابعة من أنفسنا ونجري أثر تلقينه بتخريب أعمى أصم. فمادام المنبع في أوروبا فالتيار القادم إما سيكون تيارا سلبيا أو ايجابيا".

فالذين يتبعون السلبي هم كالحرف الذي يعرّف "دل على معنى في نفس غيره، أو لا يدل على معنى في نفسه"، بمعنى أن جميع أفعاله ستكون لصالح الخارج مباشرة.

أما التيار الآخر الايجابي فيلبس لبوس التأييد والموافقة من الداخل، فهو كالاسم الذي يعرّف "دل على معنى في نفسه". فأفعاله لنفسه ولكن ما يترتب عليها للخارج.."[2].

إن هذا التناول يقسم السياسة إلى نوعين : الأولى مشروعة نابعة من الذات الإسلامية وأصالتها المرجعية. والثانية غير مشروعة وافدة من حضارة الغرب، تستهدف الوجود الإسلامي، وتسعى إلى استغلاله وتسخيره لخدمة أغراضها الشخصية ومطامعها الاستعمارية.

فالنوع الأول افتقد شروط البقاء ومقومات التفعيل، أما النوع الثاني فقد وجد الظروف المناسبة للتطبيق والإجراء الفعلي في الحراك الاجتماعي، نتيجة سيطرة أنصاره على مقاليد السلطة في البلاد، وامتلاكهم القوة والتحكم في شؤون المسلمين بالحديد والدم.

---

[1]– المتأمل في الحالة الفلسطينية يجد أن القوة السياسة الإسلامية تتعرض لعملية الاحتواء والاستضعاف نتيجة الانخراط في العمل السياسي دون الأخذ بعين الاعتبار الإكراهات الواقعية والملابسات الداخلية الخطيرة والتحديات الخارجية الكبرى التي تسعى إلى القضاء على الوجود الإسلامي في الواقع الفلسطيني.

[2]– انظر "صيقل الإسلام" ٨، ص : ٣٦١.

من عمق هذه المشكلة، وجد النورسي نفسه مسوقا إلى هجر السياسة واعتزال أصحابها متجها نحو بناء مشروع إسلامي طويل الأمل يستشرف الجيل الإسلامي القادم، ويتجاهل السياسيين المعاصرين الحاقدين على دين الإسلام بعدم الوقوع في الصراع معهم والانفعال لمخططاتهم رعاية لمال المستقبل الإسلامي.

المبحث الثالث:
آليات تطبيق العدالة السياسية في المجتمع الإسلامي عند النورسي

إن الناظر في النصوص الفكرية للنورسي يدرك أنه قدم مشروعا إصلاحيا سياسيا في مرحلتين : مرحلة "السلطان عبد الحميد" ومرحلة "الاتحاد والترقي"، وحاول أن يلقي بتبعاته ومسؤولياته على الحكام والعلماء والأمة، فيما يتعلق بأسباب النهوض والتقدم عامة وإقامة العدل السياسي في المجتمع الإسلامي خاصة.

لقد كان مشروعه يرتكز على مقومات وثوابت أساسية استنبطها من الفقه السياسي الإسلامي، تمثلت في مبادئ الشورى والحرية والمساواة والوحدة، ونبذ العنصرية وغيرها من المبادئ التي حاول من خلالها إصلاح النظام السياسي في البلاد، وتحقيق العدالة السياسية. وفي هذا المبحث أحاول أن أتناول بعض هذه الثوابت الكفيلة بتحقيق العدل السياسي في المجتمع الإسلامي، كما سطرها النورسي في رسائله وفق العناصر الآتية.

- **الشورى:**

يعتبر النورسي ثابت الشورى جوهر الحياة السياسية، ومنبع السعادة الاجتماعية التي تستلزم الحضور في كافة الميادين الإنسانية، يقول رحمه الله: "إن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية إنما هو"الشورى" فالآية الكريمة تأمرنا باتخاذ الشورى في جميع أمورنا، إذ يقول سبحانه: ﴿**وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾**﴾[1].

أجل فكما أن تلاحق الأفكار بين أبناء الجنس البشري، إنما هو شورى على مر العصور بواسطة التاريخ، حتى غدا مدار رقي البشرية وأساس علومها، فإن سبب تخلف القارة الكبرى التي هي آسيا من ركب الحضارة، إنما هو لعدم قيامها بتلك الشورى الحقيقية.

[1]– سورة الشورى، الآية ٣٨.

إن مفتاح قارة آسيا وكشاف مستقبلها إنما هو الشورى، أي: كما أن الأفراد يتشاورون فيما بينهم..كذلك ينبغي أن تسلك الطوائف والأقاليم المسلك نفسه فتتشاور فيما بينها،إن فك أنواع القيود التي كبلت ثلاثمائة، بل أربعمائة مليون مسلم ورفع أنواع الاستبداد منهم، إنما يكون بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية"[١].

يتضح من خلال هذا النص، أن مبدأ الشورى يشكل جوهر الإصلاح السياسي، ومنطلق التقدم والازدهار الذي يبعث في الأمة روح العطاء والإبداع، ويفجر فيها الطاقات العلمية ويسخرها لصالح المجتمع الإسلامي. إن الشورى الحقيقية حسب تصور بديع الزمان هي التي تضمن الحق لكافة أفراد المجتمع، بأن يساهموا بأفكارهم وتصوراتهم في رقي البشرية وتقدمها.

وهذا التصور الذي يجعل من الشورى ثابتا كليا عاما، يتطلب الحضور في كافة ميادين الحياة، "من عالم السياسة والحكم، إلى عالم الفكر والاجتهاد، جسدته السنة النبوية الشريفة وحقائق السيرة النبوية العطرة التي تحدثت عن تشاور الصحابة رضي الله عنهم في ميادين الاجتهاد والجهاد[٢].

فالشورى بهذا الاعتبار، تعد مبدأ أساسيا يعمل على توظيف جميع عناصر المجتمع في مشروع التقدم والتطور، كما يساهم في وحدة المسلمين وتقوية روابط الأخوة بينهم تجاه مخططات العدو، يقول النورسي رحمه الله: "إن الشورى الحق تولد الإخلاص والتساند، إذ إن ثلاث ألفات هكذا(اا) تصبح مائة وإحدى عشرة، فإنه بالإخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاثة أشخاص أن يفيدوا فائدة مائة شخص ، ويخبرنا التاريخ بحوادث كثيرة أن عشرة رجال يمكنهم أن يقوموا بما يقوم به ألف شخص بالإخلاص والتساند الحقيقي والشورى فيما بينهم".

---

[١]- انظر "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٥١٨.

[٢]- انظر تشاور الصحابة رضي الله عنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في تحديد مكان القتال يوم غزوة بدر يوم أحد. في كتب السيرة النبوية الشريفة. ومثاله فقه السيرة النبوية لمحمد الغزالي، طبعة مجلدة، بدون تاريخ الطبع، ص : ٢٤٠ وص : ٢٦٨-٢٦٩.

فمادامت احتياجات البشر لا حد لها وأعداؤه دون حصر، وقوته ورأس ماله جزئيان محدودان جدا. ولاسيما بعد ازدياد المخربين والمتوحشين نتيجة تفشي الإلحاد..فلا بد أن يكون أمام أولائك الأعداء غير المحدودين والحاجات التي لا تحصر نقطة استناد تنبع من الإيمان، فكما تستند حياته الشخصية إلى تلك النقطة فإن حياته الاجتماعية أيضا إنما تستطيع أن تدوم وتقاوم بالشورى الشرعية النابعة من حقائق الإيمان، فتقف أولائك الأعداء الشرسين عند حدّهم وتلبي تلك الاحتياجات"[1].

إذن نستخلص من هذا النص وغيره، حضور مبدأ الشورى في كافة الميادين السياسية والاجتماعية والعلمية، وضرورة سريانه في جميع نشاطات الأفراد والجماعات، من أجل تحقيق العدل والحفاظ على وحدة المسلمين من أضرار الشقاق وتشتت الجهود.

لقد أدرك النورسي قيمة الشورى، وصار يدعو إلى تحقيقها في الدوائر الاجتماعية والمجالات العلمية، من أجل محاربة الاستبداد الفكري الذي يقتل روح المبادرة في المجتمع الإسلامي، ويشل حركة العلم فيه، يقول النورسي: "نعم إن لكل زمان حكمه، والزمان كذلك مفسر. أما الأحوال والأحداث فهي كشافة. وأن الذي يستطيع أن يكون أستاذا على الأفكار العامة هو الأفكار العلمية العامة أيضا.

فبناء على هذا واستنادا إليه، أريد تشكيل مجلس شورى علمي، منتخب من العلماء المحققين، كل منهم متخصص في علم ليقوموا بتأليف تفسير القرآن الكريم بالشورى بينهم، تحت رياسة الزمان الذي هو مفسر عظيم، ويجمعوا المحاسن المتفرقة في التفاسير ويهذبوها ويذهبوها.

وهذا الأمر مشروط بأن تكون الشورى مهيمنة في كل شيء والأفكار العامة مراقبة وحجية الإجماع حجة عليه"[2].

---

[1]- انظر "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٥١٥.

[2]- انظر "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٣٧.

هكذا يعتبر النورسي الشورى من المرتكزات الأساسية للقضاء على الاستبداد والتسلط في كافة الميادين السياسية، والاجتماعية، والعلمية، ومن الوسائل الكبرى لشحذ همم الأفراد، وتوجيه طاقاتهم العلمية، وقدراتهم الفكرية نحو خدمة المجتمع الإسلامي، والدفاع عن وحدته، والتبشير بثوابته ومبادئه، لصالح المسلمين خاصة والإنسانية عامة.

- الحرية:

تمثل الحرية دعامة أساسية من دعائم الفكر السياسي الإسلامي؛ إذ تحمي المجتمع الإسلامي من خطورة الاستبداد الثقافي والفكري، وتجنبه أزمة الركود والتقليد والخضوع إلى سلطة الرأي الواحد، وتحرره من عبودية الأهواء والشهوات وتدفعه نحو تحقيق الرقي والنهوض.

والنورسي من المفكرين الذين اعتمدوا مبدأ الحرية في عملية الإصلاح السياسي، وتثبيت أسس الحق والعدل في المجتمع الإسلامي؛ حيث تناول أقسامها وبين أهميتها في الحياة الإنسانية وكشف عن نتائج القيم المضادة لها. يقول رحمه الله: "إن صدى الحرية والعدالة نفخ اسرافيل فيبعث الحياة في مشاعرنا المدنية، وآمالنا الخامدة، ورغباتنا القومية الرفيعة، وأخلاقنا الإسلامية الحميدة، حتى يرن صماخ الكرة الأرضية المجذوبة جدبة المولوي، ويهيج الأمة جميعا ويهزها هز المجذوب.

وإياكم يا إخوان الوطن أن تقضوا عليها بالموت مرة أخرى بالسفهات والإهمال في الدين.

إن القانون الأساسي المؤسس على هذه الشريعة الغراء قد أصبح ملك الموت لقبض أرواح جميع الأفكار الفاسدة والأخلاق الرذيلة والدسائس الشيطانية والتزلفات الدنيئة. فيا إخوة الوطن ! لا تعيدوا لتلك الرذائل الحياة بالاسرافات ومخالفة الشريعة والملذات المحرمة.[1]

يتخذ هذا التصور النورسي مسألة الحرية قاعدة للأخلاق الإسلامية وأساسا لضبط مفهومها وبيان حدودها حتى لا تخرج عن مسارها الصحيح، وتصبح وسيلة إلى إذكاء نار

[1]- انظر "صيقل الإسلام" ج٨، ص ٤٦٦.

الوحشية والبهيمية والاخلاق الرذيلة يقول النورسي: "إن الحرية الخارجة عن دائرة الشرع، إنما هي استبداد أو أسر بيد النفس الأمارة بالسوء، أو بهيمية أو وحشية"[١].

فالحرية الحقيقية، إنما تزدهر بمراعاة الأحكام الشرعية وآدابها، والتخلق بالأخلاق الفاضلة[٢]، أما الحرية التي تطلق العنان للنفس لكي تتحرر من القيود وتنغمس في السفاهات والملذات غير المشروعة والبذخ والإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء هي عين الاستبداد والسفه ترجع بالأمة إلى عهد الصباوة[٣].

يتضح من خلال هذه النصوص، أن تحقيق مفهوم الحرية مشروط بتحقيق الانقياد إلى قواعد الأخلاق، وأوامر الشريعة، مما يجعلها قيمة أخلاقية تنمي في الإنسان روح العبودية المطلقة لله عز وجل وتحرره من عبادة الأهواء والأشخاص، وتجعله إنسانا حرا عبدا لله كما خلقه الله عز وجل، وهو ما عبر عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله" متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتكم ادرارا".[٤]

لقد اكتسب الإنسان عنصرين هامين في نطاق إنسانيته، الأول منهما هو المساواة الكاملة، وثانيهما التحرر من الخوف وعدم الإذعان لأي شيء في الدنيا ما عدا الإذعان لخالق الخلق[٥].

فالحرية الحقيقة، فطرة إنسانية ترتفع بالإنسان إلى درجة كمال العبودية لله، وتحقق إنسانيته باحترامه لحرية الآخرين، يقول النورسي رحمه الله: "على أن الحرية هي أن يكون المرء مطلق العنان في حركته المشروعة، مصونا من التعرض له، محفوظ الحقوق ولا يتحكم بعض في

---

[١]- المصدر نفسه، ص : ٥٣٥-٥٣٦.

[٢]- المصدر نفسه، ص : ٤٦٧.

[٣]- المصدر نفسه، ص : ٤٦٧.

[٤]- انظر "أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر علي الطنطاوي"، ص: ٢٢٧ .

[٥]- انظر "معالم الحضارة الإسلامية الدكتور مصطفى الشكعة"، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٢، ص : ٣٢.

بعض، يتجلى فيه نهي الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٦٤﴾﴾[1].. ولا يتآمر عليه غير قانون العدالة والتأدب لئلا يفسد حرية إخوانه[2].

فالنورسي بهذا التحليل، يجعل الحرية منبعا لكرامة الإنسان، ومناطا لتحقيق عبوديته لله عز وجل على أن هذه الحرية في فكر النورسي لا تعني التحلل من كل القيود والضوابط، حتى يتمكن الإنسان من ممارسة أفعاله بشكل مطلق لا يراعي حدود الآخرين، وإنما هي التحرر من عبادة جميع آلهة الأهواء والشهوات، وتحقيق العبودية لله وحده، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[3].

إن الحرية الحقيقية تبتدئ بتحرير النفوس من سيطرة الأهواء والشهوات، وجعلها خاضعة سلطان العقل والإيمان[4].

وبها يتحقق الاحترام بين الناس، ويسود التعاون والتكافل بين جميع أطرافه، حاكمين ومحكومين في ضوء قانون العبودية الذي يسري على الجميع، ويمنح الحرية لأفراد المجتمع بأن يمارسوا أعمالهم، يعبروا عن أرائهم ومعتقداتهم بما يتوافق مع أسس الحق والعدالة بعيدا عن سلطة الاستبداد وطغيان التسلط يقول النورسي رحمه الله: "فالسلطة المسندة إلى القوة والإكراه كانت هي الحاكمة في سالف الأزمان، وهي محكومة بالتدني والانقراض حيث إنها حصيلة الجهل والوحشية. فأي دولة جرت في عرقها دماء السلطة المستبدة فإن سطور تاريخها تنعق نعيق البوم بالانقراض.

بينما في زمن المدنية فإن العلم والمعرفة هما السلطة الحاكمة على العالم وحيث إن مولدها هي المدنية ومن شأنها الزيادة وعمرها أبدي، لذا لو كانت هذه السلطة الحاكمة مدبرة لشؤون

---

[1]- سورة آل عمران، الآية ٦٤.

[2]- انظر "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٣٩٤.

[3]- سورة الجاثية، الآية ٢٣.

[4]- انظر "العلاقات الدولية في الإسلام"، محمد أبو زهر، القاهرة : دار الفكر العربي، بدون تاريخ الطبع، ص : ٢٨.

أي دولة كانت فإنها تنحي تلك الحكومة من قيد العصر الطبيعي واجل الانقراض فتدوم حياتها بدوام الأرض.[1]

هكذا تكون الحرية في فكر النورسي قوام حياة الدول والشعوب وأساس سعادتها، ومنبع اطمئنانها وطريق عزتها، وتقدمها وبرهان على عدالتها وإنصافها.

فالعدل السياسي يقتضي توفير الشروط الأساسية، من أجل حياة مستقرة قوامها الحريات والحقوق السياسية والفكرية.

إن النظام السياسي الذي يمارس الإكراه على أفراد مجتمعه، ويمنعهم من ممارسة حرياتهم السياسية والثقافية لا يمكن أن يحقق الاستقرار الاجتماعي، بل سيساهم في زيادة الاضطرابات الداخلية، وتقوية أشكال العنف والتطرف في البلاد يقول مصطفى السباعي رحمه مؤكدا هذه الحقيقة: "إن الاستبداد يكتم أنفاس الأمة، ويزيف إرادتها، ويشل تفكيرها، ويسوقها كالغنم إلى حتفها دون أن تملك حق التعبير عن آلامها وعن نهايتها المفجعة... وإن الاستبداد يزدري عقل الأمة ووعيها ونضجها، ويجعل عقول الملايين خلف عقل واحد وإن انحرف انحرفت وإن ضل ضلت"[2].

- **الاتحاد والوحدة الإسلامية:**

إن تقدم المجتمعات الإسلامية، وتماسكها وقوتها، مشروط بتحقيق الاتحاد والوحدة بين أفراد شعوبها في العقيدة، والمصير، والجهاد، والعمل، ومنوط بتوفير آليات الاتفاق حول الأهداف العليا المشتركة التي تعود على الأمة بالنفع والصلاح. والنورسي من المفكرين الكبار الذين دعوا إلى القضية، وسعوا إلى نشرها في الأوساط الاجتماعية ودافعوا عنها بالنظر والعمل والرؤية والتجربة. انطلاقا من حقائق القرآن ومقررات التوحيد والإيمان، يقول النورسي رحمه الله: "أقول مكررا أن التوحيد الإلهي هو جهة الوحدة في الاتحاد المحمدي الذي هو حقيقة اتحاد الإسلام (الوحدة الإسلامية). أما يمينه وبيعته فهو الإيمان. ومقرَّاته وأماكن تجمعاته: المساجد

[1]- انظر "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٤٦٩.

[2]- انظر "أخلاقنا الاجتماعية" مصطفى السباعي المكتب الإسلامي، بيروت : دار الرشاد، ط ٢، ١٣٩٣/١٩٧٣، ص : ٧٧-٧٨.

والمدارس الدينية والزوايا. ومنتسبوه: جميع المؤمنين. ونظامه الداخلي : السنن الأحمدية. والقوانين الشرعية بأوامرها ونواهيها. فهذا الاتحاد ليس نابعا من العادة وإنما هو عبادة.

فالإخفاء والخوف من الرياء، والفرائض لا رياء فيها. وأوجب الفرائض في هذا الوقت هو اتحاد "الإسلام الوحدة الإسلامية".

وهدف الاتحاد وقصده، تحريك الرابطة النورانية التي تربط المعابد الإسلامية التي هي منتشرة ومتشعبة، وإيقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم إلى طريق الرقي بأمر وجداني.

مشرب هذا الاتحاد هو : المحبة. وعدوه: الجهل والضرورة والنفاق، وليطمئن غير المسلمين بأن اتحادنا هو الهجوم على هذه الصفات الثلاث ليس إلا"[1].

إن هذا النص، يكشف عن حقيقة الاتحاد والوحدة الإسلامية ويبين أسسها وأهدافها، فالأمة الإسلامية لا تعيش حياة العز والكرامة ولا يقوم لها كيان قوي، ولا يقر لها قرار، ولا يحصل لها استقلال إلا بتحقيق الاتحاد والوحدة بين أبنائها في ضوء الاعتصام بحبل الله المتين، يقول الله تعالى:﴿**وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴿١٠٣﴾**﴾[2] من وحي هذه الآية القرآنية يثبت النورسي أن هذا العصر عصر الجماعة إذ أن الشخصية المعنوية – التي هي روح الجماعة– أثبت وأمتن من شخصية الفرد. وهي أكثر استطاعة على تنفيذ الأحكام الشرعية. فشخصية الخليفة تتمكن من القيام بوظائفها استنادا إلى هذه الروح المعنوية.

إن الشخصية المعنوية تعكس الروح العامة، فإن كانت مستقيمة فإن إشراقها وتألقها يكون أسطع وألمع من شخصية الفرد، أما إن كانت فاسدة، فإن فسادها يستشري وفق ذلك[3]، لذا فإن الاتحاد في ظل وحدة العقيدة يبعث في الأمة روح التعاون والتكافل، ويدفع عنها أضرار التفرق والانقسام التي أضعفت جسمها، وكيانها، وشجعت العدو على اختراقها،

---

[1]– أنظر "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٥٢٩.

[2]– سورة آل عمران، آية ١٠٣.

[3]– انظر "المثنوي" ج٦، ص : ٢٠٣–٢٠٤.

واستهداف جميع مقوماتها، يقول السيد جمال الدين الأفغاني رحمه الله عز وجل مؤكدا هذه الحقيقة ومتأملا في أسباب انحدار الأمة وانحدارها إلى الحضيض: "لقد جمعت ما تفرق من الفكر، ولمست شعت التصور ونظرت إلى الشرق فاستوقفتني الأفغان، وهي أول أرض مس جسمي ترابها، ثم الهند وفيها تقف عقلي، فإيران بحكم الجوار والروابط، فجزيرة العرب من حجاز هو مهبط الوحي، ومن يمن وتباعتها ونجد و العراق وبغداد، وهارونها ومأمونها، والشام ودهاة الأمويين فيها، والأندلس وحمراؤها، وهكذا كل صقع ودولة من دول الإسلام، وما آل إليه أمرهم، فالشرق الشرق فخصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه وتحري دوائه، فوجدت أقتل أدوائه داء انقسام أهليه وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف، فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم"[1].

إن هذا التأكيد على أهمية الاتحاد وضرورته في حياة المسلمين، كما رسمه جمال الدين الأفغاني، انطلاقا من تشخيصه لداء المسلمين، كان له الأثر الطيب في فكر النورسي؛ حيث صرح بذلك في رسالته الموسومة "بالمحكمة العسكرية العرفية" وأثبت انتماءه إلى نهج جمال الدين الأفغاني في قضية الدعوة إلى الاتحاد الإسلامي يقول رحمه الله: "لقد بايعت السلطان سليم وقبلت فكره في الاتحاد الإسلامي، لأن ذلك الفكر هو الذي أيقظ الولايات الشرقية، فهم قد بايعوه على ذلك.

فالشرقيون الآن هم أولائك لم يتغيروا. فأسلافي في هذه المسألة هم الشيخ جمال الدين الأفغاني، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده ومن العلماء الأعلام علي سواعي والعالم تحسين. والشاعر نامق كمال الذي دعا الاتحاد الإسلامي والسلطان سليم الذي قال:

إن مغبة الاختلاف يقلقاني حتى في قبري

فسلاحنا في دفع صولة الأعداء هو الاتحاد

إن لم تتحد الأمة فإني أتحرق أسى[2].

---

[1]- انظر "العروة الوثقى" جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ص : ١٣.

[2]- انظر "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٤٤٦.

إذن يتضح مما سبق، أن جوهر الأزمة الحقيقية التي يعيشها عالمنا الإسلامي هي الانقسام والتشرذم. والنورسي بتصوره، حاول أن يقدم حلولا جذرية تبني الوحدة الإسلامية بين الشعوب على أساس المعرفة المستندة إلى نور الإيمان وحقائق القرآن.

فالوحدة الإسلامية لا تتحقق إلا بالمعرفة المستنيرة بحقائق الإيمان ومقررات الشريعة الإسلامية، يقول رحمه الله "إن الكعبة المكرمة" هي الحجر الأسود لكعبة سعادتنا التي هي الاتحاد الإسلامي المنور و"الروضة المطهرة" درّته البيضاء، و"جزيرة العرب" مكة المكرمة، و"الدولة العثمانية" المنفذة للحرية الشرعية بحذافيرها هي مدينته المنورة لمدنيتنا.

فإن شئت أن ترى ملية الإسلام والحجر الأساس للاتحاد الإسلامي ونقشه، فدونك التوقير اللائق الغيور النابع من الحياء والحمية... والتبسم البارئ الناشئ من الاحترام والرحمة... والحلاوة والروحانية الحاصلة من الفصاحة والملاحة...

ولكن لا يحصل الاتحاد بالجهل، بل الاتحاد امتزاج للأفكار وهذا الامتزاج لا يتم إلا بالنور الوضئ للمعرفة"[1].

إن هذا التصور النورسي لمسألة الوحدة الإسلامية الذي يجعل من الكعبة المكرمة مركزا للاتحاد الإسلامي، ناشئ من فقه النورسي لواقع الانقسام والتشتت والتجزئة الذي خيم على العالم الإسلامي وأصبح يهدد بقاءه؛ مما يستدعي الجهود الكبيرة والأعمال الواسعة لمواجهة هذا الداء الخطير.

لقد نشط النورسي في نشر فكر الاتحاد الإسلامي وعمل على مواجهة كل الوسائل التي تعرقله من عنصرية وقومية سلبية، وحاول أن يؤسس النظر ويقعد القواعد لبناء جمعية الاتحاد الإسلامي التي تضم المسلمين جميعا بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم، انطلاقا من حقائق الإيمان والقرآن، يقول النورسي مبينا هذه الأسس والقواعد، ومعلقا على أشخاص من الأعضاء المؤسسين لجمعية الاتحاد والترقي والذين فهموا الاتحاد الإسلامي فهما قاصرا على العبادة وإتباع السنن المطهرة: "ولكن الاتحاد المحمدي الذي أعرفه وانضممت إليه هو الدائرة المرتبطة بسلسلة

[1]- المصدر نفسه، ص : ٤٢٠-٤٢١.

نورانية ممتدة من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال. فالذين ينضوون تحت رايتها يتجاوز عددهم ثلاثمائة مليونا في هذا العصر، وان جهة الوحدة والارتباط في هذا الاتحاد هو توحيد الله قسمه وعهده هو الإيمان. والمنتسبون إليه جميع المؤمنين منذ الخليقة. وسجل أسماء أعضائه هو اللوح المحفوظ. وناشر أفكاره جميع الكتب الإسلامية والصحف اليومية التي تستهدف إعلاء كلمة الله. ومجال اجتماعاته ونواديه هي الجوامع والمساجد والتكابا والمدارس الدينية. ومركزه: الحرمان الشريفان.

فجمعية مثل هذه..رئيسها هو فخر العالمين سيدنا الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، ومسلكها ومنهجها؛ مجاهدة كل شخص نفسه أي التخلق بأخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وإحياء السنة النبوية ومحبة الآخرين وإسداء النصح لهم ما لم ينشأ منه ضرر.

والنظام الداخلي لهذا الاتحاد: السنة النبوية

وقانونه الأوامر الشرعية ونواهيها.

وسيوفه: البراهين القاطعة، حيث أن الظهور على المدنيين المثقفين إنما يكون بالإقناع وليس بالضغط والإجبار، وإن تحري الحقيقة لا يكون إلا بالمحبة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب.

أما أهدافهم ومقاصدهم فهي إعلاء كلمة الله.

هذا، وإن نسبة الأخلاق والعبادة وأمور الآخرة والفضيلة في الشريعة هي تسع وتسعون بالمائة، بينما نسبة السياسة لا تتجاوز الواحدة بالمائة، فليفكر فيها أولياء أمورنا.

والآن، فإن مقصدنا هو سوق الجميع بشوق وجداني إلى كعبة الكمالات بطريق الرقي، وذلك بتحيرك السلسلة النورانية، إذ إن الرقي المادي سبب عظيم لإعلاء كلمة الله في هذا الزمان[1].

[1]- انظر "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٤٤٥-٤٤٦.

هكذا يكون النورسي من كبار المصلحين الذين اشتغلوا بفكر الوحدة الإسلامية، وحاولوا تطبيقها في الواقع بناءا على رؤية شمولية تتخذ من أسس الإيمان، ومقررات التشريع الإسلامي منطلقا لمعالجة المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

لقد حاول النورسي بثاقب رأيه، أن يحرك مفهوم الاتحاد الإسلامي والوحدة الإسلامية في واقع العالم الإسلامي، قصد محاربة الاستبداد السياسي، والتخلف الفكري، والتعصب القومي، لكن محاولته لم تجد الظروف المناسبة والإمكانات القوية لاحتضانها والعمل على انجازها؛ نظرا للانحدار الشديد الذي أصاب الأمة الإسلامية في كافة الميادين ووقف ضد وحدتها واتحادها.

- **نقض القومية التركية:**

بدأت قضية القومية، العصبية بين المسلمين تشكل إحدى المسائل الحيوية في البلاد العثمانية ابتداء من عهد المشروطية[١]، ويرجع سبب انتشارها إلى نشاط كثير من المتغربين أمثال محمود جلال الدين باشا واحمد وفيق باشا وحفيد يهودى مهتدى، وشمس الدين سامي، والباني، وعمر سيف الدين وضياء كوك الب كردي[٢] وغيرهم من المفكرين والأدباء الذين تشبعوا بفلسفة الغرب وراحوا يبشرون بقيمه وينصاعون لأوامره، يقول ضياء كوك ألب[٣]، زعيم القومية التركية إن "الحضارة الغربية امتداد لحضارة حوض البحر الأبيض المتوسط القديمة وكان مؤسسو هذه الحضارة – التي نسميها بحضارة البحر الأبيض المتوسط– من الأتراك مثل السومريين والفنيقيين والرعاة. لقد كان في التاريخ عصر طوراني قبل العصور القديمة، لأن سكان آسيا الوسطى القدامى كانوا أجدادنا، وفي زمن متأخر جدا رقى الأتراك المسلمون هذه الحضارة

---

[١]– أنظر "العثمانيون في التاريخ والحضارة" دكتور محمد حرب، دمشق : دار القلم، ط٢ ١٤١٩-١٩٩٩، ص : ٣٥٨.

[٢]– انظر "بديع الزمان سعيد النورسي وفكرة الاتحاد الإسلامي" .د.حسين جليك ضمن المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي، ٢٤-١٩٩٥/٩/٢٦، ص : ٥٤٤ بتصرف.

[٣]– ضياء باشا كوك ألب (أبو القومية التركية) ومفكر من أصل كردي، ولد في ديار بكر عام ١٨٧٦م انتخب عضوا في جمعية "الاتحاد والترقي" وهو أحد منظري منظمة" الشبيبة العثمانية" السرية التي قامت على نمط الجمعيات الايطالية السرية (الكاربوناري) وقد تشكلت في استانبول ١٨٦٥ وكان من أهدافها السعي للوصول بالبلاد العثمانية إلى نمط من أشكال الحكم الأوربية والعلمانية" انظر صحوة الرجل المريض موفق بن المرجة، ص : ١٩١.

ونقلوها إلى الأوربيين. وبتحطيم الإمبراطوريتين الرومانيتين الغربية والشرقية، أحدث الأتراك انقلابا في تاريخ أوربا. لذلك نحن جزء من الحضارة الغربية لنساهم فيها"[١].

هذا الانسياق التام وراء حضارة الغرب هو الذي وجه رجال القومية التركية، وجعلهم يدعون إلى الانسلاخ من الإسلام وحضارته، ويبشرون بقيم الغرب وفلسفتهم؛ الأمر الذي نتج عنه انشقاقات وتمزقات أصابت الصف العثماني وكسرت وحدته، وسهلت عملية الاستئصال الديني الذي تزعمه الغرب وأنصار فلسفته.

لقد أدرك النورسي خطورة هذا الموقف، وحاول أن يواجه تداعياته ونتائجه، بمنهج يقوم على نقد أضرار القومية وبيان فسادها، انطلاقا من تأمله في مقررات الدين الإسلامي وصفحات التاريخ الذين أثبتا مخاطرها ونتائجها السلبية في حياة المسلمين يقول النورسي رحمه الله مستدعيا الشواهد التاريخية للكشف عن أسس القومية الظالمة "أما مقاومة الحسن والحسين رضي الله عنهما الأمويين فهي في حقيقتها صراع بين الدين والقومية، إذ اعتمد الأمويون على جنس العرب في تقوية الدولة الإسلامية، وقدموهم على غيرهم أي فضلوا رابطة القومية على رابطة الإسلام، فاضروا من جهتين:

الأولى: أدوا الأقوام الأخرى بنظرتهم هذه، فولدوا فيهم الكراهية والنفور.

الثانية : إن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا توافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس على وفق العدالة، لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأنى له أن يبلغ العدالة، بينما (الإسلام يجبّ ما قبله)[٢] من عصبية جاهلة، لا فرق بين عبد حبشي وسيد قرشي إذا أسلما، فلا يمكن إقامة رابطة القومية بدلا من

---

[١]– انظر الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية ، أبو الحسن علي الحسن الندوي، الكويت : دار القلم، ط٦، ١٤٢٤ – ٢٠٠٣، ص : ٥٥.

نقلا عن: – Turkisk Nationalism and western civilization, p 297.

[٢]– الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج بلفظ "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟" والإمام احمد في مسنده، ج٢٩، ص : ٣١٥.

رابطة الدين في ضوء هذا الأمر الجازم. إذ لا تكون هناك عدالة قط وإنما تهدر الحقوق ويضيع الإنصاف"[١].

يتضح من خلال هذا النص، أن النورسي يوظف الخلاف التاريخي الذي وقع بين الحسن والحسين، رضي الله عنهما، والأمويين في الكشف عن أضرار القومية وأثرها السلبي على النظام السياسي الأموي المفتقد إلى أسس الحق والعدالة في قضية تفضيل العرب على الأجناس الأخرى لتقوية الدولة وإدارة أمورها.

لقد أخطأ الأمويون حين خلطوا شيئا من القومية في سياستهم، فأسخطوا العالم الإسلامي فضلا عما ابتلوا به من بلايا كثيرة نتيجة الفتن الداخلية.[٢]

إن هذا التوظيف التاريخي لبلايا القومية السلبية، كان الغرض منه مواجهة حركات الاتجاه القومي التي ظهرت في بداية عهد الحرية، ونقد تصوراتهم بالدليل التاريخي يقول النورسي رحمه الله: "تشكلت جمعيات مختلفة للاجئين وفي المقدمة الروم والأرمن، تحت أسماء أندية كثيرة، وسبب تفرقة القلوب- كما تشتت الأقوام بانهدام برج بابل، وتفرقوا أيدي سبأ في التاريخ- حتى كان منهم من أصبح لقمة سائغة للأجانب، ومنهم من تردى وضل ضلالا بعيدا.

كل ذلك يبين نتائج القومية السلبية وأضرارها.

أما الآن، فإن التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله -بسبب من الفكر القومي- هلاك عظيم وخطب جسيم، إذ أن تلك العناصر أحوج ما يكون بعضهم لبعض لكثرة ما وقع عليهم من ظلم وإجحاف ولشدة الفقر الذي نزل بهم ولسيطرة الأجانب عليهم، كل ذلك يسحقهم سحقا"[٣].

لقد كان النورسي يخشى أن يعيد التاريخ نفس أخطائه، ولكن هذه المرة بكرة ينقصم لها الظهر الإسلامي، لأن جسد الأمة كان على حال من الخور لا توصف..لذلك طفق يصد

---

[١]- انظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٦٨.

[٢]- المصدر نفسه، ص : ٤١٤.

[٣]- انظر "المكتوبات "ج٢، ص : ٤١٤-٤١٥.

المغرضين عن مقاصدهم، من خلال تبيان المخاطر والابتلاءات التي جرتها القومية لا على المسلمين وحدهم، ولكن على أمم أخرى كذلك[١].

ويمثل النورسي لنتائج القومية الظالمة على الأمم، بما وقع لشعوب أوروبا، لما دعوا إلى العنصرية وأوغلوا فيها في هذا العصر، نجم العداء التاريخي الملئ بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان، كما أظهر الدمار الرهيب الذي أحدثته الحرب العالمية، مبلغ الضرر الذي يلحقه هذا الفكر السلبي للبشرية[٢]، وفي نفس السياق يحذر النورسي المسلمين الأتراك من عملية فصل قوميتهم عن الإسلام تقليدا وإتباعا لحضارة الغرب، ويكشف عن النتائج السلبية لهذا التقليد انطلاقا من عقد مقارنة بين عوامل تقدم أوربا وعوامل تقدم المسلمين.

فالحضارة الأوربية عندما كانت متمسكة بل متعصبة لدينها لم تكن متحضرة، وعندما تركت التعصب والالتزام بدينها تحضرت... ويرجع السبب في هذا إلى استغلال الحكام للدين وجعله وسيلة لسحق العوام والفقراء وأهل الفكر والعلم..مما سبب نزاعات داخلية دامت ثلاثمائة سنة أما في الإسلام – والتاريخ شاهد– فلم يصبح الدين سببا للنزاع الداخلي إلا مرة واحدة فقط، وقد ترقى المسلمون –بالنسبة لذلك الوقت– رقيا عظيما ما ملكوا الدين واعتصموا به والشاهد على هذا؛ الدولة الإسلامية في الأندلس التي غدت أستاذة عظيمة لأوربا ولكن متى ما أهمل المسلمون دينهم تخلفوا وتردوا"[٣].

إن هذه المقارنة التاريخية والموضوعية لعلاقتي المسلمين والغرب بالدين وأثر ذلك في التقدم، تحمل في طياتها فهما عميقا وإدراكا واسعا لمقاصد الغرب وأهدافه الاستعمارية.

لقد أدرك النورسي من خلال معاينته لحركات التتريك ونشاطهم القومي في تركيا خطورة الاستهداف الغربي للوجود الإسلامي، وأسباب اختراقه للمسلمين ويتجلى ذلك في التشجيع المستمر والدعم القوي لهذه الحركات؛ ولهذا صار يكشف عن أغراضهم الخبيثة في تفجير

---

[١]– انظر "النورسي في رحاب القرآن سليمان عشراتي" ص : ٣٥٩.

[٢]– انظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٤١٤.

[٣]– انظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٤١٨ بتصرف.

ساحة عالم تركيا عرقيا خاصة، وعالم الإسلام عامة، يقول رحمه الله : "إن أطماع أوربا التي لا تفتر ولا تشبع هي كالثعابين الضخمة الفاتحة أفواهها للابتلاع. لذا فإن عدم الاهتمام بهؤلاء الأوربيين، بل معاونتهم معنى بالفكر العنصري السلبي، وإنماء روح العداء إزاء المواطنين القاطنين في الولايات الشرقية أو إخواننا في الدين في الجنوب، هلاك وأي هلاك وضرر وبيل..

فالعداء لأولئك الإخوان في الدين، وبدوره العداء للإسلام، إنما يمس القرآن، وهو عداء لجميع أولئك المواطنين، ولحياتيهم الدنيوية والأخروية. لذا فادعاء الغيرة القومية بنية خدمة المجتمع يهدم حجر الزاوية للحياتين معا فهي حماقة كبرى وليست حمية وغيرة قطعا:[1]

ويقول أيضا مذكرا إخوانه العرب بمسؤلياتهم وواجبهم تجاه إخوانهم الترك والقوميات الأخرى: "لا يذهب بكم الظن أنني صعدت هذا المنبر لأرشدكم وأنصحكم. بل ما صعدته إلا لأذكر حقا عليكم وأطالبكم به، إذ أن مصالح الطوائف الصغيرة وسعادتها الدنيوية والأخروية ترتبط بأمثلكم من الطوائف الكبيرة العظيمة، والحكام والأساتذة من العرب الترك. فإن تكاسلكم وتخاذلكم يضران بإخوانكم من الطوائف الصغيرة من أمثالنا أيما ضرر. إنني أوجه كلامي هذا بوجه خاص إليكم يا معشر العرب العظماء..فأنتم مجاهدو الإسلام الأوائل، ثم جاءت الأمة التركية العظيمة لتمد وظيفتكم المقدسة تلك أيما إمداد. لذا فإن ذنبكم عظيم بالتكاسل والتقاعس، كما أن حسناتكم جليلة وسامية أيضا – ولاسيما نحن على أمل عظيم برحمة الله أنه بعد مرور أربعين أو خمسين عاما تتحدون فيما بينكم كما اتحدت الجماهير الأمريكية – وتتبوءون مكانتكم السامية وتوفقون بإذن الله إلى إنقاذ السيادة الإسلامية المأسورة وتقيمونها كالسابق في نصف الكرة الأرضية[2].

إن هذا الخطاب الذي ألقاه النورسي في الجامع الأموي يأتي في سياق الظروف الحرجة التي عاشتها الأمة الإسلامية في زمانه– حيث بدأت أخلاق العنصرية والقومية تنتشر في آفاق

---

[1]– المصدر نفسه، ص : ٤١٥.

[2]– انظر "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٥١٢ بتصرف.

عالم الإسلام وراح الإنسان يقول: "إذا مت ظمآن فلا نزل القطر" و"إن لم أر السعادة فعلى الدنيا الغناء" بدل أن يقول: "إن مت أنا فلتحيا أمتي، فإن لي فيها حياة باقية"[1].

إن غياب هذه السجايا الحميدة التي توحد المسلمين جميعا هو الذي فتح الطريق لأطماع الاستعمارية وشجعهم على تفريق عرى الوحدة الإسلامية وتفتيت قوتها وسيادتها على شؤون المسلمين".

فالنورسي من المفكرين الإصلاحيين الذين استبصروا حقيقة المؤامرة الخطيرة على أمة الإسلام، والمرسومة من قبل النخب المستغربة المنقادة إلى أوامر الغرب القاصد إلى تمزيق المسلمين بنشر الفكر القومي في أوساطهم.

لقد حاول أن يواجه هذا الفكر السلبي الوافد من حضارة الغرب، عن طريق نقد أسسه وكشف أضراره، كما تبين في النصوص السابقة، وأضاف إلى هذا الأسلوب استعارة مفهوم القومية الايجابية وبيان خصائصها ومميزاتها عن القومية السلبية في ضوء قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣**﴾[2].

انطلاقا من هذه الآية الكريمة، اثبت النورسي سبع مسائل تتعلق بالقومية. وفي المسألة الرابعة تحدث عن القومية الايجابية وبين منافعها ووظيفتها، يقول رحمه الله: القومية الايجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية. هذا الفكر الايجابي القومي، ينبغي أن يكون خادما لإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسورا منيعا حوله، لا أن يحل محل الإسلام ولا بديلا عنه، لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة وإنها تبقى خالدة في عالم البقاء.

---

[1]- المصدر نفسه، ص : ٥١٣.

[2]- سورة الحجرات، الآية ١٣.

ولهذا فلا تكون الأخوة القومية مهما كانت قوية الأستار من أستار الأخوة الإسلامية. وبخلافه، أي إقامة القومية بديلا عن الإسلام جناية خرقاء"[1].

هذا التوظيف الايجابي لمفهوم القومية قد يكون نابعا من هيمنة المفهوم السلبي وسيادته في الأوساط الاجتماعية.

فالنورسي يخضع مصطلح القومية لمنطقه الخاص، ويتخذه معبرا لإيصال المعاني الإسلامية إلى العقول المشوشة بشبهات القومية الوافدة من حضارة الغرب.

إن هذا المنهج الاحتوائي للمفاهيم السلبية الغربية يقوم على أساس مقاصدي، غايته الدفاع عن حضارة الإسلام، اعتمده النورسي في ترشيد وتخليق كثير من المصطلحات السياسية والاجتماعية التي انتشرت في المجتمعات الإسلامية من جراء الحملة الغربية للقضاء على المفاهيم الإسلامية نذكر منها على سبيل التمثيل: المشروطية والحرية والمساواة والمدنية) على أن هذا المنهج رغم أهدافه السامية ومقاصده العليا قد يكون سببا لاختراق الأجنبي للجهاز المفاهمي لحضارة الإسلام.

وهذا هو السبب الذي جعل النورسي يؤكد ضرورة انصياع القومية الايجابية لتعاليم الإسلام وأسسه ويحث على قيادة الأخوة الإسلامية لجميع القوميات.

فالمقابلة بين القومية الايجابية، والأخوة الإسلامية تكشف عن الخوف من الاختراق الفكري، وتضع التدابير الوقائية لمواجهة المفاهيم الغربية بالأسس الإسلامية الرشيدة.

لقد رفض كثير من المفكرين الإسلاميين استعارة المفاهيم الغربية وإلباسها اللباس الإسلامي اجتنابا للوقوع في فخ التناقض أو الاضطراب الفكري، وفي هذا السياق نسوق خطاب المفكر التركي الكبير الذي وقف ضد الفكر القومي، وكشف عن أغراضه الخبيثة بالعلم والعمل والفكر والممارسة إنه أحمد نعيم بابان زاده المتخصص في الدفاع عن الفكرة الإسلامية

[1]- انظر "المكتوبات" ج٢، ص : ٤١٥-٤١٦.

في مواجهة الفكرة القومية كتب كتابا سماه قضية القومية دحض فيه أسسها وأفكارها[1]، قوله رحمه الله: "إن الهدف ذو الغايتين لن يجدي شيئا وأتباعكم، هل سينتمون إلى القومية التركية أكثر من الإسلام؟ أم إلى الإسلام أكثر؟ إذا قلتم فلينتموا إلى الغايتين في درجة واحدة، فلن يكون هذا ممكنا، لذلك استحلفكم بالله أن تصرّوا على أن يولي الأتراك وجوهم نحو الكعبة، وألا يحولوها إلى طوران. لا توصوا أحدا بأن يولي وجهه شطر الاثنين، ذلك لأن الجهتين تضاد كل منهما الأخرى ولا يمكن رؤية كليهما في وقت واحد. فإما أن يتجه الأتراك نحو الكعبة– كما هم كذلك ألف عام– ويتركون طوران خلفهم، أو ينظرون إلى الطوران فينسون بعد ذلك الكعبة..في هذه الحالة دعوكم من هذا الخيال الأجوف الذي يجمع الضدين، ذلك لأنه من المحال الوجود تحت لواء الإسلام، وتحت لواء الجاهلية في وقت واحد"[2].

إن هذا الخطاب الذي يؤسس منهج القطيعة المعرفية والأداتية على مستوى الشكل والمضمون، والإطار والمحتوى بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب، كفيل بأن يتجاوز المحاذير والاختلالات الناشئة بسبب فتح المجال للاصطلاحات الغربية، ومفاهيمها في التداول الفكري، والتناول الإسلامي لقضايا المسلمين وفق منهجية الاحتواء العلمي، والاسلمة المعرفية والتوظيف الايجابي للتراث الفكري الغربي.

لقد التزم النورسي منهج القطيعة في جميع معالجته لقضايا المسلمين إلا في ما ندر من القضايا كاستعارته لمفهوم القومية الايجابية وفق تقديرات دقيقة غايتها حسن التوفيق واحتواء

---

[1]– احمد نعيم بابان زاده ولد في بغداد. ينتمي إلى أسرة بابان زادة البغدادية عرف بكونه من رجال العلم المسلمين النابهين ذوي السمعة الطيبة وأصحاب الفكرة الناصعة والحجة القوية، جمع بين الثقافتين الشرقية والغربية انتشرت شهرته في الآفاق عندما دافع عن الفكرة الإسلامية في مواجهة القوميين (الجدد والقدامى) في الدولة العثمانية ثم تعم في تركيا بعد انهيار الدولة العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ٣٤٩ بتصرف.

لقد وقف أحمد نعيم بك ضد الأساتذة القوميين أثناء تدريسه في كلية الآداب شعبة الإلهيات، في دار الفنون (الجامعة) باستانبول منذ ١٩١١ إلى... وواجه أفكارهم بالفكر الإسلامي القوي، وفي سنة ١٩٣٢ تمكن القوميون الخلاص هذه بعد أن سيطروا على البلاد من إطاحته وفصله عن الجامعة في أول يوليو وبعدها تم إبعاده عن وسائل الاتصال الجماهيري فأصابه الحزن وتوفي سنة ١٩٣٤ مخلفا آلاف من الطلاب طوال ثلاثين عاما لم يكن يبخل عليهم بالوقت والجهد في سبيل إعدادهم فكريا وعلميا لقد قال في رثائه شاعر الإسلام محمد عاكف : حسبت ساعتها أن بيتي قد خرب وأنني واقع تحت أنقاضه. انظر العثمانيون في التاريخ والحضارة لدكتور محمد حرب ص من ٣٤٨–٣٥٥ بتصرف.

[2]– انظر العثمانيون في التاريخ والحضارة نقلا عن كتاب (قضية القومية في الإسلام) ترجمة محمد حرب ص ٣٦٢ بتصرف.

النتائج السلبية لثقافة الآخر، غير أن هذا المنهج بات في وقتنا المعاصر منشأ الاختراق المعرفي نتيجة منهجية العولمة الغربية وإمكانياتها القومية وقدراتها الفائقة على اختراق النسيج المفاهمي لحضارة الإسلام، وهو ما يدعوا إلى ضرورة إعمال قواعد الاحتياط وسد الذريعة أثناء التعامل مع المصطلحات والأفكار الوافدة من حضارة الغرب[1].

هكذا نكون قد خلصنا إلى حقيقة مفادها أن القومية صناعة غربية، زرعها المتغربون في وسط المسلمين لنيل من وحدتهم وقوتهم، ولتفريق جهودهم الفكرية والعلمية قصد السيطرة على شؤونهم، وإقصاء النظام الإسلامي من الوجود، وتطبيق المخططات الغربية المعارضة لأسس الحق والعدالة.

لقد أدرك النورسي حجم هذه المخططات الاستعمارية وحاول أن يدافع عن بيضة الإسلام، لكن اختلال موازين القوى بين قوة المسلمين وقوة الأعداء حالت دون تحقيق أماله.

---

[1]- لقد استطاع الفكر الغربي أن يقدم جملة من المصطلحات السياسية، شكلت بديلا جاهزا في دائرة الوعي السياسي العربي والإسلامي، وقد ساعدت على ذيوعه حالات العقم والارتخاء التي عانى منها التنظير الإسلامي في هذا المجال الحيوي من الدراسات الإنسانية، حيث عجز العقل الإسلامي المعاصر عن تقديم نماذج بنيوية وفكرية منتظمة، انظر مجلة المنعطف العدد ٩ (١٤١٥-١٩٩٤) مقالة ذ.ميمون نكاز بعنوان الديمقراطية منطق الاحتواء والتوطين، ص : ١٧.

وانظر في نفس المعنى مقدمة كتاب: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري للدكتور محسن عبد الحميد سلسلة كتاب الأمة، العدد ٦، ١٤٠٤هـ، ص : ١٠.

الفصل التاسع:
قضية علاقة المسلمين بالغرب منهجا وأثرا وتأثرا، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج العلاقة مع الغرب في فكر النورسي

المبحث الثاني: أسس الحضارة الغربية في فكر النورسي

المبحث الثالث: إشكالية النهوض والتقدم في زمن الهيمنة الغربية

المبحث الأول:
منهج العلاقة مع الغرب عند بديع الزمان سعيد النورسي

في البداية، أشير إلى أن هذا المنهج الذي سطره النورسي في رسائله، انطلق من الأصول والمبادئ القرآنية التي حددت معالم العلاقات بين الشعوب والحضارات في ضوء قواعد السلم والحرب والولاء والبراء والتعاون والتعارف. [1]

والقارئ لنصوصه في ما يتعلق بموقفه من حضارة الغرب يتبين له، بعد وضع هذه النصوص في سياقها التاريخي، أن خطابه لحضارة الغرب لم يكن يقصد فيه إظهار الغلبة والانتصار للذات، وإنما كان يسعى إلى الدفاع عن قضية الإنسان المعاصر وإنقاذه من فتنة الطغيان المادي الذي فرضته هذه الحضارة، بوسائلها ومنجزاتها الحديثة حتى أضحت خطرا يهدد البشرية في وجودها وغايتها وسعادتها. يقول رحمه الله : فهذه المدنية الخبيثة التي لم نر منها غير الضرر وهي المرفوضة في نظر الشريعة، وقد طغت سيئاتها على حسناتها؟، تحكم عليها مصلحة الإنسان بالنسخ، وتقضي عليها يقظة الإنسان وصحوته بالانقراض... فقد دفعت هذه المدنية الحاضرة ثمانين بالمئة من البشرية إلى أحضان الشقاء وأخرجت عشرة بالمئة منها إلى سعادة مموهة زائفة. وظلت العشرة الباقية بين هؤلاء وأولئك. علما أن السعادة تكون سعادة عندما تصبح عامة للكل أو لأكثرية بيد أن سعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس"[2]. في ضوء هذا النقد الصارم للجانب السلبي لحضارة الغرب، يحدد النورسي أصول العلاقة بين المسلمين وغيرهم ويحدد منطلقاتها وأبعادها الإنسانية. فهو يرى رحمه الله أن مآل

---

[1]- للوقوف على هذه المبادئ تأمل : في سورة الممتحنة الآية ٨ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ وسورة آل عمران الآية ٦٤ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ وسورة الحج الآية ٤٠ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ وسورة الحجرات الآية ١٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾.

[2]- أنظر "صيقل الإسلام"، ج٨، ص : ٣٥٧.

الإنسانية وقضاياها الكلية هو جوهر الموضوع الذي يرسم الأصول المنهجية لتقويم الآخر ونقده وإبراز سلبياته وإيجابياته.

فالإنسان في فكر النورسي، هو المحور الأساسي لتحديد رؤية شاملة نحو حضارة معينة؛ فكل حضارة احترمت حقوق الإنسان وحافظت على أبعاده الروحية والمادية كانت حضارة ايجابية نافعة وكل حضارة استعبدت الإنسان وقضت على إنسانيته كانت حضارة ضارة. [1]

انطلاقا من هذا الثابت المقوم للحضارات انطلق النورسي في رسائله يضع الحضارة الحديثة في الميزان، ويكشف عن الأصول المنهجية للتعامل معها في ضوء حقائق الإسلام، انطلاقا من تأمله في الواقع البشري وما آلت إليه الإنسانية في مختلف المجالات.

لقد استطاع النورسي أن يمتلك رؤية شاملة، حول حضارة الغرب في شقها السلبي والايجابي، مكنته من تحديد مجموعة من القواعد والأسس المعرفية التي تعصمه من الوقوع في الظلم أثناء تقويمه لهذه الحضارة.

وقبل الحديث عنه هذه القواعد نشير إلى مسألة منهجية تتعلق بالمنهج الذي اعتمدناه في تخريج هذه القواعد وترتيبها؛ ذلك أن بديع الزمان سعيد النورسي في رسائله كلها يشير إليها أحيانا بصورة مباشرة ومرة أخرى بطريقة غير مباشرة، مما يتطلب من الباحث ضرورة التأمل في الخطاب، واستنباط المعاني الخفية التي تكشف عن هذه القواعد المتفرقة في ثنايا الرسائل.

وفيما يأتي نتناول هذه القواعد بالدرس والتحليل حسب عناوين مستفادة من صريح عبارة النورسي أو مستنبطة من سياق تحليله.

[1]- لقد اعتمد النورسي السعادة البشرية معيارا لتحديد معالم الحضارة الايجابية. وهو ما جعله يقسم المدنية الحديثة إلى قسمين ضارة ونافعة.

❖ القاعدة الأولى: الاستثناء بدل التعميم في الحكم على الآخرين والاستفادة منهم.

يقف النورسي من الحضارة الغربية موقفا علميا رصينا، يميز بين صالحها وفاسدها، ويكشف عن محاسنها ومساوئها، معتمدا المعطيات الواقعية التي تصرح بوجود قسمين من أوروبا.

الأول: نافع ومفيد.

والثاني: مضر ومفسد.

يقول رحمه الله في سياق محاورته مع الشخصية المعنوية لأوروبا لكبح جماح ما في روحه من أحاسيس نفسانية منحازة لصالح أوروبا، كما صرح بذلك في اللمعات: "ولئلا يساء الفهم لابد أن ننبه: أن أروبا اثنان: أحدهما، هي أوروبا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدت خدمات لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من منازعات وعلوم تخدم العدل والإنصاف، فلا أخاطب – في هذه المحاورة – هذا القسم من أوروبا، وإنما أخاطب أوروبا الثانية تلك التي تعفنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجاسية، وحسبت سيئات الحضارة حسنات لها، وتوهمت مساوئها فضائل فساقت البشرية إلى السفاهة وأوردتها الضلالة والتعاسة".[1]

إن هذا التقسيم المنهجي لحضارة الغرب يضفي على الخطاب النورسي العدل والإنصاف في تقويم الآخرين ويمنح لحضارة الإسلام أصول الانفتاح على حضارة الغرب ومواطن الاستفادة منها،حيث يفرق في الحضارة الواحدة بينما هو مرتبط بالجانب الايجابي الذي يتجلى في العلوم والصناعات والفنون النافعة) وما هو مرتبط بالجانب السلبي الذي يتعلق بأضرار الفلسفة الطبيعية والتصورات المادية التي ألغت البعد الروحي واختزلت الحياة البشرية في البعد المادي.

---

[1]- "اللمعات" ج٣، ص : ١٧٩-١٧٧.

فالنورسي، برؤيته هذه، يتفق مع الأصول المنهجية التي رسمها القرآن الكريم لتقويم العلوم والأشياء والتوجهات في الحياة الأرضية، يقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧ ﴾.[1]

من هذا المنطلق القرآني يتأسس منهج الاستفادة من الآخر الذي يجعل الحكمة ضالة المؤمن متى وجدها أخذها وهو أحق الناس بها، ويصرف عن المسلمين عقدة الانغلاق على الذات والخوف من تجارب الآخرين ومعارفهم.[2]

[1]– سورة الرعد، الآية ١٧.

[2]– ينظر في "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٤٠١ وقد صغت هذه القاعدة بناءا على تحليل النورسي لقضية محبة الصفات الحسنة للكفار.

❖ القاعدة الثانية : ضرورة التمييز بين دائرة الاعتقاد ودائرة المعاملات في التعامل مع حضارة الغرب

انطلاقا من مجموعة من النصوص في رسائل النور يحدد النورسي مجال أعمال قاعدة الولاء والبراء مع الغربيين، ويكشف عن مواطن إعمال قواعد الحوار والتعارف والتعاون معهم.

ولتوضيح هذه الحقيقة نسوق نصا يوضح منهج النورسي في تقويم صفات الغربيين، والتعامل معهم في ضوء التعارف الايجابي. يقول رحمه الله مجيبا عن سؤال مفاده: كيف تشير إلينا بمحبة اليهود والنصارى، مع أن القرآن الكريم ينهى عن ذلك بقوله تعالى ﴿❖ **لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ** ۘ﴾.[1]

"**أولا**: كما يلزم أن يكون الدليل قطعي المتن يلزم كذلك أن يكون قطعي الدلالة مع أن للتأويل والاحتمال مجالا، لأن النهي القرآني ليس بعام بل مطلق، والمطلق قد يقيد والزمان مفسر عظيم، فإذا ما أظهر قيده فلا اعتراض، وأيضا إن كان الحكم قائما على المشتق، فإنه يفيد علّية مأخذ الاشتقاق للحكم.

فإذن المنهي عنه في هذه الآية الكريمة هو محبتهم من حيث ديانتهم اليهودية والنصرانية... أيضا، لا يكون المرء محبوبا لذاته، بل لصفته وصنعته، لذا فكما لا يلزم أن يكون كل صفة من صفات المسلم مسلمة، كذلك لا يلزم أن يكون جميع صفات الكافر وصنعته كافرة أيضا.

فعلى هذا، لا يجوز اقتباس ما استحسناه من صفة مسلمة أو صنعة مسلمة فيه، فإن كانت لك زوجة كتابية، لاشك أنك تحبها.[2]

---

[1]- سورة المائدة، الآية ٥١.

[2]- "صيقل الإسلام"، ج٨، ص : ٤٠٠.

يتبين من خلال هذا النص منهج الاحتياط في النظر إلى الآخرين، والذي يقوم على أساس استحضار جميع الصفات الايجابية، والاستفادة منها دون الالتفات إلى عقيدة أصحابها.

فالنورسي رحمه الله، يقعد لمفهوم جديد في الصداقة والمحبة بين المختلفين في المعتقد، أساسه توجيه المحبة إلى الصفات المحمودة، وصرفها عن الصفات المذمومة. يزيد رحمه الله هذه الحقيقة شرحا بقوله: "إن معظم غير المسلمين ليسوا ملتزمين التزاما جادا بدينهم أساسا... فعلى هذا، فإن محبتنا لهم ما هي إلا لاقتباس ما استحسناه من مدنيتهم وتقدمهم، ولأجل المحافظة على نظام البلاد وأمنها الذي يعد أساس سعادة الدنيا، فهذه الصداقة إذ لا تدخل قطعا ضمن النهي القرآني"[1].

يتضح من خلال ما سبق، أن النورسي رحمه الله، يعمل قواعد التعارف والتعاطف في دائرة المعاملات التي تقتضي التفاعل مع الآخر، والانفتاح على محاسنه والارتباط بصفاته الحسنة في ميدان العلم والتقنية والمعرفة، ويعمل قواعد الولاء والبراء في دائرة الاعتقاد التي تفرض ضرورة كراهية الكفر والشرك والضلال.

إن هذه التفرقة بين دائرة الاعتقاد، ودائرة والمعاملات التي جعلها النورسي مرتكزا أساسيا يحدد من خلاله طريقة التعاطي مع الآخر (الغرب)، تستمد أصالتها من عمق النصوص القرآنية التي صرحت باتحاد الإنسانية في مجموعة من الخصائص الخلقية والإرادية والتكريمية والتكليفية[2]، نذكر منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾.[3]

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾.[4]

---

[1]-"صيقل الإسلام"، ج٨، ص : ٤٠٠.

[2]- للوقوف على تفصيل هذه الخصائص يراجع كتاب مبادئ العلاقات وحقوق الأقليات الدينية شهاب الدين الحسني، دار الهادي ط٢٠٠٢/١ من ص : ١٣ إلى ٢٦.

[3]- سورة الحجرات، الآية ١٣.

[4]- سورة التين، الآية ٤.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨﴾.[1]

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢﴾.[2]

إن هذا التساوي في الخصائص والصفات، يحدد معالم العلاقات الإنسانية في ضوء الاختلاف الديني ويؤطرها في مجال يستحضر الإيمان بوحدة الأصل، والإيمان بوحدة المصير الإنساني، كما يجعل البشرية جمعاء مكلفة بالقيام بمهمة الخلافة في الأرض.

إذن، نستنتج أن النورسي في تأصيله لهذه القاعدة المنهجية، كان يصدر عن رؤية شمولية لطبيعة الإنسان في الحياة، ومقاصده الكبرى في عمارة الأرض، وهو ما جعل خطابه منفتحا على حضارة الآخر، معتبرا الإنسانية أسرة واحدة تشترك في صفات الحسنة وتتطلب التلاقح، وفي صفات سيئة تقتضي التنافر.

---

[1]- سورة يونس، الآية ١٠٨.

[2]- سورة الجاثية، الآية ٢٢.

❖ القاعدة الثالثة: خد ما صفا ودع ما كدر.[1]

انطلاقا من هذه القاعدة، يحدد النورسي منهج المسلمين في تفاعلهم مع الحضارات الأخرى، أخذا وعطاءا وتأثيرا وتأثرا، كما يرسم الطريق الصحيح الذي يجب على المسلمين سلوكه لاستفادة من تجارب الأمم والحضارات، يقول رحمه الله في سياق نقده لمفهوم الحرية في الحضارة الحديثة؛ والذي هو التحرر من القيود والانغمار في السفهات والملذات غير المشروعة والبذخ والإسراف... وتجاوز الحدود في كل شيء إتباعا لهوى النفس "وبناء على ما سبق"[2]، "ما ينبغي أن ننخدع، بل نجعل القاعدة الآتية دستور عمل لنا وهي: "خذ ما صفا دع ما كدر" وفي ضوئها سنأخذ من الأجانب – مشكورين – كل ما يعين الرقي المدني من علوم وصناعات. أما العادات والأخلاق السيئة، فهي ذنوب المدنية ومساوئها التي لا يتبين قبحها كثيرا لكونها محاطة بمحاسن المدينة الكثيرة.

فنحن لو أخذنا منهم المدنية – بسوء حضنا وسوء اختيارنا – بما يوافق الهوى والشهوات – كالأطفال – تاركين محاسنها التي تحتاج إلى بذل الجهد للحصول عليها، نكون موضع سخرية كالمخانيث أو كالمترجلات، إذ كيف إذا لبست المرأة ثياب الرجل، ولبس الرجل ثياب المرأة يكون كل منهما موضع سخرية واستهزاء. ألا ينبغي أن نتجمل بمساحيق التجميل"[3].

يتضح من خلال هذا الكلام، أن النورسي في تأصيله للأخذ من حضارة الغرب، يفرق بين الآفاق الثقافية والفلسفية المرتبطة بالتأصيل العام لقضايا الدين والكون والحياة، وبين الآفاق الحضارية المرتبطة بتجليات العلوم والصناعات والتقنيات في واقع الحياة الإنسانية. فالحضارة الإسلامية في ضوء قاعدة "خذ ما صفا ودع ما كدر"، لابد أن تفرق بين هذه الأفاق، وتنفتح على ما ليس له علاقة بالتصورات الكبرى حول العالم والإنسان والكون، وهو ما عبرت عنه بالآفاق الحضارية، وتترك كل المنتجات المعرفية المرتبطة بالتقاليد والعادات والفلسفات المادية

---

[1]– "صيقل الإسلام"، ج٨، ص : ٤٦٧.

[2]– يعني ما سبق من تفصيل في شرح مفهوم الحرية في الفكر الغربي الحديث.

[3]– "صيقل الإسلام"، ج٨، ص : ٤٦٨.

(كالحرية والمساواة والقومية – والعنصرية)، وغيرها من المفاهيم المؤسسة على قاعدة الفكر المادي الذي يقضي على الأبعاد الأخلاقية والروحية والدينية أثناء صياغته للمفاهيم وتأصيله لقضايا الإنسان. يقول النورسي رحمه الله مؤكدا هذه الحقيقة، وداعيا المسلمين إلى الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى التي استطاعت أن تحافظ على هويتها الدينية والأخلاقية، وتستفيد من علوم الآخرين : "سنمنع بسيف الشريعة مساوئ المدنية وذنوبها من الدخول إلى حدود حريتنا ومدنيتنا حفاظا على فتوة مدنيتنا وشبابها بزلال عين حياة الشريعة.

ينبغي لنا الاقتداء باليابانيين في المدنية، لأنهم حافظوا على تقاليدهم القومية التي هي قوام بقاؤهم واخذوا بمحاسن المدنية من أوروبا، وحيث أن عاداتنا القومية ناشئة من الإسلام وتزدهر به فالضرورة تقتضي الاعتصام بالإسلام. [1]

هكذا يخلص النورسي من خلال قاعدة – خذ ما صفا ودع ما كدر – إلى أن الشريعة الإسلامية هي المعيار الوحيد لتحديد الحسن والقبح في الحضارات والأمم الأخرى؛ فكل ما لا يعارض شريعتنا، وخصوصيتنا، وعاداتنا، وتقاليدنا، قابل لأخذ والاستفادة، وكل ما عارضها مردود منبوذ.

إن هذا التعميم والانفتاح غير المشروط على علوم الغرب ومنتجاته العلمية، يقوم على حقيقة تاريخية وإنسانية أكدها النورسي في رسائله، مفادها أن هذه العلوم والتقنيات ليست من صناعة الحضارة الرومانية أو اليونانية فقط، وإنما شاركت فيها جميع الحضارات الإنسانية، بما فيها حضارة الإسلام، يقول رحمه الله : "فمما ينبغي ألا ننكره أن في المدينة محاسن كثيرة، إلا أنها ليست من صنع هذا العصر، بل هي نتاج العالم وملك الجميع، إذ نشأت بتلاحق الأفكار وتلاقحها وحث الشرائع السماوية – ولاسيما الشريعة المحمدية – وحاجة الفطرة البشرية. فهي بضاعة نشأت من الانقلاب الذي أحدثه الإسلام. لذا لا يتملكها أحد من الناس. [2]

---

[1]- "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٤٦٨.

[2]- "الكلمات" ج١، ص : ٨٥٨-٨٥٩.

يتضح من خلال هذا النص، أن هناك مجموعة من العلوم والمعارف تنتسب إلى الإنسان من حيث هو الإنسان في العالمين، ولا انتماء لها؛ تتسم بعالمية الظهور والاكتشاف، شارك فيها مطلق الإنسان الذي جعل خليفة في الأرض، وسخرت له إمكانات وقدرات استطاع من خلالها ومن خلال احتكاكه مع نفسه ومع العالم أن ينتج علوما عالمية لا وطن لها، سوى الانتماء إلى قواعد الاستخلاف الإنساني في الأرض.

إن هذا التصور النورسي، يتوافق مع عالمية الإسلام التي تجعل اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل دافعا إلى التعارف الذي يعتبر الأساس في ربط الأفراد بعضهم ببعض سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. [1]

[1]- أصول العلاقات الدولية في الإسلام عمر أحمد الفرجاني المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان (ط١/١٩٨٤ ص : ٣٧ بتصرف).

❖ القاعدة الرابعة: الالتزام بقوانين التدافع الحضاري أثناء مواجهة الآخر.

تستفاد هذه القاعدة من تعدد خطابات النورسي، وتنوع مواقفه، وكثرة أساليبه، في سياق حديثه عن حضارة الغرب ومحاورته لأقسامها، فهو حين يخاطب العقل الغربي البريء يعتمد الحجة والإقناع وسيلة للحوار[١]، وحين يواجه ضلالات الحضارة الغربية يحدث المقارنة العلمية بين أسس مدنية التشريع المادي، وأسس مدنية التشريع القرآني[٢]. وحينما يريد أن يثبت أضرار المدينة الغربية على الحياة الإنسانية يمثل لذلك بتلميذ الفلسفة المادية وتلميذ القرآن[٣]، وإلى غيرها من الثنائيات في الخطاب النورسي التي تكشف عن أصالة فقهه لحضارة الغرب، وإحاطته بتصورات القرآن الكريم والسنة النبوية وتراث المسلمين في ما يتعلق بمواجهة الآخرين والتدافع معهم.

لقد اعمل النورسي في ضوء تدافعه مع حضارة الغرب قواعد السلم والحرب، والحوار والصراع، والتأثير والتأثر، والتفاعل والانفعال، والدفاع والهجوم وغيرها، من المتقابلات التي تفرضها الدوائر المتعامل معها.

إن هذا التنوع في الخطاب التدافعي، اقتضته النصوص القرآنية التي تعتبر الحضارة الغربية كتلا مختلفة، ومستويات متعددة، وأنماطا معرفية متنوعة، مما يفرض على محاورها تعدد خطابته وأساليبه.

وهذا ما وجدناه حاضرا في خطاب النورسي، فهو في بعض الأحيان يستعمل المنهج المستمد من قوله تعالى: ﴿**لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨**﴾[٤] فتراه يمدح مدنية الغرب

---

[١]- يقول النورسي رحمه: في كتابه "صيقل الإسلام"، ص : ٤٤٦، "إن الظهور على المدنيين إنما هو بالإقناع وليس بالضغط والإجبار".

[٢]- الكلمات ج١/٨٥٥ يقول رحمه: "وإن أردت الموازنة بين المدنية الشرعية والمدنية الحاضرة فدقق النظر في أسس كل منهما"

[٣]- أنظر اللمعات ج٣/ص ١٨٢، يقول النورسي: "إن تلميذ الفلسفة يفر من أخيه إيثار لنفسه، أما تلميذ القرآن فإنه يرى جميع عباد الله الصالحين في الأرض إخوانا له".

[٤]- سورة الممتحنة، الآية ٨.

ويعترف بفضلها ومحاسنها[١]، وفي بعض الأحيان يستخدم منهج الصراع الفكري الذي يقوم على كشف مثالب الآخر، وبيان عيوبه[٢].

إن هذه الازدواجية في الخطاب النورسي، تقصد إلى مواجهة التقليد الأعمى لحضارة الغرب، والذي أصبح يهدد مجتمعه، وتضع حدا للغزو الفكري الذي جاءت به الفلسفة المادية، ونشرته في صفوف المسلمين يقول رحمه الله: "فيا أسفي! ويا ويل من ضل بطواغيت الأجانب وعلومهم المادية الطبيعية، ويا خسارة أولئك الذين يقلدونهم تقليدا أعمى، ويتبعونهم شبرا بشبر وذراعا بذراع.

فيا أبناء هذا الوطن لا تحاولوا تقليد الإفرنج! وهل بعد كل ما رأيتم من ظلم أوروبا الشنيع وعداوتهم اللدودة، تتبعونهم في سفاهتهم، وتسيرون في ركاب أفكارهم الباطلة ؟ وتلتحقون بصفوفهم، وتنظمون تحت لوائهم بلا شعور".[٣]

يتضح من خلال هذا النص، أن النورسي كان يعتمد في تحصينه لعقول المسلمين منهج الهجوم على الفلسفة المادية والطبيعة، وكشف مساوئها وأخطائها وأضرارها.[٤]

وهذه المواجهة تعتبر جهادا فكريا، قام به بديع الزمان سعيد النورسي في زمن طغت فيه المادية، وارتفع فيه صوت الحداثة الغربية.

لقد استطاع رحمه الله، من خلال تأمله في القرآن الكريم أن يدخل على المعرفة الغربية، ويتناول مفرداتها بالنقد العلمي الصارم الذي يتوجه إلى الأصول المعرفية لحضارة الغرب ويكشف عن مثالبها انطلاقا من تجسيد نتائجها السلبية في حياة الشعوب والأمم.

---

[١]- الكلمات ج١، ص : ٨٥٨-٨٥٩ أنظر قوله: "فمما ينبغي ألا ننكر أن في المدنية محاسن كثيرة".

[٢]- صيقل الإسلام ج٨، ص : ٣٥٧ يقول رحمه الله: "فهذه المدنية الخبيثة التي لم نر منها إلا ضرر وهي المرفوضة في نظر الشريعة. وانظر في نفس المعنى كتاب اللمعات ج٣، من ص : ١٧٦ إلى ١٨٤ حيث فصل النورسي في ذكر مساوئ الحضارة الغربية.

[٣]- اللمعات ج٣، ص : ١٨٤.

[٤]- للوقوف على نظرية النورسي في مواجهة الفلسفة الطبيعية ينظر في كتاب الأستاذ الدكتور محمد خروبات بعنوان "خلاصة في نقد الفكر الطبيعي، قراءة في كتاب الطبيعة مع مقالة في بناء الإنسان عند بديع الزمان سعيد النورسي المطبعة الوطنية بمراكش – المغرب.

إن هذه المقدرة على نقض فلسفة الآخر، تستند إلى قوة القرآن الكريم ومعطيات السنة النبوية التي ترسم لكل تدافع بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب أسلوبا وفقها يناسبها. فالتدافع أنواع، منه: الكلمة، والحجة، والبرهان، والصراع الفكري، والإصلاح الاجتماعي، وغيرها من الأنواع التي يتجدد من خلال تقدير المصالح والمفاسد أثناء رسم قواعد التعامل مع الآخر.

إن النظرة القائلة بأن غير المسلمين ينصبون في معسكر واحد، هي نظرة خاطئة، وغير شرعية[1] تفضي إلى توحيد منهج التعامل مع مختلف الدوائر الغربية، فتقع في الظلم والشطط وتبتعد عن سنن التدافع الإنساني الذي يجعل الإنسانية من لدن آدم وحتى آخر هذا الكون يشتركون في المساواة في الخليقة التي تجعل بين البشر حواس وآليات تجمع بينهم في تآلف لا في مدام[2].

كما تعتمد معيار القرب من الوفاء بالالتزام تجاه العهد الرباني مناطا للتفاضل بين الشعوب والأمم، ومنبعا للتدافع بين الحضارات للتحقيق هذا الوعد، واتمام كلماته في الأرض، كما نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[3] وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[4].

فالناس – وبالتالي الحضارات التي هي نتاج إنساني – تتدافع ولاشك، أن هذا التدافع نتيجة الاختلاف، وهو في حد ذاته ضرورة للقضاء على الإفساد في الأرض.[5]

---

[1]- الفقه السياسي الإسلامي الدكتور خالد سليمان حمود الفهداوي دار الأوائل الثانية ٢٠٠٥م، ص : ٢٩٦.

[2]- العلاقات الحضارية الدكتور محمد جلاء إدريس، دمشق : دار القلم، ط ٢٠٠٣، ص : ٩٢ بتصرف.

[3]- سورة البقرة، الآية ٢٥١.

[4]- سورة الحج، الآية ٤٠.

[5]- أنظر العلاقات الحضارية محمد جلاء إدريس، ص ١٠٦.

هكذا، يكون النورسي قد وافق في خطاباته، تجاه حضارة الغرب، المنهج القرآني الذي يتصور الإنسانية مجموعة من الدوائر المختلفة تحقق إتمام كلمات الله في الأرض عن طريق التدافع بين أفرادها في مختلف المستويات، حتى يتبين الحق من الباطل ويتحقق الإصلاح في الأرض.

❖ القاعدة الخامسة: تحريك المشترك الإنساني العام في الحوار مع عقلاء الحضارة الغربية

يتخذ النورسي رحمه الله من القيم الإنسانية المشتركة، مدخلا أساسيا لتحقيق الحوار مع حضارة الغرب قصد تحقيق التفاهم والتعاون بين الأفراد والشعوب، وكبرى هذه القيم الحفاظ على مبادئ الإيمان، وأسس العدالة، ومرتكزات السلام، وثوابت العلوم، ومحاسن الأخلاق، وقوانين الكون. [1]

والقارئ المتأمل في نصوص رسائل النور، يجد كل هذه الأبعاد حاضرة بشكل قوي، تشكل الخيط الرابط بين الشعوب والحضارات، فالإنسانية كلها تنشد مبادئ العدالة والسلام، وتحب المعرفة والعلوم، وتسند إلى معطيات الدين والكون في عمارة الأرض، ولتأكيد حضور هذه الأبعاد الإنسانية العالمية في سياق تحديد منهج الحوار مع الغرب، أسوق بعض النصوص المتعلقة بذلك على سبيل التمثيل، تثبت أهمية المشترك الإنساني في إنضاج عملية الحوار، وتوجيهيها نحو تحقيق السعادة الإنسانية التي هي مناط تحقيق العدالة في العلاقات الحضارية بين المسلمين وغيرهم.

يقول النورسي رحمه الله مؤكدا ضرورة مواجهة الإلحاد بالاتفاق بين المسحيين والمسلمين في مشترك نبذ الكفر – رغم اختلاف الخصوصيات وتبيان المشارب، إلا أن العامل الموحد بينهم الذي يدفع إلى الحوار التعاوني هو البعد الإيماني الذي يؤطر كل منهما، "فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضا

[1]- اقتصرت على هذه الثوابت الست للتمثيل فقط، فهناك ثوابت كثيرة تعتبر من القيم الإنسانية المشتركة التي تشكل واسطة التعاون بين المسلمين وغيرهم وقد ذكرها النورسي وغيره من الباحثين في شأن العلاقات الحضارية. أنظر في هذا المجال العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، الأستاذ الدكتور فاروق حمادة، دار دمشق، ط ١، ٢٠٠٥م. وأنظر نظام السلم والحرب في الإسلام الدكتور مصطفى السباعي دار الوراق للنشر والتوزيع، وانظر حوار الحضارات محمد خاتمي ترجمة سرمد الطائي دار الفكر. وانظر الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب هاني مبارك الدكتور شوقي أبو خليل: دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية.

إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدنيين الحقيقيين من النصارى فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعا لعدوهم المشترك الملحد المتعدي.[١]

إن هذا المنهج، يتوافق مع الدستور القرآني الذي دعا الناس إلى توحيد رب الأرباب، ومحاربة الشرك والربوبية البشرية[٢]. والسياسة النبوية التي جعلت البعد الإيماني هو المحور الرئيس للانفتاح على الحضارات ودعوتها إلى حقيقة الإسلام[٣].

هذا فيما يتعلق بالبعد الإيماني وأثره في تحقيق الاتفاق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية في مواجهة الكفر والطغيان.

أما فيما يتعلق بقيم العدالة والسلام، فقد سبق الحديث عنه في الفصل السابق، وتمت الإشارة إلى أن العدالة، والمحبة، والتعاون، والسلام قانونا كوني يحكم الكون كله، فلا بد أن يستفيد الإنسان من هذا الدستور العالمي في إدارة علاقته مع الآخرين على أحسن الوجوه.[٤]

أما من جهة اتخاذ وحدة العلوم التقنية كعامل موحد للثقافات فنجد النورسي دعا إلى إحداث الصداقة مع المدنيين باعتبارهم كانوا سببا في إسعاد الإنسانية يتوفير تقنيات عالمية تساعد الإنسان على التقدم إلى الأمام، بقوله رحمه الله: "فعلى هذا فإن محبتنا لهم ما هي إلا لاقتباس ما استحسناه من مدنيتهم ونقدمهم، ولأجل المحافظة على نظام البلاد وأمنها الذي يعد أساس سعادة الدنيا".[٥]

---

[١]- اللمعات ج٣، هامش رقم ١ ص : ٢٢٩.

[٢]- سورة آل عمران، الآية ٦٤ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٣]- للوقوف على رؤية شاملة حول هذا الموضوع ينظر في كتاب الأستاذ الدكتور فاروق حمادة "العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي"، لقد تحدث عن رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك واستنبط المبادئ العالمية التي تحكم علاقة المسلمين بغيرهم، أنظر ص : ٤٦ على سبيل المثال.

[٤]- ينظر في الفصل المتعلق بقواعد العدالة الاجتماعية "لقد استخدم النورسي هذه القيم لضبط وحفظ المجتمع الإسلامي من الوقوع في الظلم؛ ويمكن أن توظف كذلك لضبط العلاقات مع غير المسلمين لان قواعد الإسلام عالمية تصلح الشأن الداخلي والشأن الخارجي.

[٥]- "صيقل الإسلام" ج٨، ص : ٤٠٠.

وأخيرا، بقي الحديث عن الأبعاد الخلقية والكونية، وأهمهما في صياغة رؤية متوازنة تحقق السلام والاطمئنان بين الشعوب والأمم، وقد سبقت الإشارة إلى نقطة منهجية، تتعلق بالجانب الأخلاقي ودوره في تقويم الحضارات عند النورسي، من خلال إحداث المقارنة العلمية بين تلميذ المدنية الحديثة، وتلميذ المدنية الإسلامية، ويكفي هنا الإشارة إلى بحث للدكتور عبد الحليم عويس للبرهنة على أن البعد الأخلاقي، معيار أساسي لتحديد معاير تقدم الحضارات وأفولها، ومشترك إنساني يساهم في حل الأزمة الأخلاقية العالمية التي قطعت أواصر المحبة الإنسانية، وزرعت نزعة الاستعلاء والفردانية والأنانية.[1]

أما الأبعاد الكونية، فنجد مجموعة من النصوص تصرح بأن النظر الإيماني يجعل أجزاء الكون تعيش المحبة والأخوة بينها في مطلق الزمان والمكان.[2]

هكذا يكون النورسي محددا قواعد مستنيرة لضبط الانفتاح على الآخر، وتحديد القواسم المشتركة معه للدفاع عن سعادة الإنسان في كل زمان ومكان، وقد ذكرت بعضا منها على سبيل التمثيل المنهجي، وإلا فإن هناك أنواعا كثيرة تحتاج إلى بسط القول، كقاعدة حقوق الإنسان، وقاعدة الحرية الشرعية، وغيرها من المبادئ الإنسانية العالمية.

والخلاصة التي توصلنا إليها أن النورسي في رسمه لمنهج العلاقات الحضارية مع غير المسلمين كان يصدر عن رؤية قرآنية عالمية تتخذ من سعادة الإنسان موضوعا لتحديد منهج الحوار مع الآخر وغاية له.

لقد استطاع أن يدرك حضارة الغرب ويقف على محاسنها ومثالبها ويحدد الأسس الكبرى التي تضبط منهج التعامل معها ويمكن اختصارها في الأبعاد الآتية:

- البعد الإيماني.
- البعد العلمي التقني.

---

[1]- أنظر عبد الحليم عويس "مساهمة القيم الدينية في التفاهم ودورها في إصلاح العالم الممزق". المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان سعيد النورسي، من ص : ١٨٠ إلى ١٩٠.

[2]- ينظر على سبيل التمثيل "صيقل الإسلام" ج٨/ ص ١٨١.

- البعد الروحي الأخلاقي.
- والبعد الكوني الواقعي.

فمن خلال ثابت الإيمان ومبدأ العلم ومبادئ الأخلاق ومعطيات الكون والتجليات السلبية في واقع الحياة الإنسانية نتيجة الابتعاد عن تطبيق هذه الأبعاد في العلاقات الحضارية بين الشعوب والأمم. بنى النورسي رؤيته الشاملة في تحديد منهج التعامل مع الحضارة الغربية.

المبحث الثاني:
أسس الحضارة الغربية

عرف موضوع تعريف الحضارة الحديثة وتصنيف أسسها، اختلافا كبيرا بين الدارسين والباحثين، فمنهم من جعل المبادئ الروحية والأخلاقية والجمالية من كبرى معايير التصنيف، ومنهم من أحدث القطيعة معها، واعتبر التقدم المادي هو التجسيد الحقيقي للحضارة، ولعل هذا الاختلاف ناشئ من اختلاف المرجعية التي يصدرون عنها.

وللوقوف على صورة عامة حول هذا التعدد في الرؤى والتباين في النتائج، نورد جملة من الطروحات الغربية المعاصرة التي تناولت مفهوم الحضارة وأسسها، والتي يمكن أن ترد إلى اتجاهين الأول يعطي لجانب الثقافي والروحي والجمالي الأولوية في الفعل الحضاري، والثاني يقتصر على البعد المادي في التصنيف.

الاتجاه الأول:

- "تعريف دي ميرابو":

"إن مدنية (حضارة) شعب ما، هي رقة طباعه وعمرانه، وتهذيبه ومعارفه المنتشرة بحيث يراعي الفائدة العلمية العامة، ويفسح المجال لقانون التفضيلات" [1].

- تعريف "ويل ديورنت" :

"إنه نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي، ويتألف من أربعة عناصر: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع، وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها"[2].

---

[1]- الثقافة المدنية، نصر محمد عارف الحضارة، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر سلسلة المفاهيم والمصطلحات. أمريكة ١٩٩٤ ص : ٣٣.

[2]- قصة الحضارة، ترجمة د. زكي نجيب، ط ١٩٥٦، نقلا عن: نعمان عبد الرزاق السامرائي في كتابه نحن والحضارة والشهود كتاب الأمة (٨٠) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ٢٠٠١، قطر ص : ٩٣.

- تعريف "تيلور":

"هي ذلك الكيان المعقد الذي يضم المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والآداب والقوانين، والعادات، وجميع القدرات، والتقاليد الأخرى، التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع"[١].

- تعريف "ألبرت اشفيتسر":

"الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء".[٢]

- تعريف "صامويل هنتنجتون":

"الحضارة كيان ثقافي، وهي تتحدد في آن معا بالعناصر الموضوعية المشتركة مثل: اللغة والدين والتاريخ والعادات والمؤسسات، وبالتحديد الذاتي الذي يقوم به الشعب لنفسه"[٣].

هكذا، يتبين أن مفهوم الحضارة عند أصحاب هذا الاتجاه، يشمل الجانب المادي والروحي، وهو المفهوم الذي يراه النورسي محققا في المدنية التي يدعوا إليها القرآن الكريم.

أما **الاتجاه الثاني** فهو يرى العكس، إذ يلغي الدين والأخلاق والمثل الجمالية عند حديثه عن الحضارة وأسسها ويعتبرها أوهاما وتجارب شخصية اخترعت للحفاظ على الذات، وأصحاب هذا الاتجاه كثيرون وعلى اختلاف مذاهبهم، فهوبز: يعتبر الدين من اختراع الناس. وداروين يعتبره مسألة بيولوجية ونيتشه يجعل القوة هي ركيزة الحضارة ويرفع شعار البقاء للأقوى، ومركس يعتبر الدين أفيون الشعوب، وغيرهم من المفكرين الذين أحدثوا القطيعة مع الدين في رسم معالم النهوض الحضاري وقد اتسمت تفسيراتهم بالاضطراب في التصورات والمعتقدات والتعدد في الرؤى والمنطلقات.[٤]

---

[١]- في معركة الحضارة، قسطنطين زريق، بيروت : دار العلم للملايين، ط٢، ص ٣٤.

[٢]- فلسفة الحضارة، ألبرت اشفيتسر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص : ٣٤.

[٣]- "الصدام بين الحضارات في صدام الحضارات"، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت : ١٩٩٥، ص : ١٨-١٩.

[٤]- للوقوف على تفاصيل هذه الاتجاهات المادية المتطرفة ينظر في كتاب الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان لأستاذ عبد الوهاب المسيري وينظر كذلك في كتاب الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية لتوفيق يوسف الواعي، المنصورة : دار الوفاء ١٩٨٨.

في خضم هذا التعدد والاختلاف في تعريف الحضارة وتصنيف أسسها، تبرز رؤية النورسي متجاوزة البحث المغرق في التنظير مرتبطة بالواقع الملموس وهو الرجل الذي عاين جملة من هذه التيارات في عصره وعاش زمن الغزو الثقافي والعسكري الذي شنته حضارة الغرب على بلاد المسلمين.

لقد حاول رحمه الله، أن يقدم تصورا دقيقا ممنهجا حول أسس الحضارة الغربية، اعتمادا على ثمارها في الواقع الإنساني، وانطلاقا من استنطاق النصوص القرآنية، الكاشفة عن مآل الحضارات التي تلغي المنطلقات الإيمانية في عملية البناء والتأسيس، كما استطاع أن يقدم بديلا حضاريا عالميا ينبني على أسس دينية، ودنيوية، وجمالية، وأخلاقية، تسعد الإنسانية وتحميها من عبث المدنية الحديثة.

وفيما يأتي نتناول هذه العناصر بالدرس والتحليل، كما جاءت في رسائل النور.

١. أسس الحضارة الغربية عند النورسي:

يقف النورسي من الحضارة الغربية موقف الوسط بين الرفض الكامل والقبول غير المشروط، ممتلكا القدرة على النقد الموضوعي لأسس مدنيتها، ويقدم التصور القرآني لأسس المدنية الإسلامية بديلا عنها معتمدا على الشواهد التاريخية، والمخلفات السلبية التي تركتها في إثبات أصالتها ومبادئها. يقول رحمه الله : "فالمدنية الحاضرة تؤمن بفلسفتها: أن ركيزة الحياة الاجتماعية البشرية هي "القوة"، وهي تستهدف "المنفعة" في كل شيء، وتتخذ "الصراع" دستورا للحياة، وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطة للجماعات وغاياتها هي "لهو عابث" لإشباع رغبات الأهواء وميول النفس التي من شأنها تزييد جموح النفس وإثارة الهوى، ومن المعلوم أن شأن "القوة" هو "التجاوز"، وشأن المنفعة" هو "التزاحم"، إذ هي لا تفي بحاجات الجميع وتلبية رغباتهم وشأن "الصراع" هو "التصادم"، وشأن "العنصرية" هو "التجاوز"، حيث تكبر بابتلاع غيرها.

فهذه الدساتير والأسس التي تستند إليها هذه المدنية الحاضرة، هي التي جعلتها عاجزة – مع محاسنها – عن أن تمنح سوى عشرين بالمئة من البشر سعادة ظاهرية، بينما ألقت البقية إلى شقاء وتعاسة وقلق"[1].

يتضح من خلال هذا النص، أن النورسي يحلل أسس الحضارة المعاصرة في خمسة مرتكزات متداخلة ومتجانسة، تقود إلى إظهار الغلبة على الحضارات الأخرى، وهي القوة والمنفعة والصراع والعنصرية والهوى هذه المبادئ الخمس تشكل القاعدة التأسيسية التي بنت على ضوئها الحضارة المادية منهجها في الحركة والعمل والتفاعل مع الطبيعة والكون والإنسان.

فالحضارة الغربية، كما يرى النورسي، رفعت شعار البقاء للأقوى، فصارت تستعمر البلدان بالصراع والحرب، من أجل تحقيق منفعتها المادية، كما رفعت شعار "تفاضل الأجناس" الذي نفخ في روحها داء الاستعلاء على الآخرين فصارت تعتبر نفسها أفضل عنصر، وألقى دم في تاريخ البشرية؛ كما ألهت الهوى، وجعلته ثمرة حياتها ومقاصد أفعالها.

إن اختصار النورسي لأسس الحضارة الغربية في خمسة مبادئ، لم يكن اعتباطيا، وإنما كان مقصودا ينم عن فقه دقيق لمجريات الأحداث في عصره، حيث انكشف الوجه الحقيقي لهذه الحضارة، خاصة في الحرب العالمية الأولى[2].

فالنورسي رحمه الله، يناقش هذه الأسس في إطار هذه الشواهد التاريخية التي تثبت همجية الغرب واسعلائه وجبروته وحيوانته.

كما يجعل النتائج السلبية التي خلفتها هذه الحضارة دليلا على أهلية المدنية الإسلامية، لقيادة الإنسانية في جميع مجالاتها وأصنافها، يقول رحمه الله: وهكذا فإن كل مدنية "هي يعد ذاتها بينت واسع لسكنتها. فإن لم يكن "الآخرة" مسيطرا على أفراد هذه العائلة الكبيرة،

---

[1]– أنظر "الكلمات" ج١، ص : ٤٧٢.

[2]– لقد بينت الحرب العالمية الأولى أسس حضارة الغربية وقواعدها وكشفت حقيقة مفادها أن الاحتقار هو الأساس الخلقي الذي وضع عليه الاستعمار قواعده وبنى عليه قوانينه وأن ملكه الاحتقار هي الغاية في العالم الاستعماري ينتهي إليها عالمه وحاكمه ومشرعه ومنفذه" أنظر آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد الطالب الإبراهيمي، بيروت : دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٧م، ج٣، ص : ٣٢٦.

فسيتولى عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيال والأنانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع، بدلا من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والمروءة والمحبة والتضحية، ورضى الله والثواب الأخروي. وكانت معاني الإرهاب والفوضى، والوحشية حاكمة ومسيطرة تحت اسم النظام والأمن والإنسانية التي يظهرونها، وحينئذ تتسم تلك المدنية، فيتصف الأطفال بالوقاحة والإهمال والشباب بالسكر والعربدة، والأقوياء بالظلم والتجاوز والشيوخ بالبكاء والآنيين"[١].

إن هذه الأوصاف الدقيقة التي مثل بها النورسي للمدنية التي تقوم على أسس المادية المتجردة عن الأبعاد الدينية غاية في الدقة والتحليل. والمتأمل في الواقع المعاصر يجد أن الدول العظمى تحت ستار النظام والمحافظة على الأمن القومي ومحاربة الإرهاب تقتل الشعوب، وتدمر البلدان، وتشرد النساء، وتيتم الأطفال، وتنهك الأعراض[٢].

وهذه الأضرار والمفاسد الكبرى للحضارة الحديثة، وقعت بسبب بعدها عن القيم الدينية والأخلاقية، وقيامها على مبدأ القوة واللذة[٣].

فالحضارة الغربية، حينما ألغت الدين من الحياة، وألهت المادة، وقعت في بحر الظلمات، فأودت بالإنسانية إلى الشقاء والجحيم، يقول النورسي رحمه الله: "فيا أوروبا ما ورطك في هذا الخطأ المشين إلا دهاؤك الأعور، أي ذكاؤك المنحوس الخارق، فلقد نسيت بذكائك هذا رب كل شيء وخالقه، إذ أسندت آثاره البديعة إلى الأسباب والطبيعة الموهومة ! وقسمت ملك ذلك الخالق الكريم على الطواغيت التي تعبد من دون الله... فانطلاقا من هذه الزاوية التي ينظر منها دهاؤك الأعور يضطر كل ذي حياة وكل إنسان أن يصارع وحده ما لا يعد من الأعداء، ويحصل بنفسه على ما لا يحد من الحاجات، بما يملك من اقتدار كذرة، واختيار كشعرة، وشعور كلمعة تزول وحياة كشعلة تنطفئ، وعمر كدقيقة تنقضي، مع أنه لا يكفي كل ما في

---

[١]- الشعاعات ج٤، ص : ٢٨٣.

[٢]- تشكل الحالة الأمريكية في الواقع المعاصر المثال الحي الذي يجسد الأسس الخمسة التي ذكرها النورسي في سياق تحليله لمبادئ الحضارة الحديثة. حيث نجدها تستغل عظمة قوتها ونفوذها في سبيل تحقيق نزواتها ومنافعها عن طريق الحروب الإرهابية.

[٣]- للوقوف على خصائص الحضارة المعاصرة ومعرفة أسسها ينظر في كتاب "الورثة الصالحة للحضارة المعاصرة، بحوث قرآنية في الحضارة"، للدكتور فاروق حمادة، الدار البيضاء : دار الثقافة، ط ٢، ١٩٩٠، ص : ٤١.

يده لواحد من مطالبه. فعندما يصاب – مثلا – بمصيبة، لا يرجو الدار لدائه إلا من أسباب صم، حتى يكون مصداق الآية الكريمة: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾[1].

إن دهاءك المظلم، قد قلب نهار البشرية ليلا، ذلك الليل البهيم بالجور والمظالم، ثم تريدين أن تنوري ذلك الظلام المخيف بمصابيح كاذبة مؤقتة ! هذه المصابيح لا تبتسم لوجه الإنسان، بل تستهزي به، وتستخف من ضحكاته التي يطلقها ببلاهة وهو متمرغ في أوحال أوضاع مؤلمة مبكية ! فكل ذي حياة في نظر تلاميذك، مسكين مبتلى بمصائب ناجمة من هجوم الظلمة، والدنيا مأتم عمومي، والأصوات التي تنطلق منها نعيات الموت، وأنات الآلام، ونياحات اليتامى"[2].

إن هذا النص، يكشف عن الموقف البصير المستنير الذي وقفه النورسي من الحضارة الغربية، حيث أبان عن نتائج أسسها في الواقع الإنساني الذي حولت نهاره ليلا، مسرته حزنا، وسعادته شقاءا.

هذا الوصف والنقد الحقيقي لحضارة الغرب، يستمد أصالته وقوته من عمق الاعترافات والانتقادات التي سجلها عقلاء الحضارة الغربية في كتبهم.

ولإبراز موضوعية النقد النورسي لأسس الحضارة الغربية نذكر بعضا منها في ما يأتي:

"يقول الكسيس كاريل في كتابه "الإنسان ذلك المجهول" "إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب، لأنها لا تلاءمنا، فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية، وشهوات الناس، وأوهامهم، ونظرياتهم، ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا، إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا"[3].

---

[1]- سورة الرعد، الآية ١٤.

[2]- اللمعات ج٣، ص : ١٨٠-١٨٠ "لقد تعمدت سوق هذا النص مطولا للكشف عن الحاسة النقدية التي امتلكها النورسي وهو يحلل آفات الحضارة الغربية ويصف مثالبها دون الوقوع في الجور والظلم في الأحكام.

[3]- الإنسان ذلك المجهول: أترك، ط ٤، ص ٣٧.

"يجب أن يكون الإنسان مقياسا لكل شيء، ولكن الواقع هو عكس ذلك، فهو غريب في العالم الذي ابتدعه، إنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه، لأنه لا يملك معرفة علمية بطبيعته... ومن ثم، فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة، هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية، فالبيئة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة، لا بالنسبة لقوامنا، ولا بالنسبة لهيئتنا... إننا قوم تعساء، ننحط أخلاقيا وعقليا... إن الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة أعظم نمو وتقدم، هي على وجه الدقة، الجماعات والأمم الآخذة في الضعف، والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها، ولكنها لا تدرك ذلك، إذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التي شيدها العلم حولها. وحقيقة الأمر أن مدنيتنا مثل المدنيات التي سبقتها، أوجدت أحوالا معنية من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة، وذلك لأسباب لا تزال غامضة... إن القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية... إننا ضحايا تأخر علوم الحياة عن علوم الجماد، العلاج الوحيد الجائز لهذا الشر المستطير هو معرفة أكثر بأنفسنا"[1].

ويقول أيضا في كتابه "تأملات في سلوك الإنسان: الحضارة الحديثة في الميزان"، "لقد أصبح الاعتدال، والشرف، والصدق، والمسؤولية، والطهر، وضبط النفس، وحب الجار، والبطولة، والمسؤولية، كلها عبارات بالية، ومجرد كلمات خاوية من المعنى، تثير ابتسام الشباب".[2]

"لِمَ نَرُد أن فهم قيادة أنفسنا في الحياة تشبه قيادة السيارة، في أنها تتطلب الخضوع لنوع من قانون الطريق، لكن يبدوا أن الأكل والشرب والنوم وأشياء الرغبات الجنسية، واقتناء سيارة

[1]- المصدر نفسه، ص ٤١-٤٢.

[2]- تأملات في سلوك الإنسان الحضارة الحديثة في الميزان ألكسس كارليل ترجمة محمد قصاص، ص : ٦.

وجهاز للراديو، والذهاب إلى السينما والرقص، وكسب المال، أصبحت هي الغاية الحقيقية للإنسان"[1].

هكذا يكون هذا العالم الفرنسي الحاصل على جائزة نوبل، قد قضى حياته في الجراحة الطبية، وعاين مشاكل الإنسان المعاصر في الحضارة الحديثة ماديا، ومعنويا، معترفا بسقوطها وانحدارها نتيجة بعدها عن القيم الروحية والمعنوية.

وفي نفس السياق، يعترف العالم البيولوجي "رينيه دوبو" الحامل لجائزة نوبل كذلك، باتجاه الحضارة الغربية نحو السقوط، نتيجة انغماسها في عالم الماديات، يقول: "الإنسان العصري قلق حتى ولو كان في زمن السلم، وفي جو البحبوحة الاقتصادية، لأن عالم التكنولوجية الذي يشكل محيطه المباشر، والذي فصله عن عالم الطبيعة الذي تطور الإنسان فيه أصلا فشل، أي عالم التكنولوجيا، في توفير حاجات الإنسان الأساسية التي لم تتغير ولم تتبدل، ومن نواح كثيرة يشبه إنسان العصر "الحيوان البري" الذي يقضي حياته في حديقة الحيوانات، فالإنسان الآن كهذا الحيوان... يتوفر له الغذاء الكافي والحماية الكافية من القسوة، ولكنه يحرم من المثيرات الطبيعية الأساسية للعديد من وظائفه الجسدية والفكرية. فالإنسان اليوم ليس فقط غريبا عن أخيه الإنسان وعن الطبيعة، بل الأهم بكثير، هو أنه غريب مغرور عن أعماق ذاته"[2].

كما نجد أن غيرهم من عقلاء الغرب أمثال هنري لنك الطبيب الأمريكي، وجون ديوي، والفيلسوف الشهير، والمؤرخ الكبير البريطاني "توينبي"، والمفكر الفرنسي "روجيه جارودي"، ولائحة طويلة، قد اعترفوا كلهم بأن الحضارة الغربية مدنية ضخمة، بلغت أقصى التطور في عالم الماديات، لكن رجليها من تراب، لاشك أنها تسقط في المستقبل[3].

إن هذه الاعترافات الصادرة من الداخل الأوروبي، تضفي على التحليل النورسي طابع المنهجية والموضوعية والإنصاف في إصدار الأحكام والانتقادات. فالنورسي لم يكن في انتقاده

---

[1]- المصدر نفسه، ص : ٢٠.

[2]- رينيه دوبو إنسانية الإنسان ترجمه الدكتور نبيل صبحي الطويل مؤسسة الرسالة بيروت، ص : ٤٩.

[3]- للمزيد من معرفة تحذيرات عقلاء رجال الغرب من أضرار الفلسفة الحديثة ينظر في فصل "عقلاء رجال الغرب يدقون أجراس الإنذار"، من كتاب الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي الإسلام حضارة الغد من ص ٩٧ إلى ١٢٢، مؤسسة الرسالة ط١/ ٢٠٠١.

هذا، منطلقا من عقدة العداء للغربيين بل كان يحاول تحذير البشرية من خطر الفلسفة المادية على الإنسان المعاصر في شتى الوسائل، ويعطي البدائل للمشاكل المستعصية، من خلال حكمة التشريع الإسلامي ونظرها إلى مدنية الإنسان يقول رحمه الله: "بعد بيانه لأسس المدنية الغربية : "أما حكمة القرآن فهي تقبل "الحق" نقطة استناد في الحياة الاجتماعية "بدلا" من القوة وتجعل" رضي الله ونيل الفضائل" هو الغاية والهدف بدلا من "المنفعة" وتتخذ دستور "التعاون" أساسا في الحياة، بدلا من دستور "الصراع"... وتلتزم رابطة "الدين" والصنف والوطن لربط فئات الجماعات، بدلا من العنصرية والقومية السلبية... وتجعل غاياتها "الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور وتطمين مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل العليا لجعل الإنسان إنسانا حقا".

إن شأن "الحق"، هو "الاتفاق"...وشأن "الفضيلة"، هو "التساند"... وشأن "التعاون"، هو "إغاثة للآخر"، وشأن "الدين" هو "الأخوة والتكاثف"... وشأن "إلجام النفس وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال"، هو "سعادة الدارين".

وهكذا غلبت المدنية الحاضرة أمام القرآن الحكيم مع ما أخذت من محاسن من الأديان السابقة، ولاسيما من القرآن الكريم. [1]

يتضح من خلال هذا النص الذي ينم عن موازنة واعية بين حضارة الغرب وحضارة الإسلام، مدى شساعة الفروق بين مدنية الإسلام ومدنية الغرب في الأسس والمنطلقات والغايات والثمرات.

لقد كان النورسي رحمه الله على معرفة عميقة بأسس الحضارة الغربية، شأنه في ذلك شأن رفيقه في السن، وأخيه في الدفاع عن قضايا الإنسان محمد إقبال، الذي درس علوم الغرب وفلسفاته دراسة عميقة، وعرف نفسيته ودهاءه بعقلية راسخة، يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي في سياق حديثه عن الشباب المتدمرين من حضارة الغرب، والثائرين عليها بعد دراستهم فيها: "لقد كان في مقدمة هؤلاء الناقدين الثائرين محمد إقبال، الذي يعتبر بحق أنبغ

[1]- الكلمات ج١/ ص ٤٧٢-٤٧٣.

عقل أنتجته الثقافة الجديدة التي ضلت تشتغل في العالم الإسلامي من قرن كامل، وأعمق مفكر أوجده الشرق في عصرنا الحاضر. ولم نر من نوابغ الشرق واذكيائه – على كثرة من أم الغرب منهم ودرس هناك أحدا نظر في الحضارة الغربية هذا النظر العميق وانتقدها هذا الانتقاد الجرئ –، إن محمد إقبال قد لاحظ جوانب الضعف الأساسية في هذه الحضارة، وتركيبها، والفساد الذي عجنت به طينتها، لا تجاهها المادي، وثورة أصحابها على الديانات، والقيم الخلقية والروحية عند نهضتها، وعلل فساد القلب والفكر الذي اتسمت به هذه الحضارة بكون روح هذه المدنية ملوثة غير عفيفة" [1].

ويتلخص نقد إقبال لحضارة الغرب بالأغلب في الأمور التالية الأساسية: [2]

أولا: الحاد أهل الغرب وكفرهم بالله وبرسله، وثورتهم على الدين والشريعة السماوية والقيم الخلقية.

ثانيا: اختيارهم العقلانية والعلمانية الناتجة عن كفرهم وإلحادهم مصدرا أساسيا لاكتساب العلم والمعرفة، ولوضع القوانين والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بدلا من الشريعة المنزلة من الله تعالى، واعتمادهم كليا على العقل والمكر والتجربة الحسية، والإغماض عن السمع والطاعة كليا، وعن الرجوع إلى فطرة النفس السوية وإلى التجربة الروحية.

ثالثا: ماديتهم وإيمانهم بمظاهر الطبيعة، وجريانهم وراء الجنس والربح المادي والتلذذ الحسي المؤقت.

رابعا: السياسة والاقتصاد القائمان على أسس المكر، والخداع، والاستعمار، والاستعباد، ونهب الأموال وسلب الحرية من الشعوب، ونشر التفرقة بين الأمم والأفراد، على أساس الوطن والجنس واللغة واللون وغيرها. [1]

---

[1]- الأستاذ أبو الحسن الندوي روائع إقبال دار القلم – الكويت ١٩٧٨م ص ٦٩.

[2]- لقد اخترت محمد إقبال لتوافق سنه مع سن النورسي ولعمق معرفته بحضارة الغرب وأسسها "وهو الدارس في حضارة انجليز" ولشدة حزنه وغيرته على أمة القرآن وهو صاحب الأشعار التي بلغت الأفاق وحملها الأحباب والخصوم في الشرق والغرب وأقاموا حولها الندوات والدوريات؛ فلله ما أحوج أمة الإيمان أن تستنير بأنوار أمثال هؤلاء الرجال، الذي صنعوا التاريخ الفكري بأقلامهم ونفوسهم ودافعوا عن حصون الإسلام بالعلم والحكمة ضد عبث الفلسفة الغربية.

يقول رحمه الله: "لا أسلوب التصرف في العصور الوسطى، ولا القومية، ولا الاشتراكية الإلحادية بقادرة على أن تشفي علل الإنسانية اليائسة، ولا ريب في أن اللحظة الحاضرة تمثل أزمة خطيرة في تاريخ الثقافة العصرية، وقد أصبح العالم اليوم مفتقرا إلى تجديد بيولوجي، والدين الذي هو في أسمى مظاهره ليس عقيدة فحسب، أو كهنوتا أو شعيرة من الشعائر، وهو وحده القادر على إعدادا الإنسان العصري إعداد خلقيا يؤهله لتحمل التبعية العظمى، التي لا بد من أن يتمخض عنها تقدم العلم الحديث، وان يرد إليه تلك النزعة من الإيمان التي تجعله قادرا على الفوز بشخصيته في الحياة الدنيا والاحتفاظ بها في دار البقاء"[٢].

هكذا، يتبين من خلال كلام الناقد الكبير، والمفكر الحصيف محمد إقبال، أن الحضارة الغربية قامت على أسس واهية تمجد القوة، وتعتد بالعنصرية، وتعبد الشهوة، وتتحرك بوقود المنفعة.

والنورسي رحمه الله، لما حلل الثوابت التي تحكم الحضارة الغربية، وحصرها في خمس، كان يريد أن يؤسس لرؤية تطلع بمهمة إحكام العلاقة مع هذا الغرب، وبالتالي فلا ينفع معه إلا توفير وسائل خمسا تتجلى في (الحق، والفضيلة، والتعاون، والدين وإتباع الهدى).

هذه الثوابت، تقف ضد الثوابت الغربية (القوة، والمنفعة، والصراع، والعنصرية وإرضاء الأهواء)، لتشكل رؤية قرآنية تمنح السعادة للغالبية العظمى من البشر، وتحل مشاكل الإنسان المعاصر في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تدهورت بفعل الفلسفة المدنية[٣]. يقول رحمه الله "والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلا طرازا من المدنية التي تمنح السعادة للجميع، أو الأكثرية، بينما المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبد والشهوة تتحكم، حتى جعلتا

---

[١]- أنظر خليل الرحمان عبد الرحمان "محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية" رسالة دكتوراه دار حراء – مكة المكرمة ط ١٩٨٨، ص ٢١٧.

[٢]- تجديد التفكير الديني في الإسلام: لمحمد إقبال، ترجمة السيد عباس محمود لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص : ٢١٦-٢١٧.

[٣]- أنظر الكلمات ج١، ص : من ٤٧٣ إلى ٤٧٧، لقد وضع النورسي مفارقات تشريعية بين نظر القرآن ونظر الفلسفة في مسائل اقتصادية وأخرى اجتماعية فأثبت فشل الفلسفة المادية في قيادة الإنسانية إلى شاطئ الأمان ونجاح حكمة القرآن في معالجة هذه المسائل.

الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية. وهكذا محية راحة البشرية، إذ كان الإنسان في البداوة محتاجا إلى أشياء أربعة، بينما أفقرته المدنية الحاضرة الآن، وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة، حتى لم يعد السعي الحلال كافيا لسد النفقات، فدفعت المدنية البشرية إلى ممارسة الخداع، والانغماس في الحرام. ومن هنا فسدت أسس الأخلاق إذ أحاطت المجتمع والبشرية بهالة من الهيبة ووضعت في يدها ثروة الناس، فأصبح الفرد فقيرا وفاقدا للأخلاق"[١].

لقد كتب النورسي هذا النقد العميق للطابع المادي والنفعي والاستهلاكي للمدنية الغربية، قبل ما يقرب من تسعين عاما... فرأت بصيرته – بفراسة المؤمن – هذه الرؤية التي أصبحت كفلق الصبح...، والتي يشقى بها الغرب والذين تغربوا هذه الأيام ! [٢]

هكذا يكون النورسي بتحليله الدقيق لأسس المدنية الغربية، وإبراز مثالبها وهزيمتها أمام تشريعات المدنية الإسلامية ومحاسن مبادئها، قد قدم رؤية واضحة تكشف عن الفروق الأساسية بين الحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية في الأسس والمنطلقات والأهداف والغايات، غير أن هذا النقد كان محفوفا بتقديم حسنات الغرب وآثاره الايجابية على الإنسانية ليفتح القواسم المشتركة بين المسلمين وغيرهم، في مجال التلاقح الحضاري الفعال والمفيد.

---

[١]- الكلمات ج١/ ص ٨٥٦.

[٢]- الإسلام والتحديات المعاصرة للدكتور محمد عمارة نهضة مصر ط١ ٢٠٠٥ ص ٤٩٣.

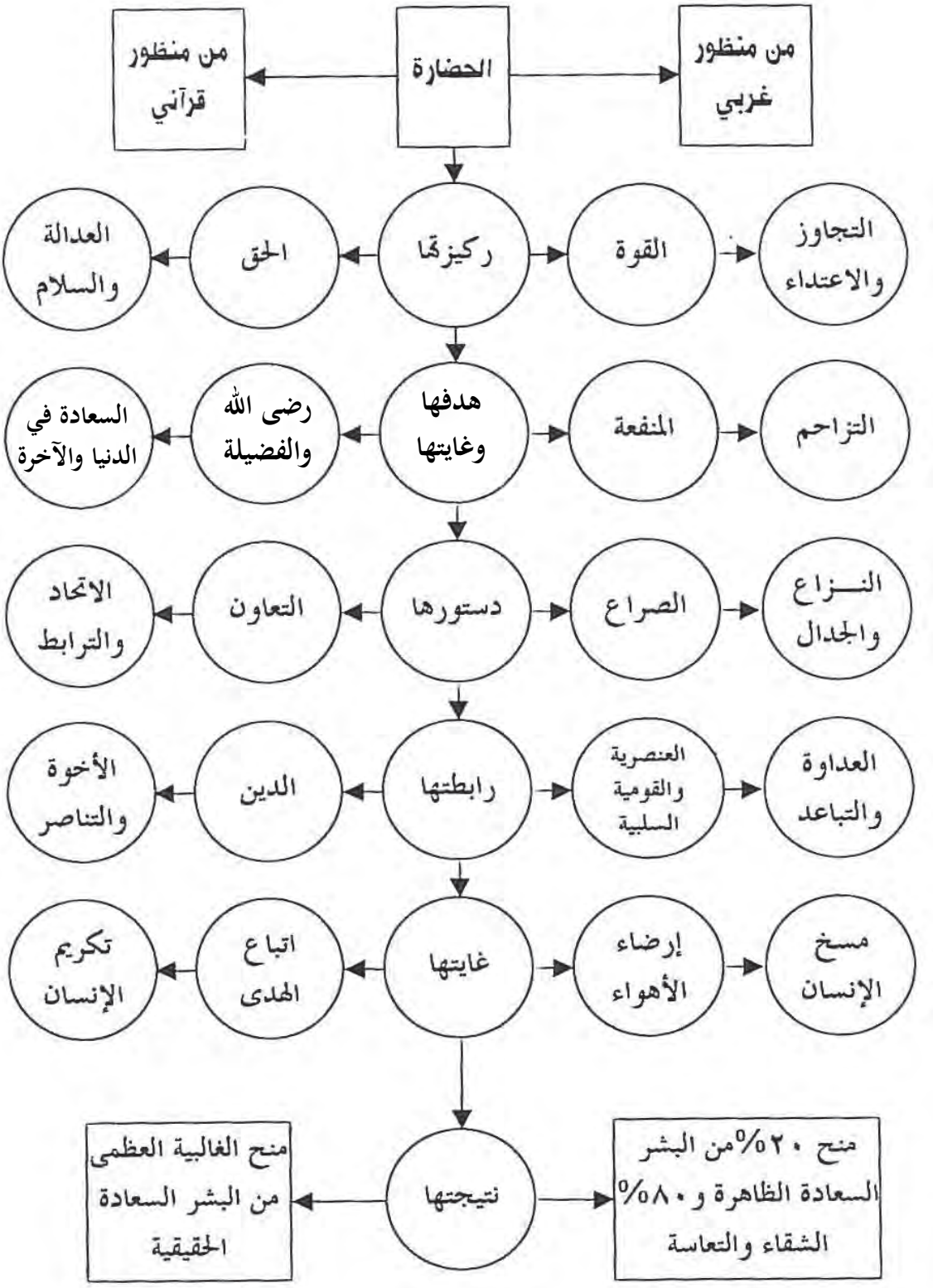

أسس الحضارة كما حددها النورسي

المبحث الثالث:
عوامل النهوض وأسباب التخلف عند بديع الزمان سعيد النورسي

مع سقوط الدولة العثمانية ككيان حضاري، يعبر عن وجدان الأمة الإسلامية ويمثل خياراتها في الحياة ونمطها في العيش، ومنهجها في المشاركة والتفاعل الإنساني العالمي، تقف الذات الإسلامية وقفة تأمل وتفكر في مسيرة أحداثها وصفحات أعمالها وعوامل هدمها، وأسباب نهوضها وسرقوتها ومكمن ضعفها.

هذه الوقفة التي تحمل في طياتها – الحزن والألم والتفاؤل والأمل –، تهدف إلى محاولة الإجابة على سؤال النهضة والتغيير وأشكال السقوط والانحدار الذي عرفه المسلمين في هذا الزمن المسلوب من طرف الغربيين.

إن هذا السؤال تعددت ايجابياته، وتنوعت الأقلام التي تدور في فلكه، فمنهم من اعتبر المشكلة الحضارية ترجع إلا ثلاثة عناصر هي : الإنسان والتراب والزمان وتقوم الفكرة الدينية بعملية المزج بين هذه العناصر الثلاثة[١].

ومنهم من أرجعها إلى تحقيق نقيض المبادئ الآتية: البعد عن الله، ضعف الحمية الدينية، إنتشار الخيانة في صفوف المسلمين، الجهل، العلم الناقص، فساد الأخلاق، تراجع الأمراء عن الاحتكام إلى شرع الله[٢]، ومنهم من رد أشكال النهوض إلى عامل ثنائية الوحدة والافتراق وإشكالية التجزئة. [٣] ومنهم من جعلها تندرج في صلب الأزمة السياسية المعاصرة التي غيبت

---

[١]- أنظر مالك نبى شروط النهضة ترجمة عمر كامل دار الفكر ط١ – ١٩٨٧ ص ٦٥ وما بعدها.

[٢]- أنظر الأمير شكيب أرسلان "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم" تقديم رشيد رضا دار البشير القاهرة المتأمل في هذا الكتاب يجد أن شكيب أرسلان يعطي للعامل الداخلي المحور الكبير في عملية التراجع الحضاري.

[٣]- للوقوف على مركزية الوحدة في بناء الأمة الشاهدة ينظر في كتاب الأستاذ الدكتور فاروق حمادة "بناء الأمة بين الإسلام والفكر المعاصر دار الثقافة ط١ ١٩٨٦ "لقد تناول الباحث إشكالية الوحدة وجعلها نقطة مركزية في عملية النهوض الحضاري انطلاقا من معطيات النص القرآني والحديثي". كما ينظر في جميع مؤلفات الأستاذ منير شفيق التي تخصصت في الحديث عن المحاور الثلاثة المسؤولة عن تراجع الأمة : محور العامل الخارجي، ومحور الانقسام والتجزئة، ومحور الضعف الحضاري.

النظام الإسلامي في مناحي الحياة[١]. ومنهم من ردها إلى الخمول الحاصل في مجال الآفاق الثقافية، ومجال الآفاق الحضارية[٢]. ومنهم من اعتبر الأزمة كامنة في الجمود على الذات، وعدم الانفتاح على المرجعية الغربية تصورا وسلوكا[٣].

وهكذا ا تطول للائحة وتعدد فيها الطروحات والاقتراحات الممكنة، لتحقيق النهوض والتغيير الشامل في كافة الميادين الاجتماعية، والسياسية، والمعرفية والاقتصادية...

والنورسي واحد من هؤلاء المفكرين الذين عاشوا في زمن المحنة واكتووا بنارها وتألموا بآلامها، وخططوا الكلمات، والتصورات لعلاجها قبيل سقوطها، وبعد أفولها واندحارها[٤].

والقارئ المتتبع لما كتبه النورسي في رسائله، يقف على نقطة مركزية تعد بؤرة الانطلاق، ومحور التغير والإصلاح في مختلف المجالات، سواء أكانت كلية أو جزئية سياسية أو اقتصادية محلية أو عالمية...، وهي مسألة البعد الإيماني ومدى حضوره في هذه المجالات المتعددة.

فالنورسي رحمه الله في مقاربته لإشكالية النهوض، ينطلق من قاعدة الإيمان التوحيدي ليؤطر جميع مجالات النهوض الحضاري لذاتية الأمة الإسلامية.

إن أي تقدم وإصلاح لا يتأسس على قاعدة الإيمان التحقيقي، حسب رأي النورسي، مآله الفشل والانعدام.

---

[١]- ينظر في كتاب معالم في الطريق للسيد قطب حيث قارب الموضوع من خلال إشكالية الحاكمية لله – وجعل تخلف المسلمين – رهين بسيادة الحكم الجاهلي في مجالات الحياة.

[٢]- ينظر في كتاب مفهوم التقدم لدى المفكرين الإسلاميين، فهمي جدعان.

[٣]-ويمثل هذا التيار الطهطاوي في "مناهج الألباب" و"تلخيص الإبراز" وخير الدين التونسي في "أقوم المسالك" والكواكبي في طبائع الاستبداد وقاسم أمين في "تحرير المرأة" ومحمد عبده في تأويلاته المختلفة للحقائق الشرعية لصالح العقلانية، ينظر في مجلة المنعطف إشكالية النهوض في العالم العربي والإسلامي وجهات نظر العدد ١٨-١٩ السنة ١٤٢٢-٢٠٠١ محمد امزيان سؤال المرجعيات في خطابات النهوض ص : ٩.

[٤]- يعتبر كتاب صيقل الإسلام من الكتب التي سجلت المواقف الفكرية والسياسية والإصلاحية لبديع الزمان سعيد النورسي قبيل أفول الحضارة العثمانية وانهيارها في شتى المجالات. لقد حاول رحمه الله أن يقدم رؤية شاملة تهدف إلى إصلاح المؤسسات السياسية والدينية والتعليمية لكن محاولته هذه اصطدمت مع مجريات الأحداث الجديدة فأودت به إلى اختيار منهج الصبر السياسي والتوأدة الإصلاحية وفق تقدير الإمكانات المتاحة والقدرات المتوفرة والتحديات الطارئة في ساحات التدافع الحضاري.

والنورسي في طرحه هذا، يتوافق مع جملة من المصلحين قديما وحديثا، كما أشرنا سابقا، الذين اعتبروا مسألة الرجوع إلى الله جوهر الانطلاق والتجديد.

لقد كتب الإمام الغزالي "إحياء علوم الدين" في زمن رأى فيه الناس تراجعوا عن قضية الإسلام وكتب الشاطبي "الاعتصام" في مرحلة تعددت فيه النماذج التي أبدعت مسائل عدة. في الحقل الديني، تبتعد عن الكتاب والسنة، وهكذا في كل مرحلة تاريخية، وجد علماء سيستجيبون لقضايا عصرهم.

كل هؤلاء اتفقوا على مركزية العامل الديني، واختلفوا في منهجية التنزيل وفق معطيات العصر.

فالنورسي رحمه الله[1]. كان متفقا مع شكيب أرسلان، ومع جمال الدين الأفغاني، ومع مالك بن نبي، ومحمد إقبال في اعتبار "أزمة التراجع الديني والأخلاقي والعلمي والمادي" من أسباب التأخر، لكن وقع الخلاف في أساليب التعاطي مع الواقع ومناهج التدبير والأجرة، ووسائل التفاعل والتفعيل ومناطق الاجتهاد والتقليد، وفقه الأولويات وغيرها من القواعد الأساسية التي تؤطر مسألة النهوض ومشكلة التراجع والتخلف.

أمام هذا التعدد في الخيارات المنهجية لتحديد مرتكزات النهوض الإسلامي، أحاول في هذا المبحث أن اكشف عن الأسس الكبرى، والمنطلقات الأساسية لتحقيق النهوض الإسلامي، كما سطرها بديع الزمان سعيد النورسي في رسائله المتعددة، معتمدا على منهج الجمع والتصنيف والاستنباط، وفق عناصر محددة ارتأيت أن تكون ناظمة للموضوع.

في البداية، أشير إلى حقيقة مفادها أن الوقوف على رؤية شاملة وكاملة للنورسي، حول إشكالية التقدم والتأخر والنهوض، تتطلب التأمل العميق في تطورات أفكاره من مرحلة سعيد

[1]- يقول بديع الزمان سعيد النورسي : "وكذلك يشهد التاريخ وينبئنا أن رقي المسلمين وتمدنهم يكمن في إتباعهم حقيقة الإسلام ويتناسب معه، في حين رقي الآخرين وتمدنهم يتناسب تناسبا عكسيا مع تمسكهم بدينهم"، صيقل الإسلام ج٨، ص : ٤٠٧.

القديم إلى مرحلة سعيد الجديد[1]، ذلك أن هذا التأمل يمنح الباحث القدرة على معرفة الثوابت والمتغيرات في مرتكزات النهوض عند بديع الزمان سعيد النورسي، كما يريه فقه الأولويات التي اعتمدها النورسي في كل مرحلة تاريخية.

إن الوقوف على هذه المسألة المنهجية، تشكل الرؤية الكلية لمفردات النهوض في الواقع الإسلامي عند بديع الزمان، وهو ما حاولت أن أقدمه في هذا المبحث وفق النقاط الأساسية الآتية:

➲ الانطلاق من قاعدة القرآن الكريم لبناء مشروع النهوض:

تقوم الرؤية النورية لمسألة النهوض، على قاعدة القرآن الكريم وهدايته في رسم معالم النهوض وعوامل التقدم. يقول النورسي رحمه الله في سياق دفاعه عن حقائق القرآن، وأهليتها لمواجهة المشكلات الإنسانية المستجدة في فترة حرجة، أعلن فيها وزير المستعمرات البرطاني الحرب على القرآن: "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها"[2]، ويقول أيضا مؤكدا صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان وتفوق أحكامه ورسوخ تشريعاته على سائر أثار البشر وقوانينهم، "إن القرآن قد حافظ على شبابيته وفتوته حتى كأنه ينزل في كل عصر نظرا فتيا.

نعم ! إن القرآن الكريم لأنه خطاب أزلي يخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور خطابا مباشرا يلزم أن تكون له شبابية دائمة كهذه، فلقد ظهر شابا وهو كذلك، كما كان حتى أنه ينظر إلى كل عصر من العصور المختلفة في الأفكار والمتباينة في الطبائع، نظرا لأنه خاص بذلك العصر ووفق مقتضياته ملقنا دروسه ملفتا إليها الأنظار.

---

[1]- لاشك أن بديع الزمان سعيد النورسي عاش في مرحلة الدولة العثمانية وحاول أن يقدم مجموعة من الآراء الإصلاحية تصب في معالجة الاختلالات الطارئة في جسم الأمة العثمانية، كما حاول أن يستجيب لتطورات الأوضاع الجديدة في زمن العلمانية التركية، ويقدم الآراء المناسبة لطبيعة هذه المرحلة وفق منهج تحديد الأولويات الحضارية.

[2]- سيرة ذاتية ج٩، ص : ٦٦.

إن أثار البشر وقوانينه تشيب وتهرم مثله، وتتغير وتبدّل. إلا أن أحكام القرآن وقوانينه لها من الثبات والرسوخ، بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرت العصور.[1]

وغيرها من النصوص التي تدعو إلى اعتماد القرآن الكريم قاعدة متينة تتأسس على ضوئها مرتكزات النهوض وعوامل التقدم.

➲ الدعوة إلى اعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة في رسم معالم التغير والنهوض:

يعتبر النورسي رحمه الله النبي صلى الله عليه وسلم النموذج المطلق الذي تهتدي به الإنسانية في علاج مشكلاتها، وتقويم سلوكها وترشيد حركتها، ونشاطها في الأرض. فهو القدوة الحسنة في صناعة التغيير والنهوض، والمثال المقتدى به في بناء الحضارات والأمم، بسيرته تعرف عوامل النصر، وتكشف أسباب الضعف، وتتعرف الأمة على المنهج الصحيح المعول عليه في قيادة الإنسانية إلى شاطئ الأمان، والسلم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴿٢١﴾﴾.[2]

يقول رحمه الله مؤكدا قيادة النبي صلى الله عليه وسلم للكون، والحياة، والأنبياء، وجميع المخلوقات: لقد عرف في "الكلمة التاسعة عشرة" بأن أعظم آية في كتاب الكون الكبير، وأعظم اسم في ذلك، القرآن الكريم، وبذرة شجرة الكون، وأنور ثمارها، وشمس قصر هذا العالم، والبذر المنور لعالم الإسلام، والدال على سلطان ربوبية الله، والكشاف الحكيم للغز الكائنات، هو سيدنا محمد الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي ضم الأنبياء جميعا تحت جناح الرسالة، وحمى العالم الإسلامي تحت جناح الإسلام، فحلق بهما في طبقات الحقيقة متقدما موكب جميع الأنبياء والمرسلين، وجميع الأولياء والصديقين"[3]، وإلى غيرها من النصوص

---

[1]- الكلمات ج١/ ص ٤٧١، للمزيد من التفصيل في هذه المسألة ينظر في مقالة الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد بعنوان "مظاهر التجديد في بيان إعجاز القرآن عند بديع الزمان سعيد النورسي ضمن المؤتمر الرابع بديع الزمان سعيد النورسي بتاريخ ١٩٩٨/٩/٢٠، القاهرة : دار سوزلر، ط ١، ص : ٣٢٥.

[2]- سورة الأحزاب، الآية ٢١.

[3]- الكلمات ج١/ ص ٣٤٣.

الكثيرة التي ذكرها النورسي في سياق اعتبار محمد صلى الله عليه وسلم النموذج الفريد، والمطلق الذي يعد القاعدة الأساسية التي ينطلق منها المجددون، ويستلهمون منها المبادئ والأسس التي تؤطر مسيرة النهوض في كل جنبات الحياة.

➲ التوفيق بين الحقائق القرآنية السنن الكونية في رسم معالم النهوض:

هذه القاعدة شغلت النورسي في جميع كتاباته وانتاجاته، حيث جعل القرآن الكريم والكون الفسيح، كتابان يفسران حكمة خلق الكائنات، ويكشفان عن المقاصد الربانية في تحميل الإنسان أمانة الاستخلاف؛ كما دفعت النورسي إلى تكوين رؤية نقدية للأمة الإسلامية التي تقاعست عن العلوم المادية، بسبب غياب البعد الكوني في حركتها ونشاطها.

فالنورسي رحمه الله، جعل معطيات الكون بالإستناد إلى القرآن الكريم، دعوة صريحة إلى تسخير إمكاناته في سبيل تحقيق نهضة علمية مادية، وتتخذ معالم السنن الكونية قاعدة للنهوض، ومرتكزا للانبعاث من جديد، يقول رحمه الله متحدثا عن مركزية السنن الكونية في النهوض الحضاري للأمة الإسلامية : "فكما أن هناك طاعة وعصيانا تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية.

وغالبا ما يرى الأول – مطيع الشريعة والعاصي لها، جزاؤه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني مطيع السنن الكونية والعاصي لها، غالبا ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا.

فكما أن ثواب الصبر النصر، وجزاء البطالة التقاعس والذل والتسفل، كذلك ثواب السعي الغنى. وثواب الثبات التغلب"[1].

إن النورسي بخطابه هذا، يدعو إلى الاستفادة من السنن الكونية في عملية التغير والإصلاح، ذلك أن الله عز وجل لم يشرع الأوامر التكوينية عبثا، وإنما جعلها قوانين قارة لا تتبدل بتغير أحوال الناس، فسقوط الأمم ونهوضها، لا يمكن أن يتم بمعزل عن اكتشاف السنن الكونية التي أجراها الله في الحياة في مختلف المجالات.

---

[1]- أنظر الكلمات ج٢/ ص ٦١١.

لقد وضع الله الصبر مفتاحا للنصر وجعل الثبات طريقا إلى التغلب، وحكم بالذل والهوان على من تقاعس عن السعي والعمل، وإلى غيرها من المفردات التي تصب في موضوع علاقة السنن الكونية والقوانين الطبيعية والفطرية بحركة الإنسان في الوجود، وعمارته في الأرض، يقول رحمه الله: "إن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة، لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه في أمور الخير والرقي، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله في سبيل التخريب والشر. [1]

إن النورسي في هذا النص، يقرن بين سنن الاجتماع وسنن الكون، ويقطع بفشل حركة الإنسان في الوجود التي تغيب السنن الاجتماعية في التغيير والنهوض قياسا على السنن التي أجراها الله في كونه.

هذا الربط بين حركة الإنسان نحو تحقيق النهوض وسنن الكون وقوانينه، من شأنه أن يعمق النظر ويرسم المنهج السديد في اكتشاف معطيات الكون وسننه، وربطها بقوانين التشريع الاجتماعي، لتحقيق النهضة الشاملة لحضارة الإسلام في ظل الواقع المعاصر.

يقول النورسي رحمه الله: "إن من أراد التوفيق يلزمه مصافاة مع عادات الله، ومعارفه مع قوانين الفطرة، ومناسبة مع روابط الهيئة الاجتماعية، وإلا أجابته الفطرة بعدم الموفقية جواب إسكات ! أما النواميس العامة الجارية فتقذف من يخالفها إلى صحراء العدم"[2].

هكذا يكون النورسي معتبرا السنن الكونية مدخلا أساسيا للمعالجة مسألة النهوض، داعيا أصحاب الدعوة والتغيير أن يحيطوا بسنن التغير وقوانين النهوض قبل العمل والإنجاز، قياسا على السنن الكونية التي تحكم حركة الكون بأجزائه كلها، وتنظمها في ميزان متراص.

فبدون معرفة بالسنن الاجتماعية، والسنن الكونية، لا يمكن لحركة النهوض أن تستأنف عملا إصلاحيا سديدا، بل ستقذف جهودها إلى صحراء العدم، كما عبر النورسي رحمه الله.

---

[1]- اللمعات ج٣/ ص ٢٥٧.

[2]- صيقل الإسلام ج٨/ ص ١٤٩.

➲ إصلاح المنهج التعليمي والتوفيق بين الأصالة والمعاصرة: [1]

عاين النورسي مرحلة جمود العلماء وانغلاقهم على أنفسهم، دون الانفتاح على المعطيات المعرفية الحديثة وتسخيرها لخدمة العلوم الدينية لتحقيق النهوض الشامل في مجالات الحياة الإسلامية، يقول رحمه الله : "إن معاصري – مع الأسف- وإن كانوا أبناء القرن الثالث عشر الهجري، إلا أنهم تذكار القرون الوسطى، من حيث الفكر والرقي، وكأنهم فهرس، ونموذج، وأخلاط ممتزجة لعصور خلت – من القرن الثالث عشر الهجري-، حتى غدا كثير بديهيات هذا الزمان مبهمة لديهم". [2]

إن هذا الانتقاد لعلماء زمانه، يكشف عن جوهر الأزمة التي كانت تعيشها العلوم الإسلامية في زمان النورسي، حيث افتقدت القدرة على مسايرة التطورات والمستجدات، وأصبحت سلبية منكفئة على ذاتها غير مستخدمة لمواجهة التحديات الطارئة.

في ضوء هذه الحالة الخطيرة، حاول النورسي أن يقدم تصورا شاملا، يقوم على اعتماد الأصالة التاريخية، وتراث الأجداد وسيلة لبعث الحاضر، والاستشراف للمستقبل، في ضوء استيعاب المعطيات المعرفية الجديدة، والتطورات العلمية الطارئة في مجالات العلوم يقول رحمه الله في سياق تأكيد مركزية الأصالة التاريخية في عملية النهوض "إن الجادة الكبرى للعالم الإسلامي هي التي سلكها أولئك الأئمة العظام كلهم. فالأمة العظيمة لا تسير إلا في الجادة الكبرى، فالذين يريدون أن يسوقوها إلى طريق مخصوصة ضيقة وإنما يظللون الناس".

فالجادة الكبرى، حسب رأي النورسي هي القدرة على استلهام تجارب الأجداد في النهوض، وتوظيفها ضمن معطيات العصر الجديد، انطلاقا من شروط النهضة والتغيير. لكن هذه الصلة الموصولة بتاريخ الأجداد، لن تؤتي أكلها إذا بقي أصحاب الفكر وقادة الرأي وأهل الإصلاح في عزلة عن الإحاطة الشاملة بالعلوم الكونية التي تفرضها المرحلة الجديدة يقول رحمه

---

[1]- صيقل الإسلام ج٨/ ص ٢٤.

[2]- للمزيد من الاطلاع على هذه المسألة ينظر في كتاب "أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان النورسي"، للدكتور عبد الكريم العكيوي.

الله "أما المانع الثامن، وهو أهم الموانع، والبلاء النازل فهو توهمنا – نحن والأجانب بخيال باطل؛ وجود تناقض وتصادم بين ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم. فمرحى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها، وبخ لعناء العلوم الغيورة، اللتين أمدتا تحري الحقائق وشحنتا الإنسانية، وغرستا ميل الإنصاف في البشرية فجهزتا تلك الحقائق بالأعتدة لدفع الموانع، فقضت وستقضي عليها قضاء تاما.

نعم ! إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا وحرم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجب شمس الإسلام وكشفها هو سوء الفهم، وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم"[١].

على ضوء هذه النصوص التي تدعو إلى التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، انطلق النورسي إلى ممارسة النقد والتصحيح على مجموعة من العلوم، وحاول أن يؤسس رؤية إصلاحية في مجال التعليم. تهدف إلى إصلاح العلوم المتعلقة بالتفسير والعقيدة والبلاغة وغيرها ومحاولة تطويرها وبعث الروح في أصالتها، من خلال ربطها بالعلوم الكونية.[٢]

لقد أدرك النورسي الحاجة الضرورية لإعادة النظر في مناهج النهوض، فالإسلام لم يحدث القطيعة في تاريخه الطويل مع العلوم الكونية. يقول رحمه الله : "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقها يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية"[٣].

هكذا يكون النورسي معتبرا الإسلام سيد العلوم، ومرشدها، ورئيس العلوم الحقة ووالدها، يدعوا المسلمين في كل مرحلة أن ينفتحوا على المعارف العالمية التي ينتجها العقل الإنساني، أثناء اشتغاله بأسرار الكون، ويعتبر ذلك مناط تقدمهم وسبيل نهضتهم.

---

[١]- صيقل الإسلام ج٨/ ص ٢٩.

[٢]- أنظر على سبيل التمثيل صيقل الإسلام رسالة محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة وصفة طبية: لعصر مريض وعنصر عليل وعضو سقيم من ص ٢١ إلى ١٦٦ كيف استطاع النورسي أن يجعل هذه العلوم طريقا لإثبات رقي التراث الإسلامي وقدرته على مواجهة المستجدات والتدافع مع التحديات.

[٣]- صيقل الإسلام ج٨/ ص ٤٢٨.

➲ الحفاظ على القيم الأخلاقية والمعاني السامية وتركيزها في النفوس:

هذه القاعدة التأسيسية لمسألة النهوض، تناولها النورسي في مواطن عدة في رسائله، وخصص خطبة تتناول بعض أفرادها. والباحث المتأمل في هذه المعالجات يجد أنها ترتد إلى شعبتين أساسيتين: شعبة المثل والمعاني، وشعبة الأخلاق والسلوك.

انطلاقا من هذه الشعبتين، يبين النورسي مركزية القوة المعنوية والقوة الأخلاقية، في نهضة الأمة الإسلامية، وفيما يأتي أسوق نصا لتأكيد هذه الحقيقة، يقول رحمه الله: "إن الإسلام هو الذي سيعتلي عرش الحقائق والمعارف، فلا يكشفها ولا يفتحها إلا الإسلام... الأمارات تبدوا هكذا"...

ذلك لأن الذي حال دون استيلاء الشريعة الغراء استيلاء تاما في الماضي – في تلك الصحراء الموحشة والجهل المطبق الذي تربع على عرشه التعصب الذميم وضرب فيه التقليد أطنابه في بلاد الجهل المخيم. بالسفساف والاستبداد المتنوع – أقول إن الذي حال دون هيمنة الشريعة في الماضي هيمنة تامة في أمور ثمانية. وقد محقت – وكذلك الآن تمحق – ثلاثة حقائق :

هذه الموانع التي أدت إلى كسوف شمس الإسلام.

أما الموانع التي في الأجانب فهي: "التقليد والجهل وتعصبهم وسيطرة القسس عليهم".

أما الموانع التي عندنا فهي: الاستبداد المتنوع، وسوء الخلق، والأحوال المضطربة واليأس الذي تنجم منه العطالة.

أما المانع الثامن – فهو توهمنا – وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم"[1].

وفي الخطبة الشامية، يصرح النورسي بستة أمراض جعلت أمة الإسلام تقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب – وخاصة الأوروبيين – نحو المستقبل.

---

[1]- صيقل الإسلام ج٨/ ص ٢٣.

هذه الأمراض هي: اليأس، والكذب، وحب العداوة والجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، وسريان الاستبداد، وحصر الهمة في المنفعة الشخصية.[١]

يتضح من خلال هذين النصيين، مدى اعتبار النورسي للمرتكزات المعنوية التي تتجلى في قوة الهمة، والتفاؤل، والأمل، والتطلع إلى الاجتهاد في عملية النهوض، كما يتبين قوة المبادئ الأخلاقية في استئناف الحياة الإسلامية وسيادتها على العالمين.

فالنورسي رحمه الله يجعل القوة المعنوية والقوة الأخلاقية وجهين لعملة واحدة تصب في مجال امتلاك ناصية الحضارة العالمية التي تنبذ الكذب، والاستبداد، والعنصرية، والكراهية بين الشعوب والأمم.

➲ إصلاح النخب السياسية والعلمية والدينية وتوجيه المؤسسات المدنية نحو خدمة المسلمين:

حاول النورسي أن يقدم جملة من الخطابات، تصب في موضوع مسؤولية الحكام والعلماء والخبراء عن الأوضاع المزرية التي آل إليها المسلمون في جميع المجالات، السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٢]. وقد أشرنا إلى بعضها في الفصول والمباحث السابقة تجلت في الدعوة إلى تحقيق العدل في الحكم، ومحاربة الجهل والانغلاق على الذات، وبناء المؤسسات الجامعية التي تجمع بين العلوم العصرية والعلوم الشرعية، وغيرها من الأسس المرتبطة بالجانب المؤسساتي والتنظيمي في دولة الأمة الإسلامية أشخاصا وأفكارا وأسلوبا ووسيلة.

فالنورسي رحمه الله في جل رسائله وفي صيقل الإسلام خاصة، جعل مسألة إصلاح النخب والمؤسسات قضية مركزية في عملية التغيير والنهوض.

خلاصة:

---

[١]- المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

[٢]- يعتبر كتاب صيقل الإسلام من أشمل الكتب التي تناولت قضايا الإصلاح والتغير على مستوى النخب السياسة والعلمية والثقافية المؤسسات الحكومية والدينية أنظر كتاب "الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان سعيد النورسي" شكران واحدة ترجمة محمد فاضل ص ١٤٠ إلى ١٦٢ الطبعة الأولى ٢٠٠٧، القاهرة سوزلر.

هكذا يكون النورسي، معتمدا في عملية النهوض الحضاري على العوامل الدينية، والأخلاقية والمعرفية، والسنن الكونية، والمناهج التعليمية الرشيدة، والنخب السياسة، والثقافية، والدينية، انطلاقا من قاعدة القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومركزية الرجوع الشامل إلى معطيات الدين، كما رسمتها المعرفة الإسلامية في ضوء تعاملها مع القرآن الكريم قصد اكتشاف السنن الثابتة في عملية نهوض الأمم والشعوب.

إن النورسي رحمه الله، يتفق في مجمل آرائه مع المجددين في عصره، لكن يبقى الشيء الوحيد الذي يخضع لمنطق الاختلاف هو ترتيب أولوية هذه المرتكزات في عملية التعبير الحضاري. فهناك من قدم إصلاح النخب السياسة، وهناك من قدم مشروع إصلاح المجال الأخلاقي، وهناك من قدم مشروع إصلاح المجال التعليمي، وهكذا. فإن بديع الزمان سعيد النورسي، حاول أن يطرح كل هذه المجالات في مرحلة الدولة العثمانية، ولكن بعد سقوطها وجد نفسه مسوقا إلى خدمة الحقائق الإيمانية، واعتبارها المنطلق الأساسي والمركزي في عملية النهوض، ثم تلتها العوامل الأخرى، لتشكل في آخر المطاف رابطا كليا يمكن أن أصطلح عليه الكل الحضاري الذي ينطلق من الإيمان وينتهي بسيادة الإسلام في مستقبل الإنسان عبر سنن التدرج وقانون الحكمة ودساتير التغيير.

وفي نهاية هذا الفصل أنبه إلى مسألة دقيقة، وهي أن مرتكزات النهوض عند بديع الزمان سعيد النورسي، لا يقف عليها الباحث وقوفا شاملا دون إعمال منهجية الاستنباط، ذلك أنه رحمه الله، في كثير من مقولته يعبر عن هذه المرتكزات بالإيماء والإشارة والمعاني التي تحتاج إلى تقليب النظر في أبعادها، وخير مثال على ذلك اعتبار العامل الخارجي عاملا من العوامل الأساسية لتحقيق النهوض الشامل لأمة الإسلام، فالملاحظ أن النورسي، لم يصرح بواضح العبارة عن مركزية هذا العامل، ولكن الباحث يستشف من وراء نقده لأسس المدنية الغربية وآثارها السلبية على الإنسانية مركزية هذا العامل ودروه في تغيير أوضاع المسلمين.

خاتمة:

تلكم جولة في رحاب هذا الموضوع، تناولت فيه كبرى قضايا الإنسان، في ضوء القرآن عند بديع الزمان سعيد النورسي من خلال رسائله. وقد توصلت إلى النتائج الآتية، أذكر أهمها مرتبة حسب فصول البحث ومباحثه.

- إن انهيار الدولة العثمانية، كان نتيجة اتحاد عوامل الضعف الذاتية مع عوامل الإكراه الخارجية.
- ساعد الجو الأسري النورسي، ليكون من طلاب العلم النابغين الذين يستوعبون المقررات العلمية، ويتجاوزها بالنقد والتمحيص.
- ثقة النورسي بنفسه، وعزته، وعفته منذ نعومة أظفاره، ساهمت في تشكيل شخصيته العلمية التي تجمع بين الحفظ والفهم، والنقل والعقل، والأصالة والمعاصرة.
- إن النورسي بشمولية تكوينيه العلمي، حاول أن ينخرط في أغلب أحداث عصره الاجتماعية والسياسية، ويقدم الحلول والمقترحات للعلاج، ولكن أحداث الحرب، وخطورة التحولات السياسية، والتحديات الطارئة على البلاد، حالت دون تحقيق أهدافه العليا الرامية إلى إصلاح الخلافة العثمانية؛ مما جعله يعيش نفسية خانقة انتهت به في آخر المطاف إلى إعادة النظر في خدماته وطبيعة دعوته وأساليب تعاطيه مع الواقع الجديد.
- لقد شكلت المرحلة الانتقالية «من سعيد القديم إلى سعيد الجديد» النواة الأساسية لرسم الطريق الصحيح لمواجهة التحديات الكبرى الطارئة في الواقع التركي، من خلال الاعتماد على معطيات القرآن الكريم، وسنن الكون الفسيح، واكراهات الواقع التي تقتضي الانحناء المؤقت للعاصفة، والحفاظ على البقاء الإسلامي وحمايته من تيار الكفر والتغريب.
- لقد أدرك النورسي أن التحولات الكبرى التي طرأت في المجتمع التركي لا ينفعها أسلوب رد الفعل، أورد الاعتبار، وإنما تحتاج إلى أسلوب جديد في التعامل، اعتمادا على فقه الأولويات في إدارة الصراع مع العدو، وتجنب المعارك الهامشية، والابتعاد عن السياسية مرحليا، ليس خوفا من السلطة وإنما تقديرا وتخطيطا لحسن إدارة الصراع معها، وفق منهج سلمي يراعي مصالح الدعوة الإسلامية، في ضوء عدم الندية بين الإطراف المختلفة.

- لقد توصل النورسي بعد المراجعة الشاملة والتأمل العميق لطبيعة المرحلة إلى المنهج الجديد الذي تمثل في الحفاظ على إيمان طائفة كبيرة في المجتمع التركي، انطلاقا من أسس القرآن الكريم وفتوحاته المعرفية التي تبلورت في شكل مشروع فكري مكتوب سمي برسائل النور.
- إن النورسي لا يقل شأنا عمن كتب من العلماء السابقين، أسلوبا، وصياغة، وتركيبا، ومنهاجا، حتى إن القارئ يتعجب من انعدام خطاب الدفاع عن النفس والانتقام لها ضد الأعداء رغم كثرة الابتلاءات التي تعرض لها طول حياته.

اعتمد النورسي على ثلاثة مفاتيح للدخول إلى حقائق القرآن، واكتشاف كنوزه، تجلت في مفتاح مقاصد القرآن وإعجازه، ومفتاح السنة النبوية وهدايتها، ومفتاح الكون وسننه وأسراره.

- قدم النورسي دراسة مستفيضة عن حقيقة الإنسان، ووظيفته في الحياة أثبت من خلالها النقاط الآتية:
- الإنسان هو صاحب مزايا مادية وروحية وكمالات عقلية، وخصائص معنوية، وميزات متعددة أهلته ليكون أعظم المخلوقات وأكرمها.
- إن الإنسان يتميز عن باقي الكائنات من حيث أصالة تكوينه، وطبيعته، ووظيفته، وعناصر قوته، فهو الكائن المتسامي بنور الإيمان، والمنحط والمتسافل بظلام الكفر.
- الإنسان ضعيف في أصل خلقته، قوي باستناده إلى قدرة خالقه، متميز عن باقي الكائنات لحكمة ترتبط بوظيفته في الحياة، وهي القيام بأمور العبودية وعمارة الأرض وخلافتها.
- إن اختلاف طبيعة الإنسان عن سائر الكائنات، يفرض اختلاف الوظائف، والميزات، فالإنسان بقدر ما يكون ممتثلا للخطاب الإلهي، بقدر ما يكون له من الأفضلية والريادة والقيادة على سائر الكائنات، وبقدر ما يبتعد عن واجبات الأمانة، تنحط قيمته، وتنزل درجته إلى أدنى من الحيوانات.
- إن الإنسان يمتلك أجهزة معنوية، قادرة على القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، تتمثل في العقل والقلب والنفس والروح.

- إن العقل عند النورسي، آلة ربانية، ومنحة إلهية، خلقت لخدمة الإنسان وتحديد مجال نظره ونشاطه في الحياة وفق هداية الوحي لبناء الحضارة وتحقيق واجبات الأمانة الكبرى التي حملها على عاتقه.
- القلب جهاز رباني، أودعه الله في الإنسان لتحقيق كماله وإعداده للحياة الأبدية، وتأهيله لمهمة الخلافة في الأرض.

إن حقيقة التكريم الإلهي لإنسان، تنبع من عمق توجيه أجهزته المادية، والمعنوية، نحو تحقيق الوظائف المنوطة بها.

- المنهج المتكامل لبناء الخلافة هو الذي يتخذ من جهاز العقل والقلب معا معبرا أساسيا لمعالجة المشاكل الإنسانية وفق تصور القرآن.
- العقل عند النورسي كلي موصول بنور الوحي، شامل في نظرته إلى الوجود، وخالقه، عكس ما نجده في التفسير المادي للعقل والذي يختزل وظيفته في فهم الظواهر المادية دون ربطها بالجوانب الروحية.
- القرآن الكريم هو المعيار الأساس، الذي يضبط علاقة القلب بالعقل، ويحدد وظائفهما في ضوء التكامل والتوازن.
- إن العقل لا يكون رشيدا حتى يستسلم لحقائق الإيمان، وإن القلب المؤمن لا تقوم له قائمة إلا بضياء العقل، ومن هذا التلازم يقع النهوض الإسلامي في كافة الميادين الإنسانية.
- إن النفس الإنسانية هي مناط تحقيق الأمانة الكبرى التي حملها الإنسان، فبقدر انتصاره على شهواتها وأهوائها، يكون موفقا وناجحا في تحمل أعباءها، وبقدر استسلامه لفرعونيتها يقع في الخيانة والإخلال بواجباتها.
- من أمات التزكية النفسية عند النورسي، الطرق الأربعة وهي : العجز، والفقر، والشفقة، والتفكر.
- لقد تأثر النورسي في مناقشة حقيقة الروح وتجلى ذلك في عدم الخوض والتفصيل في قضاياها.

- إن مفهوم الأمانة الكبرى عند النورسي يشتمل على وظائف عدة، أساسها العبودية المطلقة لله، والاستثمار النافع لعناصر الكون، وإظهار أسماء الله الحسنى في عالم الحياة، وتفعيلها في كافة النشاطات الإنسانية.
- إن الدارس لرسائل النور، يدرك مركزية القضايا الإيمانية وأولويتها على سائر القضايا.
- لقد بين النورسي حقيقة مفادها أن التقدم الحضاري في كافة الميادين، لا يتأتى إلا بالإستناد على قاعدة الإيمان بالله، وتوحيده، وإتباع رسله، والإيمان بوعده ووعيده.
- إن العناصر الأساسية التي تبنى عليها القضايا الكبرى للإنسان المعاصر هي الأبعاد الثلاثة: البعد الإيماني، والبعد الحقوقي، والبعد التعارفي، أو بعبارة أخرى إن مشكلات الإنسان المعاصر ترتد إلى ثلاثة شعب وهي : شعبة الإيمان وشعبة العدالة وشعبة العلاقات الإنسانية.
- إن هذه الأبعاد الثلاثة التي توصلت إليها من خلال قراءتي لرسائل النور، تتمثل في سورة العصر التي كشفت عن حقيقة خسران الإنسانية، نتيجة ابتعادها عن الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.
- إن العمل الصالح هو التجلي الحقيقي لمبادئ الإيمان، وقيم العدالة، وأسس التعارف بين الناس، كما عبر عنها القرآن بلفظ التواصي بالحق، والتواصي بالصبر.
- إن الإيمان يثمر العدالة، والعدالة تحقق التعارف والتعاون بين الشعوب والأمم.
- إن العقيدة الإسلامية بعناصرها الكبرى التوحيد، والنبوة، والحشر، هي العنصر الأول في بناء حضارة إسلامية، يسودها العدل في جميع مجالاتها ونشاطاتها، وتسعى إلى تحقيق الشهود الحضاري على باقي الأمم من خلال مبادئ التعارف والتواصل كما سطرها القرآن الكريم.
- إن غياب الأبعاد الإيمانية في الفعل الحضاري العام لأمة الإسلام، يثمر الظلم والاستبداد على المستوى الداخلي، وينتج الاضطراب في التصور، والتعامل مع الحضارات الأخرى.
- إن التوحيد هو القاعدة الكبرى لمعالجة المشكلات الإنسانية المعاصرة.
- لقد استطاع النورسي أن يحول عقيدة التوحيد من أبحاث النظرية معقدة إلى حقيقة ترتبط بكافة أوجه النشاط الإنساني.

- اعتمد النورسي منهج استقراء عالم الكائنات للبرهنة على حقيقة التوحيد، وأهميته في الحياة الإنسانية؛ فالكون بنظامه وتوازنه وإتقان صنعته وجماله دليل على وحدة خالقه.
- اعتبر النورسي التوحيد قاعدة صلبة لبناء التصورات الكلية عن الكون، والحياة، والإنسان، وركيزة أساسية لمواجهة العبثية والصدفة، وضرورة لازمة لتحقيق الاستقرار النفسي، والاجتماعي على مستوى الأفراد والجماعات.
- يرى النورسي أن النبوة منحة ربانية وعطاء إلهي يختص به من يشاء من عباده، غايته الاستجابة إلى مطالب الإنسان، وتوجيه حركته في الحياة وفق سنن التسخير، كما بينها القرآن الكريم.
- اعتمد النورسي في سياق إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم على ثلاثة مسالك :
  - الأول: يرتبط بحقائق القرآن، ووجوه إعجازه.
  - الثاني: يتمثل في أخلاقه صلى الله عليه وسلم، وكمالاته.
  - الثالث: تجلى في معجزاته الكونية وكرامته الخارقة.
- من أمات الوظائف النبوية التعريف بالحقائق الألوهية، والربوبية، والحقائق الغيبية والكشف عن مقاصد خلق الكائنات، وحكمها، وإعطاء القدوة الحسنة في رعاية مصالح العباد في الدنيا والآخرة، وتزكية نفوسهم، ونشر الرحمة بينهم، وتأهيلهم إلى القيام بمهمة الاستخلاف الحضاري.
- تشكل النبوة القاعدة التصحيحية والتقويمية لنظر الإنسان إلى ذاته، وإلى الكون، وطبيعة الموجودات من حوله.
- إن الخروج عن واجبات النبوة يعيق عملية التسخير الايجابي لإمكانات الكون.
- إن الكون يحيا بحياة النبوة فيه ويموت بانقطاع نور النبوة عنه، ويصبح ضربا من العبثية والصدفة العمياء لا غاية من خلقه.
- حاول النورسي أن يستلهم المنهج القرآني لتأكيد عقيدة الحشر، معتمدا على ضرب الأمثال وقص العبر، والحكايات، والشواهد التاريخية، والاستدلال ببراهين الكون وأجزائه وسيماء الإنسان وطبيعته، وأسماء الله الحسنى ومقتضياتها في الواقع الإنساني.
- لتحقيق أثر عقيدة الحشر على الإنسان حاول النورسي تحقيق الخطوات الآتية :

- الانطلاق من طبيعة الإنسان، ورغباته، وميولاته لمقاربة إشكالية العقاب والثواب.
- الانطلاق من نفي العبثية والعدمية في الأحكام الإلهية والصفات الربانية.
- جعل الواقع مصدرا ثريا لتأكيد عقيدة الحشر؛ بما يزخر به من أحداث وأفعال تقتضي إحقاق الحق، وإزهاق الباطل في محكمة عادلة.
- الربط المستديم بين عقيدة الحشر، والأركان الإيمانية الأخرى، وسائر المجالات الإنسانية، واثبات أثرها في سعادة الأطفال، والشيوخ، والشباب، وسائر المجتمع الإنساني.

- العدالة في الفكر النورسي مفهوم شمولي، ومقصد قرآني يستغرق عالم الآفاق، والأنفس، وينظم حركة الكون والإنسان بقانون التوازن والتكامل والانتظام والتعاون والتراحم.

جوهر العدل أن يعطى كل ذي حق حقه وهو المبدأ الذي تأسست عليه حركة الكون وحقائقه، وعالم الإنسان وأجهزته التكوينية.

- إن النورسي لا يفصل حركة الإنسان في الحياة عن حركة الكون، بل يربط بينهما برابط العدالة والحكمة التي تسير أمورها، وتدير حركتهما وفق ميزان ثابت لا يعرف الطغيان.
- قسم النورسي العدالة إلى عدة أقسام عدالة ايجابية، وعدالة سلبية، وعدالة محضة، وعدالة نسبية، انطلاقا من مضامين الشريعة الإسلامية، وقواعدها الكبرى في مجال حفظ الحقوق والواجبات.
- إن النورسي بحسن تقسيمه للعدالة، حاول أن يضع حدا للظالمين الذين يلوون أعناق النصوص ويسخرونها في سبيل تحقيق مآربهم الشخصية، كما يقف ضد سوء استخدام قواعد العدالة، والاتكاء عليها لممارسة الظلم والإرهاب على الأفراد، والشعوب، كما هو مشاهد في واقعنا المعاصر.
- من أمات العدالة الإنسانية: العدالة الاجتماعية والعدالة السياسية.
- إن أخطر ما يواجه المجتمعات الإسلامية، هو فساد علاقتها الاجتماعية، وشيوع الظلم والأنانية والفردانية في روح أفرادها.

- إن العدالة حسب تصور النورسي هي المبدأ المتغلغل في جميع شؤون الحياة الاجتماعية، والقانون الذي ينسجم مع حركات أجزاء الكون في أداء مهمة التسبيح.
- لا يمكن تحقيق العدل الاجتماعي في واقع الحياة الإنسانية إلا بشيوع مبادئ الأخوة الإنسانية، ونبذ العداوة، واحترام آراء الآخرين والالتزام بالصدق في الأقوال والأفعال، ودفع السيئة بالحسنة، وتوجيه العداء إلى الكفر والزندقة.
- إن العدالة الاجتماعية لابد أن تقوم على جملة من الثوابت أهمها: عدم الطعن في مسالك الآخرين، وضبط الاختلاف في إطار وحدة، في الغاية والهدف، والاحتكام إلى دستور الحب في الله والبغض في الله، والتحرر من سلطة الأغراض الشخصية، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.
- إن إشاعة قيم الصدق، والسلم، والمحبة، والتعاون بين أفراد المجتمع، هو أساس تحقيق العدالة الاجتماعية في واقعهم؛ فالعدل حسب تصور النورسي يرتبط بنظام القيم ويتحقق وجوده في المجتمع الإسلامي بناء عليه.
- إن أساس الاختلال والفساد في الهيئة الاجتماعية يرجع إلى كلمتين: الأولى: "إن شبعت فلا علي أن يموت غيري من الجوع". والثانية: "إكتسب أنت لأكل أنا وأتعب أنت لأستريح أنا".
- لقد اعتبر النورسي شيوع الربا، والكسل، والإسراف، من أمات أسباب انعدام العدالة بين أفراد الأمة الواحدة، وحث على تطبيق نظام الزكاة، والسعي للعمل، والتشبث بمبادئ الاقتصاد في مجال الاستهلاك مواجهة لحضارة الغرب التي شيئت الإنسان واختزلته في بعده الاستهلاكي.
- السياسة عند النورسي مفهوم شامل يتجاوز المطالب المادية للإنسان إلى تأمين سعادته الأخروية، فهي تلك النظم والممارسات التي تسعى إلى إحقاق الحق والعدل بين الناس دون إحداث الفروق والتمايزات بين أفراد المجتمع وإقصاء الشريعة من حياتهم اليومية.
- إن استحضار البعد الديني في العمل السياسي هو الذي يضمن تحقيق العدالة السياسية في المجتمع ويحمي الإنسان من سياسة الظلم، والفساد، الصادرة من تطلعات النفس وفرعونيتها.

إن الشريعة الإسلامية هي جوهر العمل السياسي وقوامه، بها يتحقق التعاون بين الأفراد والمؤسسات من أجل خلق مجتمع سياسي عادل، تسوده مبادئ الحق والعدالة، وتنتشر في ربوعه قيم الفضيلة ومحاسن الأخلاق.

- إن خفاء المنزع السياسي في الخطاب النورسي، يرتد إلى طبيعة المرحلة التي عاشها النورسي بعد انهيار الخلافة العثمانية، والتي تقتضي إحداث الوسائل والآليات الجديدة لمواجهة القوة العلمانية الكاسحة، بالحكمة والاتزان، رعاية لمصلحة الحفاظ على الوجود الإسلامي باستمرار رغم انعدام الندية بين الأطراف المتصارعة.
- يرى النورسي أن جوهر العدالة السياسية لا يتحقق إلا بمبادئ الشورى والحرية والوحدة ونبذ القومية والعنصرية المقيتة.
- لقد استطاع النورسي بذكائه السياسي، أن ينجح في تحقيق المعادلة الصعبة التي تتجلى في الحفاظ على الوجود الإسلامي في الواقع التركي، دون الوقوع في فخ الاحتواء العلماني، والرضوخ إلى مطالبه.
- استطاع النورسي أن يمتلك رؤية شاملة حول حضارة الغرب في شقها السلبي، والايجابي، عصمته من الوقوع في الظلم أثناء تقويمها، ونقد أسسها، وتحديد أساليب التعامل معها.
- وقف النورسي من الحضارة الغربية موقفا علميا رصينا، يميز بين صالحها، وفاسدها، ويكشف عن محاسنها ومساوئها معتمدا على المعطيات الواقعية التي تقطع بوجود قسمين من أوربا، الأول نافع ومفيد، والثاني مضر ومفسد.
- إن التقسيم المنهجي لحضارة الغرب، يمنح لحضارة الإسلام أصول الانفتاح على تجاربها العلمية ومنافعها المادية، دون الوقوع في فخ الذوبان والانحلال.
- ضرورة التميز بين دائرة الاعتقاد، ودائرة المعاملات أثناء التعامل مع حضارة الغرب، فالأولى تحكمها دساتير الولاء والبراء، والثانية تحكمها مبادئ التعارف والتواصل والحوار.
- ضرورة التمييز بين صالح الحضارة الغربية وفاسدها بناء على قاعدة: "خد ما صفا، ودع ما كدر".

- لقد استطاع النورسي أن يدرك حضارة الغرب، ويقف على محاسنها، ومثالبها، ويحدد الأبعاد الكبرى التي تضبط منهج التعامل معها، وقد تجلت في البعد الإيماني، والبعد الأخلاقي، والبعد الكوني.
- بين النورسي أسس الحضارة الغربية في خمسة ثوابت، تجلت في القوة والمنفعة والصراع والعنصرية والهوى، وكشف عن فشلها في قيادة الإنسانية إلى السعادة والأمان.
- أثبت النورسي تفوق أسس المدنية القرآنية على المدنية الغربية باستنادها إلى خمسة ثوابت تمثلت في الحق والفضيلة والتعاون والدين وإتباع الهدى.
- لم يكن النورسي في سياق نقده لحضارة الغرب داعية إلى الحرب، وإنما كان داعيا إلى التأمل العميق في أثارها السلبية على واقع الإنسانية جمعاء، كما كان هادفا إلى الكشف عن أصول المشكلات الإنسانية المعاصرة في ضوء طغيان الفلسفة المادية.
- لقد أوضح النورسي حقيقة مفادها أن الانفتاح على حضارة الغرب الايجابية، لابد أن يراعي مقومات الأصالة الحضارية للمسلمين في جميع المجالات اللغوية والمعرفية والثقافية والفنية نظرا لاختلاف الخصوصيات والبيئات والمعتقدات.

يرى النورسي أن مواجهة التخلف في العالم الإسلامي لا تتم بدون تحقيق الخطوات الآتية وهي:

الاجتهاد وعدم تقليد الآخرين في جميع ميادين الحياة.

- الحث على دراسة العلوم التجريبية والمادية.
- التوفيق بين العلوم العصرية والعلوم المادية.
- صناعة الذوق الفني والجمالي والأخلاقي للشخصية الإسلامية.

وغير هذا من النتائج التي يمكن إجمالها في هذه العبارة الأخيرة.

إن الإنسانية تتخبط في الظلام نتيجة غياب الأبعاد الإيمانية التي تحقق العدالة بين أفراد الشعوب، وتنشر بينهم قيم التعارف، والتعاون، والتراحم، من أجل تحقيق التقدم الشامل في المجال المادي والنجاح الكامل في العالم الأخروي.

- لقد أثبت النورسي أن الحضارة الايجابية لا تتحقق إلا من خلال سلطان العقيدة، وأبعادها الكبرى لتحقيق العدل والتعارف بين الشعوب والأمم.
- أما التوصيات التي وصل إليها البحث فهي:

– إن فكر النورسي لازال محتاجا إلى دراسات علمية عميقة، تكشف عن اجتهاداته الفكرية المتسمة بالشمول والانفتاح على سائر أصناف العلوم والمعرفة، وهذه الدراسة حاولت أن تقدم الشيء القليل من هذا المشروع العلمي الكبير، الذي يقوم على دراسة فكره الإسلامي في مجال القضايا الإنسانية ومقارنتها بجهود سابقيه ومعاصريه، لتكوين رؤية جامعة وشاملة حول المشكلات الإنسانية الكبرى في ضوء القرآن الكريم من خلال جهود المجددين.

– ضرورة الاعتناء بمشاريع النهوض الفكري المنبنية على الفهم الصحيح لحقائق القرآن الكريم، والتأمل العميق في سنن الأفاق، والأنفس، بدل الترويج لمشاريع فكرية مجردة على النصوص، تسبح في عالم الأفكار منفصلة عن الواقع المشهود.

– الدعوة إلى تدوين موسوعة فكرية تفرق بين أصول المشكلات الإنسانية، وفروعها، انطلاقا من فهم المجددين لحقائق القرآن في ضوء المستجدات المعاصرة التي تقتضي وضع جدول إحصائي ميداني يقوم على أساس معاينة مشاكل الإنسان مباشرة والتفاعل معها قصد بيان كبيرها من صغيرها وأصلها من فرعها.

لائحة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**
- إبراهيم البيجوري: تحفة المريد على جوهرة التوحيد، دار إحياء الكتب العربية، محرم ١٣٤٧هـ.
- ابن تيمية : منهاج السنة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن علي سلوم: مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية. تحقيق محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ-١٩٩٣م.
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، بيروت : مكتبة المعارف دار ابن حزم ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية ط١، ١٩٩٨.
- ابن القيم الجوزي: اعلام الموقعين عن رب العالمين دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن القيم الجوزي: الروح، تحقيق محمد اسكندرايلدا، دار الكتب العلمية بيروت.
- ابن القيم الجوزي: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ط ١، ١٩٧٩.
- ابن القيم الجوزي: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية.
- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الرشاد الحديثة.

- أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، دار الأمانة بيروت.
- أبو الحسن علي الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، دار القلم الكويت، ط٦، ١٤٢٤ هـ — ٢٠٠٣م.
- أبو الحسن علي الندوي: روائع إقبال الكويت ١٩٧٨.
- إحسان سمارة: مفهوم العدالة الاجتماعية في الفكر الإسلامي، دار النهضة الإسلامية ط ١، ١٩٩١.
- إحسان قاسم: بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره ط ١٩٩٩.
- إحسان قاسم: الرجل والإعصار سيرة ذاتية مختصرة لبديع الزمان النورسي دار الكلمات ط ١، ٢٠٠٤ الجزائر.
- أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط بتعاون مع مجموعة من المتخصصين على الحديث، بيروت : مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٩م.
- أحمد خالد شكري: بحوث في الإعجاز والتفسير في رسائل النور: ط ١، دار سوزلر، القاهرة ٢٠٠٤.
- أحمد سليمان: التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة، القاهرة ١٩٦١.
- أحمد فهد بركات الشوابكة: حركة الجامعة الإسلامية مكتبة المنار سنة ١٤٠٤، ١٩٨٤.
- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٧ بيروت.
- أحمد المشرقي: النبوة في الأديان الكتابية، دار الجيل، ط ١، ٢٠٠١.

- أحمد نوري النعيمي: الحركات الإسلامية الحديثة في حاضرها ومستقبلها، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا، دار البشير ط ١، ٢٠٠٤، القاهرة.
- أديب إبراهيم الدباغ: في أفاق النور، دار سوزلر، ط ١، ٢٠٠٤ القاهرة.
- أديب إبراهيم الدباغ: سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان. دار سوزلر، ط١، ١٤٢٥ – ٢٠٠٥ استانبول.
- إسماعيل بن محمد العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٣٥١ هـ.
- البرت شفيتسر: فلسفة الحضارة، ترجمة عبد الرحمان بدوي،
- بديع الزمان سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: دار سوزلر، ط ٣، ٢٠٠٣.
- بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: دار سوزلر، ط٣، ٢٠٠٣.
- بديع الزمان سعيد النورسي: رسالة الإنسان والإيمان، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار الاعتصام.
- بديع الزمان سعيد النورسي: رسالة الحشر، ترجمة: إحسان الصالحي، ط ٤، دار سوزلر القاهرة، ٢٠٠٥
- بديع الزمان سعيد النورسي: رسالة الإخلاص والأخوة، ترجمة إحسان قاسم، ط ١، الأحمدية البيضاء، ١٤٢١، ٢٠٠١ المغرب.
- بديع الزمان سعيد النورسي: المثنوي العربي، تحقيق إحسان قاسم، القاهرة: دار سوزلر.

- بديع الزمان سعيد النورسي: رسالة المعراج النبوي ضرورته وحقيقته حكمته ثمرته، ترجمة إحسان قاسم.
- بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، اعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: دار سوزلر، ط٤، ٢٠٠٤.
- بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم ط ١، دار سوزلر استانبول ١٤١٥-١٩٩٥.
- بديع الزمان سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم ط ٣، القاهرة ٢٠٠٠
- بديع الزمان سعيد النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم دار سوزلر ط ٣، القاهرة ٢٠٠١.
- بديع الزمان سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: دار سوزلر، ط٤، ٢٠٠٤.
- بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الاسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: دار سوزلر، ط٣، ٢٠٠٢.
- بيرك جيمس: عندما تغير العالم، ترجمة ليلى الجبالي، مراجعة شوقي جلال ١٩٩٤.
- جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، العروة الوثقى، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٨٠.
- الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة بيروت لبنان.
- حسن حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، دار النهضة العربية بيروت.
- خالد سليمان الفهداوي: الفقه السياسي الإسلامي، دار الأوائل الثانية ٢٠٠٥ م.

- خالد عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده، ط ٤، دار النفائس ١٤٢٤ — ٢٠٠٣.
- خديجة النبراوي: الحب بين الوهم والحقيقة، دار سوزلر، ط٢، القاهرة ٢٠٠٢.
- خديجة النبراوي: مشكلات عقلية وقلبية للإنسان، دراسات في رسائل النور، ط ٢، دار سوزلر القاهرة ٢٠٠٤.
- خليل الرحمن عبد الرحمن: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، رسالة دكتوراه، دار حراء مكة المكرمة ط ١٩٨٨.
- رحمة الله بن خليل الهندي: إظهار الحق، ط ١ دار الجيل بيروت ١٩٨٨.
- روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية ترجمة بشير السباعي، عن مجموعة من المتخصصين في التاريخ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٣ القاهرة.
- رسالة ذو الفقار: مجموعة رسائل المعجزات القرآنية والمعجزات الأحمدية ورسالة الحشر، ط ١ دار سوزلر القاهرة ٢٠٠٥.
- رنييه دبو: إنسانية الإنسان، ترجمة نبيل صبحي الطويل، مؤسسة الرسالة بيروت.
- زياد الدغامين: إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي عرض وتحليل، ط ١، دار النيل أزمير، ١٤١٩–١٩٩٨.
- سعيد رمضان البوطي: من الفكر والقلب فصول من النقد في العلوم والاجتماع والآداب، ط ٣، دار الفارابي ٢٠٠٥.
- سمير رجب محمد: الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان النورسي، القاهرة: دار سولزر، ١٩٩٥.
- سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الإسلام، بيروت ١٩٦٧.

- سيد قطب: السلام العالمي الإسلامي، دار الشروق، ط٧، ١٩٧٨.
- سيد قطب: في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، ط ٣، ٢٠٠٥.
- سيد قطب: معالم في الطريق، دار الشروق.
- الإمام الشافعي: ديوان الشافعي: تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٠.
- الشفيع الماحي أحمد: الأمثال في رسائل النور ط ١، دار سوزلر ٢٠٠٦.
- شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، تقديم رشيد رضا دار البشير القاهرة.
- شكران واحدة: الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة محمد فاضل، القاهرة: ٢٠٠٧.
- شوقي أبو خليل وهاني المبارك: الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب بيروت لبنان: دار الفكر، ط١، ١٩٩٧.
- الطاهر ابن عشور: تفسير، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.
- طوماس كارليل: الأبطال تعريب محمد السباعي، المطبعة المصرية ١٩٣٠.
- عابد توفيق الهاشمي: إخلاص الإمام بديع الزمان سعيد النورسي ودعوة القرآن، ط ١، دار سوزلر، القاهرة ٢٠٠٥.
- عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن، نهضة مصر للطباعة ٢٠٠٤.
- عبد الحليم عويس: بديع الزمان سعيد النورسي، رجل الإيمان والتجديد في وجه العلمانية والتقليد، دار سوزلر.

- عبد الرحمن: ترجمة، الرجل الصنم، تأليف ضابط تركي سابق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٧.
- عبد السلام التونجي: مؤسسة العدالة في الشريعة الإسلامية، منشورات طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية ط ١، ١٩٩٣.
- عبد العلي الجسماني: القرآن وعلم النفس، دار العربية للعلوم، بيروت ٢٠٠٠.
- عبد الغفور محمود مصطفى: خادم القرآن والإيمان الشيخ بديع الزمان النورسي ومنهجه في تفسير القرآن وبيان بلاغته، جامعة الأزهر ط ١، ١٩٩٧.
- عبد القادر أحمد عطا: آداب النفوس للحارث المحاسبي، دراسة وتحقيق، مؤسسة الكتب الثقافية.
- عبد الكريم بكار: تجديد الوعي، دمشق دار القلم ط ١، ٢٠٠٠.
- عبد الكريم بكار: عصرنا والعيش في زمانه الصعب دار القلم، ط ٢، دمشق ٢٠٠٤.
- عبد الكريم عثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، دار غريب ط ٢، ١٩٨١.
- عبد الكريم عكيوي: أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان سعيد النورسي، دار سوزلر، ط ١، ٢٠٠٤.
- عبد الله علي الطنطاوي: أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر.
- عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر ط ١، ٢٠٠٣.
- عدنان الشريف: من علم الفلك القرآني: دار العلم للملايين.

- عزت عبد العظيم الطويل: النفس والقرآن، المكتب الجامعي الحديث ١٤٠٢-١٩٨٠.
- عشراتي سليمان: النور في رحاب القرآن وجهاده المعنوي: دار سوزلر ط ١، ١٩٩٩.
- عشراتي سليمان: جمالية التشكيل الفني في رسائل النور، دار النيل ط ١، القاهرة ١٤٢٦-٢٠٠٥.
- عمار جيدل: بديع الزمان سعيد النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية : المنهج والتطبيق – ط ١، استانبول ١٤٢٢-٢٠٠١.
- عمر سليمان عبد الله الأشقر: الرسل والرسالات، الأردن: دار النفائس ودار السلام ٢٠٠٥م.
- عمر أحمد الفرجاني: أصول العلاقات الدولية في الإسلام المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ط ١، ١٩٨٤.
- فاروق حمادة: أضواء على البعثة المحمدية: دائرة الرباط العلمية للبحث في الدراسات الإسلامية (كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس أكدال الرباط) ط ٢٠٠٦.
- فاروق حمادة: العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي: دار دمشق ط ١، ٢٠٠٥.
- فاروق حمادة: الأمة بين الإسلام والفكر المعاصر، دار الثقافة ط ١.
- فاروق حمادة: الورثة الصالحة للحضارة المعاصرة، بحوث قرآنية في الحضارة الدار البيضاء، دار الثقافة ط ٢ – ١٩٩٠.
- فاضل السمارائي: نبوة محمد من الشك إلى اليقين: مكتبة القدس بغداد.
- فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، المؤسسة العربية –بيروت: دار الشروق للنشر ١٩٨١.

- فرج محمد وصيف : بديع الزمان عصره ودعوته، دار النور بالمنصورة ط ١، ١٩٩٦.
- فريد الأنصاري: مفاتح النور – تركيا نسل للطباعة ط ، ٢٠٠٤ تركيا.
- الإمام القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.
- قسطنطين زريق: في معركة الحضارة، دار العلم للملايين ط ٢، بيروت
- كمال خوجة: يهود الدونمة، توزيع دار السلام، ط ١، ١٩٧٧.
- مايكل هارت: المائة : تقويم لأعظم الناس أثرا في التاريخ، ترجمة أنيس منصور الزهراء للإعلام العربي، ط ١٩٨٦.
- مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر كامل، دار الفكر ط ١، ١٩٨٧.
- محسن عبد الحميد: من أئمة التجديد الإسلامي، مكتبة أسامة بن زيد طبعة ١٩٨٦ الرباط.
- محسن عبد الحميد: النورسي الرائد الكبير، شركة محمد ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة ط ، ١٩٨٧.
- محسن عبد الحميد: من معالم التجديد عند النورسي؛ دار سوزلر ط ١، مصر ٢٠٠٢.
- محسن عبد الحميد: النورسي متكلم العصر الحديث، القاهرة دار سوزلر.
- محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة السيد عباس محمود، لجنة التأليف والترجمة.
- محمد التهامي: النورسي أنوار لا تغيب، مطبعة المدني ط ١، ١٩٩٨.
- محمد السيد الخليفة: قضية الألوهية بين الدين والفلسفة، دار قباء للطباعة والنشر ٢٠٠٠.
- محمد جلاء إدريس: العلاقات الحضارية بدمشق دار القلم ط ٢٠٠٣.

- محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد (ترجمة) دار الوثائق.
- محمد الخير عبد القادر: نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، دراسة للقضية العربية في ٥٠ عاما، (١٨٧٥–١٩٢٥) مكتبة وهبة ط ١، القاهرة ١٩٨٥.
- محمد خاتمي: حوار الحضارات، ترجمة سرمد الطائي، دار الفكر.
- محمد خروبات: خلاصة في نقد الفكر الطبيعي مع مقالة في بناء الإنسان عند بديع الزمان النورسي، المطبعة الوطنية بمراكش.
- محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٥.
- محمد عبده : رسالة التوحيد، دار ابن حزم ط ١، ٢٠٠١.
- محمد سعيد غيبة: تكريم الخالق للإنسان، دار المكتبي ط٣، ٢٠٠٠.
- محمد عبد الله دراز: دراسات في العلاقات الدولية والإجتماعية، تحقيق أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم للنشر ط ٥، الكويت ٢٠٠٣.
- محمد بن اسماعيل البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، بيروت: المطبعة العصرية، ط٣، ١٩٩٧.
- محمد فتح الله كولن: طرق الإرشاد في الفكر والحياة، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مطبعة جاغليان، ازمير ط١، ٢٠٠٣.
- محمد فتح الله كولن: محمد النور الخالد مفخرة الإنسانية، دار النيل مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٩.
- محمد فريد البك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة ١٨٩٣.
- محمد عمارة : الإسلام والتحديات المعاصرة، نهضة مصر ط ١ — ٢٠٠٥.

- محمد عمارة : تحقيق الأعمال الكاملة لمحمد عبده وجمال الدين الأفغاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان.
- محمد قطب: ركائز الإيمان دار الشروق ط ١، ٢٠٠١.
- محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي: القاهرة.
- محمد الملازكردي: عجالة مقتطفة من أقلام أفاضل العلماء والدكاترة في حياة الإمام سعيد النورسي، بيروت: دار الأفاق الجديدة، ط٣، ٢٠٠٦.
- محمد الغزالي: فقه السيرة النبوية، طبعة مجلدة.
- محمد علي أورخان: رجل القدر في حياة أمة سعيد النورسي، دار سوزلر ط ٣، القاهرة، ٢٠٠٦.
- محمد فاضل (ترجمة) الإسلام على مفترق الطرق، رحلة في حياة فكر بديع الزمان سعيد النورسي: القاهرة، دار سوزلر ط ١، ٢٠٠٥.
- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، بيروت : ١٩٨٦.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث العربي، بيروت لبنان، ط ١٩٩١.
- مصطفى السباعي: أخلاقنا الاجتماعية، بيروت، دار الرشاد ط ٢.
- مصطفى السباعي: نظام السلم والحرب في الإسلام، دار الوراق للنشر والتوزيع.
- مصطفى الشكعة: معالم الحضارة الإسلامية، بيروت ١٩٨٧.
- مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي ط ٢ بيروت ١٩٨١.

- موفق بين المرجة: صحوة الرجل المريض، مؤسسة صقر للخليج للطباعة والنشر والإعلام، الكويت ط ١، ١٩٨٤.
- نبيل عبد اللطيف: الإنسان كما فطر الله، رؤى في دعائم نهضة الأمم وبناء الحضارة، الهيئة العامة للكتاب ط ٢٠٠٠.
- النسفي: تفسير النسفي: دار الكتاب العربي بيروت: ١٩٨٨.
- نصر محمد عارف: الحضارة، الثقافة، المدنية : دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي سلسلة المفاهيم والمصطلحات، أمريكا ١٩٩٤.
- نصر الدين عبد الحميد : مصر وحركة الجامعة الإسلامية، الهيئة العامة المصرية للكتاب.
- نعمان عبد الرازق السمرائي: نحن والحضارة والشهود، كتاب الأمة (٨٠) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر ٢٠٠١.
- نور الدين علي بن محمد سلطان القاري: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، المكتب الإسلامي.
- هونكه زيغريد : شمس الله تشرق على الغرب ط ١، ١٩٦٠.
- ويل ديورنت: قصة الحضارة، ترجمة الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٨١-١٩٥٣.
- يوسف القرضاوي: ملامح المجتمع الذي ننشده مؤسسة الرسالة ط ١، ٢٠٠١.
- يوسف القرضاوي: حقيقة التوحيد دار المعرفة.
- يوسف القرضاوي: الإسلام حضارة الغد مؤسسة الرسالة ط ١، ٢٠٠١.
- يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، المنصورة دار الوفاء ١٩٨٨.

المؤتمرات والندوات العلمية:

- المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي، تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي، ٢٤-٢٦ أيلول ١٩٩٥، استانبول – تركيا.
- المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي نحو فهم عصري للقرآن الكريم، رسائل النور نموذجا، القاهرة: دار سوزلر، ط١، ١٩٩٨.
- المؤتمر العالمي الخامس لبديع الزمان سعيد النورسي النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، تركيا: نسل ط ١، ٢٠٠٢.
- المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان سعيد النورسي العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، تركيا، نسل للنشر استانبول ٢٠٠٤.
- المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان سعيد النورسي: ممارسة إيمانية فاعلة في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات من خلال رسائل النور، ط٤، ٢٠٠٤.
- جهود النورسي في تجديد الفكر الإسلامي بحوث الندوة العلمية الدولية المنعقدة بتاريخ ١٧ و ١٨ مارس ١٩٩٩، بمدرج الشريف الإدريسي بالرباط، المغرب.
- بديع الزمان سعيد النورسي فكره ودعوته وقائع الحلقة الدراسية المنعقدة في قاعة المركز الثقافي الإسلامي بعمان يوم الخميس (٧ صفر ١٤١٨ الموافق لـ ١٢ يونيو ١٩٩٧)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بمكتب الأردن بتعاون مع مركز البحوث: رسائل النور.
- التربية السلوكية عند بديع الزمان سعيد النورسي بحوث ألقيت في الندوة الدولية التي نظمتها شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بجامعة القاضي عياض بمراكش- المغرب.

- حلقة دراسية حول الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي: استانبول ٢٦-٢٧ يوليوز ٢٠٠٥، مؤسسة الثقافة والعلوم مركز رسائل النور.
- مجلة المنعطف مقال "الديمقراطية منطق الاحتواء والتوطين" للأستاذ ميمون النكاز، العدد ٩، ١٤١٥-١٩٩٤.
- مجلة المنعطف: إشكالية النهوض في العالم وجهة نظر، مقال "سؤال المرجعيات في خطابات النهوض، العربي وجهة نظر" لمحمد أمزيان، العدد ١٨-١٩، سنة ١٤٢٢-٢٠٠١.
- علم النفس التراث الإسلامي: المعهد العالمي للفكر الإسلامي سلسلة تيسير التراث (٢)، القاهرة: ط١، ١٩٩٦م.

فهرس الآيات

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾	٧	البقرة	١٠٦
﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ ﴿٢٤﴾ ﴾	٢٤	البقرة	٢٠٦
﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴿٣٠﴾ ﴾	٣٠	البقرة	١٤٠
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	٣١	البقرة	١٤٧
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾	٤٨	البقرة	١٠٩
﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴿٦٠﴾ ﴾	٦٠	البقرة	١٤٦
﴿ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا ﴿٩٥﴾ ﴾	٩٥	البقرة	٢٠٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾	١٧٢	البقرة	٣٠٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾	٢٠٨	البقرة	٢٩٣
﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴿٢٥١﴾ ﴾	٢٥١	البقرة	٢٧٥-٣٥٥
﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٢٦٩﴾ ﴾	٢٦٩	البقرة	٢٦٧

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾	٢٨١	البقرة	١١٠
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾	٢٨٦	البقرة	١١٠
﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	آل عمران	١١٠
﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ .... ﴿٤٩﴾﴾	٤٩	آل عمران	١٤٦
﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾	٦٤	آل عمران	١٨٣-٣٢٦
﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴿١٠٣﴾﴾	١٠٣	آل عمران	٣٢٨
﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾	١٣٤	آل عمران	٢٦٩

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴿١٧٩﴾﴾	١٧٩	آل عمران	٢٠٥
﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾	١٨٥	آل عمران	١١٠
﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾	١٩٠-١٩١	آل عمران	١٠٨
﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴿٥٨﴾﴾	٥٨	النساء	٢٥٣-٢٥٧
﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾﴾	٧٨-٧٩	النساء	١١١-١٣٢
﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾	٨٤	النساء	١١١

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ۝٢﴾	٢	المائدة	٢٩٦-٢٩٧
﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ۝٣٢﴾	٣٢	المائدة	١١٠-٢٥٧ ٢٥٨-
﴿۞ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ ۝٥١﴾	٥١	المائدة	٣٤٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٤﴾	٥٤	المائدة	٢٠٦
﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ۝٦٧﴾	٦٧	المائدة	٢٠٦
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾	٧٨-٧٩	المائدة	٢٧٦
﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ...﴾	٩٣	الأنعام	١٣٦
﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ ۝٩٤﴾	٩٤	الأنعام	١٣٦
﴿ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ....۝١٦٤﴾	١٦٤	الأنعام	٢٧٤-٢٧٦

الآيـــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ ﴿١٦٥﴾﴾	١٦٥	الأنعام	١٤٠
﴿۞ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ....﴿٣١﴾﴾	٣١	الأعراف	٣٠٢-٣٠٥
﴿إِنِّى ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴿١٤٤﴾﴾	١٤٤	الأعراف	١٩٠
﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴿١٧٢﴾﴾	١٧٢	الأعراف	١٧٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾	١١٩	التوبة	٢٩٠
﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾	١٢٨	التوبة	٢٢٦
﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾	٩٠	يونس	١٧٢
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِى لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٨﴾﴾	١٠٨	يونس	٣٤٩
﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا... ﴿٦﴾﴾	٦	هود	٣٠٤
﴿۞ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا... ﴿٦١﴾﴾	٦١	هود	١٥٠
﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾﴾	١٠٥	هود	١١١
﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ... ﴿٦﴾﴾	٦	يوسف	١٩٠

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾	٥٣	يوسف	١١٢-١١٦
﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾	١٤	الرعد	٣٦٦
﴿ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾	١٧	الرعد	٣٤٦
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾	٣٢-٣٤	إبراهيم	١٤٩- ١٥٠-٢٩٨
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾	٩	الحجر	٦٩
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ..... ﴿٣٦﴾﴾	٣٦	النحل	٢١٩
﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٧٨﴾﴾	٧٨	النحل	١٧٤
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ..... ﴿٩٠﴾﴾	٩٠	النحل	٢٥٤
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴿١٢٥﴾﴾	١٢٥	النحل	٢٧٨

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾	١	الإسراء	٢١٢
﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨﴾	٣٨	الإسراء	٢٧٦
﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾	٤٤	الإسراء	١٤٢-١٤٣
﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾	٧٠	الإسراء	٩١-٩٥
﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ٨٥﴾	٨٥	الإسراء	١٣٥-١٣٧
﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾	٨٨	الإسراء	١٤٨- ١٩٨-٢٠٦
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَاۚ..... ٥٨﴾	٥٨	مريم	١٩٠
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾	٢٥	الأنبياء	٢١٩
﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾	٤٧	الأنبياء	١١٠

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾	٦٩	الأنبياء	١٤٧
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾	١٠٧	الأنبياء	٢٢٦-٢٩٤
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾	٤٠	الحج	٣٥٥
﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ ....﴿٦٥﴾﴾	٦٥	الحج	٢٠٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ .....﴿٥١﴾﴾	٥١	المؤمنون	٣٠٦
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ ﴿٥١﴾﴾	٥١	النور	٢٢٤
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴿٥٥﴾﴾	٥٥	النور	١٤٠
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾	٤٣	الفرقان	١٣٠
﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾	٧٢	الفرقان	٢٧٩
﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ ....﴿٩٣﴾﴾	٩٣	النمل	٢٠٦
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٣	القصص	١١١
﴿وَهُمْ مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ .....﴿٤﴾﴾	٣-٤	الروم	٢٠٦

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾	٧	الروم	١٠٤
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	الروم	١٧٣
﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾	٥٠	الروم	٢٣٤-٢٣٧
﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ ... ﴿٦٠﴾﴾	٦٠	الروم	٢٠٥
﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ..... ﴿١٠﴾﴾	١٠	لقمان	٢٠٨
﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾	١٣	لقمان	١٨٧-٢٥٦
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾	٢١	الأحزاب	٢٢٤-٣٧٩
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	الأحزاب	٢٧
﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾	٧٢	الأحزاب	١١٥-١٢٠-١٢٥
﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾	١٠	سبأ	١٤٧

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾	١٢	سبأ	١٤٥
﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾	٧٨-٧٩	يس	٢٣٣
﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾	٤٢	الزمر	١٣٦
﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾	٣٤	فصلت	٢٦٩- ٢٧٠-٢٧٩
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾	٥٣	فصلت	٢٠٦-٢٢٣
﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا.....﴾	١١	الشورى	١١٣
﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾	٣٨	الشورى	٣٢١
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾	١٣	الجاثية	١٤٩
﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	الجاثية	٣٤٩

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	الجاثية	٣٢٦
﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴿٧﴾﴾	٧	الفتح	١٦٥
﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	الفتح	٢٠٥
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ ﴿٢٨﴾﴾	٢٨	الفتح	٢٠٥
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴿١٠﴾﴾	١٠	الحجرات	٢٦٩- ٢٧٣-٢٨٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾	١٣	الحجرات	٩٦-٢٩٦- ٣٣٨-٣٤٨
﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ.... ﴿٧﴾﴾	٧	الذاريات	٢٠٨
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	الذاريات	١٤٠-١٥٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾	٥٨	الذاريات	٥٨
﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾	٣٠-٣١	الطور	٢٠٦

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾	٤-١٨	النجم	٢١٢
﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾	٣٢	النجم	١٣٠
﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾	٣٩	النجم	٣٠٧
﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾	١-٢	القمر	٢١٠
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾	١٧	القمر	٨١
﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾	٧-٩	الرحمن	٢٥٣
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ .....۝٤﴾	٤	الحديد	١٦٦
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ..... ۝٢٥﴾	٢٥	الحديد	٢٦٥

الآيـــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾	٩	الحشر	٢٩٥
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ ۝١٩﴾ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ ۝١٩﴾	١٩	الحشر	١٣١
﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَـٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨﴾	٨	الممتحنة	٣٥٣
﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَـٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾	٢	الجمعة	١٠٧
﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٤﴾	١٤	التغابن	٢٧٩
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾	٦	التحريم	١١٠
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾	٤	القلم	٢٢٢
﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦﴾	٥-٦	القلم	٢٠٦

الآيـــــــة	الرقم	السورة	الصفحة
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	الجن	٢٠٥
﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾	١-٢	القيامة	١١٢
﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾	١٤-١٥	القيامة	١١٢
﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾﴾	١	الإنسان	١٠٤
﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾﴾	٢٧-٢٨	الفجر	١١٢
﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾	٧-١٠	الشمس	١١٢-١٢٤
﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	٩	الشمس	١١٤- ١٢٤-١٣٣
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾.	٤-٥	التين	٨٩-٩٥- ٣٤٩

فهرس الأحاديث

طـــرف الحـديـث	الصفحة
إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين وزهده في الدنيا	١٢١
الإسلام يجب ما قبله	٣٧٨
إن ابن هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين	٢٢٧
إن الصدق يهدي إلى البر	٣٢٧
إن المؤمن من أهل الإيمان	٣٠٦
إن قامت الساعة وفي يد أحدكم	٣٥٠
أنصر أخاك ظالما أو مظلوما	٣٠٨
نغزوهم ولا تغزوننا	٢٢٨
ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان	٣٠٥
كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه	١٨٦
ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة	٣٠٩
لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث	٣٠٦
لأعطين هذا الراية إذا	٢٢٨
المؤمن للمؤمن كالبيان	٣٠٦
مثل المؤمنين في توادهم	٣٠٥
مثل المدهن في حدود الله	٣١١

الفهرس

مقدمة.....١

التمهيد: الأوضاع السياسية في عصر النورسي.....١٤

المبحث الأول: مرحلة بداية انهيار الدولة العثمانية ١٦

المبحث الثاني: مرحلة قيام الدولة العلمانية.....٢٢

الفصل الأول: بديع الزمان سعيد النورسي حياته وآثاره ٢٦

المبحث الأول: النورسي، نشأته وتكوينه وتفاعله مع محيطه ٢٧

المبحث الثاني: عوامل تشكيل عظمة النورسي من خلال حياته.....٤٠

المبحث الثالث: الآثار العلمية لبديع الزمان سعيد النورسي.....٥٠

الفصل الثاني: خصائص رسائل النور ومنهج تعاملها مع القرآن.....٥٥

المبحث الأول: الخصائص العامة لرسائل النور ومنهجها في التأليف.....٥١

المبحث الثاني: منهج تعامل رسائل النور مع القرآن الكريم ٦٨

الفصل الثالث: حقيقة الإنسان ووظيفته في الحياة، عند بديع الزمان سعيد النورسي ٨٧

المبحث الأول: حقيقة الإنسان وعلة تكريمه ٨٩

المبحث الثاني: مظاهر تكريم الإنسان.....٩٨

المبحث الثالث: وظيفة الإنسان في الحياة.....١٣٨

الفصل الرابع: قضية التوحيد ١٥٤

المبحث الأول: تعريف التوحيد ١٥٨

المبحث الثاني: أدلة التوحيد ١٦٣

المبحث الثالث: أثر التوحيد في حياة الناس.....١٧٨

الفصل الخامس: قضية النبوة.....١٨٩
المبحث الأول: مفهوم النبوة وحاجة الإنسانية إليها.....١٩٠
المبحث الثاني: دلائل صدق الرسول وبراهين نبوته.....١٩٤
المبحث الثالث: وظيفة النبوة وأثرها في الحياة الإنسانية.....٢١٨

الفصل السادس: قضية الحشر.....٢٣٠
المبحث الأول: منهج النورسي في عرض عقيدة الحشر.....٢٣١
المبحث الثاني: أدلة الحشر وبراهينه.....٢٣٩
المبحث الثالث: أثر عقيدة الحشر في الحياة الإنسانية.....٢٤٥

الفصل السابع: قضية العدالة الاجتماعية عند النورسي.....٢٥٠
المبحث الأول: أقسام العدالة عند النورسي.....٢٥١
المبحث الثاني: مفهوم العدالة الاجتماعية عند النورسي.....٢٦٢
المبحث الثالث: آليات تطبيق العدالة الاجتماعية عند النورسي.....٢٦٦

الفصل الثامن: قضية العدالة السياسية عند بديع الزمان سعيد النورسي.....٣١٠
المبحث الأول: مفهوم السياسة عند بديع الزمان سعيد النورسي.....٣١١
المبحث الثاني: إزالة الوهم عن مسألة هجر النورسي لعالم السياسة.....٣١٤
المبحث الثالث: آليات تطبيق العدالة السياسية في المجتمع الإسلامي.....٣٢١

الفصل التاسع: قضية علاقة المسلمين بالغرب منهجا وأثرا وتأثرا.....٣٤٢
المبحث الأول: منهج العلاقة مع الغرب في فكر النورسي.....٣٤٣
المبحث الثاني: أسس الحضارة الغربية في فكر النورسي.....٣٦١
المبحث الثالث: إشكالية النهوض والتقدم في زمن الهيمنة الغربية.....٣٧٥

الخاتمة ٣٨٨
لائحة المصادر والمراجع ٣٩٨
فهرس الآيات ٤١٢
فهرس الأحاديث ٤٢٦
فهرس الموضوعات ٤٢٧